

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي

(مجموعة مقالات)

المؤتمر الدولي الأول لحقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي

جمادى الثاني ١٤٢٧هـ.ق

(المجلد الأول)

أمانة الهيئة العلمية للمؤتمر

كنفرتاس بين المللى حقوق ومسؤوليتهاى زنا در نظام اسلامى (اولين كنفرتاس: ١٣٨٥ : تهران).
حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي مجموعة مقالات المؤتمر الدولي الأول لحقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام
الإسلامي/إعداد: أمانة الهيئة العلمية للمؤتمر [الجمعية العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية] -- قرآن الجمعية العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الملوحة الثقافية. ١٤٢٧ هـ - ق=٢٠٠٦م=١٣٨٥
ج ١ و ٢

ISBN: 964-8889-44-9

عربي.

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

کتابنامه به صورت زیر نویس.

١. زنان -- مسائل اجتماعی و اخلاقی -- کنگره ها. ٢. زنان -- وضع حقوقی و فرائض -- کنگره ها. ٣. زنان --
کشورهای اسلامی -- کنگره ها. الف. مجمع جهانی تقرب مذاهب اسلامی. ب. مجمع جهانی تقرب مذاهب
اسلامی. معاونت فرهنگی. ج. عنوان.

٣٠٥/٤٢

HQ ١١٠٦٠٧٠٥٨٥

١٣٨٥

١٤٤١٥-٨٥م

کتابخانه ملی ایران



الجمعية العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب	حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي ج ١
تأليف:	مجموعة مقالات (المؤتمر الدولي الأول) بمجة من العلماء والمفكرين الإسلاميين
إعداد:	أمانة الهيئة العلمية للمؤتمر
تقويم النص:	لها اعتماد سعيد
الإخراج الفني:	علي كتيبي، عباس ارغد، حسين المنديلاوي
الناشر:	الجمعية العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - الملوحة الثقافية
الطبعة:	الأولى، ١٤٢٧ هـ - ق/ ٢٠٠٦م
الكمية:	٢٠٠٠ دورة
السعر:	٣٠٠٠ تومان
المطبعة:	مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي (مؤسسة الطباعة والنشر)
ردمك ج ١:	ISBN (vol. 1): 964-8889-44-9
ردمك لورة:	ISBN (vol. set): 964-8889-45-7
العنوان:	الجمهورية الإسلامية في إيران / طهران
ص ب:	٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥

جميع الحقوق محفوظة للنشر

فهرس

٧	القدمة
٩	إعلان مقترح حول حقوق المرأة وواجباتها في النظام الإسلامي
٣٣	المرأة والمشاركة السياسية والديمقراطية في الإسلام/ علي محيي الدين القره داغي
٩٣	أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي والموقف من التخطيط المعادي/محمد علي التسخري
١٣٣	نظرة الشريعة إلى البيت، الطيب سلامه
١٧١	المرأة المسلمة والإنتماء الحضاري المعاصر/محمد أمين السعاعيلي
١٨٣	حقوق المرأة ومسؤولياتها الإقتصادية في الأسرة والمجتمع/رباب الصدر
١٩٧	(معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة)... / طلوي كرمالي
٢١١	دور المرأة ومنزلتها في عملية الخلقه/ اقبال بريشا حدوني
٢٢٣	حقوق المرأة و مسؤوليتها الإقتصادية في الأسرة والمجتمع / احمد بن سعود السبابي
٢٤٥	قرارات في الإتفاقيات والقرارات الدولية الصادرة عن المؤتمرات الدولية/عفت الحصري

٢٧١	المرأة في منظور إسلامي وأهلبيتها للولاية العامة/محمود عكام
٢٨٥	الحقوق الإجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع/ سعيد عبدالله حارب
٣٢٣	اساليب تاتي المرأة المسلمة عالميا/ عفاف الحكيم
٣٣٩	دور المرأة المسلمة في المجتمع/ محمد مهدي التسخيري
٣٦٥	حقوق المرأة ومسؤولياتها الفردية/رقية احمد صالح بشر
٣٧٧	النظرة الإسلامية الى احترام الذات ومساهمة أفضل..../محمد سعيد عمر اسماعيل
٣٨٥	حقوق المرأة ومسؤولياتها/ عائشة القبشايي
٤٠٢	حقوق وواجبات المرأة في النظام الإسلامي/نازيين كريم
٤٤١	المرأة في مرحلة إعادة بناء الدولة في آسيا الوسطى/كازين باربارا
٤٦٧	مسؤولية المرأة عن دعم كيان الأسرة في النظام الإسلامي/محمد النسوفي
٤٨٧	دور النساء ومزلقتهن في عالم الخلق والتكوين/ ل.م. دوسا

المقدمة

بالنظر إلى الغزو الثقافي الذي يقوم به العالم الغربي والمؤامرات الدائمة للحكومات الإستكبارية على مقام المرأة السامي في المجتمع البشري وبهدف إضعاف بناء العائلة، وبالإلتفات إلى وجوب التعرف على هذه المؤامرات والألاعيب الشيطانية وإلى ضرورة وضع البرامج والتخطيط للطرق المناسبة لمواجهة هذه الحملات، والبحث عن ميثاق جامع تلتقي عنده جميع آراء السيدات الفكرات والباحثات في العالم الإسلامي، ينبع من الرؤى الراقية للإسلام العزيز ويؤدي إلى صياغة وتنظيم إعلان عالمي لحقوق وواجبات المرأة المسلمة في زماننا العاصر، يُعقد هذا المؤتمر الدولي، بمشاركة

المؤسسات والجمعيات الداخلية والخارجية المهتمة بهذا الموضوع، لأجل بحث
المطالب المذكورة وللوصول للأهداف التالية:

١- عرض وتبيين علمي لأراء ووجهات نظر النظام الإسلامي فيما يتعلق
بحقوق المرأة وواجباتها.

٢- إعداد الأرضية اللازمة وإيجاد الظروف والجو المناسب لإقامة علاقات
دائمة بين النساء المثقفات في العالم الإسلامي.

٣- تمتين وتعميق العلاقات العلمية والإجتماعية والسياسية بين
الجمعيات النسائية خاصة في العالم الإسلامي.

٤- السعي لتشكيل جبهة متحدة لمواجهة مؤامرات الإستكبار العالمي في
هذا المجال.

٥- الوصول إلى نص حقوقى راقى وشامل في إطار "الإعلان العالمي لحقوق
وواجبات المرأة في النظام الإسلامي"، يكون محط إجماع وتصديق النساء
للمثقفات والمفكرات في العالم الإسلامي والجامع الدولية.

أمانة الهيئة العلمية للمؤتمر

١٤٢٧هـ. ق

إعلان مقترح حول حقوق المرأة وواجباتها

في النظام الإسلامي

إعلان مقترح حول حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاسلامي بعض النقاط الخاصة بالإعلان،

- ١- إن الحق في هذا الإعلان بمعنى المقدرة والإمتياز والحصانة، بينما المسؤولية هي تلك الواجبات التي تقع على عاتق المرأة حيال الآخرين.
- ٢- في الحالات التي يتعهد المجتمع القيام ببعض الواجبات تجاه المرأة ويصب ذلك في صالحها، فقد تم التعبير عن هذه الواجبات بوصفها حقاً للمرأة وليس بوصفها مسؤولية الآخرين تجاهها.
- ٣- بما أن الأفراد طبقاً للقوانين الإسلامية مسؤولون أمام الله وأمام انفسهم ومجتمعهم والكون بأسره فقد حاول الإعلان ذكر مسؤولية المرأة حيال المحالات المذكورة. ومن الواضح انه في حالة انعدام الشروط العامة للتكليف (العقل والبلوغ والإرادة) فإن المسؤولية ستسقط عن المرأة أيضاً. كما يتضح نوع ارتباط المرأة بالموضوع المعني باستخدام كلمة الحق او المسؤولية.
- ٤- لقد حاول الإعلان ذكر حقوق المرأة ومسؤولياتها كافة، سواء ما هو مشترك بين المرأة والرجل وما يخصها وفيما يلي نذكر أسباب ذلك.

١- نظراً لوجود بحوث ونقاشات كثيرة في المجمع الدولية فيما يخص الحقوق الإنسانية للمرأة وينوي بعضهم اثبات الحقوق الإنسانية للمرأة بما يتطابق مع وجهة النظر الغربية، ونظراً لوجود بلدان مختلفة لكل منها وجهات نظر مختلفة واداء مختلفاً في مجال الحقوق الإنسانية للمرأة اعتماداً على ثقافتها المختلفة كان من اللازم تبيين الحقوق المشتركة بين المرأة والرجل والحقوق الخاصة بالمرأة في مختلف المواضيع في هذا الإعلان الذي يعكس وجهة نظرنا لتتوضح بذلك بشكل أساسي الحقوق والمسؤوليات الالقاء على المرأة.

ب - يعتبر الفكر الإسلامي المرأة والرجل مشتركين في حقوقها الإنسانية بشكل عام ولكن نظراً لاحتمال حدوث بعض التمييز في مراحل الإقدام والتنفيذ فقد جاء ذكر هذه المجموعة من الحقوق تحت عنوان حقوق المرأة.

ج - بما ان هذا الإعلان ينوي بيان حقوق المرأة فقط لذلك لم يتطرق الى ذكر حقوق باقي فئات المجتمع ومع ذلك وبالإلتفات إلى باقي القوانين والسياسات سيتم الإهتمام بباقي الفئات الإجتماعية في مرحلة التنفيذ.

٥- لا ينوي هذا الإعلان شرح طريقة إجراء الحقوق، وبناء عليه ينبغي أن تكون لها ضمانات إجرائية تتناسب مع هيكلية القوانين.

٦- بما أن الإعلان لم ينوي ذكر القوانين فقط ، بل اهتم ببناء الثقافة فقد ذكرت كذلك بعض المسائل الأخلاقية اللازمة للتنفيذ في جملة حقوق ومسؤوليات المرأة.

٧- لقد حاول الإعلان في حدود الإمكان ذكر الحقوق والمسؤوليات الكلية

إعلان ملتزم حول حقوق المرأة وواجباتها في النظام الإسلامي ١٣

والأساسية وغيض النظر عن ذكر مصاديقها ولكن بما أن طرح مجموعة من المصاديق الحقوقية أو المسؤوليات في النزاعات الدولية أو الثقافية الداخلية كان بحاجة إلى التأكيد والشفافية فقد جاء بيان ذلك بشكل محدد.

٨- لقد تم تقسيم هيكلية إعلان حقوق ومسؤوليات المرأة عبر الإستقراء على

النحو التالي:

الحقوق الفردية والحقوق الأسرية والحقوق الإجتماعية (وقد جاء تصنيف الحقوق الإجتماعية حسب الموضوع إلى حق السلامة والحقوق الثقافية والحقوق الاقتصادية والحقوق السياسية والحقوق القضائية).

٩- هنا الإعلان يمكن اعتباره في مجال قضايا المرأة، محوراً للحوار بين البلدان الإسلامية ويشكل خطوة هائلة في طريق إعداد وصياغة وثيقة أخرى مشتركة بالتعاون والتوافق بين مختلف البلدان الإسلامية الأخرى على الصعيد الدولي.

١٠- على الرغم من سيادة الموازين الشرعية على مطلق وعموم بنود هذا الإعلان ولكن في بعض المسائل المتصلة بحق أو مسؤولية ما كان من اللازم التأكيد على رعاية الموازين الشرعية، فذكرت هذه العبارة مجدداً.

١١- بما أن هذا المنشور هو فقط لبيان حقوق ومسؤوليات المرأة فقد تم تجنب ذكر أسماء أفراد أو مؤسسات مسؤولة عن تنفيذ هذه الحقوق، من الواضح أن هذا المنشور سيكون قاعدة لوضع السياسات والبرامج والقوانين المتعلقة بشؤون النساء في الأجهزة والمؤسسات كافة.

المباني والأصول :

إن مبادئ وأسس هذا الإعلان المتعلق بحقوق ومسؤوليات المرأة مستلهمة من الشريعة الإسلامية الجامعة والمتوازنة من أجل إيجاد أرضية لنمو متكامل ومتوازن في الجوانب المادية والمعنوية في الحياة الفردية والإجتماعية مع التوجه للحرية للمسؤولة للمرأة وكرامتها الإنسانية، والتناسب بين حقوقها ومسؤولياتها.

تم تدوين هذا الإعلان اعتماداً على معرفة الله عز وجل والإيمان به باعتباره مبدأ الوجود وخالق الموجودات واختصاص التشريع به وضرورة التسليم لأمره والإفادة من القرآن الكريم والسنة النبوية (الشريفة والعقل مع الإهتمام بمقتضيات الزمان والمكان وتجنب الشوائب الفكرية المغايرة للإسلام بعيداً عن التحجر الفكري والخرافات والإنبهار الفكري أمام الأجنبي.

يعتمد البناء الأساسي لهذا الإعلان على هذا المعتقد الأساسي بأن المرأة والرجل في الإسلام في القطرة والطبيعة والهدف للخليفة يتمتعان بالواهب والامكانيات والقطرة على اكتساب القيم والوقوف في الطليعة في القيم والجزاء للأعمال وهما متساويان أمام الله وتنحصر المزية بينهم بالرشد الإنساني الشامل في رحاب العلم والمعرفة والتقوى الإلهية وإيجاد مجتمع صالح فقط.

١- فطرة الله التي فطر الناس عليها. الروم ٢٠.

٢- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. الناريات ٥٦. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. الملك ٣.

٣- الف. تكوين طبيعي، وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض. الجاثية ١٣. ب- تكوين معنوي، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة النحل ٧٨، ونفس وما سواها فالهما فجورها وتقويها" الشمس ٧-٨ "علم الإنسان مالم يعلم" ٥. ج- اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل لكم الأنبياء المائدة ٢٠ "كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور" ابراهيم ١.

والتقوى الإلهية وإيجاد مجتمع صالح فقط.

ومن جانب آخر هناك اختلافات بين المرأة والرجل من حيث الخصائص الجسمية والنفسية. وهذه الاختلافات قائمة على الحكمة الإلهية باعتبارها السر لاستمرار حياة البشر وبشكل ذلك كلاً متسجماً ليتسنى في نهاية المطاف من تلك العلاقة المتبادلة النابعة عن التناسب الفكري والعاطفي بين الإثنين إمكانية تحقيق الحياة المعقولة والرفيعة الإنسانية واستمرارها، لذلك تشكل هذه الفروق الطبيعية مصدراً للفروق الحقوقية والقائمة على عدالة الله تعالى، ولا تؤدي هذه الفروق إلى التقليل من قيمة المرأة أو التمييز الظالم بين المرأة والرجل.^١

ونظراً لاشتراك المرأة والرجل في الحقيقة الإنسانية فإن المرأة والرجل يتمتعان في أكثر الموارد، بحقوق متساوية في النظام الحقوقي للإسلام. والاختلاف في الحقوق والواجبات لا يمثل تفوق جنس على جنس آخر، بل هو ناتج عن وجود عناوين حقوقية خاصة يتمتع بها الرجل أو المرأة بما يتناسب مع الأدوار الخاصة التي لا يمكن استبدالها في الأسرة. فهذا الفرق يضمن إمكانية وجود السلامة المادية والعنوية للأسرة باعتبارها أهم مؤسسة اجتماعية وهي المكان الحقيقي لولادة الإنسان وتربيته.

١ - يبتنى هنا القطع على النصوص الإسلامية ومنها الآيات الكريمة التالية: إن المسلمين والمؤمنين والمؤمنات والمؤمنات والذاتيات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصلفين والمتصلفات والصابغين والصابغيات والحافظين والحافظات والناسك والنايكات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا (الأحزاب، ٢٥) من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن لنحبيبه حياة طيبة (النحل ٩٧)

القسم الأول: الحقوق والواجبات الفردية للمرأة

- ١- الحق في التمتع بحياة لائقة وسلامة حسنية ومسؤولية المحافظة عليه أمام أي مرض أو حادث أو اعتداء.
- ٢- الحق في التمتع بالكرامة ومسؤولية احترامها للآخرين.
- ٣- الحق في حرية الفكر والصيانة من أي تعرض وانعدام الأمن في امتلاك العقيدة.
- ٤- الحق والواجب في التمتع بالإيمان والتقوى والمحافظة عليه والتكامل العنوي في مجالات المعتقدات والسلوك.
- ٥- صيانة حياة النساء وممتلكاتهن وحرمتهن وحياتهن الخاصة من أي تعرض غير قانوني.
- ٦- الحق في التمتع بالعدالة الإجتماعية في تنفيذ القوانين دون التمييز بالإعتبارات الجنسية.
- ٧- الحق في امتلاك الإسم والمحافظة عليه أو تغييره وكذلك النسب والمحافظة عليه.
- ٨- حرية المرأة المسلمة أو ممن ينتمين إلى الأقليات الدينية الرسمية في أداء مراسمها وتعليماتها الدينية والأحوال الشخصية طبقاً لدينها في حدود القانون.
- ٩- حرية المرأة في ارتداء اللباس المحلي واللهجة الخاصة وممارسة الأدب والتقاليد، لا يتعارض الأخلاق الحسنة والسنة الإسلامية.
- ١٠- صيانة المرأة من الأضرار المادية والعنوية في تنفيذ حق الآخرين.
- ١١- حق المرأة ومسؤوليتها في المحافظة على خصائصها في الخلقة المختلفة بين المرأة والرجل.
- ١٢- الحق في التمتع بالبيئة السليمة ومسؤولية المحافظة عليها.

القسم الثاني: حقوق المرأة وواجباتها الأسرية

الفصل الأول: حقوق الفتيات ومسؤولياتهن في الأسرة

- ١٣- حق الفتيات في التمتع برعاية لائقة من جانب الوالدين.
- ١٤- حق الفتيات في التمتع بالنفقات التي تشمل السكن والملبس والغذاء السليم والكافي والتسهيلات الصحية لضمان السلامة الجسمية والنفسية لهن.
- ١٥- حق الفتيات في التربية والتعليم وإيجاد المجالات اللازمة لازدهار مواهبهن وإبداعاتهن.
- ١٦- حق الفتيات في توفير حاجاتهن العاطفية والنفسية والتمتع بتعامل ودي من جانب الوالدين وصيانتهم من حالات العنف في الأسرة.
- ١٧- حقهن في التمتع بإمكانات الأسرة دون تمييز بين الفتي والفتاة.
- ١٨- حق الفتيات المحرومات من الرعاية أو ممن يعانين من رعاية سيئة في الاستفادة من رعاية الأقارب أو ممن يتطوع في تكفلهن مع احترام مصلحتهن وتمتعهم بحماية الحكومة وإشرافها.
- ١٩- مسؤولية الفتاة في احترام والديها والإمتثال لأوامرهما المشروعة وانتهاج السلوك الحسن مع باقي أفراد الأسرة.

الفصل الثاني: حقوق المرأة ومسؤولياتها في تشكيل الأسرة ويقانها

- ٢٠- حق المرأة ومسؤوليتها في تقوية بناء الأسرة وتمتعها بالإمكانات والدعم القانوني اللازم لها من أجل الوقاية من ظهور الخلافات وتدني حالة الطلاق.
- ٢١- حق المرأة في الإفادة من الإمكانيات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية

١٨ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الأسري

لتسهيل أمر الزواج في الوقت المناسب ومسؤوليتها في ضبط نفسها حتى يحين زواجها.

٢٢- حق المرأة في وعي حقوق وواجبات الزوجين ونظم الروحية والتمتع

بالإمكانات اللازمة في هذا المجال.

٢٣- حق المرأة في التعرف على المعايير المناسبة لاختيار الزوج ومعرفة.

٢٤- حق المرأة ومسؤوليتها في معرفة الضوابط الدينية والقانونية في الزواج

واحترامها ومنها تساوي الزوجين في الإعتقاد بالأسس الإعتقادية والدينية.

٢٥- حقها في تعيين شروطها ضمن عقد النكاح في إطار الضوابط الشرعية

وضمن تنفيذ هذه الشروط.

٢٦- حق المرأة في تسجيل زواجها وطلاقها ومراجعة الجهات الرسمية والقانونية.

٢٧- حق المرأة في التمتع بالحقوق المالية في أيام الزواج.

٢٨- حق المرأة ومسؤوليتها في ضمان تخصيص العلاقة الجنسية مع زوجها

الشرعي وطهرها وسلامتها وحقها في الاعتراض القانوني في حالة انتهاكها.

٢٩- حق المرأة وواجبها في السكن المشترك وحسن المعاشرة وضمن أمنها النفسي

في علاقاتها مع زوجها وحقها في الاعتراض وطرح الدعاوى في الدوائر القانونية في

حالة سوء معاشرة الزوج.

٣٠- حق المرأة ومسؤوليتها في التنمية العلمية والعنوية والأخلاقية بتعاون ودعم

باقي أعضاء الأسرة.

٣١- حق المرأة ومسؤوليتها في قيامها بصلة الرحم.

٣٢- حق المرأة في الحمل وتنظيمه وضبطه والإستفادة من الإمكانيات والمعلومات

المطلوبة في هذا المجال.

- ٣٢- حق المرأة في تمتعها بالحماية المادية والمعنوية في ايام الحمل والرضاعة.
- ٣٤- واجبها في احترام حقوق الجنين وخاصة في المحافظة على حياته ونموه.
- ٣٥- حقها ومسؤوليتها في الحضانه وتوفير الامن النفسي والعاطفي للأولاد والتربية الدينية والأخلاقية اللائقة لهم.
- ٣٦- حق المرأة في التمتع بدعم الزوج ومشاركته في تربية الأولاد.
- ٣٧- حق المرأة في التمتع بالامن المادي والمعنوي وخاصة في ايام الشيخوخة والعجز.
- ٣٨- حق المرأة ومسؤوليتها حيال إعالة الأبوين المحتاجين وضمان معاشهم بقدر المستطاع. ومع عدم إسقاط حقوق الزوج.

الفصل الثالث: حقوق وواجبات المرأة في حالة تفكك الأسرة

- ٣٩- حق المرأة في الانفصال عن زوجها في حالة عدم إمكانية التعايش معه بعد مراجعة وتقديم الأدلة المقنعة ومسؤوليتها في احترام قوانين الطلاق.
- ٤٠- حق المرأة في فسخ النكاح في حالة وجود التدليس والعيوب المقررة وأخذها التعويض في التدليس.
- ٤١- حق المرأة في تمتعها بحقوقها المادية عند تفكك الأسرة والإفادة من السلوك الجيد لزوجها عند الانفصال.
- ٤٢- حق المرأة ومسؤوليتها في حضانه الأولاد وضرورة تمتعها بالدعم المالي من الأب وحقها في الإلتقاء مع اولادها بعد انقضاء أو إسقاط فترة الحضانه..
- ٤٣- حق المرأة في التمتع بحقوقها في ايام العدة. وحقها في الزواج بعد انقضاء العدة.
- ٤٤- حق المرأة في طرح دعواها في المحاكم لمنع زواج زوجها ثانية في حالة عدم

٢٠ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاسلامي

- تمكن الزوج من تأمين النفقة وإجراء العدالة وباقي الحقوق المترتبة عليه.
- ٤٥- المسؤولية المدنية والجزائية للأب والأم حيال تقصيرهما في المحافظة على الطفل ومسؤولية الوالدين حيال منع الأولاد من الإفادة من لقائهما.

القسم الثالث : حقوق المرأة ومسؤولياتها الاجتماعية

الفصل الأول : حقوق المرأة ومسؤولياتها في الصحة الجسدية والنفسية

- ٤٦- حق المرأة في التمتع بالسلامة الجسدية والنفسية في الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية بالإلتفات لخصائص المرأة في المراحل المختلفة للحياة ومسؤوليتها في المحافظة عليها.
- ٤٧- حق المرأة في التمتع بالصحة (البيئة والعمل وغير ذلك) والمعلومات وفي التعليم الذي تحتاج إليه.
- ٤٨- حق المرأة في المشاركة في وضع السياسات والتشريعات والإدارة والتنفيذ والإشراف في المجالات الصحية والعلاج وخاصة بشأن المرأة.
- ٤٩- حق المرأة في الإفادة من البرامج والتسهيلات الصحية والعلاجية المناسبة للوقاية من الأمراض وعلاج الأمراض الجسدية والمشكلات النفسية للمرأة.
- ٥٠- حق المرأة في انتخاب الرد المعالج ومركز تقديم الخدمة الصحية على أساس الضوابط الإسلامية والمقاييس العلمية الطبية والإفادة من المعلومات المناسبة والكافية لاختيارها بشكل واع وملائم.
- ٥١- حق المرأة في الإطلاع والمشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بالإنجاب وتنظيم الأسرة.

اعلان مقترح حول حقوق المرأة وواجباتها في النظام الاسلامي ٢١

٥٢- حق المرأة في الإفادة الشاملة والعادلة من الإمكانيات الرياضية والتعليمية في مجال التربية البدنية والترفيه السليم.

٥٣- حق المرأة في تنمية مواهبها الرياضية وحضورها في الميادين الرياضية على الصعدين الوطني والدولي بما يتناسب مع الموازين الإسلامية.

٥٤- حق المرأة في صحة وسلامة الإنجاب والحمل والولادة السليمة والعناية الصحية بعد الإنجاب عبر الإفادة من النساء المتخصصات والوقاية والعلاج من الأمراض الشائعة للمرأة والأمراض التناسلية والعقم.

٥٥- حق المرأة في الإفادة من خدمات الاستشارة والاختيارات الطبية من أجل حصول الإطمئنان من السلامة الكاملة للرجل في موضوع الزواج وعند الزواج.

٥٦- حق الفتيات المحرومات من الرعاية والنساء المطلقات والأرامل والعجائز والمستقلات المحتاجات إلى الرعاية من الضمان العام وخدمات الرعاية والضمان الخاص وخاصة في الحقل الصحي والعلاجي.

٥٧- حق النساء والفتيات المعاقات جسمياً، وذهنياً، ونفسياً والمتعرضات إلى الأذى في الإفادة من الدعم والتأهيل المناسب.

٥٨- حق المرأة في الإفادة من التغذية السليمة وخاصة في فترة الحمل والرضاعة ومسؤوليتها في العناية بالطفل وتغذيته المناسبة مع أولوية الإرضاع الطبيعي.

الفصل الثاني: حقوق المرأة ومسؤولياتها الثقافية والمعنوية

١- الثقافة العامة

٥٩- حق المرأة ومسؤوليتها في العمل وزيادة وعيها بالنسبة إلى شخصيتها

٢٢ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاسلامي

وحقوقها ودورها في مختلف مجالات الحياة بما يتطابق مع معايير الدين الإسلامي الحنيف.

٦٠- حق المرأة في التمتع بالصيانة من أقوال وسلوك الآخرين ومسؤوليتها حيال أقوالها وسلوكها مع احترامها لأفراد المجتمع

٦١- حق المرأة ومسؤوليتها في التمتع بإمكانية العمل بالأحكام الإسلامية في الحجاب الإسلامي ومسؤوليتها في احترام الحشمة والعفة في المجتمع.

٦٢- حق المرأة ومسؤوليتها في رفع مستوى وعيها الديني والإنساني وأعمالها وحماتها من التحلل الثقافي والأخلاقي وازالتها.

٦٣- حق المرأة في المشاركة في الإجماعات العبادية والثقافية والسياسية.

٦٤- حق المرأة في إنتاج البرامج والمنتجات الثقافية السليمة طبقاً للموازين الشرعية والإفادة منها.

٦٥- حق المرأة في تشكيل المراكز والمؤسسات الثقافية والفنية والإفادة منها من أجل تربية المرأة المتزمنة والمتخصصة نحو تنمية فعاليتها الثقافية.

٦٦- حق المرأة في تبادل المعلومات والعلاقات الثقافية البناءة طبقاً للأهداف الإسلامية في الأبعاد الوطنية والعالمية.

٦٧- حق المرأة ومسؤوليتها في نشر المعارف والثقافة الإسلامية وتقديم نموذج المرأة المسلمة على الصعيد الوطني والعالمي.

٦٨- حق المرأة ومسؤوليتها في إيجاد التضامن الأخلاقي والديني في قضايا المرأة على المستويات الدولية.

٦٩- حق المرأة في المشاركة في وضع السياسات والتشريعات وفي تنفيذ الشؤون

اعلان مقترح حول حقوق المرأة وواجباتها في النظام التعليمي ٢٣

الثقافية والإشراف عليها. وخاصة في قضايا المرأة.

٧٠- حق المرأة ومسؤوليتها في وعي واكتساب المهارات اللازمة في ادارة المنزل والأسرة وتربية الأبناء ومواجهة الآفات الثقافية والإجتماعية.

٧١- حق المرأة في الإشراف المستمر على الفعاليات الثقافية المتعلقة بالمرأة من أجل المحافظة على شخصية المرأة وحرمتها وكرامتها الإنسانية في المنتجات الثقافية.

٧٢- حق المرأة في الاستفادة من المراكز الثقافية الخاصة بها مع احترام الضوابط الإسلامية مع الأخذ بتظر الاعتبار خصائصها الروحية والجسدية ومنح الأولوية للمناطق المحرومة.

٧٣- حق المرأة المحرومة او التي هي في معرض الحرمان الإجتماعي في التمتع بالمساعدة المناسبة من أجل تحسين وضعها ووضع المجتمع على الصعيد الثقافي.

٧٤- مسؤولية المرأة في المحافظة على الإستقلال الثقافي والهوية الإسلامية والتضامن الوطني في الأنشطة الثقافية والتعليمية.

ب- التعليم

٧٥- حق النساء في التعليم العام (محو الأمية) ورفع المستوى التعليمي لهن والتمتع بالإمكانيات التعليمية والتربوية الخاصة بها.

٧٦- حق النساء في التعليم العالي إلى أعلى المستويات العلمية.

٧٧- حق المرأة في اكتساب المهارات والتعليم التخصصي كمياً ونوعياً وصولاً إلى أعلى المستويات.

٧٨- حق النساء والفتيات في المناطق المحرومة في الاستفادة من الدعم الخاص في شأن

التعليم.

- ٧٩- حق المرأة ومسؤوليتها في صياغة البرامج الدراسية والتعليمية.
- ٨٠- حق المرأة ومسؤوليتها في التمتع بمكانة لائقة بما يتناسب ودورها و شأنها ومنزلتها في البرامج الدراسية والتعليمية.
- ٨١- حق المرأة في المشاركة في وضع السياسات واتخاذ القرارات في الإدارة التعليمية والعلمية وحضورها الفاعل في الدوائر النقابية والداخلية والدولية مع حفظ الشؤون الإسلامية.
- ٨٢- حق المرأة في الاستفادة من اكتشاف قدراتها ومواهبها ودعم قدرات النساء ذوات النبوغ والاستفادة من قدراتهن لتلبية حاجات البلاد.
- ٨٣- حق المرأة المعاقة جسدياً ونفسياً في الاستفادة من الدعم اللازم في المجال التعليمي والتربوي وبلوغ التعليم العالي والتعليم الفني والمهني بما يتناسب مع نسبة إعاقتها.

ج- البحث

- ٨٤- حق المرأة في البحث والتأليف والترجمة والنشر للكتب والمقالات في المطبوعات العامة والخاصة مع احترام المصداقية والأمانة ومصصلحة المجتمع.
- ٨٥- حق المرأة في التمتع بالدعم اللازم بالمصادر والإمكانات بخصوص اجراء الدراسات في قضايا المرأة وتربية القوى الإنسانية الباحثة وحقها في معرفة المعلومات ونتائج البحوث في مختلف المجالات.
- ٨٦- حق المرأة في الاستفادة من الدعم في الأعمال العلمية والبحثية وتوسيع المراكز البحثية بانارة المرأة.
- ٨٧- مسؤولية المرأة الباحثة في تقديم الرؤى وتبيين المكتسبات الدينية والوطنية، في مجال قضايا المرأة وتقديمها للعالم.

الفصل الثالث: حقوق المرأة ومسؤولياتها الاقتصادية

أ- حقوق المرأة ومسؤولياتها المالية في الأسرة

- ٨٨- حق المرأة في الاستفادة من النفقة في الزواج بما يتطابق مع شأنها من جانب الرجل أو الأب والأبناء في حالة حاجتها إلى ذلك وتوفر القدرة عند أولئك.
- ٨٩- حق المرأة في التمتع بآرث التوفى ووصاياها المالية طبقاً للقوانين الإسلامية.
- ٩٠- حق المرأة في الوقف وقبول الوقف والنظر في ذلك.
- ٩١- حق المرأة في قبول الوكالة أو الوصاية في الشؤون الاقتصادية.
- ٩٢- حق المرأة في تعيين المهر والحصول عليه من الزوج والتصرف به.
- ٩٣- حق المرأة في التمتع بالراتب التقاعدي للوالد أو الزوج أو الأبناء بما يتطابق مع القانون.

- ٩٤- حق الوراثة القانونية من الراتب التقاعدي للمرأة الموظفة المتوفاة.
- ٩٥- حق المرأة في تقبل الوصاية المالية على الأبناء ومسؤولية احترام الحقوق الاقتصادية للأبناء.

- ٩٦- حق المرأة والفتاة في التمتع بالدعم اللازم في حالات الفقر والطلاق والإعاقة واتعدام الرعاية أو سوء الرعاية وإيجاد الإمكانيات لتأهيلها واكتفائها الذاتي.
- ٩٧- حق المرأة في استلام الأجر للقيام بالمهام المنزلية في حالة طلبها ذلك وحقها في التمتع بالحماية نتيجة مردود عمل المرأة على اقتصاد الأسرة والدخل القومي.

ب - حقوق المرأة ومسؤولياتها في العمل والمشاركة الاقتصادية

- ٩٨- حق المرأة في ملكية الأموال والممتلكات الشخصية والإفادة منها مع احترام الحدود الشرعية والقانونية لذلك.

٩٩- حق المرأة في عقد العقود والإيقاعات.

١٠٠- حق المرأة في العمل بعد بلوغها السن القانوني للعمل وحريتها في اختيار العمل واستخدام رؤوس الأموال الفردية ومسؤوليتها في احترام القوانين الإسلامية في كسب الموارد وطريقة التصرف بها.

١٠١- حق المرأة في الإفادة من المعلومات والتعليم واكتساب المهارات وامكانيات العمل من أجل العمل المناسب وحقها في الإفادة من الدعم في هذه الشؤون للمرأة المسؤولة عن نفسها والمعيبة.

١٠٢- حق المرأة في التمتع بالإستشارة في العمل والبحث عن العمل من قبل النساء.

١٠٣- حق المرأة في الإفادة من الأجور والمزايا المتساوية في ظروف العمل المتساوية مع الرجل وباقي النساء.

١٠٤- حق المرأة في التمتع بالأمن في مجالات العمل والأخلاق ومسؤوليتها في احترام الحشمة في اجواء العمل.

١٠٥- حق المرأة في اعفائها من العمل الإجباري والخطر والصعب والمضر في اجواء العمل.

١٠٦- حق المرأة في التمتع بالتسهيلات والضوابط والقوانين بما تتناسب مع مسؤوليات الأسرة (كالزوجية والأمومة) للمرأة في استخدامها وارتقائها وتقاعدها في زمن اشتغالها.

١٠٧- حق المرأة في التمتع بالضمان الإجتماعي والتسهيلات الإقتصادية.

١٠٨- حق المرأة في المشاركة في وضع السياسات الإقتصادية ويجاد المؤسسات

الاقتصادية وادارتها والانتماء اليها.

١٠٩- حق المرأة ومسئوليتها في الحصول على الدية ودفعها والخسائر المترتبة عليها

نما يتطابق مع القوانين والأنظمة.

١١٠- حقها المرأة في التمتع بالدعم القانوني المناسب والفاعل لمنع استغلالها والإتجار

بالمرأة والفتاة في الأعمال غير القانونية وغير الشرعية.

الفصل الرابع : حقوق المرأة ومسئولياتها السياسية

١ - حقوق المرأة ومسئولياتها في السياسة الداخلية

١١١- حق المرأة ومسئولياتها في اكتساب الوعي والمشاركة ودورها في تعيين

المقدرات الأساسية للبلاد من اجل المحافظة على النظام الإجتماعي الاسلامي

وتحكيمة.

١١٢- حق المرأة ومسئوليتها في المشاركة في شؤون المجتمع والإشراف على هداية

المجتمع نحوالعنوية والفضائل الأخلاقية وتنقيته من الشوائب الأخلاقية

والسلوكية.

١١٣- حق المرأة في حرية الكتابة والتعبير والإجتماعات مع احترام موازيتها .

١١٤- حق المرأة في تشكيل الأحزاب وبإفي التنظيمات السياسية وفعاليتها مع

احترام المحافظة على استقلال البلاد والوحدة الوطنية.

١١٥- حق المرأة في المشاركة في الإنتخابات والترشح في المجلس النيابي او سائر

اللجان والمؤسسات ومشاركتها في اعداد البرامج الحكومية وتصدي المناصب الرفيعة

في الإدارات مع احترام الموازين.

ب- حقوق المرأة ومسؤولياتها في السياسة الدولية

١١٦- حق المرأة ومسؤوليتها في وعي الأحداث والقضايا السياسية في العالم والعالم الإسلامي خاصة.

١١٧- حق المرأة في تنمية العلاقات وتبادل المعلومات السياسية البناءة مع نساء العالم ومع احترام المصالح الوطنية والضوابط القانونية.

١١٨- حق المرأة ومسؤوليتها في الحضور الناشط والمؤثر في المجمع الإسلامية والإقليمية والدولية وخاصة في مجال القضايا المتعلقة بالمرأة واحترام الضوابط القانونية.

١١٩- مسؤولية المرأة في بذل جهودها نحو تقوية التضامن بين النساء المسلمات وحماية حقوق النساء المحرومات والأطفال المحرومين والمستضعفين في العالم.

١٢٠- حق المرأة اللاجئة في التمتع بضمان أمنها وسلامتها وامكانية عودتها إلى بلدها.

١٢١- حق تمتع المرأة بالدعم الحكومي حيال رعايا البلدان الأخرى في حدود الأنظمة والمعاهدات.

١٢٢- حق المرأة في التمتع بالدعم القانوني بخصوص الزواج وتشكيل الأسرة مع الرجال من غير مواطني بلدها مع احترام الضوابط.

ج- حقوق المرأة ومسؤولياتها في الشؤون الدفاعية والعسكرية

١٢٣- حق المرأة ومسؤوليتها في الدفاع المشروع عن الدين والوطن وعن أرواحهن وأموالهن وشرفهن وعن الآخرين.

- ١٢٤- حق المرأة ومسؤوليتها في المشاركة في ارساء السلام العالمي والعدل وتقويته .
- ١٢٥- حق المرأة في التمتع بالدعم اللازم من أجل محافظة سلامتها الجسدية ومنع هتك حرمتها وشرفها واثناء الحرب والأسر والاحتلال العسكري.
- ١٢٦- حق المرأة في التمتع بصيانة منزلها وأسرتها من العمليات الهجومية العسكرية.
- ١٢٧- حق التمتع من حماية النولة لعوائل الشهداء والمقودين والمضحين .
- ١٢٨- حق ومسؤولية الأمهات في التربية والألوية في الوصاية على الأبناء في حالة استشهاد زوجها أو أسره أو فقدان أثره.
- ١٢٩- حق المرأة في الإفادة من التعليم والعمل في الوظائف الأمنية.

الفصل الخامس : حقوق المرأة ومسؤولياتها القضائية

- ١٣٠- حق المرأة في التمتع بالتعليمات الحقوقية.
- ١٣١- حق تمتع المرأة بالاجراءات القانونية والحماية القضائية من أجل الوقاية من الجريمة والظلم بحق المرأة في الأسرة والمجتمع وإزالتها.
- ١٣٢- حق المرأة في التمتع بالمحاكم الخاصة بالأسرة من أجل المحافظة على الأسرار وارساء السلام والتعايش في الأسرة والتسهيل في فض الخلافات.
- ١٣٣- حق المرأة في وصولها إلى قوات الشرطة وضابطي العدل من النساء في حالة تعرضها إلى اعتداء أو اتهام أو إلى جريمة.
- ١٣٤- حق المرأة في استلام الوظائف الحقوقية والقضائية طبقاً للقوانين.
- ١٣٥- حق المرأة في رفع الدعوى في محاكم العدل وفي باقي المراجع القانونية.

٣٠ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاجتماعي

- ١٣٦- حق المرأة في الإفادة من المحامي والمستشار الحقوقي في المحكمة أو في باقي المراجع القانونية.
- ١٣٧- حق تمتع المرأة بالدعم الشامل القضائي في مكافحة العوامل المؤدية إلى ارتكاب الجريمة وبحق النساء وارتكاب الجريمة من جانب النساء.
- ١٣٨- حق المرأة المتهمه بالتمتع بالحصانة حيال انتهاك حرمتها واهانتها والعقوبات الفردي والاجتماعي بما يفوق العقاب القانوني.
- ١٣٩- حق المرأة في اعفائها من العقاب في حالة وجود عوامل ازالة المسؤولية الجزائية.
- ١٤٠- حق المرأة في اعادة اعتبارها نتيجة حصول تقصير أو خطأ من جانب القاضي في الموضوع أو في تنفيذ الحكم في مجال خاص والتعويض عن الخسائر المادية والعنوية اللاحقة بها.
- ١٤١- حق المرأة في التمتع بالتخفيف القانوني في جانب حجم العقوبة أو اعفائهن أو طريقة التنفيذ في حالة الندامة واثبات وجود التوبة من جانب المرأة المرتكبة للجريمة وفي زمن الحمل والرضاعة والمرض.
- ١٤٢- حق المرأة في الإلتقاء بوالديها وأولادها وزوجها في فترة السجن طبقاً للقوانين الساندة في كل بلد.
- ١٤٣- حق المرأة في التمتع بالإمكانات المناسبة الصحية والثقافية والتعليمية والتربوية في السجون لإصلاحهن والعودة إلى الحياة الاجتماعية السليمة.
- ١٤٤- حق الفتيات في الإفادة من مراكز التأهيل والتربية بظروف مناسبة.
- ١٤٥- حق المرأة في النظر في دعاواها في الأنظمة الحكومية والمامورين القضائيين أو

اعلان مقترح حول حقوق المرأة وواجباتها في النظام السعودي ٣١

الأقسام الحكومية لتحقيق حقوقهن.

١٤٦- حق المرأة ومسؤوليتها في الشهادة في المحكمة بما يتطابق مع الموازين الشرعية

والقانونية.

١٤٧- حق المرأة في التمتع بالدعم القضائي من جانب النيابة العامة ضد ولي

امرأها وراعيتها القانوني المفتقر إلى الصلاحية وباقي المعتدين على حقوقها.

المرأة والمشاركة السياسية والديمقراطية في الإسلام

د. د. علي محيي الدين القره داغي
أستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد
المبعوث رحمة للعالمين، وعلى اخوانه من الأنبياء والرسلين، وعلى اله الطيبين،
وصحبه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فقد أصبحت قضايا المرأة من أهم القضايا التي انشغل بها العالم منذ أكثر من
قرن بصورة عامة، والعالم الإسلامي بصورة خاصة، وهي قضية تستحق هذه
العناية لأنها تتعلق بتصف المجتمع الذي إن تخلف فقد تخلف المجتمع بأسره، وإن
تطور فقد تطور المجتمع كله.

ومع ذلك فقد نالت قضية المشاركة السياسية للمرأة عناية أكبر، بل إثارة
أكثر، واختلف حولها الناس بين مُفَرِّط، ومُفَرِّط، وبين مجحف بحق المرأة، ومضيع
للثوابت.

كما أنه اضطررت فيه الفتاوى بين موسع ومضيق، بل إن بعض الجهات
الختصة بالفتوى أصدرت فتوى بال منع، ثم أصدرت فتوى أخرى بالاباحة.
ولذلك كان ينبغي بحث هذا الموضوع على أساس الوسطية التي هي منهج
الإسلام في علاج كل القضايا.

ومن هنا كان بحثنا لهذا الموضوع على ضوء هذه المنهجية الوسطية، داعياً الله
تعالى أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما نصبو إليه.

والله أسأل أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجمع الأمة
الإسلامية على الخير والوفاق والتعاون البناء وخيري الدنيا والآخرة، وأن يبارك في
جهود جميع المخلصين، فهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

المراد بعنوان البحث:

معظم كلمات العنوان واضحة، لكننا نلقي بعض الأضواء على الديمقراطية.

١- الديمقراطية: كلمة اغريقية الأصل معناها (حكم الشعب) أي أن يكون الحكم للشعب وليس للفرد، وفي العصر الحديث قال الرئيس الأمريكي (نكسون)، (إنها حكم الشعب بالشعب وللشعب)، فالأمة في نظر الديمقراطية هي مصدر السلطات وإرادتها.

ودون الخوض في أسس الديمقراطية العقدية (الايثنولوجية) فإن المقصود بها اليوم في عالمنا الإسلامي والعربي هو آلياتها جوانبها التطبيقية المتمثلة في الفصل بين السلطات التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، وفي شرعية التعددية السياسية، ووصول الحاكم إلى الحكم عن طريق الانتخابات، وفي المساواة في الحقوق والحريات العامة.

وأما حكم الشعب للشعب فإن كان الشعب مسلماً فلا يمكن أن يحكم بما يتعارض مع نواحي الإسلام، في حين أن له الحق من خلال علمانه الاجتهاد فيما سواها.

والذي يتعلق ببحثنا هنا هو مسألة المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والحريات، مع أن هذه المساواة بين الرجل والمرأة أو حتى بين المواطنين لم تكن موجودة في النظم القديمة (الرومان، واليونان) التي ابتدعت الديمقراطية، وإنما

١- يراجع لمزيد من البحث حولها، د. أنور أحمد رسلان، الديمقراطية بين الفكر المادي والفكر الاشتراكي، ط. دار النهضة العربية ١٩٧١ ص ٢٢، ود. محمد كامل ليلة، النظم السياسية ط. دار الفكر العربي ١٩٧١ ص ٢٧٠، ود. عبدالحميد الأنصاري، الشورى وأثرها على الديمقراطية ط. المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٨١ ص ٢٢٥

ظهرت في العصر الحديث من خلال الاعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨م، وهذه المساواة بين الرجل والمرأة تشمل ما يأتي:

١. المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.

٢. مساواة المرأة بالرجل في الحقوق السياسية الشاملة لما يأتي:

(أ) تولى المرأة الوظائف السياسية العامة رئاسة الدولة، أو البرلمان، ورئاسة مجلس الوزراء، والوزراء والقضاء ونحوها.

(ب) حق المرأة في الانتخاب والترشيح للبرلمان.

فهذه المسائل هي التي نلقي بعض الأضواء عليها في ظل ما تسمح به طبيعة البحث.

ولكن بعد بيان نبذة تاريخية لحقوق المرأة السياسية والفتاوى المتعارضة، ثم بيان منهجية دقيقة في بحث هنا الموضوع.

٢- السياسة: هي لغة من ساس يسوس سياسة، ولها معان كثيرة، فيقال: ساس الناس أي تولي رياستهم وساس الفرس أي قام بأمرها، فروسيا وهياها، وساس الأمور أي دبرها، وساس الرعية أي أمرهم ونهاهم، وساس الطعام أي أكله دود الوسوس...

ولو نظرنا إلى المعاني اللغوية للفظ السياسة ومشتقاتها لوجدناها تستوعب كل أنواع السياسات الحكيمة الرشيدة، والظلمة والعنيفة، والتي تقوم بترويض الشعوب، وكذلك التي يمثلها دودة الوسوس التي تنخر في عظام الشعب المحكوم فتدمره في قواه وفي ابتاعته، ومقوماته.

١- يراجع، القاموس المحيط، ولسان العرب، والعجم الوسيط، والمصاحح للنير مادة (ساس).

الخلافة والإستخلاف:

تكرر لفظ الخليفة في القرآن الكريم مرات منها قوله تعالى في بيان رسالة آدم ووظيفته في الأرض: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^١. أي يخلف في الأرض لتحقيق أهداف معينة، ومقاصد حددها القرآن الكريم، وهي:

١. العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٢.

تعمير الكون على ضوء منهج الله تعالى القائم على الصلاح والاصلاح دون الفساد والإفساد، فقال تعالى: ﴿هُوَ آتِنَاكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْنِيكُمْ فِيهَا﴾^٣. وقد ارتبطت فكرة الخلافة في الفقه السياسي بالفترة الراشدة التي حكم فيها الخلفاء الأربعة، بناء على الحديث الذي ورد:

وهذا المصطلح (الخلافة) بهذا المعنى الخاص لم يرد في القرآن الكريم، بل إن الصحابة أطلقوه على ابي بكر باعتباره خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم لما جاء عمر استصعب خليف خليفة...

نبذة تاريخية . بإيجاز شديد . لحقوق المرأة السياسية :

لم تكن للمرأة حقوقها المدنية والاجتماعية - ناهيك عن الحقوق السياسية - في ظل الحضارات السابقة على الإسلام، حتى لم تكن لها الأهلية في ظل القانون الروماني، وأن بعض الحضارات تنظر إليها باعتبارها شراً لا بد منها، وفي العصر الجاهلي كان الواد نصيب كثيرات منهن، وفي معظم الحضارات القديمة كن

١- سورة البقرة/ الآية ٣٠.

٢- سورة الذاريات/ الآية ٥٦.

٣- سورة هود/ الآية ٦١.

كالمتاع تورث . كما هو معروف^١ .

وحيثما جاء الإسلام نظر إلى المرأة نظرة أخرى فاعطى لها كرامتها الكاملة وإنسانيتها، وأصل هذا المبدأ من خلال أن أصلها مع الرجل واحد (كلكم من آدم وأدم من تراب) ثم (من نطفة أمشاج)^٢ أي مخلوطة من ماء الرجل الذي يحمل ٢٣ كرموسوماً ومن البيضة التي تحمل أيضاً ٢٣ كرموسوماً، وأن جميع الآيات الخاصة بكرامة بني آدم والإنسان وبالنواب والجزاء، والحقوق والواجبات تشمل الطرفين، ومع ذلك أكد ذلك من خلال قوله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^٣ وهذه الدرجة هي درجة إدارة البيت وتسيير سفينة الحياة بالتشاور والتراضي والمحبة والسكينة نحو بر الأمان، وقوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)^٤ .

بل إن القرآن الكريم نفي نفياً قاطعاً أن تكون المرأة الأولى (حواء) هي السبب في خروج آدم من الجنة، وبالتالي المصائب التي حلت ببني آدم، وتحميلها المسؤولية، كما كان السائد لدى جميع الأديان السابقة، حيث بينت الآيات بأن الأمر بعدم القرب عن الشجرة كان شاملاً لآدم وحواء فقال تعالى: (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)^٥ وأنهما معاً اغترا بالشیطان فقال تعالى: (فَتَلَاهُمَا بِقُرُورٍ)^٦ وأنهما معاً ارتكبا المخالفة فقال تعالى: (فَلَمَّا تَلَقَا الشَّجَرَةَ)^٧ وأنهما معاً: (بَدَتَا لُهُمَا سَوَآئُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

١- يراجع

٢- سورة الانسان / الآية ٢

٣- سورة البقرة / الآية ٢٢٨

٤- سورة النساء / الآية ٣٣

٥- سورة الاعراف / الآية ١٩

٦- سورة الاعراف / الآية ٢٢

٧- سورة الاعراف / الآية ٢٢

عليهما من ورق الجنة^١ كما انهما تساويا في زجر الله لهما فقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا ذُرِّيَّتُهَا كَبِيرٌ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْسُ الْعَظِيمَةُ نَادَوْا رَبَّنَا إِنَّا أخطأنا نَفْسَنَا وَإِنْ لَمْ نَكُنْ لَكَ شَاكِرِينَ^٢ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا نَعْمَدُ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ^٣).

بل إن بعض الآيات تسند العصيان والمسؤولية إلى آدم فقال تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى^٤).

كما أن الآيات القرآنية تدل على مساواة الرجل والمرأة في الأجر والشواب، والعقاب فقال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْخَالِطِينَ فَرُوجَهُمْ وَالْخَالِطَاتِ وَالْمُكْرِمِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالْمُكْرِمَاتِ أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مَقْرَرَةٌ وَأُخْرًا عَظِيمًا^٥).

وقد ألغى الإسلام كل العادات والتقاليد التي تتنافى مع كرامة المرأة وإنسانيتها، ولا يسع المجال لذكرها، حيث شهد بذلك كل المنصفين من الرجال والنساء من المسلمين وغيرهم فقد شهدت كثير من النساء حتى صاحبات الفكر التحرري بأن الإسلام هو دين الإصلاح الذي جاء لرد الظلم عن المظلومين ولذلك كان لكون خديجة أول من أسلمت، ولدور سمية وغيرها من الجواري اللاتي أسلمن، ولدور أسماء بنت أبي بكر الصحابية الجليلة الثائرة السياسية المناضلة دلالات عظيمة تقول توجان فيصل: (حقوق المرأة في الإسلام كما في أحكامه الأخرى

١. سورة الأعراف / الآية ٢٢

٢. سورة الأعراف / الآية ٢٢

٣. سورة الأعراف / الآية ٢٣

٤. سورة طه / الآية ١٢١

٥. سورة الأحزاب / الآية ٣٥

أحدثت النقلة السياسية والاجتماعية التي تفرق عهد الإسلام عما سبقه... وفي الغاء التمييز وصولاً إلى حالة قادرة على الاستمرار... ان هذا النهج الاصلاحى هو ما يجعل الاسلام ديناً صالحاً لكل زمان ومكان^١.

وفي عصرنا الحاضر تأخرت الدول المتقدمة اليوم في الاعتراف بحقوق المرأة السياسية بصورة عامة، فلم يعترف لها بهذه الحقوق السياسية في أمريكا إلا في عام ١٩٢٠م وفي بريطانيا عام ١٩٢٨، وفي فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، مع ان المرأة نصف المجتمع، وهو الشق الثاني الوحيد المكمل للمجتمع الإنساني، ونصف القوى البشرية لأي مجتمع، وهي التي تتحمل مسؤولية بناء الرجال وتربية الأبطال، ولها النصيب الأكبر من المتاعب والمشاكل، والتشرد والفقر واللجوء.

وامام هذه الواجبات فإن دورها السياسي لا يزال في العالم اجمع اقل بكثير من ادوارها الأخرى، حيث تشير الاحصائيات إلى أن حجم تمثيل المرأة في البرلمانات العربية تتراوح بين ١٪ إلى ٤٪ ففي مجلس الشعب المصري السابق فإن حجم مشاركة المرأة فيه في حدود ٢,٢٪، وحتى في العالم الغربي المتقدم فإن حجم تمثيل المرأة في مجلس العموم البريطاني ٨,٢٪ وفي الجمعية العمومية لفرنسا (بلد النور والتحرر كما يقولون) ٦٪، وفي الدول الآسيوية تصل إلى ١٩٪ وفي أمريكا اللاتينية ١٠٪^٢.

ومن الجانب السياسي التطبيقي الخاص بالرئاسة فإن معظم الحضارات السابقة

١- مقالتها بعنوان: هل تصبح للمرأة حصان طراودة، المنشور في الجزيرة نت، الأحد ٢٨/٨/٢٥هـ الموافق

٢٠٠٤/١٠/٢م

٢- اكرم عطا الله، مقالته الخاصة بالمشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية ص ١، ويراجع: المرأة والحياة السياسية، إصدار المركز المصري لحقوق المرأة ص ١٩، ودائرة الاحصاء المركزية في فلسطين

١٢ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاسلامي

كالحضارة الرومانية، والحضارة اليونانية والحضارة الصينية عجزت أن تقدم امرأة واحدة لقيادة امراطوريتها على مر تاريخها الطويل، بل إن أمريكا منذ نشأتها إلى الآن لم تصبح امرأة واحدة فيها رئيسة لها.

ولكن حقوق المرأة السياسية قد طرحت في القرن العشرين من خلال الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، حيث بدأ العمل في التوسع في دراسة الحقوق والحريات المعلقة وتدوينها في شكل قانون ملزم، ونتج عن هذه العملية بروز وثائق هامة ولها صلة مباشرة بوضع حقوق المرأة ولا سيما في المجال السياسي كالاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة سنة ١٩٥٢م و الاتفاقية الخاصة للقضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة والتي أقرت عام ١٩٧٩ وبدأ تنفيذها عام ١٩٨١ والأهم في هذه الاتفاقية أنها حددت وبشكل دقيق المجالات العالمية لهذه الحقوق وذلك من خلال ما نصت عليه مادتان من هذه الاتفاقية من ضرورة وكفالة المساواة مع الرجل في:

١. التصويت في جميع الإنتخابات.

٢. الأهلية للترشيح.

٣. المشاركة في صياغة السياسات وتنفيذها.

٤. شغل الوظائف العامة على جميع المستويات الحكومية.

٥. المشاركة في منظمات وجمعيات غير حكومية.

٦. تمثيل الحكومة في المستوى الدولي.

٧. المشاركة في المنظمات الدولية.

ولكن ابرز سمات هذه الإتفاقية تأكيدها الصريح على الهدف المتمثل في تحقيق المساواة الفعلية إلى جانب المساواة القانونية، وهو ما انعكس على عدد من

المواثيق والإعلانات الدولية الأخرى، وأخرها منها العمل الصادر عن مؤتمر المرأة العالمي الرابع الذي انعقد في بكين عام ١٩٩٥.

إشكاليات كبيرة أدت إلى رد فعل غير متوازن في بعض الفكر الإسلامي المعاصر:

في قضية المرأة حدثت إشكاليات كبيرة كان لها تأثير في الفكر الإسلامي القديم والمعاصر:

أولاً - خلط التقاليد والأعراف بالدين في مجال المرأة بشكل كبير، وكان لهيمنة الرجال دور كبير.

ثانياً - مسألة سن الذرائع التي حجرت عن المرأة تسعة أعشار حقوقها.

ثالثاً - أن الدفاع عن حقوق المرأة جاء في البداية على أيدي العلمانيين ومن يسمونهم بالمتنورين بالحضارة الغربية.

رابعاً - أن المستعمرين حاولوا ولا يزالون يحاولون استغلال موضوع المرأة لتحقيق مآربهم في الإفساد واخلخل النظام السياسي والإجتماعي للهيمنة والإستكبار.

خامساً - أن الدعوات الغربية والعلمانية كانت معاكسة تماماً للتوجه الإسلامي حيث أرادت الإباحية وثقافة الجنس والقضاء على الأسرة كما ظهر ذلك جليا في المؤتمرات الدولية للنساء في القاهرة، وفي بكين، كما ظهر في كتابات كثيرة ووسائل الإعلام حيث نستطيع القول بأنه لا توجد قضية أشير حولها من المسائل مثل قضية المرأة.

١- يراجع ، عواطف عبدالماجد ، رؤية تاصيلية لاتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة ، نشر مركز دراسات المرأة بالسودان

سادساً: إفراط الرحكات النسوية في حقوق المرأة حتى فضلت المرأة على الرجال، ورفع شعارات معادية للرجل مثل الحرب من أجل عالم بلا رجال .

سابعاً - ارتباط بعض دوائر إتحادات النساء في القرنين (١٩ و ٢٠م)، والمدافعين عن حقوقها بالدوائر الإستعمارية،

ثامناً - الهجوم على الإسلام بصورة عامة، وبعض الأحاديث الخاصة بالمرأة مثل الحديث الذي يتحدث عن نقص عقل المرأة، وإنها خلقت من ضلع أعوج.

رد الفعل الإسلامي :

أما النقاط السابقة كان لبعض الإسلاميين رد فعل عنيف حتى وصل بهم الأمر إلى التقليل من شأن المرأة، ومنهم قائم على الدفاع عن كل ما هو موجود في التراث، والتبرير لما حدث، والتعليل لذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وساعد على ذلك وجود مناهج متشددة حول المرأة، ومدارس مدعومة أيضاً من دول، ومستقوية بالتقاليد معها، ولكن المفروض بل المطلوب هو أن لا ندافع إلا عن الحق، وأن تكون نظرتنا إلى تراثنا العظيم نظرة غربية فإهادة واستفادة، ونظرة اختيار واختيار وانتقاء دون تقديس ولا استقصاء، وبالتالي العودة إلى البنابيع الأصلية لهذا الدين المتمثلة في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة المظهرة، ثم الإستفادة من كل قديم صالح، ومن كل جديد نافع، وأن الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها أني وجدها، وذلك من خلال منهجية جامعة بين النصوص الشرعية كلها، والنظرة إليها نظرة شمولية قائمة على مقاصد الشريعة ومبادئها العامة التي أصلت المساواة بين جميع البشر من الأصل

١- هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي ط. معهد الفكر العالمي، ١٩٩٥، ص ٦٣ .

المرأة والمشاركة السياسية والديمقراطية في العالم ٤٥

(كلهم من آدم وادم من تراب) وكلهم خلقهم الله تعالى من ذكر وأنثى، وكلهم مخلوقون لتحقيق العبودية والإستخلاف كل بقدره، كما يتضح ذلك فيما بعد. وان الطريقة الصحيحة لهذا النهج هو عدم التأثر بما يقال وينار في الخارج، وعدم التأثر بالمروروت مادام ليس نصاً ثابتاً، ولا بالشروح والتفسيرات للنصوص مادامت هذه التفسيرات غير منصوص عليها، ومادامت النصوص تحتل غيرها.

حقوق المرأة السياسية في الدساتير العربية؛

- ١- دول ليست لها دساتير او قوانين تنظم وتفسر الحقوق السياسية للمواطنين وهو ما يشمل الرجل والمرأة.
- ٢- دول أصدرت دساتير لكن لم تنص أحكامه على منح المرأة حق المشاركة السياسية مثل (الكويت والإمارات) وقد تم تعديل دستور الكويت أخيراً فأعطى هذا الحق للمرأة بضوابط الشريعة الغراء.
- ٣- دول عربية لها دساتير وقوانين تنص بوضوح على حق المرأة المشاركة السياسية (تونس، مصر، سوريا، العراق، الأردن، المغرب، لبنان، اليمن، البحرين، قطر) وغيرها فمن الملاحظ هنا أن التعامل مع الحقوق السياسية للمرأة في المجتمعات العربية ظل مرتهاً في بعض المجتمعات بعوامل متشابكة منها ما هو متصل بالمروروت الثقافي والتقاليد، وتاويل النصوص الدينية.
- ٤- وأن أهم المعوقات أمام تفعيل دور المرأة في الحياة العامة،
- ٥- الموروثات التاريخية المأخوذة من التقاليد وليست من الدين الحنيف والتي حصرت دور المرأة في أدوار محددة.
- ٦- مشكلة الأمية التي تلعب دوراً خطيراً وعائقاً لحركة المرأة في نشاطها

الوطني والديمقراطي، من حيث إن الأمية هي النقيض لما يريد الإسلام منذ نزول أول سورة من نسطوره (القرآن الكريم) التي تقول، (اقرأ باسم ربك الذي خلق...)^١ والأمية لا يمكن حصرها فقط في معرفة الكتابة والقراءة ومعرفة المرأة حقوقها التشريعية والقانونية والسياسية فإن كل هذا يصبح هباء إذا كانت الأمية هو الأساس الذي يتحكم ويقتن نشاط المرأة في المجتمع.

٧- الفجوة الكبيرة بين نصوص الدستور والقوانين المنظمة للعمل بالمساواة الممكنة بين الرجل والمرأة وبين تطبيقها على الأمر الواقع وبالتالي فقد أدى واقع المرأة إلى ابتعاد عن مجالات صنع القرار وإلى ضعف مشاركتها السياسية.^٢

قضية المرأة والسياسة الاستعمارية والمحلية:

حاولت الدول المستعمرة والطامعة في خيرات البلاد الإسلامية استغلال قضية المرأة بشكل خطير، فانشأت بعض الاتحادات والمنتديات الخاصة بالنساء، وحاولت اختراق البعض الآخر، ويكفي للإشارة إلى ذلك أنه عند غليان الشعب المصري ضد الاحتلال الانجليزي كانت هدى الشعراوي^٣ التي أسست جمعية الاتحاد النسائي عام ١٩٢٢ تنادي بأن التحرير من الاستعمار لا بد أن يسبقه تحرير المرأة، وكما أن صفة

١. سورة العلق / الآية ١

٢. موقع <http://www.balagh.com/woman/index.htm> ، مع تصريف

٣. هدى الشعراوي (١٨٧٩ - ١٩٢٩ م) واسمها نور الهدى محمد سلطان باشا ، نسبت نفسها إلى زوجها (علي باشا الشعراوي) على عادة الغربيين ، وهي من عائلة لها ارتباط كبير بالاحتلال الانجليزي . وكانت بانسة مع زوجها ، حيث تزوجها وهو كبير جداً بدون رضاها وعمرها اثنتا عشرة سنة . وقد طلقها ثم بعد ٨ سنوات راجعها .

يراجع ، نجلاء حمادة ، زمن النساء والذاكرة البليدة ، ملتقى ذاكرة المرأة ١٩٩٨ ص ٢٨٢ ، ومحمد اسماعيل ، عودة الحجاب ص ١٠٦ ، ودعوى الكردستاني ، حركات تحرر المرأة ص ٢٠٥

زغلول فادت مظاهرة نسائية أمام ثكنات الجيش الإنجليزي سنة ١٩١٩م بميدان التحرير يهتفن ضده وأثناء ذلك خلعت حجابها أمام المتظاهرات ضد الانجليز وداسته برجليها، وتبعها الاخريات، ونسبن القضية الأساسية^١. وكانت درية شفيق التي انتحرت عام ١٩٧٥ أنشأت اتحاد بنت النيل في عام ١٩٦٩م لها علاقة قوية بسفارة بريطانيا وأمريكا في مصر، وكانت تدعو إلى الاقتناء بالمرأة الانجليزية المتحررة^٢.

ولذلك وقف المصلحون، والأحزاب الوطنية، مثل الحزب الوطني المصري برئاسة مصطفى كامل ضد هذه الدعوات وذلك أن وراءها اصابع استعمارية تهدف إلى الهاء الأمة عن مصرها.

ومن الجانب الداخلي استغلت قادة الانقلابات العسكرية العربية في فترة الخمسينات هذه المسألة، من خلال تبني ايدئولوجية الشيوعية، أو الاشتراكية التي لا تعترف أساساً بمثل هذه القضايا الدينية، وتدعو إلى الاباحية المطلقة، وذلك لابعاد الدين عن الحياة، حتى كانت المظاهرات الشيوعية في العراق بعد انقلاب عبدالكريم قاسم تدعو جهاراً نهاراً إلى ابعاد الدين عن الحياة، وعدم الاعتراف بالنكاح والمهور والقيود والعقود^٣.

وفي عهد الاحتلال والهيمنة الجديدة ظهر الاهتمام الكبير بقضية المرأة من قبل الإدارة الأمريكية برئاسة بوش التي وضعت، الاصلاح السياسي والديمقراطي والتعليمي في طليعة اولوياتها حسب الخطابات الرسمية للرئيس الأمريكي جورج بوش، وبلات الضغوط السياسية تأخذ مجراها في هذا المجال.

١. محمد قطب، قضية تحرير المرأة ط. دار الوطن بالرياض ١٤١٠هـ.

٢. د. محمد اسماعيل، المرجع السابق ص ١١٨

٣. سمعناها بأنفسنا فكانوا يقولون باللهجة العامية، بعدها الشهر ماسكو عقد ولا مهر.

وفي مصر فجز كتاب تحرير المرأة في عام ١٩٠٨م لقا سم أمين قضايا المرأة ففتح أبوابها على مصراعها، فطالبت منيرة ثابت عام ١٩١٩م بالحق السياسي للمرأة وشاركتها هدى شعراوي، ودرية شفيق، فطالبن بحق الترشيح والانتخاب وعضوية البرلمان للمرأة، ثم أيد ذلك الاتحاد النسائي المصري حيث جاء في نظامه الأساس (تعديل قانون الانتخاب بإشراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب)^١ -

بل سعت المرأة المصرية لإنشاء أحزاب سياسية، فطالبت فاطمة نعمت راشد ودرية شفيق بإنشاء حزب سياسي ونجحت درية في إنشاء حزب (بنت النيل).

وأدت محاولات النساء إلى اقناع بعض الكتاب والبرلمانيين إلى المطالبة بهذا الحق لهن حيث قدم في عام ١٩٤٦ اقتراح إلى مجلس الشيوخ المصري يطالب بمنح المرأة حق الانتخاب بل قدم مشروع قانون بذلك إليه في عام ١٩٤٧م و١٩٤٨م، وأثناء ذلك صدر الاعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها المنعقدة بباريس في ١٠/١٢/١٩٤٨ وفي المؤتمر النسائي الذي عقد بالقاهرة في ١٩/٤/١٩٥١ وقفت المرأة موقفاً عنادياً فارتفع صوت الشاعرة روحية القليليني بتحذير الرجال فقالت:

أمامكم ترون هدوء وجهه ولكن القلوب تكن ناراً
فما يثني عزائمننا وعيناً فنار قلوبنا ازدادت أواراً

حيث خرجت النساء متظاهرات يطالبن بتقرير الحرية والمساواة في كافة الحقوق والأجور، وتكررت هذه المظاهرة في ١٢/٣/١٩٥٤^٢ فنتج عن ذلك دستور ١٩٥٦ الذي أعطى الانتخاب حقاً للمصريين جميعاً ذكوراً وإناثاً.

١. ملحكات هدى شعراوي ص ٤٣٢

٢. د. اجلال خليفة، الحركة النسائية ص ١٧٥، ود. السيد أحمد فرج، المؤامرة على المرأة المسلمة ط. نار

الوفاء بمصر ص ١٠٦-١٠٩

وكان في مقابل الدعوات (التي خلطت بين الحق والباطل وركزت على السفور والتغريب) دعوات معتدلة من النساء اللواتي إضافة إلى المفكرين المصلحين أمثال محمد عبده، ورفاعة الطهطاوي، وعلي مبارك، وكان محمد علي باشا نفسه يرى أهمية تعليم البنات، فأنشأ مدارس لتعليم البنات عام ١٨٣٢م مع منتهى الالتزام بإداب الإسلام وضوابطه، فمثلاً حينما افتتحت أول مدرسة ثانوية للبنات في القاهرة (مدرسة السنية) كانت هيئة التدريس نسوية خالصة فيما عدا مدرس اللغة العربية لتعذر وجود مدرسات باللغة العربية، ومع ذلك كان يختار من الرجال المتزوجين الكبار المشهود لهم بالصلاح، وكانت الفتيات يحضرن إلى المدرسة في سيارات مغطاة بالستائر، ويعدن إلى البيوت بالوسيلة نفسها، أو يأتي ولي الأمر مع موليته.

الفتاوى المتعارضة ودور الزمن فيها:

كان علماؤنا في العصور الخيرة (القرون الثلاثة الأولى) لا يكتفون ببيان الأحكام الشرعية لمستجدات عصرهم فحسب، بل كانوا يستشرفون المستقبل من خلال وضع الحلول الشرعية لما كانت تجول في أفكارهم من مسائل مستقبلية احتمالية اشتهر بها علماء العراق (الأحناف) حتى سموا (أريثية) أي: رأيت إن كان كذا، وبعبارة أخرى استحضار الاحتمالات المستقبلية من خلال الحصر العقلي لها، ثم بيان الحكم الشرعي لكل حالة محتملة حيث قالوا: رأيت لو أن امرأة من المغرب تزوجها رجل من المشرق عند الغروب، ثم مات عند الشروق، ثم تبين أنها حامل فولدت بعد ستة أشهر من هذا العقد؟ قالوا: إن الحمل يثبت منه بالفراش لاحتمال

انه طار بالليل إليها، ثم عاد فمات، وهكذا....

وإضافة إلى ذلك فكان الزمن له دوره في التأثير في الفتاوى الاجتهادية، حتى عقد الإمام ابن القيم فصلاً مهماً من كتابه القيم (اعلام الموقعين عن رب العالمين) خصصه لتغيير الفتاوى بتغيير الأزمنة والأمكنة، والأحوال والنيات والعوائد، وقال، (هذا فصل عظيم النفع جداً، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة، وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم ان الشريعة الماهرة التي هي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناهها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الجدل إلى العبت، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون. وهذا الذي به اهتدى المهتدون، وسقاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرّة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغناء والدواء والنور والشفاء والعصمة. وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، حاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمستك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع إليه ما بقي من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب

الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة^١

ومن هذا الباب كثير من الفتاوى الصادرة المتعارضة في الظاهر من علمائنا الإعلام، حيث نجد لهم جميعاً آراء متنوعة، وروايات مختلفة وأقوالاً متعارضة في الظاهر، فهنا الإمام الشافعي حينما دخل مصر أعاد النظر في جميع ما كتبه، حتى يقول تلامذته إنه أعاد كتابة كل ما كتبه قبل دخوله مصر إلا كتاب الصادق، فظهرت له أقوال جديدة في مقابل أقواله القديمة^٢.

ولكن معظم العلماء في العصور المتأخرة لم يستفيدوا من هذه القوة المباركة، فصدرت منهم فتاوى متعجلة في عصرنا الحاضر بمنع البنات من التعليم الابتدائي والثانوي، ثم التعليم الجامعي، ثم لما صار ذلك أمراً واقعاً صدرت الفتاوى بجوازها، وكان المفروض أن تصدر الفتاوى منذ البداية بحل ما هو حلال مع وضع الضوابط الشرعية المطلوبة.

وهذا ما نراه أيضاً في مسألة المشاركة السياسية للمرأة، حيث وقف بقوة وعزم معظم الفقهاء ضد ذلك في بداية الأمر، ثم بدأت الفتاوى ترى فتحيز ذلك.

فقد كانت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف برئاسة رئيسها الشيخ محمد عبدالفتاح العناني رحمه الله، قد أصدر فتوى مطولة في رمضان ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م بشأن، (حكم الشريعة الإسلامية في اشترك المرأة في الانتخاب للبرلمان) بنات بتمهيد جيد وذكر فيه: (ان طبيعة الاجتماع تقضي باختلاف الآراء وتشعب الأفكار....) ثم انتهى بعد مناقشات وأدلة مستفيضة إلى أن المشاركة السياسية للمرأة بان تكون عضواً في البرلمان، وأن تشارك في انتخاب من يكون عضواً فيه من الولاية العامة، لأن

١. يراجع، إعلام الموقعين ط. الكليات الأزهرية (٣/ ٤٧-٢)

٢. المجموع للنووي (١/)

البرلمان هو المختص بولاية سن القوانين، وبالتالي فلا يجوز للمرأة كلاً الأمرين السابقين استناداً إلى الحديث الصحيح المعروف الذي رواه البخاري، وأحمد والنسائي والترمذي بسندهم عن أبي بكر قال: (لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن فارس ملكوا ابنة كسرى فقال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم لامرأة) ، فقالت الفتوى: (ولا شك أن النهي المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة في أي عصر من العصور أن تتولى أي شيء من الولايات العامة....) ^١.

ثم تغيرت الفتاوى في الأزهر الشريف، وفي العالم الإسلامي اليوم نحو الاجازة، حيث يتجه معظم علماء المسلمين، والحركات الإسلامية إلى جواز المشاركة السياسية للمرأة بكونها عضواً في البرلمان، أو منتخبة لأعضاء البرلمان بضوابط شرعية. وكان من أواخر المعارك السياسية والفقهية حول المشاركة السياسية للمرأة ما حدث في الكويت، حيث كانت المادة الأولى من قانون رقم ٢٥ في ١٩٦٢م تقصر حق الانتخاب على الذكور ممن بلغوا سن ٢١ سنة دون الإناث، وكان هذا التوجه مؤيداً بفتوى لجنة الافتاء التابعة لوزارة الأوقاف الكويتية، وبتوجيه معظم الإسلاميين، والتوجه القبلي في البرلمان، ثم صدر مرسوم أميري في عام ١٩٩٩م بإعطاء المرأة الكويتية حق الانتخاب والترشيح، ولكن البرلمان رفضه بالأغلبية، ودامت المعركة فاشغلت معظم ساحات المجتمع إلى أن حسمت في البرلمان نفسه في أواخر عام ٢٠٠٥م لصالح مشاركة المرأة في الانتخاب والترشيح مع اشتراط التزامها بتدابير الشريعة، وتأييد التوجه الأخير أيضاً بفتاوى من الفقهاء داخل الكويت وخارجها.

١. الحديث صحيح سيأتي تخريجه

٢. فتوى لجنة الأزهر، المنشورة في، الحركات النسائية وصلاتها بالاستعمار، للأستاذ محمد عطية خميس ط. دار الانصار ٩٨-١٢٧

وهذا التعارض الواضح في الفتاوى - مهما حاولنا تبريرها - فإنما يدل على أنها لم تدرس دراسة عميقة، بل كانت متأثرة بالظروف والتقاليد، ولذلك حينما تغيرت، تغيرت الفتوى، كما أنها تدل على أن مثل هذه الفتاوى لم تكن قائمة، بل كانت تابعة، وكان المفروض أن تكون الأولى وليست الثانية.

نحو منهجية دقيقة في بحث هذا الموضوع:

وإذا نظرنا إلى التاريخ الإنساني وتجاربه نرى أن أكبر المشاكل والمصائب تكمن بين طرفي الأمر الإفراط والتفريط، فإما أن يفتح الباب على مصراعيه دون قيود ولا ضوابط فيؤدي ذلك إلى الفوضى الشاملة، أو يخلق الباب غلقاً محكماً، ويسد بالمسار لمنع أي تسرب حتى للهواء الطلق، فيفسد ما في داخله.

ومن جانب آخر فإن الإفراط، أو التفريط نفسه إنما يحدث لدى التحقيق وفي معظم الأحيان بسبب النظرة الأحادية إلى الشيء، والانحصار في دائرة واحدة أو زاوية واحد أو حتى مجموعة من الزوايا، ولكن دون نظرة شمولية جامعة تحيط بذات الشيء وواقعه ومقاصده، ووسائله، وبما يترتب عليه من نتائج أو ما يسمى بفقهاء الواقع، وفقه المآلات، وسد الذرائع.

ونحن نحاول في هذه المسألة الخطيرة أن نطبق هذه المنهجية القائمة على النظرة الشمولية الجامعة على ضوء النقاط الآتية:

أولاً - المرأة باعتبار إنسانيتها، وحقوقها الإنسانية، مساوية للرجل تماماً، فهي **مَكْرُمَةٌ** مثل الرجل (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) وللفظ بني آدم يشمل الذكور والإناث

بالإجماع، فلا يجوز التقليل من شأنها، ولا التمييز بينها وبين الرجل في كرامتها، والحفاظ على حقوقها، وأمام القضاء، وفي حريتها الفكرية والدينية والتعبدية، وحتى إنها تزيد على الرجل في أنها لا يجوز قتلها في ساحات القتال، ولا بسبب ردتها عند الحنفية حيث تحبس^١.

وكذلك فهي مساوية للرجل في أهليتها المالية الكاملة (وجوباً وأداءً) التي لم تصل إليها التشريعات والقوانين إلا في القرن العشرين^٢، بل حتى في أهليتها الشخصية حيث لها القدرة على تزويج نفسها وغيرها عند جماعة من الفقهاء قديماً وحديثاً. فالمرأة في الإسلام ليست تابعة لا في دينها ولا في نسبها، ولا في أهليتها وأموالها لأحد، حتى ولا لزوجها - كما هو الحال الآن في الغرب - بل هي الجزء المكمل للحياة الإنسانية، ولذلك سماها الله تعالى مع الرجل: الزوج - والزوج يتكون من عديدين متساويين، لها الحرية الكاملة مثل الرجل في فكرها، وإرادتها، واختياراتها. ولكن الحرية في الإسلام ليست مطلقة لا للرجل ولا للمرأة، بل منضبطة بضوابط القيم العليا والأخلاق الفاضلة.

فهذه المساواة هي التي منحها الإسلام دون مطالبة من اتحاد نسائي أو مظاهرات في الوقت الذي كانت المرأة ينظر إليها باعتبارها شراً لا بد منه، أو متاعاً يورث، فقال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)^٣ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في

١- تراجع تحفة الفقهاء للسمرقندي ت ٥٢٩ هـ، ط. فطر (٥٢٠/٣)

٢- مبدأ الرضا في العقود، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون ط. دار البشائر الإسلامية ١٩٨٥ بيروت (١/.....)

٣- سورة البقرة / الآية ٢٢٨

آخر وصيه له: (فاتقوا الله في النساء.....).

ثانياً - هل المرأة مثل الرجل في كل شيء ؟

الجواب الطبيعي والواقعي الذي لا يختلف فيه اثنان هو أنه: (وليس الذكر كالأنثى) ^١ ولا الأنثى كالذكر.

هذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها أحد لا عقلاً وطبعاً كياناً وخلقة، ومن حيث وظائف الأعضاء (الفسيولوجي) من النواحي الآتية:

١- الرجل يتكون عند الخلقة من $Y+X$ في حين أن المرأة تتكون من $X+X$

٢- الاختلاف على مستوى الخلايا، فالحيوان المنوي له رأس مدبب، وعليه قلتسوة مصفحة، وله ذيل طويل سريع الحركة يسعى للوصول إلى هدفه أو يموت، أما الببيضة ^٢ فهادئة ساكنة، باقية في مكانها لا ترحه منتظرة للحيوان المنوي السعيد الذي ينجو بين مئات الملايين من الحيوانات المنوية، إذن فكل واحد من الحيوان المنوي الخارج من الرجل وببيضة المرأة يعبر عن خصائص صاحبه ^٣.

٣- الاختلاف على مستوى الأنسجة والأعضاء، والخلايا، يقول الدكتور البار: (والفرق تراه في الرجل البالغ، والمرأة البالغة، كما تراه في النوي والبويضة... ليس في ذلك فحسب، بل ترى الفرق في كل خلية من خلايا المرأة، وفي كل خلية من خلايا الرجل...، وإذا أردنا أن نقلب الموازين - وكم من موازين قد قلبناها - فإننا

١- الحديث

٢- سورة آل عمران / الآية ٣٦

٣- للمستعمل بين العامة (البويضة) والصحيح لغوياً (الببيضة)

٤- تراجع لذلك ، الطبيب للشهور الدكتور محمد علي البار - عمل المرأة في الميزان ط- الدار السعودية للنشر والتوزيع ٧-١٤ هـ ص ٥٥ ، والشيخ عبدالمجدي الزنماني ، المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام ط- مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ص ٨٧

٥٦ حقوق المرأة ومسؤولياتها تجاه النظام الصحي

نصادم بذلك الفطرة التي فطرنا الله عليها، ونصادم التكوين البيولوجي والنفس الذي خلقنا الله عليه^١.

وحتى في مجال الدم فإن الخلايا الدموية البيضاء للرجال بين ٤٠٠٠ و ٨٠٠٠ كرية /مم^٣، وللنساء ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ كرية/مم^٣...^٢.

٥ - الفروق الهرمونية وعمل الغدد الصماء، فمثلاً للرجل الخصية التي تفرر الهرمونات الذكورة (تستسترون) وللأنثى المبيض التي تعتبر من وظيفتها الرئيسية، تكوين وطرح البييضات، وإفراز الهرمونات الأنثوية (الاستروجين، البروجسترون، الريلاكسين).

فهرمون الاستروجين يعتبر مسؤولاً عن زيادة وتكاثر الأنسجة ومسؤولاً عن تركيز الشحم للمرأة وإلى زيادة الشعر في فروة الرأس وتقليله في الجسم، في حين أن هرمون التستسترون في الرجل يؤدي إلى تركيز البروتين في العضلات، كما أن هرمونات الرجولة أكثر ميلاً للعدوان من هرمونات المرأة.

٦ - الحيض الذي تتراوح مدته من يوم وليلة إلى سبعة أيام، والذي له علاقة مباشرة بالتركيب الجسدي والنفساني للمرأة، حيث ينخفض الخصاب الدموي قليلاً، كما ينخفض تعداد الكريات الحمراء، وتركيز جديد للمصل الدموي، أما أثناء الطمس (أي ما بين ٢-٧ أيام أي ٥ أيام في الغالب) فتنخفض مقاومة البدن العامة مع انخفاض معتدل في عدد الكريات البيضاء، وارتفاع سرعة التنقل الدموي، ومن آثار ذلك التوتر العصبي والنفسي، وسرعة الإثارة، والكآبة، والقلق، وقد تصاب بعض النساء بالصناع النصفية، وفقر الدم (الانيميا) بسبب النزف الشهري الدموي حيث تفقد ما

١. د. البار، المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤

٢. د. نزار هؤاد، وعقاب العزام وزملاؤهما، الدمويات عملي ط، دار المستقبل للنشر والتوزيع ١٩٩٤ ص

بين ٦٠ ملل و ٢٤٠ ملل، وإصابة الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض، كل ذلك له دور في العمل والتفكير والإنتاج^١ وصدق الله تعالى إذ يقول: (وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)^٢ ولذلك خفف الله تعالى عليها الصلاة فلا تصلي أثناء الحيض ولا يجب عليها القضاء، وكذلك تؤخر الصيام.

تأثير الحمل والولادة والنفاس والرضاعة :

حيث تصاب الحامل بفقر الدم، ويتحمل القلب الحامل أضعاف ما يتحملة قبل الحمل إذ يقوم بدورتين دمويتين كاملتين، دورة للأم، ودورة للجنين، حيث يضخ القلب قبل الحمل حوالي ٦٥٠٠ لتر يومياً، أما عند الحمل وبالأخص قبل نهايته فتصل الكمية التي يضخها القلب إلى ١٥٠٠٠ لتر يومياً، وقد عبّر - عما سبق، وعن غيره مما ذكره الأطباء وما لا يسع المجال لذكره هنا - بدقة قوله تعالى: (.....حَمَلَتُهُ أُمَّةً وَهَذَا عَلَى وَهْنٍ)^٣ وحقاً إنه ضعف في كل الجوانب على ضعف.

وكذلك الحال بالنسبة لفترة النفاس، وأما في حالة الرضاع فالأم بحاجة إلى التفرغ لرضاعة وتربية ولدها لمدة عامين على الأقل، ولذلك طالب تقرير منظمة الصحة العالمية المنشور عام ١٩٨١م، طالب حكومات العالم بتفريغ المرأة للمنزل والرضاعة، ودفع راتب شهري لها إذا لم يكن لها من يعولها^٤.

وهناك فوارق أخرى تخص نوعية التفكير والمط، فقد ذكرت مجلة العلوم

١- يراجع د. عبدالجيد الشاعر، ود. حسام كنعان ود. عمار الخطيب ود. عبدالقادر العكالية - أساسيات علم وظائف الأعضاء ط. دار المستقبل، الأردن / عمان ١٩٩٣ ص ٣٧٤

٢- سورة البقرة / الآية ٢٢٢

٣- سورة لقمان / الآية ١٤

٤- المراجع السابقة نفسها

الأمريكية (Scientific American) في عدد مايو/ أيار ١٩٩٤ بحثاً بعنوان (الفوارق في الدماغ بين الزوجين) للدكتورة نورين كيمورا، أستاذة علم النفس، وزميلة الجمعية الملكية الكندية في عام ١٩٩٢، حيث استعانت بتجارب كثيرة ونتائج تجارب لعدد من المتخصصين في هذا المجال مثل (V.N واطسون) بجامعة غربي أبتاروو و (M. إيك) جامعة يورك، ودراسة (A.R. كورسكي) وزملائه من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وغيرهم، وتوصلت إلى ما يعتبر اكتشافاً مذهلاً، وهو (أن تخزين المعلومات والقدرات في الدماغ يختلف في الذكر عن الأنثى، ففي الفتى تتجمع القدرات الكلامية في مكان مختلف عن القدرات الهندسية والفراغية بينما هي موجودة في كلا فصي المخ لدى الفتى....)^١

وقد عرضت مجلة تايم الأمريكية في ٣١ يوليو ١٩٩٥ ص ٢٩ نتيجة دراسة علمية تتمثل في عرض صورة لدماغ المرأة عندما تستغرق في الحديث والكلام، وحينئذ ينشغل كلا جانبي المخ تماماً، فيستخدمان في معالجة اللغة، كما عرضت صورة لدماغ الرجل عند حديثه فلم يستعمل إلا جانباً واحداً منه مما يجعله أكثر تخصصاً ودقة لأنه عند الحديث يستعين بالجزء الثاني من دماغه للتذكير في حين ينشغل الجزءان من مخ المرأة عند الكلام وهذا^٢. والله اعلم. هو السر في قوله تعالى: (فإن لم تكونا رجليين فزوجل وأمرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)^٣.

١. مجلة العلوم الأمريكية، مجلد ١٠ في مايو ١٩٩٤ ص ٧٦ وما بعدها. ويراجع: الشيخ الزنداني، المرجع السابق ص ١٥

٢. مجلة تايم الأمريكية في ٣١ يوليو ١٩٩٥ ص ٢٩، ويراجع: د. البار، عمل المرأة في البزان، والشيخ الزنداني، المرجع السابق ص ١٤-١٦

٣. سورة البقرة / الآية ٢٨٢

المقصود بهذا العرض:

المقصود بهذا العرض ليس تفضيل الرجل على المرأة، ولا العكس، وإنما بيان وجود فوارق طبيعية وخلقية وبدنية، وهرمونية، وعناصر حيوية، وبالتالي لا بد أن يكون لها آثارها في نطاق العمل والاستخلاف والاستعمار الذي خلقنا الله تعالى لأجله بعد أداء العبودية لله تعالى التي لا يختلف فيها الرجل عن المرأة، وإنما الاختلاف في مجال توزيع الأدوار لتحقيق عمارة الأرض.

فلا يحوز عقلاً ولا سرعاً إهمال هذه الفوارق في مجال تعمير الكون الذي هو يتكون أساساً من الزوجين في كل شيء، زوجية محققة للتوازن فقال تعالى: **(وَالْقَيْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ وَالْقَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوزُونٍ)**^١.

وهنا يأتي الجواب بأن الحل هو النهج الوسط الذي يراعي أصل المساواة، ويراعي كذلك الفوارق المذكورة، ويراعي كذلك التزاوج والتكامل للوصول إلى أسرة موزونة، وبالتالي مجتمع موزون وأمة موزونة، وعندما يتحقق هذا التوازن للكون الموزون الذي وضع فيه كل شيء منه بمقدار، وروعي فيه حجم الصغير والكبير، والثقيل والخفيف، ووضع كل شيء في مكانه واستفيد منه لتحقيق دوره الرابع. وهذا ما سنتحدث عنه:

الذكر والانثى تزوج وتكامل لا انفصام ولا تضاد ولا فصال:

الرجل والمرأة سماهما القران الكريم (الزوج) وهذا يعني انهما مشروع واحد

يتكون من عنصرين متوازنين متساويين اسمه الإنسان، بل الكون كله يتكون من الزوج والشفع، من السالب والموجب، والذكر والانثى، فقال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفَّارٌ) ^١.

فكل ما في الكون شفع وزوج، والوتر الوحيد هو الله تعالى الواحد الأحد، فقال تعالى: (وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ) ^٢.

فكما أن الموجب يكمل السالب، وبالعكس، وأننا لا نستطيع أن نقول إلا أن كل واحد منهما يكمل الآخر، فالكهرباء مثلاً إنما يتكون من سالب وموجب وأنه لا يمكن تحقيق الاضاءة والقوة والطاقة إلا بهما معاً، وهكذا الإنسان والأسرة والمجتمع والأمة والحضارة، والاستعمار والاستخلاف لا يتحقق إلا بالرجل والمرأة.

فإنما كان الإنسان نفسه . بعد آدم وحواء . لا يوجد ولا يخلق إلا من مشروع مشترك متناصف بين الرجل والمرأة حيث يتكون من نطفة أمشاج يتمثل فيها دور المرأة بـ ٢٢ كرموسوماً، ودور الرجل كذلك بـ ٢٢ كرموسوماً، إذن كيف يدعي أحدهما أنه أفضل من الآخر في هذا البنيان المشترك، وهكذا الأمر عند الله تعالى فالميزان عنده هو العمل الصالح والتقوى فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ^٣ وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَسْخَرُوا مِنْهُمْ لَيُنَادُوا بِكُفْرَانِكُمْ وَلَيَبْغُوا بِكُمُ الْبَغْوَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ تُؤْمِنُوا فَتَسَخَّرُوا مِنْهُمْ إِنَّكُمْ إِذْ خَلَقْتُمْ لَنَا مِثْلَ مَا كُنْتُمْ نَحْنُ لَكُمْ قَوْمٌ مِثْلُكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عُتْبِيُّكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عُتْبِيُّكُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ السَّاعَةِ لَوَسَّاسٌ عُتْبِيُّكُمْ) ^٤.

١. سورة يس/ الآية ٣٦

٢. سورة الفجر/ الآية ٢

٣. سورة الحجرات / الآية ١٣

٤. سورة الحجرات / الآية ١١

توافق الشريعة مع طبيعة الجنين:

فالرجل والمرأة . كما هو الحال في الكون كله حيواناً ونباتاً وجماداً . في نظر الإسلام مخلوق لخالق واحد مبدع عالم حكيم (إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)^١ فإذا كان التناقض والتصادم والتضاد غير موجود في هذا الكون الشامل فكيف يكون ذلك موجوداً في أعظم خلقه الذي خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وجعله في أحسن تقويم وأجمل صورة ومنحه من صفاته الكثير والكثير، ولذلك ففضيلة الذكر والأنثى، والسالب والموجب هي قضية الكون كله.

وإذا كان الكون الجمادي والنباتي والحيواني . ما سوى الإنسان والجن . يسير على أحسن نظام، وتوزعت الأدوار لكل شيء، فكل جزء منه من الذرة إلى المجرة له دوره المرصود، حيث جبله الله تعالى على سنن وقواعد لا يتخلف عنها (إتينا طوعاً أو كرهاً قالنا أمينا طاعينين)^٢ فإن الله تعالى أنزل شرانعه التي انتهت بشريعة الإسلام الخالدة الشاملة الكاملة ليسير المجتمع الإنساني على هذا النظام المبدع اللطيف الذي كل شيء فيه بقدر، وكل شيء له وزنه، حتى يكون المجتمع الإنساني المسلم أيضاً موزوناً قادراً على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وعلى تعمير الكون في ضوء منهج الله تعالى.

وعلى ضوء ذلك نصل إلى ما يأتي:

١. إن الشريعة كما أنها توافقت مع الكون كله حيث فيه التوابت والمتغيرات، فكذلك الشريعة فيها التوابت والمتغيرات، وكذلك الإنسان الذي فيه توابت من حيث

١. سورة الملك / الآية ١٤

٢. سورة فصلت / الآية ١١

خلقته وعواطفه وفكره، ومنغيرات في التجدد^١، كذلك الأمر في موضوع أحكام الشريعة الخاصة بالرجل والمرأة، فكيف لا يكون كذلك؟ فالشريعة من الله تعالى، والكون مخلوق لله تعالى، فهو كتابه المقروء والثاني كتابه المفتوح، (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)^٢.

٢. الرجل والمرأة جزءان من مشروع واحد هو الإنسان، فهذه الزوجية (الذكر والأنثى مثل السائب والموجب) موجودة في كل ما في هذا الكون.

٣. توزيع الأدوار على كل واحد منهما لتحقيق التكامل وذلك بان يوضع كل شيء في محله بكل دقة وحكمة.

٤. الابتعاد عن هضم حقوق المرأة (التفريط).

٥. عدم الإفراط بالزيادة، أو إعطاء دور للمرأة ليس من تخصص المرأة أو للرجل ليس من تخصصه، وحينئذ يكون وضعا للشيء في غير محله، فيختل النظام.

٦. تحقيق التوافق بين الفطرة، لا الاصطدام معها، والتناغم والتكامل والترابط والتزاوج بين طرفي المشروع (الإنسان) بعيداً عن الصراع والتضاد والعداء والخصومة، فالمرأة من الرجل، والرجل من المرأة، وكلاهما من جنس واحد، من آدم، وآدم من تراب، لتحقيق السكنى والاستقرار والمحبة والألفة والرحمة، والسعادة فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن هي ذللت لأهات (فؤم يتفكرون)^٣.

١. يراجع لمزيد من التفصيل: شيخنا القرضاوي، الدخول إلى الشريعة، ط. وهبة الزحيلي القاهرة ص.....

٢. سورة الملك / الآية ١٤

٣. سورة الروم / الآية ٢١

فالإسلام يريد الفرد السعيد المستقر المتزن، والأسرة السعيدة المستقرة المتحابية والمتراحمة المترنة في حين يريد المغالون دعاة حقوق المرأة اعلان حرب شعواء ضد الرجل وبالأخص الناشطات اللاتي يطالبن بالقتال من أجل عالم بلا رجال، وبعضهن طالبن بتقطيع أوصال الرجال إرباً إرباً^١. فقد ألقت الكاتبة الأمريكية نورثي رو، كتاباً سمته، (العدو) أي الرجل، حيث تقول لتأصيل هذا العداء: (إن المرأة في بدايات الحياة البشرية عندما رأت الرجل مخلوقاً مخيفاً، له جثة ضخمة مغطاة بالشعر مكتظة بالعضلات، ومن عينيه نظرة وحش مقترس... خافت منه، وهنا وقعت في الخطأ الكبير الذي سيب العذاب لكل النساء فيما بعد... لأن خوفها قادها أن تستسلم وتخضع له... فبلبات تتملقه اتقاء لشره، وبذلك علمت الرجل الغرور والاحساس بالقوة، واثاحت له فرصة السيطرة والتسلط، فأصبحت المرأة في مركز التابع للمتبوع)^٢.

وتؤكد رائدة الحركة النسوية الانجليزية اليزابيث ستانتون، أن الرجل يتسم بطبع فاس وأناني وعنيف ومغرور، ويحب الشر والعنف والدمار^٣، بل اتجهت معظم الحركات الانثوية الغربية في القرن العشرين نحو تحميل الرجل كل معاناتها، ورد عليها بعض المفكرين الرجال بأفضلية الرجال والمبالغة في ذلك، فأصبحت هذه المسألة سجلاً، ونالت الأسرة نفسها كثيراً من آثار هذه الحركة منها رفض الأمومة والانجاب، بل رفض الأسرة نفسها، أو تفكيكها وإباحة الأجهزة

١- يراجع، مجلة العربي / العدد ٤٩٤ يناير ٢٠٠٠ ص ٦٥ مقالة د. أحمد أبو زيد. ود. منى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر ط. دار القلم بالكويت ٢٠٠٤ ص ١٤٩
٢- مجلة كل الأسرة ص ٢٥ المشار إليها في د. منى، الرجوع السابق ص ٤٩
٣- المراجع السابقة

والشذوذ الجنسي، والقاء دور الأب، فأصبح الصراع، وانبات الذات، والهيمنة أساساً في التعايش بدل الرافة والرحمة والسكلى والتوزيع الأدوار كما يريد الإسلام.

والحق أن ما قامت به الحركات النسوية الغربية في القرنين السابقين كان رد فعل لنظرة الدونية السائدة في الغرب في القرون الوسطى وما يليها حيث - كما تقول زيغرد هونكه، (إن موقف الرجل الأوربي من المرأة، ونظرتة إليها كانت تتسم بالازدواجية والنفاق، والشهوانية والتسلط، والتضارب في المفاهيم والأفعال) بل لم تكن القضية تنحصر في دائرة النظرة بل تجاوزت إلى استعمال كافة مشاكل العنف النفسي والجسدي، والجنسي معها، ففي أمريكا تشير أرقام سنة ١٩٨٤م إلى أن ٢٩٢٨ حادثة قتل تمت داخل الأسرة الواحدة، وأن أكثر من ثلثها قتلن على يد الزوج أو الخليل، وتذكر أوردين، ونزبيت، أن أكثر من مليوني امرأة سنوياً في أمريكا تبلغ الشرطة عن حادث اعتداء زوجها، أو خليلها عليها، وأن ٤ نساء يومياً يقتلن بسبب الضرب المرح، و١,٥ مليون زيارة للنساء للطبيب سببها اعتداء الزوج أو الخليل. وهذا ما بلغ به الشرطة، أما ما لم يبلغ به فيتوقع أن يكون نسبة ليست قليلة. وفي بريطانيا تصل نسبة ضحايا الزوج وال خليل من النساء القتيلات إلى ٥٠% وأنه في كل دقيقة تختصب امرأة في أمريكا.

ومن جانب آخر فإن الفلسفة السائدة في الغرب (وبالأخص أوروبا) هي الفلسفة الفردية الانانية، والذرائعية الميكافيلية، والنفعية القائمة على اللذة التي جعلت المرأة

١- د. محمد رشدي عبيد عقراوي، المشاعية، ص ٧ المشار إليه في د. منشى الكردستاني، المرجع السابق ص ٥٠

٢- د. شذى سليمان، المرأة المسلمة ص ٩٦-٩٧، ١١٥- ويراجع، جارودي، أمريكا طلبعة الانحطاط، ترجمة صباح الجهم، ميميشيل خوري ط. دار عطية للنشر، لبنان ١٩٩٨ ص ٧٧. ود. منشى الكردستاني، المرجع السابق ١٢٨

بمناياة مراع للتمتع والاستعراض والاعلانات، وزاد الطين بلة تاثر المجتمعات الأوربية بفلسفة الصراع، وخلق التناقض بين الأمم والمجتمعات، وهي فلسفة تؤكد ذلك الصراع حتى بين الله تعالى والإنسان، حيث إن الأسطورة اليونانية تقول إن برميثوس هو الذي سرق النار المقدسة من الآلهة^١ حيث أثرت هذه الفلسفة الصراعية على العلاقات الأسرية والاجتماعية وحتى بين الأمم، يقول الشيخ سعيد النورسي: (أوغلت الفلسفة في ضلالها حتى اتخذت دستور الصراع هذا حاكما مهيمنا على الموجودات كافة فقررت... أن الحياة كلها جدال وصراع...)^٢.

ما يترتب على هذه المنهجية الموزونة :

يرتب على هذه المنهجية التي أصلها الإسلام، وفكره الصحيح القائم على الوسطية والواقعية والدقة . كما سبق . امران أساسيان هما أن الأصل هو المساواة، ومراعاة الفروق التكوينية التي ذكرناه ومن خلالها توزيع الأدوار.

أولاً - المساواة،

وبما أن الرجل والمرأة من نفس واحدة، ولهما خصائص مشتركة، وصفات موافقة، وبهذا الاعتبار فالمرأة مثل الرجل فيما يأتي:

(١) المساواة في الحقوق، حيث إن كلاً من الرجل والمرأة يتمتع بحقوق متساوية مع الآخر في شتى مجالات الحياة.

(٢) المساواة في جميع ما يخص أمور الآخرة من الأجر والثواب والجنة والنار، وفي

١- المراجع السابقة

٢- كليات رسائل النور ، الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، نشر دار سوزنر استنبول ١٩٩٢

العقيدة والشعائر إلا ما خففت على المرأة بسبب ظروف الحيض والنفاس، والحمل والرضاعة ونحوها.

٣ المساواة في الإستخلاف في الأرض، إن الآيات الواردة في القرآن الكريم حول الإستخلاف واستعمار الأرض لم تفرق بين الرجل والمرأة، ولم تستثن المرأة من هذه الوظيفة العظيمة التي كلف بها الإنسان، بل لا يمكن تعمير الأرض إلى يشقى الإنسان وهما الذكر والأنثى، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَخَلَقْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^١ ولذلك اتفق الفقهاء على أن الخطابات العامة التكليفية شاملة للذكر والأنثى حتى ولو كانت بالفاظ تستعمل في الجمع المذكر، إلا ما استثنى بنص خاص.

يقول ابن حزم: (لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الرجال والنساء بعثاً سوياً، وكان خطاب الله تعالى وخطاب نبيه صلى الله عليه وسلم للرجال والنساء خطاباً واحداً لم يجز أن يخص بشيء من ذلك الرجال دون النساء إلا بنص جلي، أو اجماع، لأن ذلك تخصيص للظاهر، وهذا غير جائز)^٢.

ومن هنا حينما طلبت المرأة في عصر الرسالة تخصيصها بالذكر نزلت الآيات استجابة لها، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ حَتَّىٰ تَحْمِلَ الْأَنفَارَ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَنَّا مَنٌ طَبِئَةٌ هِيَ حَتَّىٰ تَعْدِي وَرَضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^٣. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً

١- سورة الحجرات/ الآية ١٢.

٢- الاحكام في الاصول ط. القاهرة دار الحديث ١٩٨١ (١/٢٢٢) ويراجع هبة رؤوف عززت، المرأة والعمل السياسي ط. المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٥، ص ٥٦.

٣- سورة التوبة / الآية ٧٢

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^١ . ومن هنا جاء استعراض القران لقصة ملكة سبا بصورة تنبئ عن الاشادة بحكمتها وسياستها، بل تأكيد قولها وتخليدها حينما قالت: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَصْنَعُهَا وَهُمْ غَالِبُونَ عَلَى الْقَوْمِ﴾ فقال تعالى مؤكداً هذه الحكمة: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^٢.

واعتقد أن اثبات هذا الأمر (المساواة في الإستخلاف من حيث المبدأ يساعدا كثيراً في تاصيل جواز المرأة أن تتولى من وظائف الإستخلاف ما لم يكن هناك نص خاص يمنعها من ذلك.

(٤) المساواة في الولاية والموالة، مما لا يختلف فيه أحد أن الموالة التي فرضها الله تعالى على المسلمين شاملة للذكر والأنثى، وكذلك الولاية فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَنَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^٣. ومن المعلوم أن هذه الولاية تشمل كل جوانب الحياة، وعلى رأسها الولاية السياسية من حيث المبدأ.

(٥) المساواة أمام القانون والقضاء.

(٦) المساواة في حرية الاعتقاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ تَكَرَّرَ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^٤ ويقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

١. سورة النحل/ الآية ٩٧.

٢. سورة النمل/ الآية ٢٤.

٣. سورة التوبة/ الآية ٧١.

٤. سورة النحل/ الآية ٩٧.

بعض فامزون بالمعروفه ويتهنون عن المتكر ويقيمون الصلأ ويؤتون الزكأ ويطلبون الله
وزنولة اولئك سترحمهم الله إن الله عزيز حكيم^١ ويقول تعالى، (إن المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات والذانتين والذانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات
والشاعرين والشاعرات والمتمسقين والمتمسقات والصالحين والصالحات والحافظين فزوجهم
والحافظات والذكرين الله ككراً والذكرات عند الله لهم مقبرة وأجراً عظيماً)^٢.

٧) المساواة في الحقوق الاجتماعية والمدنية.

٨) المساواة في أهلية التملك والتصرف وإجراء العقود المالية ونحوها.^٣

٩) المساواة في الحقوق المالية، حيث إذا نظرت إلى الواجبات المفروضة على
الرجل فإن الفروق الموجودة في الإرث معوضة تماماً من خلال النفقة، والتزامات
الرجل.

إضافة إلى أن هناك حالات يتساوى فيها الرجل والمرأة، وفي بعضها تكون حصة
المرأة أكثر منه.

١٠) المساواة في إبداء الرأي ووجوب الاستماع إلى رأيها، وبدل على ذلك ما دار بين
الخنساء بنت خزام الأنصارية وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكرت: (أن
أباها زوجها من ابن أخيه دون إذن منها، فجعل صلى الله عليه وسلم (الأمر إليها)
وحيثما علمت بهذا الحق قالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكنني أردت أن أعلم للنساء
من الأمر شيء؟ وفي رواية ابن ماجه صححها الحافظ الهيثمي قالت: ولكنني أردت أن

١- سورة التوبة / الآية ٧

٢- سورة الأحزاب / الآية ٣٥

٣- يراجع، د. علي الطهره داغي، مبدأ الرضا في العقود ط. دجار البشائر الإسلامية ١٩٨٥م بيروت (١/٢٩٧-٢١٥)

٤- يراجع كذلك د. هاني طبعمات، حقوق الإنسان ط. الشروق بالأردن ٢٠٠١ ص ٣١٠

تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء^١

وفي مجال الزوجية أمر الله تعالى الزوجين أن تتم الأمور بينهما عن تراض منهما وتشاور فقال تعالى: (فإن أريتا قصلاً عن تراضٍ بينهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما)^٢ وقصة المرأة التي وقفت أمام عمر فعارضته في تحديد المهر فقالت: (ما ذلك لك) قال عمر: (ولم ي) قالت: (إن الله قال: (وَأنتنم إختنهن فبنتاراً فلا تاختوا منه شيئاً)^٣ فرجع عمر عن رأيه وقال: (كل أحد أفقه من عمر)^٤.

ثانياً - عدم المساواة في بعض الأمور (اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد).

وبما أن المرأة تختلف في التكوين والخلقة والهormونات عن الرجل - كما سبق - اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، ومن باب توزيع الأدوار. وهذا الاختلاف في بعض الأمور الخاصة بالأعمال التي لا تتناسب مع قدرتها. وبالأخص في موضوع الحقوق السياسية التي هي موضوع بحثنا.

حق المرأة في تولي الولاية العامة (المناصب الرئيسية):

الولاية - بالكسر - في اللغة: الإمارة، وبالفتح: النصره والنسب والقرابة وغيرهما^٥. والولاية في اصطلاح الفقهاء لها نوعان:

- ١- يراجع: سنن ابن ماجه، كتاب النكاح (٦٠٢/١) وسنن النسائي، كتاب النكاح (٢١٦/٦) وسنن أبي داود - مع عون العبود - (١٢٠/٦) ومسنن احمد (١٣٦/٦)
- ٢- سورة البقرة / الآية ٢٣٣
- ٣- سورة النساء / الآية ٢٠
- ٤- الأثر رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصداق (٢٣٣/٤)
- ٥- يراجع لمزيد من التفصيل اللغوي: لسان العرب، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط مادة (ولي) ولم يفرق بعض اللغويين بين كسرها وفتحها

٧٠ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي

- النوع الأول** - الولاية العامة، وقد ذكر لها القاضي أبو يعلى أربعة أقسام، وهي:
١. الولاية العامة في الأعمال العامة كالخلافة (أو رئاسة الدولة تحت أي اسم كان) والوزارة.
 ٢. الولاية العامة في الأعمال الخاصة كإدارة الأقاليم.
 ٣. الولاية الخاصة في الأعمال العامة كقاضي القضاة، وقائد الجيوش، وحامي الثغور، ومستوفي الخراج، وحاجي الصدقات.
 ٤. الولاية الخاصة في الأعمال الخاصة كقاضي بلد، أو إقليم ...
- وقد شرحها بعض المعاصرين بأنها تشمل القيام بأي عمل من أعمال السلطات الثلاث، التشريعية، والتنفيذية، والقضائية^١.
- النوع الثاني** - الولاية الخاصة في مجال تنفيذ العقود التي عرفوها بأنها: تنفيذ القول على الغير^٢، وهذا النوع غير مقصود هنا، وأنه خارج عن موضوعنا.

وقد اختلف الفقهاء في مدى صلاحية المرأة للولاية العامة على ثلاثة آراء:

- الرأي الأول - المنع المطلق
- الرأي الثاني: الجواز المطلق
- الرأي الثالث: التفصيل

وتحس هنا نذكر هذه الآراء الثلاثة مع الأدلة والترجيح بشيء من الإيجاز:

١. الأحكام السلطانية لأبي يعلى ط. مصطفى الحلبي ١٩٦٦ بالقاهرة ص ٢٨ وما بعدها وبمراجع: الأحكام السلطانية للماوردي ط. التوفيقية بالقاهرة ص ٣١
٢. الشيخ عبدالحجيد الزنلاني: المرجع السابق ص ٥٦ ومراجعته الحلينية
٣. حاشية ابن عسدين (٢٥/٣)

الرأي الأول، المنع المطلق وهنا رأي جمهور الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة ما عدا بعض الاستثناءات التي نذكرها في الرأي الثالث، وهو رأي جماعة من المعاصرين أيضاً.

وقد استدلووا لذلك بالكتاب والسنة والاجماع والقياس وسنن الذرائع...

أولاً - الكتاب، حيث استدلووا بمجموعة من الآيات منها:

- أ - قوله تعالى: (وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ)^١ حيث قال الطبري، (روى عن زيد بن أسلم قوله: (وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ)، إمامة^٢، وهكذا فسره جماعة من المفسرين^٣.
- ب - قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا اتَّخَذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)^٤ حيث ذهب المفسرون إلى أن الآية تدل على إثبات القوامة لجنس الرجال على جنس النساء وأن هذه قاعدة عامة تشمل القوامة داخل البيت وخارجه^٥. وقال الأستاذ المودودي: (هذا النص يقطع بأن المناصب الرئيسية في الدولة رئاسة كانت أو عضوية مجلس الشورى لا تفوض إلى النساء....)^٦.
- ج - قوله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)^٧ حيث يدل على أن الله تعالى فضل البعض وهم الرجال على البعض وهن النساء في بعض الأمور مثل الارث ونحوه.^٨

١ - سورة البقرة / الآية ٢٢٨

٢ - تفسير الطبري (٢٧٥/٣)

٣ - يراجع : التفسير الكبير للرازي (٨١/٢) وتفسير ابن كثير (١٧٨/١)

٤ - سورة النساء / الآية ٣٤

٥ - يراجع : تفسير الكشاف للزمخشري (٢١٧/١) وتفسير القرطبي (١٦٩/٥) وتفسير ابن كثير (٤٢٢/١)

٦ - ترجمان القرآن ، في تفسير هذه الآية

٧ - سورة النساء / الآية ٣٢

٨ - تفسير الطبري (٢٠/٥) وتفسير الماوردي (٤٧٧/١)

د - قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) ^١ حيث ان الآية تامر النساء بالقرار في البيت وهذا مخالف لاجازة ان تشتغل المرأة بالمناصب العامة.

ثانياً - الأدلة من السنة المطهرة،

يعتبر من أقوى الأدلة وأصرحها ما رواه البخاري وغيره عن أبي بكر... قال، لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ^٢ قال الخطابي في الحديث، (أن المرأة لا تلي الامارة ولا القضاء...) ^٣ وقال الصنعاني، (فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات) ^٤ وقد ورد الحديث بالفاظ مختلفة منها؛ (لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة) ^٥ وفي رواية أخرى، (لا، " لن "، " ما " يفلح قوم تملكهم امرأة) ^٦.

ويؤكد هذا المعنى العام أن راوي الحديث ابا بكر قال ذلك عند ما دعي للالتحاق بحملة جمل بقيادة عائشة، فقال، (لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعدما كنت الحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم...) ^٧.

وقد أطل المانعون النفس في شرح الحديث، ودلالاته على منع المرأة من كل

١ - سورة الأحزاب / الآية ٣٣

٢ - صحيح البخاري - مع الفتح - كتاب الغازي (١١٩-١٢٦/٨)

٣ - فتح الباري (١٢٨/٨) وقد عقب ابن حجر على هذا التعميم

٤ - سبل السلام ج١ مكتبة عاطف (١٤٩٦/٤)

٥ - رواه أحمد في مسنده (٤٧/٥)

٦ - مسند أحمد (٤٢٠٣٨/٥ ، ٥١٠٥٠)

٧ - صحيح البخاري - مع الفتح - (١٢٦/٨)

ولاية عامة أو خاصة^١.

واستدلوا بأحاديث أخرى ليست نصاً في الموضوع^٢.

ثالثاً - الاجماع

حيث انعقد الاجماع على أن المرأة لا تصلح للولاية العامة، يقول ابن قدامة: (ولا تصلح للإمامة العظمى ولا لتولية البلدان، ولهذا لم يول النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه، ولا من بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية فيما بلغنا، ولو حاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً)^٣.

وأكد هذا المعنى الشيخ عبدالمجيد الزنداني واستدل لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^٤ لكن هذا الحديث فيما يخص العبادات الشعائرية التي الأصل فيها التوقف، أما العادات والمعاملات فالأصل فيها الإباحة^٥.

رابعاً - القياس

أي قياس الولاية على الطلاق، وعلى الولاية في النفس.

خامساً - المصلحة

حيث إن الأساس في الولايات العامة هي الكفاءة النائمة، والقوة والقدرة، وهي

١. يراجع : : الشيخ الزنداني المرجع السابق ص ٧٠-٧٩ وغيره

٢. المرجع السابق نفسه

٣. المغني - مع الشرح الكبير - ط. دار الكتب العلمية / بيروت (١١/٢٨)

٤. الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح - مع فتح الساري - (١/٣٠٧، ٢/٢٥٥، ١٤/٢١٧) ومسلم في صحيحه (٣/١٣٢٢)

٥. يراجع - مبدأ الرضا في العقود (١/١٥٩) وما بعدها)

ضعيفة في المرأة - كما سبق -

سادساً - سد الذرائع

حيث تؤدي ولاية المرأة للمناصب الرئيسية إلى فساد في الأخلاق وإلى ارتكاب محظورات شرعية من الخلوة، فالفواحش، وإهمال لدور المرأة الأساس في تربية النشأ^١.

الرأي الثاني: للقاتلين بجواز تولي المرأة الولاية العامة مطلقاً، وهو رأي فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وآخرين من المعاصرين، حيث استدلوا بما يأتي:
أولاً - الكتاب، حيث وردت عدة آيات تثبت الولاية بصورة عامة، منها:
أ - قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....)^٢

ب - قوله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بِإِذْنِهِمْ)^٣ يقول الأستاذ محمد عبد الله العربي، (لم يخص فئة من القوم دون سواهم بأداء مقتضيات الشورى)^٤.

ج - قصة ملكة سبأ التي ذكرها القرآن الكريم في معرض الاشارة بهذه المرأة العاقلة الحكيمة التي أبعدت عن قومها شبح الرعب، ثم أسلمت.

د - الآيات التي فيها بيعة النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ....)^٥ ومن المعلوم أن البيعة مشاركة سياسية.
ثانياً - من السنة المطهرة، حيث وردت عدة أحاديث تدل على أن المرأة لها حق

١- تراجع، الشيخ الزنداني، المرجع السابق ٩٦-٩٨

٢- سورة التوبة / الآية ٧١

٣- سورة الشورى / الآية ٢٨

٤- نظام الحكم في الإسلام ص ٨٤

٥- سورة المتحنة / الآية ١٢

الولاية، منها،

- ١ - حديث الختساء الأنصارية السابق الذي يدل على اثبات الولاية لها في الجملة.
- ٢ - السيرة النبوية المشرفة التي تدل على أن النساء شاركن في بيعة الرسول منذ بداية الدعوة، والتفكير في إنشاء الدولة الإسلامية، ثم مبايعتهن للنبي صلى الله عليه وسلم. فقد شاركت المرأة في بيعة العقبة، فقد روى أحمد بمسنده من حديث جابر قال، (مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في النواصم يمني وغيرها... حتى بعثنا الله له من يثرب قصد قناه... حتى قال: فرحل إليه منا سبعون رجلاً، وذكر حديث كعب، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان - فوعدهنا ببيعة العقبة، فقلنا: على ما نبايعك؟ فقال، (على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم بئثرب، فتمتعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة) ^١ وقد ذكر الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن هشام أن المرأتين بايعتا رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مصافحة ^٢ بل إن مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ثابتة في البخاري ومسلم ^٣.

فهذه البيعة هي بيعة سياسية بكل ما تعني الكلمة، وقد شاركت فيها النساء، مما يدل على أن المرأة لها هذا الحق، ولكن بيعة النساء ليست بالمصافحة وإنما بالكلام، أو مع مد الأيدي دون المس، يقول الأستاذ أبو شقة ^٤ (إن مبايعة النساء للنبي صلى الله لها عدة دلالات، الدلالة الأولى: استقلال شخصية المرأة. وأنها ليست مجرد

١- رواه أحمد في مسنده (٢٢٢/٣) قال في الفتح (٢٢٢-٢١٩/٧) أسنده حسن، ووضحه الحاكم

٢- الاصابة (٤٧٩/٤)

٣- صحيح البخاري - مع الفتح (٢٦٥/١٠)

٤- تحرير المرأة في عصر الرسالة (٤٣٥/٣-٤٣٦)

تابع للرجل، بل هي تباع كما يباع الرجل، الدلالة الثانية: مبايعة النساء النبي صلى الله عليه وسلم تقوم على أساسين: الأول - باعتباره صلى الله عليه وسلم الرسول المبلغ، والثاني - باعتباره إمام المسلمين، ومما يؤكد وجود الاعتبار الثاني قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن طاعة الأمير (إنما الطاعة في المعروف)^١.

٢. مشورته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة - كما سبق -

٣. قبوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت يزيد أن تمثل النساء بين يديه، حيث قالت: (إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي..... الخ)^٢ والمقصود أن المرأة مثلت جماعة من النساء مما يدل على مشروعية اتصالات خاصة بهن تدافع عن حقوقهن أمام الرجال المسلمين.

٤. مشورته صلى الله عليه وسلم للمرأة بصورة عامة، حيث جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة، عن الزيادة، قال: (حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير حتى المرأة فتشيره عليه بالشيء فيأخذ به)^٣.

وهذا الحديث وإن كان مرسلًا لكنه معضد بحديث أم سلمة في الصحيح - كما سبق -

٦. وكذلك الأمر في السيرة الراشدة، حيث استشار عبدالرحمن بن عوف في أمر عثمان وعلي حتى البكر في خدرها.

١- رواه البخاري - مع التفتح - (٣٣٣/١٢) ومسلم - مع النووي - (١٥/٦)

٢- كنز العمال (٤١١/١٦) الحديث ٤٥١٥٧ وقال (رواه

٢- عيون الأخبار (٨٢/١)

الرأي الثالث : القائلون بالتفصيل وأدلتهم

وهؤلاء اختلفوا في نوعية التفصيل كالآتي:

أولاً . قابن جريير الطبري وابن حزم الظاهري يجيزان ولاية المرأة للقضاء، بل يفهم من كلامهم هو أن المتنوع هو الإمامة الكبرى (أي أن تكون خليفة المسلمين، أو رئيسة الدولة).

ثانياً . الحنفية الذين أجازوا للمرأة تولي القضاء فيما عدا الحكم في الجنايات والحدود.

ثالثاً . جماعة من المعاصرين أمثال الشيخ العلامة يوسف القرضاوي يذهبون إلى جواز أن تتولى المرأة كافة الولايات والمناصب ما عدا الإمامة العظمى إنا توافرت الشروط والضوابط الشرعية المطلوبة، ولم تترتب عليها مفسد من إهمال الأسرة ونحو ذلك وهؤلاء استدلوا بجميع أدلة الفريقين، ولكن حملوها على ما عدا الإمامة العظمى، فإن كان الدليل نصاً في الموضوع كما في حديث، (لن يفلح قوم.....) حملوا دلالة منعه على الإمامة العظمى، والأقملوه على الولايات الأخرى.

مناقشة الأدلة :

يمكن أن نناقش أدلة المانعين بما يأتي:

أولاً . قوله تعالى: (وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ ذَرْجَةً)^١ لا يدل على منع الولاية مطلقاً، وإنما هي درجة كون الطلاق والرجعة بيده، لأن الآية في بدايتها تتحدث عن الطلاق والرجعة حيث تقول: (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا

١ . سورة البقرة من الآية ٢٢٨

حَلَقَ اللَّهُ هِيَ أَرْحَامُهُمْ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُمْ لَكُمْ أَحَقُّ بِرَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِسْتِلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَى نَفْسِهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^١، أو درجة القوامه داخل الأسرة وفسره قوله تعالى: (الرُّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَفْسِهِنَّ بِمَا حَقَّ عَلَيْهِنَّ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ لَعَنَهُنَّ وَأَعْزَبُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ اللَّهُ كَانَ غَثًّا كَثِيرًا)^٢ من حيث إدارة البيت والتأديب ونحو ذلك مما يحتاج إليه البيت بأن يكون له مدير وقائد فهذه الآيات كلها تتحدث عن الأسرة وإدارتها والاتفاق عليها، ولا يمكن أن يقصد بالآية العموم المطلق، فليس لكل رجل ولاية على كل امرأة، فهذا غير مقصود من الآية، إذ ليس للرجل الأجنبي ولاية على امرأة أجنبية، فهذه ولاية تبدأ بهذا الأصل وهو أن إدارة البيت بيد الزوج لما له من قدرات تهيئه لذلك، كما أنه ينطق عليها، ثم تتحدث الآية نفسها عن الزوجة الصالحة، والزوجة الناشزة... مع أن هذه القيادة ليست قيادة تحكم واستبداد وإنما قيادة تشاور وتراض، ومعاشرة بالاحسان، ولذلك حينما يتخلف عن أهدافها تؤخذ من الزوج

فالأيتان لا تتحدثان على أية ولاية سوى ولاية الرجل على زوجته في إدارة البيت وأن الرجعة والطلاق بيده، فالقوامه هي إدارة البيت، والدرجة إما أنها هذه القوامه، أو أن الطلاق والرجعة بيده إضافة إلى أن سبب نزول: (الرُّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ.....) يدل على هذه الخصوصية^٢، نعم أن العبرة بعموم اللفظ

١- سورة البقرة / الآية ٢٢٨

٢- سورة النساء / الآية ٣٤

٢- تراجع لسبب النزول، تفسير الرازي (٨٨/٢)

وليس بخصوص السبب عند جمهور الأصوليين^١، ولكن المحققين منهم قالوا: إن العموم يخص بالقرائن ومنها السياق، حيث جاء في البحر المحيط للزرکشي: (قال الشيخ تقي الدين في شرح الإلزام: نص بعض أكابر الأصوليين على أن العموم يخص بالقرائن، قال: ويشهد له مخاطبات الناس بعضهم بعضاً، حيث يقطعوه في بعض المخاطبات بعدم العموم بناء على القرينة)^٢ إضافة إلى أن عموم هذه القوامه داخل البيت باقٍ له يمس، ومع ذلك لو أن الرجل تنازل لزوجته في حق إدارة البيت، وفوض لها حق الطلاق فإن هذا جائز باتفاق الفقهاء^٣.

ثانياً. أما قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ....)^٤ فيجاء عنه بما يأتي:

أ. أن المخاطبات بالآية الكريمة هن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حيث تبنا الآية الكريمة (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن الثقيثن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضن ولئن قولاً منزهة)^٥.

فالآية نص في خطاب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهن لسن كبقية النساء، فكيف يعمم الالتزام في جميع الأحكام لبقية النساء؟

فهؤلاء لهن مقام عظيم، وخصوصية بسبب كونهن أزواجاً للرسول القائد صلى الله عليه وسلم ولا سيما أن هذه الآيات نزلت بعد حادثة الإفك التي هزت المجتمع الإسلامي وشلت حركته طوال أربعين يوماً، وبالتالي فافتضى التشريع

١- التحصيل (٢٤٤/١) وشرح جمع الجوامع (٤١٣/١) والكوكب المنير (١٣٧/٢)

٢- البحر المحيط ، ط. وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة الثانية ١٤١٢هـ (٣٨٠/٣)

٣- يراجع لجواز التفويض ، حاشية ابن عابدين (٤٧٥/٣) واللسوفي مع الشرح الكبير (٤٠٥/٢) ومعنى

الاحتجاج (٢٨٥/٣) وكشاف القناع (٢٥٤/٥) وأحكام القرآن لابن العربي (١٥٠٥/٢)

٤- سورة الأحزاب / الآية ٣٣

٥- سورة الأحزاب / الآية ٣٣

وضع قيود صارمة عليهن، ولذلك خيرهن الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى قبل هذه الآية بين البقاء والطلاق فاخترن الله ورسوله؛ وحينئذ نزلت عليهن تشريعات خاصة بهن للالتزام بهن. ومنها الأمر بالقرار في البيوت حماية لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب - أن المقصود بـ (وفرن) ليس عدم الخروج مطلقاً، وبدل على ذلك خروج بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج والعمرة والجهاد، وأداء صلة الرحم. ثالثاً - إن أقوى أدلتهم هو الحديث المعروف: (لن يفلح قوم...)، ويمكن أن يناقش هذا الحديث بما يأتي:

١- أن الحديث خاص بهذه الواقعة التي قيل فيها، وهي تولي بنت كسرى الامبراطورية، حيث صدق قوله صلى الله عليه وسلم فلم يفلح قوم، بل انهزموا وسقطت الامبراطورية.

وقد يجاب عن هذا بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - كما سبق -.

٢ - أن الحديث خاص بالولاية العظمى بدليل بعض روايات الحديث الثابتة، حيث ورد الحديث بلفظ (تملكهم) في روايتين، إحداهما: (لا يفلح قوم تملكهم امرأة)^١ والثانية بلفظ: (لن يفلح قوم تملكهم امرأة)^٢ إضافة إلى ورود روايتين أخريين بلفظ: (لا يفلح قوم أسندوا امرهم إلى امرأة)^٣ ولفظ: (لن يفلح قوم أسندوا امرهم إلى امرأة)^٤

١- رواه أحمد (٤٣/٥) ومسنده الشهاب (٥١/٣)

٢- رواه أحمد (٥١/٥)

٣- رواه أحمد (٤٧/٥)

٤- رواه أحمد (٣٨/٥) ومسنده أبي داود الطيالسي الحديث: ١١٨

٣- إن سياق الحديث (الذي قال المحققون من الأصوليين أنه يجوز تخصيص العموم به) يدل بوضوح على أن الحديث كان في الأمر الطورية العظمى، حيث تولتها بروان بنت كسرى.

٤- إن لفظ (أمرهم) يشير إلى العموم، أو إلى الكمال، وهنا لا يتحقق إلا في الولاية العظمى.

٥- إن في ذلك جمعاً بين الأدلة، وهو أولى من الغاء أحدها.

رابعاً - إن دعوى الإجماع لا تصح إلا في الإمامة العظمى، أما غيرها فمحل خلاف كبير بين الفقهاء قديماً وحديثاً - كما سبق -.

خامساً - إن قياس الولاية على الطلاق وعلى الولاية في التزويج لا يستقيم لما يأتي؛ (١) إن الطلاق إذا فوضه الزوج إلى زوجته فإنه صحيح بالاتفاق - كما سبق -، مع أن القائلين بمنع الولاية لا يجيزون الولاية لا في البداية، ولا بالتفويض من الرجال.

(٢) إن ولاية المرأة على تزويج نفسها، أو غيرها فمحل خلاف كبير، حيث أجازها الحنفية^١، وبالتالي فالأصل المقيس عليه ليس محل اتفاق حتى يكون ملزماً. سادساً - أما مسألة المصالح والمفاسد وسد الذرائع، فيمكن علاجها من خلال الضوابط الشرعية والقيود التي تمنع ذلك، إضافة إلى أن كونها أدلة معتبرة ليست محل اتفاق بين الفقهاء.

وبهذه المناقشة اتضح لنا أن أدلة المانعين لم تنهض حجة على دعواهم بمنع الولاية مطلقاً من المرأة، وإنما كل ما تدل عليها أدلتهم هو منع المرأة من تولي

١- يراجع لمزيد من التفصيل، مبدأ الرضا في العقود (١/.....) ومصادره المعتمدة

الولاية العظمى.

ويمكن أن نناقش أدلة المجهزين مطلقاً، بأن جميع أدلتهم لا تدل على الجواز المطلق، وإنما تدل على جواز أصل المشاركة السياسية، وحتى لو دلت فهي تخصص بحديث: (لن يفلح قوم....) حيث هو نص في منع الولاية.

بعض الردود عن بعض المقولات:

فقد أثير في منع المرأة من المشاركة السياسية بعض المقولات منها:
أولاً: أن المرأة إذا شاركت أدى ذلك إلى الاختلاط المحرم، وارتكاب المحظورات،
ونجيب عنه بما يأتي:
١) أن من يجيز ذلك يقيدده بالالتزام بالضوابط الشرعية فإننا لم نتوافق
فحينئذ لم تجز المشاركة.

٢) أنه ليس هناك تلازم بين الأمرين

٢) أن هذه الحرمة لا تخص النساء فقط، بل تشمل الرجال أيضاً فهم مأمورون
أيضاً بالالتزام بأحكام الله تعالى في التعامل مع النساء.
ثانياً: أن للمشاركة السياسية تحتاج إلى الجرأة والشجاعة فهذه قد لا توجد في
النساء.

والجواب عن ذلك، أن هذا غير صحيح، وأن هذا أيضاً موجود لدى الرجال قديماً
وحديثاً، فكم من نساء اتسمن بشجاعة لم يستطع كثير من الرجال الوصول إليها،
فكثير من الصحابييات والتابعيات يبدين آراءهن بكل شجاعة حتى أمام رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وأمام الخلفاء الراشدين، فقد وقفت امرأة أمام عمر رضي الله

عنه ممتنعة من منع الزيادة في المهور - كما سبق - كما أن صفة رضي الله عنها كانت أشجع من حسان في الحادثة التي ذكرناها ، وأن موقف أسماء ذات النطاقين أمام الحجاج كان أشجع من أي موقف للرجال.

ثالثاً - أن المرأة طبعت على تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة، حيث تشير آيات الأحزاب إلى تطلع النساء حتى من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زينة الدنيا ومتعتها، كما في الآية ٢٩ من سورة الأحزاب، كما أن الآية ٤ من سورة التحريم تذكر مظاهره بعض زوجاته عليه.

فقد أحاب على ذلك فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي حيث يقول: (إن السائل فاته أن يذكر ، أنهن - حين خيّرهن - اخترن جميعاً الله ورسوله والدار الآخرة - كما أن المذكورتين في سورة التحريم قد تابتا إلى الله توبة نصوحاً - على أن تطلعهن إلى الزينة ومتاع الحياة كسائر النساء وبخاصة نساء العظماء، لا يبدل على قصور عقولهن، ولا عدم صلاحيتهن للتفكير في الأمور العامة، بل هو تطلع بحكم الفطرة البشرية، والطبيعة النسوية، سرعان ما تقشعت سبحانه عندما نزلت آية التخيير.

وهل يرى الرجال تماماً من مثل هذه المواقف التي يركنون فيها فطرة إلى الدنيا، ثم تدركهم الصحوة، حينما ينبههم الوحي إلى خطئهم أو غفلتهم ؟

ثم يقل القرآن في شأن الصحابة مخابها الرسول الكريم: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْكُفْرِ وَفِي الْكُفْرِ خَيْرٌ مِنَ الرَّكْبِ) .
ثم ينزل الله تعالى عقب غزوة أحد آيات يعاتب فيها أصحاب رسوله - أفضل أجيال البشر - على ما بدر منهم من عصيان أمره، وترك مواقعهم والنزول لجمع الغنائم... مما كان من عواقبه ما كان ؟ يقول عز وجل: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِنْدَهُ

إذ تحسبونهاهم بإنه حتى إذا فلبثتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحببون
متكلم من يريد الدنيا ومتكلم من يريد الآخرة^١.

قال ابن مسعود: " ما كنت أعلم أن فينا من يريد الدنيا، حتى نزلت هذه
الآية"^٢.

هل يمكن أن يؤخذ من مثل هذه المواقف التي يضعف فيها بعض الرجال الأخيار
وتغلب فيها أهواؤهم عقولهم، أن الرجال لا يصلحون للمهام الكبرى؟^٣

وفي غزوة بدر يسجل القرآن على بعض المؤمنين مثل هذه المواقف قبل المعركة
وبعدها، يقول تعالى: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ
بِجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْظَرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ
إِخْدَى الطَّاغُوتِينَ إِنَّهَا لَكُمْ وَمَوْذُونَ أَنْ غَنَزْتُمُ الشُّوكَةَ.....)^٤.

وبعد المعركة يقول في شأن موقفهم من الأسرى: (ثريدون غرض الدنيا والله يريد
الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)^٥
إن الضعف البشري يعترى الرجال والنساء جميعاً، والعبرة بالعاقبة.

ولماذا لا يذكر هنا مشورة أم سلمة للنبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم
الحديبية، وقد كان من ورائها الخير والمصلحة؟^٦

بل لماذا لم يذكر ما ذكره القرآن عن امرأة حكمت قومها بالعقل، وساستهم
بالحكمة وقادتهم في أخرج الأوقات إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة؟ ألا وهي
ملكة سبا^٧.

١- سورة آل عمران / الآية ١٥٣

٢- سورة الأنفال / الآية ٥ - ٧

٣- سورة الأنفال / الآية ٦٧ - ٦٨

٤- إسلام أون لاين في ١٧/١١/٢٠٠٥

ومع ذلك فليست كل امرأة صالحة للولايات، كما أنه ليس كل الرجال صالحين لها، وإنما للولاية شروط، وربما تضاف بعض شروط أخرى إلى المرأة التي تريد أن تمارس حقاً من هذه الحقوق، يقول الشيخ القرضاوي، (وليست كل امرأة صالحة للقيام بعبء النيابة، فالمرأة المشغولة بالأمومة ومتطلباتها لن تزج بنفسها في معترك الترشيح لهذه المهام، ولو فعلت لكان على الرجال والنساء أن يقولوا لها، لا، اطفالك أولى بك.

ولكن المرأة التي لم ترزق الأطفال وعندها فضل قوة ووقت وعلم وذكاء، والمرأة التي بلغت الخمسين أو قاربت، ولم تعد تعرض لها العوارض الطبيعية المذكورة، وتزوج أبناؤها وبناتها، وبلغت من نضج السن والتجربة ما بلغت، وعندها من الفراغ ما يمكن أن تشغله في عمل عام، ما الذي يمنع من انتخاب مثلها في مجلس نيابي، إذا توافرت فيها الشروط الأخرى، التي يجب أن تتوفر في كل مرشح، رجلاً كان أو امرأة^١ (5).

ومن جانب آخر فإن الممارسة السياسية الصحيحة الناجحة اليوم ليست كالسابق إذ تعتمد على المؤسسات، وعلى رأي الجماعة، فلا يكون الرئيس (رجلاً أو امرأة) أو الوزيرة ينقرد بالحكم، بل يشاركه الحزب، والبرلمان، وغير ذلك.

والذي يظهر لي رجحانه هو أن الأصل هو التكامل من خلال توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة دون الأحساس بأن دور أي منهما يقل عن الآخر، فالبقاء البشري مرهون بأن تقوم المرأة بالحمل والانجاب ورعاية الأسرة، فهذا هو من أعظم الأدوار في الدنيا والآخرة، فهو دور تربية الرجال وصناعة الأجيال، وأن هنا الدور لا يجوز

١. المصدر السابق نفسه

تعطيله، ولا تفضيل شيء آخر عليه، ولا الاستهانة به، فهو الذي يحقق لنا سعادة الدنيا والآخرة، وأننا - نحن المسلمين - نغبط تماسكنا الأسري العقلاء من الشرق والغرب، فهنا جورباتشوف يذكر بعد استعراض طويل لما حدث للمرأة في الاتحاد السوفيتي لينتهي إلى القول: (يضرورة تسهيل مهمة المرأة للعودة إلى رسالتها النسائية البحتة) ولتحقيق (جو أسري طيب)، و (إزالة مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب، ومنع تدهور العلاقات الأسرية) ^١.

ومع الحفاظ على هذا الدور العظيم المبارك فإن المرأة لها الحق في المشاركة السياسية، وفي شغل المناصب القيادية - ما عدا الإمامة العظمى - إذا توافرت الشروط الآتية:

(١) توفير الأجواء المناسبة شرعاً التي تدرأ من حيث الظاهر الفاسد والمحظورات الشرعية من الخلوة المحرمة، والنظر ونحو ذلك.

(٢) التزام المرأة التي تريد الولاية بضوابط الشرع بالأخلاق والقيم الإسلامية، وفي اللبس ونحوه..

(٣) أن لا تكون مشاركتها السياسية وولايتها العامة على حساب أولادها وأسرتها، وبعبارة أخرى فإن أهم ولاية ودور للمرأة هي صناعة الأجيال وتربية الرجال والأبطال، وتوفير السكنى والأمن لزوجها ولنفسها ولأسرتها، أما إذا تعارضت المشاركة مع هذا الدور الأساس الأصيل، فإنها تصبح محظورة في نظري.

وبهذه الشروط الشرعية يجوز في نظري المشاركة السياسية للمرأة، وتولي المناصب القيادية المناسبة لفطرتها وبنيتها، بل إن بعض المناصب التربوية والتعليمية

١. كتاب الريسترو كما ليخاتيل جورباتشوف ص ١٢٢

تكون المرأة فيها أولى من الرجال، وكذلك منصب القضاء فيما يخص الفصل في النزاعات الخاصة بالنساء، أو المشاكل الزوجية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المرأة لها الحق في المشاركة السياسية بالضوابط والشروط السابقة فيما يأتي:

١. حق الإدلاء بصوتها في الانتخابات السياسية وغيرها، لأن ذلك من باب الشهادات التي من حقها بالاجماع، بل إنه من باب التعاون على الخير في توصيل من يستحق الوصول إلى الحكم، أو إلى البرلمان، أو إلى المجالس الأخرى، بل إن ذلك من باب التوكيل الذي يجوز للمرأة أن تقوم به حيث يوكل شخصاً للوصول إلى البرلمان للقيام بواجب الحسبة والأمر بالمعروف ونحو ذلك.

٢. حق ترشيح نفسها للبرلمان لتكون عضواً فيه لأن معظم أعمال البرلمان تكمن في سن القوانين (وفي المجتمع الإسلامي تكون متعارضة مع النوايب)، فهنا من باب الاجتهاد الذي تشترك فيها المرأة مع الرجل بالاجماع، فهذه عائشة وصلت إلى مرتبة من العلم بالسنة والفقه حتى استدركت على بعض كبار الصحابة^١.

وأما أن يكون عمل البرلمان في الرقابة المحاسنة من خلال الاستجوابات، فهنا من باب الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الواجب يشترك فيه الرجل والمرأة على حد سواء.

٣. المشاركة في المظاهرات السياسية، والاعتصام وكل الوسائل المشروعة لتحقيق مصالح العباد، أو لخلع الحاكم الظالم بما لا يترتب عليه مفسدة أعظم.

٤. المشاركة في الشرطة والأمن العام فيما يخص النساء، أو سجنهن، أو

١. وقد جمع الزركشي هذه الأحاديث في كتاب سماه، الاجابة لا استدركته ام المؤمنات عائشة على الصحابة

التفتيش، أو نحو ذلك، أو في الأمور الإدارية التي تتناسب مع فطرتها وبنيتها بالشروط الثلاثة السابقة.

٥. المشاركة في جهاد الدفع بالاجماع - أي عند احتلال الكفرة لبلاد المسلمين - وذلك بالقتل ونحوه وكل ما تقدر عليه. والمشاركة كذلك في جهاد الطلب بما يتناسب مع فطرتها، فقد شاركت في الجهاد صفية أم المؤمنين رضي عنها عندما قتلت يهودياً يوم الخندق^١؛ كما شاركت النساء الصحابيات في الجهاد بالتضديد والتداوي والسقي، وغير ذلك، حتى أن الإمام البخاري عقد باباً خاصاً سماه (باب غزو النساء وقتالهن) وروى فيه عدة أحاديث منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه، إذا غزا فيستقين الماء ويداوين الجرحى^٢، بل ذكر في صحيحه خمسة أبواب أخرى حول جهاد النساء، وغزو المرأة في البحر، وحمل النساء القرب إلى الناس في الغزو، ومداواة الجرحى في الغزو، ورد النساء الجرحى في الغزو^٣.

وقد روى مسلم بمسنده: (أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها... فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (ما هذا الخنجر؟) فقالت: اتخذته، إن أدنى أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك....)^٤ أي اقرار منه لها بالتشجيع.

بل قد روى البخاري أن عائشة وأم سليم يوم انهزم معظم الناس بقيتا مشمرتين

١- رواه الحاكم في المستدرک (٥٦/٤) وقال صحيح على شرط الشيخين

٢- صحيح البخاري . مع الفتح . كتاب الجهاد (٦٥/٦)

٣- صحيح البخاري . مع الفتح . (٦٢/٦ - ٨٠)

٤- صحيح مسلم (١٤٤٢/٣)

تفقدان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان....^١

٦. حق المشاركة في تشكيل اتحادات، ونقابات النساء، وجميع مؤسسات المجتمع المدني، بل هي أولى من الرجال ببعضها.

والتحقيق أن المرأة المسلمة أدت دوراً كبيراً في مجال دورها الطبيعي العظيم، صناعة الأجيال، وتربية الرجال، وتحقيق الاستقرار والسكنى والتعاسك للأسرة، ومع ذلك فكان لها دورها الحضاري والعلمي وفي بناء المدارس والجامعات والمستشفيات بعصائهن الكبير، ودورها في في الجهاد، وفي الحياة الاجتماعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي العمل^٢.

وقد خصص الأستاذ أبو شقة في دراسته الخاصة بالأحاديث الصحيحة الخاصة بتحرير المرأة، فصلاً مستقلاً لوقائع مشاركة المرأة المسلمة في النشاط السياسي في عصر الرسالة، فذكر دور المرأة في تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وانها كانت أول المؤمنين بالدين الجديد، وأنها تسبق أباه، وزوجها وأهلها جميعاً، وانها وفقت بقوة وصبر وثبات أمام اضطهاد المشركين، وانها هاجرت الوطن كما هاجر الرجال إلى الحبشة، ثم إلى المدينة المنورة، وانها كانت تقوم بدعوة العشيرة كلها فتسمع لها وتدخل الإسلام بسببها، وانها كانت تباع إمام المسلمين على السمع والطاعة بالمعروف مثل الرجال، وانها كانت تشارك الرجل في الجهاد دفاعاً عن الإسلام^٣.

١. صحيح البخاري - مع الفتح - كتاب الجهاد (٦٦/٦)

٢. يراجع لزيد من التفصيل، عبدالحليم أبوشقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيح البخاري ومسلم، ط، دار القلم الكويت (١٧١/٢ - ٢٢٨)

٣. المصدر السابق (٤٣٣/٣ - ٤٣٩)

ومما هو جدير بالتنبيه عليه هو: أن المرأة المسلمة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تستجيب لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد وغيره، فهذه أم سلمة كانت تنصت إلى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النفر إلى بني قريظة فتستجيب^١، وقالت في حادثة أخرى حينما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس) لما سطتها (أي المرأة التي تمشط شعرها): استأخري عني، فقالت الماشطة: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقالت إنني من الناس....^٢ أي أن المرأة من الناس فتطبق عليها ما تطبق عليهم.

وكذلك فعلت فاطمة بنت قيس حينما سمعت نداء الرسول صلى الله عليه وسلم: (الصلاة جامعة) انطلقت لتسمع ما هو المطلوب منها^٣.

وقد سبق أن ذكرنا أن أم سلمة أشارت على الرسول صلى الله عليه وسلم فقبل مشورتها وكانت نعم المشورة^٤ كما أن أم سليم تشير على الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين^٥ وأن حفصة تشير على أخيها عبدالله يوم طعن عمر^٦، ويوم التحكيم بين علي ومعاوية حيث ألحت عليه بالالتحاق^٧، وكذلك دور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً في تثبيت ابنها عبدالله بن الزبير، وموقفها الجريء أمام الطاغية الحجاج، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كتاباً ومبراً (أي المهلك) أما الكتاب قرأناه، وأما المبر، فلا أخالك إلا إياه) فلما سمع

١. صحيح البخاري - مع الفتح - (٤٤١/٧) وصحيح مسلم - مع النووي - (١٢٢/٧)

٢. مسلم، كتاب الفضائل (٦٧/٧) مع شرح النووي

٣. صحيح مسلم - مع النووي - (٢٠٢/٨)

٤. صحيح البخاري - مع الفتح - (٢٥٧/٦) كتاب الشروط

٥. مسلم - مع النووي - (١٩١/٥)

٦. مسلم - مع النووي -

٧. مسلم - مع النووي - (٥/٦)

المرأة والمشاركة السياسية والديمقراطية في الإسلام ٩١

الحجاج هذه الكلمات قام عنها^١، ولم يستطع أن يرد عليها على الرغم من ظلمه وهينته^٢.

وأخيراً فإن قصة ملكة سبأ التي يذكرها القرآن الكريم في معرض المدح والتثناء والحكمة ورجاحة العقل، والمشورة والقوة والحزم لخير دليل على أن المرأة لا تحرم من المشاركة السياسية إذا توافرت الشروط الثلاثة التي ذكرتها.

١- البخاري- مع الفتح- (٤٠٦/٨)

٢- أبو شقة: المصدر السابق (٤٣٦/٢)

اوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي والموقف من التخطيط المعادي

الشيخ محمد علي التسخري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

قال تعالى : (من عمل صالحا من ذكرا أو انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)

إذا كان لنا أن نعرف التنمية الإجتماعية بتعريف عام، أمكننا القول: إن المراد منها هو (التحرك الإجتماعي الواعي المنظم، والمنسق على مختلف الاصعدة المادية، والمعنوية نحو الأفضل انسانيا).

وهذا التعريف يستبطن عناصر من قبيل:

١- الهدف الإنساني المتميز عن الاهداف الحيوانية الغريزية العمياء، وإنما تكتسب الحركة هذه الهدفية إذا كانت منسجمة مع تطلعات الفطرة الإنسانية ومؤشراتها.

٢- الحركة الارادية نحو هذا الهدف الإنساني، وهي متميزة أيضاً عن الحركة الحيوانية، لأنها حركة وعي وارادة وتعقل.

٣- التناسق والتنظيم، والتناسب بين كل الجوانب المادية والمعنوية من خلال هذه الحركة.

وهذا شرط اساس ، فالتنمية التي تهمل عنصر التناسب تصاب بتورم ونمو غير طبيعي في جانب أو جوانب، مع حصول الجوانب الأخرى الامر الذي يعرض المسيرة

الإجتماعية لاختلال التوازن - ومن بعد - التمزق أو التطرف.

٥- الإجتماعية في التحرك، بمعنى أن كل جزء من الأجزاء المكونة للمجتمع يجب أن يساهم في هذا التحرك وينمو من خلاله، وبمعنى أن الأثار التي سببها هذا التحرك يجب أن تنعكس على مختلف العناصر والمكونات الإجتماعية. فإذا اتسع نظرنا إلى العالم الإسلامي فإن هذه الأبعاد ستوسع باتساعه واتساع طاقاته الطبيعية و الإنسانية والإقتصادية وغيرها.

بعد هذه المقدمة احاول أن يكون حديثي في موضوعات مهمة على النحو التالي:

التنمية من وجهة نظر الإسلام

والتنمية من مختلف المجالات مما يؤكد الإسلام لتكون الأمة الإسلامية الأمة الوسط، والأمة الشاهدة حضارياً ولتستحق أن تكون حاملة للقب (خير أمة أخرجت للناس). ومن الجدير بالذكر أن هذا الواجب الحضاري يتطلب بذل أقصى الجهود لتحقيقه بحيث يعتبر واجباً كفائياً تعد الأمة جمعاء مسؤولة عن تحقيقه لو لم يرق البعض منها بتحقيقه وهذه حقيقة شرعية مهمة جداً.

وقد تكون تنمية الإنتاج هي مورد الإتفاق بين المذاهب كلها والهدف الذي يجب تحقيقه بالوسائل التي يقبلها المذهب الإسلامي دون ما يرفضها.

ويمكن أن نلمح هذا المبدأ من خلال تطبيق الإسلام له وتعليماته الرسمية وأروعها كتاب الإمام علي (ع) لحمد بن أبي بكر كما جاء في أمالي الشيخ الطوسي وقد جاء في هذا الكتاب:

((يا عباد الله إن المتقين حازوا عاجل الخير وأجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم

ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم... سكن الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، وشاركوا أهل الدنيا في دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون...))^(١).

وهذا الهدف مخلف بالإطار المذهبي كما يقول تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب

المعتدين)^(٢).

وسائل الإسلام في تنمية الإنتاج

أ. الوسائل الفكرية

حث الإسلام على التنمية، وربط كرامة الإنسان بها، وأصبح العمل عبادة والعامل للقوت أفضل من العابد، وقد رفع الرسول(ص) يد عامل مكسود فقبلها، وقال، ((طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة))^(٣). وقد قاوم الإسلام فكرة تعطيل بعض ثروات الطبيعة فقال تعالى: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)^(٤). وقال تعالى:

(وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور)^(٥). وقد فضل الإسلام الإنفاق الإنتاجي على الإنفاق الاستهلاكي فقد جاءت

(١) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص ٣٨٣ والامالي ج ١، ص ٢٥.

(٢) المائدة، ٨٧.

(٣) اسد الغابة ج ٢، ص ٣٦٩، وبحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ٩.

(٤) المائدة، ١٠٣.

(٥) المائدة، ١٥.

نصوص تنهى عن بيع العقار والدار وتبديد الثمن في الإستهلاك.^(١)

ب . الوسائل التشريعية: وهذه بعض الأحكام الإسلامية بهذا الصدد.

١- الأرض تنتزع لو عطلت حتى خربت.

٢- منع الإسلام من الحمى.

٣- ليس للأفراد الذين يبدأون عملية إحياء المصدر الطبيعي أن يتوقفوا عن

العمل والا إنتزع الحق منهم.

٤- لا يسمح لولي الأمر بإفطاع الفرد مصدرا طبيعيا إلا بمقدار ما يتمكن من

استثماره^(٢).

٥- يحرم الكسب بلا عمل كالإيجار بمقدار ثم التاجر باكير^(٣).

٦- تحرم الفائدة الربوية وهنا يحقق للإنتاج مكسبين هما:

الف - القضاء على التنافس المرير بين مصالح التجارة والصناعة. إذ ينتظر

الربويون - عادة - فرصة حاجة رجال الأعمال إلى المال لرفعوا سعر الفائدة، والعكس

بالعكس، فإذا ألقى الربا تحول الرأسماليون إلى الصناعة والإشتراك على أساس الأرباح.

باء - إن هذه الأموال سوف توظف في مشاريع ضخمة بعيدة الأمد. بخلاف ما لو

شرع نظام الفائدة، إذ سيقضل صاحب المال توظيفه في الربا لأنه مضمون وبتحاشي

الأقراض لمدة طويلة لنلا يفوته سعر الفائدة لو ارتفع، في حين يضطر المقرضون إلى

توظيف أموالهم في مشاريع قصيرة الأمد ليستطيعوا التسديد، ثم إنهم سوف لن

يقدموا على مشروع مالم يتأكدوا من ربحهم فيه وهذه معوقات في طريق التنمية

(١) وسائل الشريعة ج ١٢، ص ٤٤.

(٢) تلحرة الفقهاء، ج ٢، ص ٤-٤.

(٣) جواهر الكلام، ج ٢٧، ص ٢٢٢.

تؤدي إلى الأزمات وتزلزل الحياة الإقتصادية. أما بعد تحول الراي إلى تاجر فإنه سيرى المصلحة في المشروع وإن كان ربحه أقل، كما يرى ان الصالح ان يوظف الأرباح في مشاريع تجارية وهكذا تعمر الحياة الإقتصادية.

٧- حرم الإسلام القمار والسحر.

٨- منع الإسلام من اكتناز النقود عن طريق ضريبة على المكتنز من النقود الذهبية والفضية التي كانت الدولة الإسلامية تجري على أساسها وهي ((الركاة)) وهي تتكرر في كل عام، ويقتطع ربع العشر من المال، وهكذا حتى يبقى بمقدار عشرين دينارا وبهذا تندفع كل الأموال إلى النشاط الإقتصادي . والإسلام بتحريمه هذا استطاع أن يتخلص من مشاكل الرأسمالية الناشئة من شذوذ الدور الرأسمالي للنقد.

ولتوضيح ذلك نقول أن النقد بطبيعته هو أداة للتداول استعملت نتيجة لمشاكل المقايضة التي كانت تتولد عن مبادلة المنتجات بشكل مباشر فمثلا يعطي أحدهم الصوف ويأخذ الحنطة. وهذه العملية تواجه مشاكل لزوم توفر حاجة كل منهما لما لدى الآخر، ومشكلة زيادة قيمة إحدى المادتين على الأخرى، ومشكلة تقييم الأشياء، وهكذا جاء المال ليشكل المقياس العام للقيمة والأداة العامة في التداول، ولكنه حرف بعد ذلك وأستخدم في الإكتناز. فمع وجود المال تحولت عملية معاوضة الحنطة بالصوف إلى عمليتين للمبادلة مما اتاح لصاحب الصوف أن يؤجل شراء الحنطة ويدخر المال. وقد شجعت الرأسمالية الإذخار بتشريع الفائدة فاختل التوازن بين الطلب الكلي والعرض الكلي للسلع الإنتاجية والإستهلاك، بينما كان التوازن قائما في عهد المقايضة إذ المنتج لم يكن لينتج إلا ما يستهلكه أو يستبدله

بسلعة يستهلكها، بعكس عصر النقد الذي أصبح المنتج فيه ينتج ليبيع وليدخر فيتحقق هنا عرض بلا طلب مما يخل بالتوازن، ويزداد الإخلال كلما ازدادت الرغبة في الإدخار، ويبقى جزء من الثروة دون تصريف. وقد كانت الرأسمالية لا تدرك هذه العلاقة بين المشاكل والإكتناز إنسياقاً مع نظرية التصريف القائلة بأن البائع للسلعة لا يرغب في النفود لثباتها بل يبيع للحصول على سلعة تشبع حاجته فيتوازن العرض والطلب. ولكن هنا الفرض يختص بعصر المقايضة دون عصر النقد، وهنا ندرك الفرق بين الإسلام والرأسمالية^٧ فالإسلام يحارب الإدخار بفرض ضريبة عليه، والرأسمالية تشجعه بتشريع الفائدة. والإسلام إذ قضى على أهم مشكلة^٨ علم بأن المجتمع الإسلامي لا يضطر للإكتناز لتنمية الإنتاج وذلك بإنشاء المشاريع الكبرى عن طريق تجميع رؤوس الأموال الكبرى من قبل الأفراد - كما في المجتمعات الرأسمالية - وذلك لأن المجتمع الإسلامي يستطيع الاعتماد على حقوق الملكية العامة وملكية الدولة في ذلك.

٩- يحرم اللهو والمجون الذي يؤدي إلى تذويب الشخصية الجدية وتقاعسها عن العمل.

١٠- محاولة المنع من تركيز الثروة (لكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم)^(١). وهنا المنع وإن ارتبط بالتوزيع مباشرة ولكنه يرتبط بشكل غير مباشر بالإنتاج، إذ عندما تتركز الثروة في أيدي البعض يعم البؤس ويعجز الجمهور عن استهلاك ما يشبع حاجاتهم فتتكدس المنتجات بلا تصريف ويسود الكساد، وينقلص الإنتاج.

١١- التقليل من مناورات التجارة^(٢).

(١) الحشر، ٧.

(٢) الوسائل، ج ١٢، ص ٣٣٧.

١٢- منح الإسلام ملكية المال بعد موث المالك للأقرباء وهو الجانب الإيجابي للإرث مما يعتبر عاملاً دافعاً للإنسان نحو العمل، بل عاملاً أساساً في أواخر الحياة.

١٣- قرر الإسلام الضمان الاجتماعي وله دوره في القطاع الخاص من حيث أن احساس الفرد بذلك يعطيه رصيماً نفسياً من الشجاعة، ويدفع به إلى مختلف ميادين الإنتاج والإبداع ولولا ذلك لكان يحجم عن كثير من ألوان النشاط.

١٤- حرم الإسلام القادرين على العمل من الضمان الإقتصادي ومنعهم من الإستجاء^(١).

١٥- حرم الإسراف والتبذير وهنا يحد من الإستهلاك ويهيء الأموال للإنتاج.

١٦- أوجب على المسلمين كفاية تعلم جميع الفنون والصناعات التي تنتظم بها الحياة.

١٧- بل أوجب عليهم الحصول على أكبر قدر ممكن من الخيرة في مختلف لأموال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهي عامة تشمل كل ما يتصل بشؤون تمكين الأمة من قيادة العالم.

١٨- مكن الدولة من قيادة كل قطاعات الإنتاج، فالدولة بإمكانها وسلكتها تشكل نموذجاً موحها للحقول الأخرى^(٢).

١٩- منح الإسلام الدولة القدرة على تجميع عدد كبير من القوى البشرية العاملة الفائضة عن حاجة القطاع الخاص مما يجعل جميع الطاقات تساهم في حركة الإنتاج^(٣).

(١) الوسائل، ج ٦، ص ١٥٩.

(٢) ن ٣٠، ج ٦، ص ٣٧٠.

(٣) جواهر الكلام، ج ٢٧، ص ٦٠٤.

٣٠- وأخيراً فللدولة الحق في الإشراف على الإنتاج وتخطيطه مركزياً لتفادي

القوضى^(١).

دور المرأة في عملية التنمية الاجتماعية :

والمرأة تارة ننظر إليها بوصفها إنساناً فعالاً في عملية التنمية، وأخرى نركز عليها بمآلها من خصائص تنفرد بها باعتبارها الأم والابنت والأخت والزوجة، وهي بهذا الاعتبار تمتاز عن الرجل بما تحمله من طاقات عاطفية متميزة، وقدرات تكوينية مؤثرة، ومن ثم ما تحمله من وظائف اجتماعية فريدة.

فإذا نظرنا إليها بوصفها إنساناً نشطاً في عملية التنمية، وأخذنا بعين الاعتبار حقيقة (أن الإنسان هو محور التنمية)، ومقولة أن (التنمية المستمرة هي تلك التي تحقق انسجاماً متوازناً بين مجموع عناصر التنمية، والأسس التحتية للثقافة المعنوية التي تعمل في مجال إسقاطاتها)، وأدركنا بعد ذلك أن مكونات القطرة الإنسانية هي أهم هذه الأسس وأعمقها في وجود الإنسان، بل بدونها يفقد الإنسان هويته ويتحول إلى (شيء) لا نستطيع أن نتحدث عن (حقوقه) أو (نموه الاجتماعي)، أو (حركته العادلة)، أو (أخلاقه)، أو حتى (بقائه الحضاري)، وأضفنا إلى كل هذا حقيقة أخرى هي أن الدين (الذي يستمد أصوله من منابع فطرية) هو الصيغة الأكمل التي وضعها خالق الإنسان ليحقق من خلالها تكامله المادي والمعنوي المسجّم، وأن الدين وحده هو الذي يستطيع أن يمنح هذه المسيرة ثباتاً في الهوية والشخصية، وإطمئناناً في القلب، وأملاً دافقاً بالمستقبل، كما يستطيع أن يحل

(١) لاصول للكافي - ج ١، ص ٤٠٥.

الإشكالات الإجتماعية الكبرى من قبيل حل التضاد الدائم بين حب الذات والأنانية، والعمل لصالح المجتمع ونسيان الذات في سبيله، وحل التناقض بين اتجاهات (الإلحاد) واتجاهات (الايمان المفرط بالأمور النسبية أو مايسمى بالشرك). إذا أخذنا بعين الإعتبار كل هذه الحقائق الكبرى أدركنا أن المرأة الإنسان هي محور التنمية وركنها الركين، ولن تستطيع أية عملية تنموية أن تحقق صدقاً مع ذاتها ومدعياتها، إلا إذا طورت الحس الإنساني والفطري في وجود المرأة، وأعطتها مكانتها الإنسانية الطبيعية، ورفعت من البين كل عناصر التفريق - من الجانب الإنساني - بين الرجل والمرأة، ومنحتها الدور الإنساني المتساوي في هذا المضمار، ثم عانت لتستفيد من هذه الطلاقة الإنسانية الخيرة لصالح المجموع بأفضل أسلوب.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المرأة إن تاصل الثبات في شخصيتها، والأطمئنان في قلبها، والأمل بالمستقبل في وجودها منحت كل المسيرة الإجتماعية طاقة كبرى، وهيات لها كل مقومات المسيرة الصالحة.

المرأة ودورها بملاحظة خصائصها :

وإننا عدنا وركزنا على خصائص المرأة التي تميزها عن الرجل، فسنجد أن خصائصها لا تغير مطلقاً من قيمتها الإنسانية بل تزيد عليها، وإنما ترك أثرها الوظيفي في البين، بمعنى أن هناك تقسيماً طبيعياً فنزته الرحمة الإلهية بين وظيفة الرجل ووظيفة المرأة، في عملية التنمية الإجتماعية بل الفردية أيضاً.

فالمرأة الزوجة والمرأة الأم لهما دوران متميزان عن دور الرجل الزوج، والرجل الأب يلازيم، إلا أن هذين الدورين متكاملان تماماً بحيث لا يمكن أن تستغني الحياة

عن هذين الدورين، بمقدار عدم امكان استبدال احدهما بالآخر تماماً.

بعد هذا نقول: إن للمرأة أثرها الكبير - بهذا الاعتبار - على عملية التنمية ايضاً، ومهما تعددت علل التنمية فشملت (العلل الفاعلية، والعلل الغائبة، والعلل الصورية بالاضافة للعلل المادية)، فإن اسقاطات دور المرأة يبقى لها أكبر الأثر في هذا المجال.

ذلك أن المرأة تستطيع أن تترك أثراً كبيراً، نذكر منها على سبيل المثال مايلي:

١- اعداد وتهيئة وتوفير البيئة العائلية السليمة، وهي بهذا - لو وفقت فيه - تستطيع أن تضع الحجر الاساس لمجتمع إنساني سليم ثابت الجأش قوي القلب، منشد للمستقبل.

وبدون هذا سيبقى المجتمع ممرقاً عاطفياً، ومهلهلاً معنوياً تنفثى فيه الجريمة، ويعبت فيه الكسل، ويفقد صفته الخلاقة شيئاً هيناً.

فالزوجة الصالحة والام الصالحة هما قوام الحياة العائلية الصالحة، وهذه بدورها هي قوام المجتمع الصالح (كما تؤكد ذلك النصوص الإسلامية).

٢- توفير الجو المناسب لتربية الجيل القوي الفاعل.

وقد قلنا: إن الإنسان الصالح هو محور التوسعة، وهو يحتاج إلى عملية تربية مستمرة تفجر فيه طاقاته، وترز فيه مكوناته الذاتية، وهي لا تتفجر ولا تبرز عشوائياً وتلقائياً، وإنما تحتاج إلى عملية تربية وجو تربوي مناسب.

ولا ريب أن للمرأة أعظم الأثر في تربية العناصر الإنسانية، ووراء كل عظيم امرأة - كما يقولون - بل ما أكثر العظماء النساء في تاريخنا الطويل.

٣- الاعداد لجو وبيئة حماسيين عاطفيين من خلال الاستعداد الطبيعي للمرأة، لتسد به هذه الحاجة الضرورية للإنسان من جهة، وتوفر له الحالة الحماسية

الضرورة لتخطي العقبات وصنع تنمية إجتماعية مستدامة من جهة أخرى. أما المجتمع الذي يخلو من هذه الحالة العاطفية والحماسية فهو مجتمع خامد، وبيئة جامدة ربما تتقدم في بعض المجالات المادية إلا أنها تفقد الصفء الإنساني المطلوب، ومن بعد تفقد القدرة على ايجاد التنمية المتوازنة.

ومن هنا يظهر جلياً أن المرأة لها دور كبير في توفير الجو العائلي النظيف. وأن العائلة وتشكيلاتها بما لها من مفهوم كلاسيكي معروف لدى المجتمعات والاديان كلها، هي حجر الزاوية في عملية التنمية.

كما يظهر أيضاً أن أية ضربة توجه لدور المرأة في البناء العائلي المشاء إليه، وأي تقليل من اهمية الرباط العائلي المقدس، أو محاولة لطرح مفاهيم جديدة، وادعاء مصاديق عصرية له، أو اضعاف روابطه، أو ايجاد بديل مزعوم له، كل هذه المحاولات ترك اعظم الأثار السلبية على مستقبل الإنسانية جمعاء، وتفقدته الحركية التنموية المطلوبة، بل هي تآمر واضح على كل الوجود الإنساني حتى ولو جاء هذا التآمر تحت غطاء الخدمة الدولية لعملية التنمية.

وهنا يجب ان نلاحظ ان الإسلام اسهم المرأة في عملية التنمية بشكل كبير.

* * *

المرأة المسلمة والتحديات العالمية

إننا نشهد اليوم حركة لا تهدأ، مؤتمرات وندوات علمية، ودراسات شاملة تقام هنا وهناك. كل ذلك لمواجهة القرن الحادي والعشرين و تحدياته المتنوعة. الدول بمؤسساتها الكثيرة والمنظمات الدولية بل وحتى المؤسسات الخاصة،

المشروعات التجارية، والإعلامية من همكة اليوم في مجال تقييم حالتها العشرينية استعداداً للانطلاق إلى القرن التالي، وربما تجاوز الأمر الحالة القرنية ليصل إلى الحالة الألفية فنحن ندخل في الألفية الثالثة وإذا كانت الدول لتقييم مسيرتها بالتقييم الألفي فإن الإنسانية بلاشك يجب أن تقيم مسيرتها الألفية حضارياً.

ومما يؤسف له أن البشرية ليست على مستوى التقييم الألفي، ولم تصدر أية دراسة تتحدث عن خصائص الألفية الثانية وحوادثها لتنتقل إلى تحديات الألفية الثالثة وكيفية مواجهتها. ولم تفكر الأمم المتحدة بهذا العمل وكأنها (أي البشرية وأمها المتحدة) تجد نفسها عاجزة عن هذا العمل العظيم نظراً لسرعة التحولات وتنوعها وانقلاب الموازين والمفاهيم. فحتى النمو الإنساني الذي استغرق انتقاله من المليار الأول إلى الثاني ١٢٣ سنة لم يستغرق انتقاله من الخامس إلى السادس سوى ١١ عاماً ولم تعد الأرقام تكفي بحددها المتعارف لتحسب مستوى التحولات المئوية فإن الأرقام مثلاً تتحدث عن تبادل العملات الصعبة ومضارباتها بمستوى الألف وخمسمائة مليار دولار في اليوم، الأمر الذي يترك اقتصاديات الدول في مهب التلاعب الطامع حتى ولو كانت من أمثال النمرور الآسيوية القوية، وحتى التكنيك المتقدم للحاسوب والذي ينظم سير الطائرات والصواريخ وحركة الصناعة والتجارة أمكن التلاعب به عبر قدرة فيروسية تسحق كل قدراته وتلاعب بمقدراته. ومن هنا يقف العالم عاجزاً أمام تقييمه لألفيته الثانية فضلاً عن قدرته على التخطيط لمواجهة الألفية الثالثة والدخول بخطى قوية حكيمة ونظرة واعية بعيدة.

الموقف القرآني الكريم :

والحقيقة التي تتجلى يوماً بعد يوم هي عجز الإنسان وضعفه مهما بلغ من القوة أمام خالقه العظيم الذي تتصاغر أمامه الألفيات حتى تعود أياماً.

(وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون)^(١)

(في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)^(٢)

ويعود عمر الإنسان كله ساعة من نهار؛

(كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار)^(٣)

وهكذا يشعر الإنسان بحاجته إلى الرؤية الكونية التي تتجاوز الفيات التاريخ.

إن القرآن يحلل التاريخ مرجعاً آياه إلى خطين :

خط خلافة الإنسان: (ثم جعلكم خلائف الأرض) وخط التدخل الرباني لهداية الإنسان وهو خط الشهادة (وكلذك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فالرسول هو الشهيد على الأمة الإسلامية. والأمة الإسلامية هي الشهيدة على مسيرة الحضارة الإنسانية نحو تحقيق مقتضيات الخلافة الالهية. ثم إن القرآن عندما يحلل مصائب التاريخ يرجعها إلى أمرين: الإلحاد أو عدم الإيمان بأية قيمة، والشرك وهو الإيمان بالالهة الوهمية التي تحولت من تسيبات إلى مطلقات (ما تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان)^(٤) ويأتي دور الأنبياء ليحلوا هاتين المشكلتين. يقول تعالى:

(١) الحج، ٣٢.

(٢) المعارج، ٧٠.

(٣) الاحقاف، ٤٦.

(٤) يوسف، ٤٠.

(ولقد بعثنا من كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) لتنتفي
المشكلتان معاً. وهكذا فإن علينا كمسلمين ان نعود الى قرآننا العظيم اذا اردنا ان
نقيم المسيرة تقييماً يمكنه ان يستوعب التاريخ وان نستعد لسيرة يمكنها ان
تستوعب الألفيات المقبلة.

بعد هذا لنعد الى التحديات التي تواجه المرأة المسلمة اليوم ويمكن ان نصنفها على
النحو التالي:

١. التحديات الإجتماعية العائلية :

ودون حاجة الى الإستدلال نجد اليوم تخطيطاً عالمياً لمحو الدور العائلي للمرأة من
خلال المناداة بشعارات التحرير والتطوير وضرورة تغيير تعريف العائلة ودورها
الإجتماعي، وتغيير نوعية العلاقة بين المرأة والرجل في المحيط العائلي الى ما
يتصورونه من المساواة في جميع الأحوال وبالمقياس المادي الحسابي دون أي لحاظ
للإعتبارات الأخرى وكان المساواة هي القيمة العليا التي لا تتعارض معها أية قيمة
أخرى.. وحتى عندما كنا نقترح في بعض المؤتمرات الدولية أن نقيدها بالعدالة او
الإنصاف كان المخططون يرفضون ذلك بكل اصرار معتبرين ذلك ذريعة لظلم المرأة
باسم العدالة.

أما الحقيقة القرآنية فهي تؤكد ما يلي :

أولاً: ان البناء العائلي بمفهومه المتداول بين الأديان والمجتمعات هو لبنة البناء
الإجتماعي ولا يمكن تصور قيام مجتمع إنساني الا عبر تصور اللبنة العائلية، بها
بدأت المسيرة الإنسانية وبها تستمر، وعلى اساس منها وافترضها يأتي التشريع

الإجتماعي ويقوم البناء التنظيمي، ويجب أن يحافظ المجتمع عليها وينميتها ويسد كل سبل الإشباع الغريزي من خلالها:

(وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً)^(١)

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها)^(٢)

ثانياً: إن المرأة تشكل حجر الزاوية في البناء العائلي، وإن الجنة تحت اقدام الامهات وإنها يجب أن تقوم بالدور العاطفي الكبير لتربية ابناء، وتحويل البيت إلى جنة لزوجها واطفالها، جنة الرحمة والسكينة والعفاف.

ثالثاً: ان المسؤوليات توزع بين اعضاء العائلة تبعاً لمقتضيات العدالة الإنسانية. والدور الإنساني لكل عضو وفقاً لتصور وقيم مذهبية تنسجم مع مجمل النظرية الإجتماعية الإسلامية. وهذه المسؤوليات هي تارة اقتصادية واخرى تربوية وثالثة قيادية. فإن على المرأة المسلمة دائماً وفي كل عصر ان تستعيد القيم العائلية، وتنميتها وتفضلها على أية قيم اخرى حتى توفر أرضية التنمية الإنسانية المستدامة.

٢. التحديات الثقافية:

ونظراً لتعريف الجامع للثقافة والذي يعني التهذيب العلمي والأخلاقي والفكري، وبملاحظة الطبيعة الأنثوية لها والقدرة التي تمتلكها في المجال الإنساني باعتبارها انساناً يستطيع أن يتكامل على خط الفطرة ويملاً الجو الإجتماعي بالعاطفة الإيمانية، والتقوى والعفة، بل وينتقل بالإيمان العقلي إلى الوجدان بل الوجود الإنساني كله تحقيقاً لقوله تعالى: (ألم يكن أمنوا ان تضع قلوبهم لذكر

(١) الفرقان، ٥٤.

(٢) الروم، ٢١.

الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فآلأ عليهم الأمد فقست قلوبهم
وكنتم منهم فاسقون).^(١)

فمن المرأة لها تأثيرها الكبير في المجال الثقافي.

هذا من جانب ومن جانب آخر تمتلك المرأة القدرة الأخرى التي يمكنها بها أن
تخرج هي وتخرج المجتمع عن خط الفطرة إلى خط الفسق والانحراف والتمزق.
ومن هنا عادت غرضاً لأعداء الأمة والطامعين في سلبها شخصيتها المتماسكة،
واستغلالها لتحقيق مآربهم المشؤومة. كما لاحظنا ذلك بوضوح في هذا القرن
المنصرم. وعليه فإن على المرأة المسلمة أن تعد العدة لتكاملها العلمي والفكري
والاخلاقي وبالتالي التأثير على مجمل المسيرة الإجتماعية التأثير الإيجابي المطلوب
لتعود مثلاً يحتذى به (ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي
عندك بيتاً في الجنة ونحني من فرعون وعمله)

وذلك عبر الذوبان في الحب الإلهي والتخلص من فرعون الذات واللذات وطلب
الاستغلال بظل العندية الإلهية فعادت هذه المرأة الطاهرة مثلاً لكل الذين آمنوا عبر
التاريخ كله.

ولأمر ما نجد القرآن الكريم يؤكد على تساوي الجنسين في عملية التكامل. وفي
مواضع عديدة إذ يقول تعالى:

(إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى)^(٢)

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة)^(٣)

(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم)^(٤)

(١) الحديد، ١٦.

(٢) آل عمران، ٣.

(٣) النساء، ٤.

(٤) الحديد، ١٣.

أرقام المرأة المسلمة ومورها الاجتماعية، والتوقف من التخطيط المعادي ١١١

(ان السلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين و الصابرات والخالسين والخالصات والتصنفين و التصنفات و الصائمين والصائمات والحافظين لفروجهن والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً).^(١)

ان هذا الاصرار وهذا التكرار انما هو لتقرير حقيقة المساواة على طريق التكامل الإنساني ونفي اي تمايز انساني بين الرجل و المرأة وتأكيد دورهما المشترك في عملية البناء. فالمرأة المسلمة مدعوة لاتخاذ دورها الثقافي المناسب واثراء الفكر الإسلامي بكل ما يؤهله لصنع امة صاعدة.

٣. التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية:

رغم القدرات التي تمتعت بها المرأة عبر التاريخ في المجالات السياسية والاقتصادية - وقد حدثنا القرآن عن بعض منها موضعاً العبرة فيها - الا ان المرأة ظلت والى عهد قريب جداً على المستوى العالي محرومة من التمتع بحقوقها الإنسانية الاجتماعية بفعل ظروف خاصة بها بل ظلت محرومة حتى في ظل السيطرة الإسلامية . مع الاسف . رغم ان الإسلام منحها حقوقها الاقتصادية كاملة وأوكل اليها كما اوكل إلى الرجل مسألة الولاية للتبادلة.

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض)، (وامرهم شورى بينهم)

وتحملت إلى جانب مسؤولية الخلافة الإنسانية منذ البدء حيث آدم وحواء (عليهما السلام) الا أنها بقيت بعيدة عن القرار السياسي بفعل بعض الموروثات

(١) الاحزاب ٣٥.

وربما بعض الاستدلالات الناقصة في رأينا..

وان عليها اليوم ان تستفيد من حقها الطبيعي في المشاركة في البناء السياسي والاقتصادي للمجتمع بما لا يتنافى مع وظائفها الإجتماعية الأخرى، ولا يخذل جانب العفة الإجتماعية.

ان الامة الإسلامية اليوم محرومة من كثير من الطاقات النسائية التي تستطيع صنع المستقبل الرابع، وان عليها ان تواجه تحدي الاقصاء السياسي والاقتصادي وتدخل إلى الساحة والمعتك بكل قوة ونشاط لتحمل مسؤولياتها قبل ان تتجه بروح استيفاء حقوقها المشروعة.

ما الذي يمنع المرأة المسلمة المفكرة ان تساهم في صنع القرار السياسي، وما الذي يمنعها من صياغة السوق الاقتصادية ودفع عملية الانتاج إلى الامام؟

ان تاريخنا الإسلامي يزخر بالنساء اللواتي صنعن التاريخ وكفى المرأة فحرا انها ساهمت في توفير الجو الصالح لانطلاقة الرسالة من مكة ولولاها لما امكن لنبية الإسلام ان تنمو و تترعرع.

وان القرآن ليحدثنا عن بلقيس ملكة سبأ وحكمتها وتشاورها وقرارها الحكيم وقد كانت المرأة الطليعة في صنع التغيير السياسي الكبير في ايران فالمرأة المسلمة ادن يجب ان تساهم في صنع البناء الإجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع إلى جنب اخيها الرجل وتحمل عبء الولاية المتبادلة لتحقيق هدف الخلافة الإنسانية.

التحدي الدولي :

المسؤولية الدولية ضرورية، وقد اهتم القرآن الكريم بقضية المظلومين والمستضعفين منذ انطلاقاته الكبرى ووجه هم المسلمين إلى الأرض كل الأرض حتى حيثما كان المسلمون في اشد الضعف واعتبر رسالته عالمية (وان يكاد الدين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لحنون وما هو الا ذكر للعالمين) انه يخاطب الإنسان ويعتبره مسؤولاً عن الكيان البشري على عرضه العريض.

الا ان تشكيل المؤسسات الدولية هو تشكيل حديث، وربما املته ضرورة استعمارية لحفظ توازن القوى او المتاحرة بالرأي العالمي او حتى لمنع المحرومين من الثورة كما يبدو من العبارات التي تير الاعلان العالمي لحقوق الإنسان نفسه. وما زلنا نشهد الدول الكبرى تستغل المحافل الدولية لتفرض ارادتها على الشعوب وتستمد منها مشروعيتها وتسوق فيها شعاراتها البراقة.

والذي يهمنا من هنا الموضوع انها بدأت تستغل موضوع المرأة وحقوقها المغتصبة والظلم الواقع عليها لصالح فرض مفاهيمها التحليلية ولا اخلاقيات المنحطة على كل الشعوب وخصوصا شعوب العالم الثالث باعتبار ذلك تنفيذا لقرارات دولية تستفيد هي من قدرتها الاقتصادية ونفوذها العالمي لصياغتها واقرارها، لتحقيق الكثير من اهدافها المعادية للانسانية من قبل تغيير تعريف العائلة، وقسح المجال لما يسمى بالحرية الجنسية، وتعميم ما يسمى بالحقوق الجنسية للشباب، وكذلك فتح باب التعليم الجنسي الاباحي وامثال ذلك،

والمرأة المسلمة هنا مدعوة عبر جهودها الشخصية او جهودها المنظمة بشكل

منظمات غير حكومية اهلية او اقليمية او دولية مدعوة للوقوف بوجه هذا التحرك الهدام بل واستغلاله للاتجاه الايجابي دفاعاً عن حقوق المرأة واعلاناً لشانها تحقيقاً للجو المناسب لتشاطعاتها في صنع المسيرة الحضارية.

فالمرأة المسلمة اذن تحمل مسؤولية انسانية في التصدي لحاولات استغلالها وتحويل الجهود الدولية لصالح البناء الإجتماعي الإنساني الحضاري.

المحاولات الدولية في مجال التنمية الإجتماعية :

لا ريب في ان عملية التنمية استأثرت من أنشطة الأمم المتحدة بالحظ الوفير، وخصوصاً في السنوات الاخيرة، وعقدت لها مؤتمرات دولية على مختلف المستويات . كمؤتمر بخارست ١٩٧٤، ومؤتمر مكسيكو سيتي ١٩٨٤ ومؤتمر القاهرة ١٩٩٤ ومؤتمر كوبنهاجن عام ١٩٩٥، وغيرها من الإجتماعات الدولية. وخصوصاً تلك المعقدة لدراسة حقوق المرأة بالخصوص كمؤتمر نايروبي ومؤتمر بكين. وكان التركيز على دور العائلة في عملية التنمية ملحوظاً تماماً في كل الإجتماعات الدولية.

إلا ان الملاحظ في مختلف الوثائق المقترحة أنها نظمت تنظيماً يبعدها عن المسيرة المتوازنة، وينسيها دور الدين في الحياة، ويتغافل اثر العناصر المعنوية في هذا الصدد. بل يفسح المجال لاستغلالها سلعة والعوبة وتمييع المجتمع بها وتفكيك الروابط العائلية وفسح المجال لعمليات الاجهاض القاتلة.

وكانت وثيقة القاهرة المقترحة على مؤتمر السكان والتنمية القنبلة الضخمة التي فجرت الوضع. ورأى المخلصون التامر الاستعماري الواضح على كل القيم والمقدسات الإنسانية، لأنها سعت إلى تفكيك الروابط العائلية، وطرح مفاهيم

متنوعة للعائلة، وفسح المجال لعلاقات وروابط خارج الاطار العائلي. وقد حضرت هذا المؤتمر على راس الوفد الإسلامي الإيراني على أمل ان نترك اثراً ايجابياً على الوثيقة وهذا ما حدث، اذ رغم عدم التنسيق بين مواقف الدول الإسلامية - التي حرّم البعض القليل منها حضور المؤتمر - ورغم قوة الضغط الغربي المعادي للإسلام، فقد استطعنا تشكيل مجموعة اسلامية قوية تعاونت مع المجموعة المسيحية الدينية واستطاعت ان تغير عشرات المصطلحات والمواقف في الوثيقة من قبيل حذف مصطلحات (الحق الجنسي) و(العلاقات الأخرى غير علاقات الزواج) وحذف عنصر الالتزام في الوثيقة، وكذلك تعديل المادة التي تسمح بالاجهاض وغير ذلك، وقد القيت في الإجتماع الدولي خطاباً اكدت في على الحقائق التالية:

اولاً، اننا إذ نحاول تنظيم التحرك السكاني في اطار من التوسعة المطلوبة علينا قبل كل شيء ان ننظر الى الإنسان بكل ابعاده المادية والمعنوية ليكون تخطيطنا متنسجماً مع فطرته الإنسانية وموقعه من الكون. وفي هنا الصدد تعتقد ان هذه المشكلة الإجتماعية لانكمن في عدم استجابة الامكانيات الطبيعية لمعدلات النمو السكاني بل هي تنبع من عدم الاستثمار الجيد لهذه الامكانيات وانماط الظلم في توزيعها، يقول القرآن الكريم بعد ان يذكر النعم الالهية الكثيرة، (ولتاكم من كل ما سألتموه وان تعملوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار)^(١).

ثانياً، ان ملاحظة الواقع الإنساني عبر التاريخ وما تقررره الشرائع الالهية في نظرياتها الإجتماعية تؤكد ان الكيان العائلي يشكل حجر الزاوية في البناء الإجتماعي، وان اي تحرك يوهن من استحكامه او يطرح بديلاً عنه يشكل ضربة

للمسيرة الإنسانية الأصيلة. ولكن هذا لا يعني مطلقاً ان لاندلجاً إلى تنظيم هذا الكيان بالاساليب المشروعة فذلك جزء من تحكيمه وتوجيهه.

ثالثاً: ان للمرأة باعتبارها نصف المجتمع الإنساني دورها الاساسي في صياغة البناء الإجتماعي والسياسي ويجب بكل تأكيد ان تلعب دورها بكل ثقة ودونما اي حط لكرامتها او امتهان لقدراتها الإنسانية.

رابعاً: ان اية خطة واقعية لاقامة تنمية مستقرة لايمكنها ان تتغافل دور القيم الاخلاقية والعقيدة الدينية في تحكيم اسس التنمية والانسباع المتوازن لمتطلبات الإنسان باعتباره محور الاعمار. فلا بد اذن من التاكيد على هذه القيم والعمل على دعمها ونقي كل ما ينافيها.

خامساً: ان مبدأ التساوي في امكانية الاستفادة من الخبرات الطبيعية وهي هبة الله تعالى ليدعونا جميعاً للعمل على تحقيق تقارب كبير بين مستويات العيشة، وعلى المستوى العالي. الامر الذي يحمل الدول الفنية عبئاً كبيراً لتحقيق هذا الهدف الكبير بحيث لايمكنها التنصل عنه ان شاءت تحقيق الاندماج الإنساني المطلوب.

سادساً: ان حقوق الإنسان كما تقررها الوثيقة العالمية والوئائق الأخرى كالوثيقة الإسلامية تجب مراعاتها بشكل دقيق، الا ان من الطبيعي التاكيد على انه لا يحق لاية دولة او مجموعة ان تحمل مفهومها عنها على الدول الأخرى او تحاول الاستهانة بالعناصر الثقافية والدينية التي يحملها الآخرون بذريعة فهمها هي، بل يجب الوصول إلى تعريفات مشتركة مقبولة يمكن من خلالها تشخيص الحقيقة دونما اي تحميل، ولتكون الوئائق معتمدة عن بصيرة ودقة فلايمكن استغلالها بسهولة.

اما مؤتمر بكين الرابع للمرأة فرغم انه كان يعلن استنهاقه لتمكين المرأة واسهامها في عملية التنمية رافعا شعار (التساوى والتنمية والسلام) فانه اكمل رسالة مؤتمر القاهرة التخريبية، بل اجهز على ما قدمناه هناك من اصلاحات، وراح من جديد يؤكد على ما يسميه بالحقوق الجنسية وماهي في الواقع الا محاولة تفكيك الروابط العائلية وحذف عنصر المرأة من عملية التنمية .

الجانب الايجابي :

- الآن ان التاكيد على ضرورة الاعتناء بالنساء ولزوم سلامة الحمل في نفسه امر سليم ويجب الاعتناء به نظرا لانه في كل عام:
- ٥٨٥/٠٠٠ امرأة تموت نتيجة عوارض الحمل.
- ٢٠٠/٠٠٠ امرأة تموت نتيجة عدم الاستفادة الصحيحة من مواعيد الحمل.
- ١٢٠ إلى ١٥٠ مليون امرأة لاتستطيع الحصول عليها ان ارادت.
- ٧٥ مليون امرأة تحمل حملا غير مرغوب فيه.
- ومن كل ١٧٥ مليون امرأة حامل تسقط ٤٥ مليون حملها.
- وهناك ٢٠/٠٠٠ امرأة تعاني من اسقاط غير مأمون للحمل وعدد غير معلوم من عوارض الاسقاط.
- وتموت مليون امرأة نتيجة التهابات المجاري التناسلية.
- وهناك ٣٣٢ مليون حالة مرضية تنتج من الامراض العديدة عن طريق الاتصال الجنسي كما انه يوجد في الكثير من الاقطار حوالي ٦٠% من النساء التي تحمل امراض الاتصال الجنسي العديدة وهي مستعدة للتعرض لمختلف الامراض.

١١٨ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي

- وفي سنة ١٩٩٦ ابتلي ٣ ملايين بفيروس الايدز وبلغ عدد المصابين ٤٠ مليوناً.
- وقد اهتمت ٦٠ مليوناً بنت في الاحصاءات نتيجة الترويج الجنسي للذكور على البنات.

- كما ان هناك مليوني بنت تعرض كل عام في سوق الدعارة.
- وتوجد ٦٠٠ مليون امرأة تعاني من الامية في حين يعاني ٣٣٠ مليون من الرجال منها.

وغير ذلك^(١) مما يتطلب بذل رعاية خاصة للأمر. والواقع ان تأمين هذا الجانب يعني مراعاة لحق الحياة الذي يؤكد عليه الإسلام كثيراً ومن هنا نعتبر ما جاء في وثيقة القاهرة: الفصل، البند ٤،

ان تقوية العائلة الجنسية، واقتدار النساء، وحذف انماط العنف في حقهن وتمتعهن بحق تنظيم حملهن من الاسس المبدئية لتنظيم السكان والتنمية. نعتبر ذلك امراً صحيحاً ويجابياً تماماً.

ومن هنا فقد حاولت الجمهورية الإسلامية تنفيذ الجوانب الايجابية فيه بالاضافة الى انها كانت قد خطت من قبل لتمكين المرأة من استرجاع حقوقها الطبيعية والمساهمة الفعالة في عملية البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغير ذلك.

ومن البرامج التي نفذتها في مجال تحسين حالة العائلة وصحة النساء والاطفال.
١ - الاهتمام الصحي بامور الولادة وتنفيذ برامج صحية متنوعة فهبطت نسبة الوفيات من المواليد في السنة من ٩٠ بالالف عام ١٩٧٨ إلى ٢٨ بالالف.

(١) يراجع مقال الدكتور ملك الضلي في مجلة (صحة العائلة) الايرانية العدد ١٤ السنة الرابعة.

- ٢- تنفيذ برامج اجتماعية غير اجبارية لتنظيم النسل لتحويل نسبة النمو في السكان من ٣/٢٪ إلى ١/٤٪ خلال مدة عشر سنين.
 - ٢- ادغام خدمات تنظيم العائلة في نظام المراقبة الصحية للبلاد.
 - ٤- تشجيع الشعب للأقبال على محو الامية والتعلم ليصل الأمر إلى تمتع ٧٠٪ من النساء في سن الخامسة عشر فما بعد بنعمة القراءة والكتابة.
- هذا وقد ادى تنفيذ هذا البرنامج إلى منح الجمهورية الإسلامية الإيرانية جائزة عام ١٩٩٨ لتنظيم السكان من قبل الأمم المتحدة^(١)
- هذا بالإضافة لبرامج تمكين المرأة من الحضور في مختلف الصعد الاعلامية والسياسية والاجتماعية والبرلمانية والاجتماعية والمدنية وغير ذلك.

دور المنظمات الشعبية في تحقيق الاهداف الدولية

وقد خطت البشرية خطوات واسعة على طريق ايجاد تشكيلات دولية شاملة تعمل على حل مشاكلها، وتحقيق تفاهم ممكن بين اعضائها، وتحاول الوصول إلى طروحات عالمية تترك آثارها الايجابية على المستوى العالمي.

ولقد تم انشاء الأمم المتحدة كإوسع منظمة دولية بمالها من منظمات فرعية في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية، والصحية، والتجارية وغيرها.

كما تم انشاء حركة عدم الانحياز في مجال اضيق، ومنظمة المؤتمر الإسلامي في اطار العالم الإسلامي.

وهناك منظمات وتجمعات دولية كبرى اخرى لها اثرها الكبير في المسيرة.

الا ان أكثر المنظمات الدولية مازالت مبتلاة بنقاط كبرى تمنعها من تحقيق اهدافها الإنسانية ويمكننا ان نشير الى بعضها فيما يلي:

١- ان قرارات هذه المنظمات انما تحقق في احسن الحالات مصالح الحكومات وتوجهاتها، ولا ضمانة فيها لتحقيق اهداف الجماهير. على انها في الواقع انما تحقق مصالح القوى التحكمة في هذه المنظمات، ان لم نقل انها انما تحقق مصالح القطب الواحد المتحكم اليوم فيها

٢- ان واقع الحال المشاهد في هذه المنظمات يقضي بانها في كثير من الاحيان تقع تحت تاثير اتجاهات معادية للإنسانية كالاتجاهات الصهيونية والاتجاهات المادية الالحادية وغيرها الامر الذي يعود باعظم الخسائر على المسيرة الإنسانية.

٣- كما ان التأمل في قراراتها يكشف لنا أحيانا عن قيام هذه المنظمات باشباكات كاذبة لتطلعات الجماهير دون ان يكون وراء الشعارات المرفوعة واقع مؤثر. وذلك كما في قرارات حقوق الإنسان، ومحاربة العنصرية، والدفاع عن حقوق المرأة، وتنظيم عملية التنمية الإجتماعية وغيرها. في حين اننا نجد في هذا المجال تكيل بمكاييل متعددة حسبما تفتضيه المصالح الضيقة. على ان القرارات الحقيقية تبقى حبرا على ورق مالم تتفق مع مصالح القوى الكبرى.

وغير ذلك من النقائص الشهودية.

ومن هنا ك فاننا نجد مجالا واسعا لقيام المنظمات غير الحكومية بالاشتراك في الإجتماعات الدولية والسعي للضغط على الجهات الرسمية لتتخذ القرارات الأكثر انسجاما مع الاهداف المطلوبة.

ان مشاركة هذه المنظمات يمكنها ان تترك أثرا ايجابية من جهات عديدة من

قبيل مايلي،

١- لما كانت هذه المنظمات الشعبية أقرب إلى واقع المشكلات الإجتماعية فإنها أكثر تفهماً للحلول المطلوبة جماهيرياً. وهي بالتالي تستطيع ان تقرب القرارات من هذه الاهداف. وتستطيع ان تصل إلى كافة شرائح المجتمع المدني وطبقاته.

٢- ولما كانت هذه المنظمات غير الحكومية حرة في تحليلاتها وغير مقيدة بالقيود الرسمية فإنها تستطيع ان تصل إلى الحل الواقعي وتطرح ذلك بقوة امام المحافل الدولية.

٣- على ان حضور هذه المنظمات بشكل تواصلأ جماهيرياً جيداً قد يشكل رأياً عاماً دولياً لا يستطيع معه الجهات الرسمية الا الاستجابة لمقتضيات هذا الرأي العام، مما يمنحها روحاً جماهيرية واقدماً على خطوات أكثر واقعية. في مجال تحقيق العدالة الإجتماعية، والتوزيع العادل، واحترام البيئة.

٤- وتساهم هذه المنظمات في تنظيم العلاقة بين التنمية والدولة اذ توحد الطاقات وتكمل النشاطات الخيرية والصحية والترفيهية والمهنية وغيرها فهي اذن ابنية اجتماعية وسطية^(١)

٥- وتؤمن ايضاً بيئة منظمة للعمل الإنساني غير الربحي والتطوعي وبكلفة قليلة.

٦- وتتنامى مع مثيلاتها في مختلف الدول لتشكل تياراً عالمياً يطرح مختلف القضايا.

(١) العولة والدولة (غسان منير، اكرم احمد) ص ١٩٦.

استنتاج:

على ضوء ما تقدم يمكن ان نقرر الحقائق التالية،

١- ان عملية التنمية الاجتماعية هي عملية انسانية لا تحدها حدود جلية او جغرافية او مادية، وان المرأة في التصور الإسلامي - عنصر اساسي في هذه السيرة - وبدونها سوف تبقى العملية بتر، غير فاعلة.

٢- ان العالم ادرك بشكل متأخر هذه الحقيقة في حين سبقه الإسلام اليها باكثر من عشرة قرون حينما جعل المرأة عدل الرجل في عملية (الولاية الاجتماعية) ومنحها كل ما يحق لها مشاركتها في القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٣- ان للحكومات والجهات الرسمية دورها الكبير في تحقيق هذه الانعاط من المشاركة ولكن ذلك لن يحقق النتيجة المطلوبة ما لم تقوم المنظمات الشعبية باحتلال مركزها في دفع هذه العملية الى الامام.

٤- ان منظمة المؤتمر الإسلامي لم تحقق الامل المطلوب منها في الانسجام مع النظرة الإسلامية للمرأة، ولم تعطها الدور الاساس المطلوب، فبقيت مع الاسف متخلفة عن الطبيعة الإسلامية الرائدة، وان عليها اليوم ان تسابق الزمن في تأمين هذا الانسجام.

والحقيقة ان القرار الصادر عن مؤتمر القمة الثامن المنعقد بظهران يشكل سابقة جيدة في هذا المجال. إلا انني اعتقد انه يبقى متخلفاً عن مسيرة التطور الطروح دولياً في هذا المجال.

وهنا أقول: اننا يجب ان لا ننسى التحديات التي تواجهنا - في مطلع القرن الحادي

والعشرين - على الصعيد السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي، تحديات العولمة، تحديات الهيمنة الثقافية تحديات القرية الصغيرة اعلامياً، وتحديات الشعارات البراقة التي يتستر خلفها اعداء العلاقات الإنسانية السليمة وصولاً حتى إلى قوانيننا الفرعية لتطويرها وفق مقاصدهم.

ولذا فوجب الابداع في كل الحقول وانكر مثلاً الحقل الرياضي فلا يمكننا ان ندع المرأة كسولة بدينة مريضة، وانما يجب ابتكار الاساليب السليمة التسعة بالعفة والخلق الإسلامي الرفيع لتقديم البديل المطلوب عن الاساليب المعروفة عالمياً والمنافية لكل قيمنا واعرافنا انه مثل واحد على ضرورة التطوير والتغيير في مختلف الحقول. وكذلك الحقل السياسي فلا مجال لتناسي دور المرأة الفعال في صياغة القرار السياسي، وهنا ما تفتقده بعض مناطقنا الإسلامية، بل نجد بعض الفئات المتحجرة تفرض على المرأة ان تكون حبيسة بيتها بعيدة عن التعليم فضلاً عن المشاركة في الحياة الاقتصادية وذلك طبقاً لاجتهادات قشرية غريبة على الروح الإسلامية، ونصوص غير ثابتة. وهذا العمل فضلاً عن تشويهه للصورة الإسلامية يكبل مسيرة الأمة نحو مواجهة التحدي الذي اشرنا اليه.

اننا نشعر بكل تأكيد بالحاجة لا لكتابة استراتيجيتنا الثقافية في مختلف الحقول، ولا للموافقة على لائحة رسمية لحقوق الإنسان في التصور الإسلامي ولا حتى لاستراتيجية اعلامية او اجتماعية لعالمنا الإسلامي، فانها جميعاً قد دونت بعد تداول طويل، بل تكاد تكون واضحة في خلد كل من له معرفة بالجهات الإسلامية، وانما نشعر بالحاجة للعمل المنظم والتكامل على الصعيد العالمي الإسلامي - بهذه الاستراتيجيات المتفق عليها سواء في مؤتمرات اسلامية دولية

كمؤتمر القمة السادس بدار (السنغال) او مؤتمر وزراء الخارجية الثامن عشر بالقاهرة او غيرها.

ومما أسف له ان اعلن ان العالم الإسلامي على مستوى منظمة المؤتمر الإسلامي لم يتفق بعد على الصيغة العملية للتنفيذ رغم وجود صور تنفيذ هنا او هناك. وأؤكد على ان هذه الأمة الإسلامية لها خصائص معينة تحدد لها هويتها وترسم لها معالمها القرآنية ومنها، الخصيصة الالهية والانتساب في العقيدة والتشريع إلى الله تعالى، كما ان منها الخصيصة الاخلاقية الإنسانية التي تتحلى من خلالها بكل السمات الاخلاقية الإسلامية وتتخلص من كل انماط الفساد والصور اللااخلاقية والتي تلعب الغرائز الجنسية دورها فيها لتشويه الصورة الصحيحة، فلا يمكن لهذه الأمة ان تفتخر بانتسابها للإسلام الا اذا طبقت الصورة الإسلامية السامية، واقامت علاقاتها على اساس من معايير الإسلام، وحصنت جماهيرها بالوعي المطلوب بل اوجدت فيها - بما فيها العنصر النسائي ذي النسبة الكبيرة - الدوافع الكبرى لمواجهة التحدي المذكور.

ان الصحوة الإسلامية هي قدرنا والا اندركتنا التحديات وقضت على خصائصنا. وهنا يبرز دور العلماء رجالاً ونساءً ليقوموا بدور ورثة الانبياء. واننا نؤكد - من جديد - على اننا مضطرون للاعتراف اولاً بان المرأة المسلمة لا تملك اليوم وعلى صعيد الواقع العملي دورها المطلوب في عملية التنمية الإجتماعية فنحن بحاجة بعد هذا إلى خطة تنموية شاملة تعتمد الاسس التالية،
اولاً: تعميم التوعية بين المسلمين رجالاً ونساءً بحقوق المرأة ودورها في عملية التنمية الضرورية.

أوضاع المرأة المعلمة ومورها الاجتماعي والموقف من التخطيط المعادي ١٢٥

ثانياً: توفير المساواة المنصفة والعقولة بين الرجل والمرأة في الفرص التنموية، كفرص العمل، والتخطيط، والادارة، وترشيد الثروة، وتحقيق المشاركة السياسية والادارية، والثقافية وامثال ذلك.

ثالثاً: التركيز على العملية التعليمية والارتقاء العملي بين النساء.

رابعاً: ايجاد المنظمات النسوية غير الحكومية ودعمها بقوة.

خامساً: حل مشكلة الهجرة الداخلية والخارجية بالقضاء على اسبابها، واستيعاب اثارها لان أكثر المهاجرين نتيجة العوامل المختلفة هم من النساء.

سادساً: توفير الحلول الناجعة للمشكلات الإجتماعية التي تعاني منها المرأة، والعمل على تغير النظرة الإجتماعية للمرأة العاملة.

سابعاً: العمل على تقوية بنية المرأة صحياً، وتخليصها من حالات الضعف والابونة وتشجيع التربية البدنية والرياضية المناسبة بعيداً عن الاستغلال والتحلل.

توحيد الموقف الإسلامي تجاه (اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة)

مقدمة :

تعد هذه الاتفاقية التي وافقت عليها الأمم المتحدة في ٣ سبتمبر ١٩٧٩م من أكثر الاتفاقيات الدولية إثارة للجدل. وربما اعتبرت تتويجا للحركة الفيمينية التي انطلقت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في الغرب لغرض استرجاع المرأة حقوقها.

والحقيقة أن الإنسان الغربي منذ بدء عصر ما يسمى بالنهضة (بين منتصف القرن ١٧م وحتى القرن ١٨م) ورواج الروح العلمية والعقلية، سعى للإبتعاد عن الدين، وكان للإتجاهات الحسية للفلاسفة من أمثال: فرنسيس بكن، وتوماس هوبر و جون لوك وديفيد هيوم وجورج ياركلي، والاتجاهات العقلية لأمثال رينيه دكارت، واسبينوزا، ونينتس كان لها دورها في ذلك. وقد ركز هذان الإتجاهان، الحسي (امرياليسم) والعقلي (راسيوناليسم) على محورية الإنسان (الأومانية) ورفض الفكرة الإلهية فامعن الإنسان الغربي في تمجيد نفسه. ولما كان قد امتلك زمام القدرة الصناعية فقد راح - بالتدريج - يعتز نفسه سيد الكون وبدأ يصدر ثقافته إلى الأرض كلها كي يسيطر عليها باعتبار ذلك مصدر السعادة للبشرية، وتطورت الشعارات حتى طرحت أخيراً فكرة (النظام العالمي الجديد) و(القربة العالمية) وتم العمل على تأسيس المنظمات الدولية وسن (القوانين الشمولية) في

مختلف الأبعاد. وأوكلت بعض المهام إلى هذه المنظمات لتحقيقها مع الإحتفاظ بصمام الأمان الغربي فيها.

وقد أعطيت صفة المشروعية الدولية لتستطيع التدخل في مختلف الشؤون ومنها الشؤون الإجتماعية.

ويمكننا أن نعتبر هذه الإتفاقية نموذجاً صارخاً لعملية فرض الهيمنة الثقافية الغربية على الثقافات الأخرى، وإن كنا لاننكر ايجابياتها.

موجز عن الإتفاقية :

تتكون الإتفاقية من تمهيد مفصل نسبياً يتحدث عن إيمان ميثاق الأمم المتحدة بحقوق الإنسان الأساسية، ومنها المساواة في المنزلة والقيمة بين الرجل والمرأة. وعن ان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يرفض التمييز بينهما، ويعلن قلقه لإستمرار التمييز مما يمنع من إمكان إسهام المرأة في عملية التنمية في مختلف المجالات كما يمنع من تحقيق سعادة المجتمع والعائلة، وكذلك القلق من أن المرأة في ظروف الفقر لا تحصل على المستوى الأدنى من الغذاء والصحة، والعلاج، والتعليم، وفرص العمل وباقي الحاجات. ويؤكد أن إقامة النظام العالمي الإقتصادي الجديد القائم على العدل والإنصاف يقوم بدور هام في تحقيق المساواة بينهما، وأن ذلك يعتمد على محو التمييز (الأيبارتايد) والإستعمار بأشكاله والعنف والإحتلال، والتدخل في الشؤون الداخلية، كما يؤكد على تحكيم السلام العالمي، ومنع التوتر، والتعاون المتبادل بين الأقطار بغض النظر عن نظمها، ونزع السلاح العام والكامل وخصوصاً السلاح النووي يساهم في تحقيق الهدف، ويشير إلى الدور الاساسي للمرأة

في تحقيق الرفاه والتنمية الإجتماعية التي لم تعرف أبعادها بعد، وأهمية الأمومة ودور الوالدين في العائلة وتربية الاطفال وتقسيم المسؤوليات.

وبعد هذا التمهيد تأتي ثلاثون مادة في ستة فصول مؤكدة في الإجمال على ما

يلي،

١. تعريف التمييز بأنه يعني حذف أي تفرقة على أساس الجنس
٢. إدانة كل الدول للتمييز بكل أشكاله. وإدخال ذلك في دساتيرها وقوانينها الفرعية، والعقاب عليها، وحماية حقوق النساء في مجال التمييز، والإمتناع عن أي عمل تمييزي وأمثال ذلك

٣. تعهد الدول بتمتع النساء بحقوق الإنسان كلها

٤. إصلاح الأنماط الإجتماعية لسلوك الجنسين والتي تبتني على افضلية احدهما على الآخر، والثقة بتعليم عائلي سليم يفهم دور الأمومة كواجب اجتماعي ومعرفة المسؤولية الإجتماعية المشتركة في تربية الأطفال وتحقيق مصالحهم.

٥. إسهام المرأة في الحياة السياسية والحكومية كالإنتخابات والإستفتاءات والتعيينات وتدوين السياسات والمشاركة في المؤسسات الإجتماعية، والنشاطات الدولية.

٦. منحها حق المواطنة وتغيير الجنسية، واختيار الزوج وكذلك الأمر بالنسبة

للأبناء.

٧. منحها حقوق مساوية للرجال في مجال التعليم في كل مستوياته وتشجيع

التعليم المختلط والإستفادة المتساوية من المنح والبرامج التكميلية والتربية البدنية

وغير ذلك.

- ٨ - منحها فرص العمل المتساوية بكل أنواعها.
- ٩ - منحها فرص التمتع بالحماية الطبية وخصوصاً في دورات الحمل والولادة والإرضاع وما بعدها.
- ١٠ - منحها حقوقها المتساوية في سائر الأمور الاجتماعية كالإستفادة من حقوق العيولة والقروض الإجتماعية والنشاطات التفرجية والرياضية والثقافية
- ١١ - التركيز على المرأة الريفية ومشكلاتها وحلها
- ١٢ - منحها حقوقها العائلية في عقد الزواج واختيار الزوج والطلاق وعقد الأولاد والقيومة والحضانة والتبني واختيار الإسم العائلي والتخصص والعمل والملكية والكسب والإدارة ومنع زواج الأطفال.
- ١٣ - تشكيل لجنة لتنفيذ الإتفاقية
- ١٤ - كل تحفظ لا يتسجم مع أهداف الإتفاقية و موضوعها، مرفوض

موارد تعارض الاتفاقية مع أحكام الشريعة الإسلامية والموقف من الانضمام إليها

- وقد تراوحت الدراسات التي أجريت على الإتفاقية في هذا المجال بين مضيق وموسع تبعاً لاطلاقات الأنفاظ وملاحظة ملازماتها وتفسيراتها. وبالتالي تراوحت المواقف من الإنضمام إليها بين مجموع الدول الإسلامية بل وغير الإسلامية.
- فكانت المواقف الثلاثة التالية أهم ما طرح في البين:
- الأول؛ عدم الإنضمام للإتفاقية وعدم المشاركة في محامعتها الدولية مطلقاً
- الثاني؛ الإنضمام إليها بدون تحفظ
- الثالث؛ الإنضمام إليها مع التحفظ على ما يخالف الإسلام منها والسعي لتغييرها

بما يناسب الرؤية الإسلامية

واتهمت النظرية الأولى بالانزوائية وعدم الاستفادة من الإيجابيات والوقوف بوجه العرف العالمي مع انضمام الاكثريّة الساحقة من الدول للاتفاقية فلم يبق الا بضع دول مترددة.

واتهمت الثانية - بحق - بالإنجرار القضيع لتحقيق الاهداف المنحرفة.

واتهمت الثالثة بأنها تخادع نفسها، وانها لا تستطيع أن تحقق ما تريد في وسط

هذا الحشد الدولي وأن الاتفاقية نفسها ترفض التحفظات المناهية لروحها.

ومن هنا فعلينا تبين الموقف بروح موضوعية مبدئية: وهنا نقول:

ان موارد التعارض المتصورة تتلخص فيما يلي:

١ - المادة ١ والمادة ١٥ تتعارضان مع احكام الحجاب الإسلامي.

٢ - المادة العاشرة تتعارض مع احكام حرمة النظر لغير المحارم.

٣ - المادتان ١ و ١٥ تتعارضان مع احكام الشهادة واحكام الدية واذن الأب في الزواج

والعقوبات الإسلامية واحكام الارث، وإقامة الزوجة، والولاية.

٤ . المادتان ١ و ١٦ تتعارضان مع احكام اختلاف الإين والبنات من حيث سن

البلوغ، زواج المسلمة بغير المسلم، واذن الأب.

٥ - المادة ١٦ تتنافى مع احكام حرمة الزواج بالمحارم، وأخت الزوجة، وحرمة

العقد حال الإحرام، وبعض احكام الزنا، والطلاق، وواجبات الزوجة، وتعدد الزواج،

وعيوب الفسخ، والعدّة، والحضانة والأجهاض وأمثال ذلك.

ونعود فنكرر ان بعض التعارض ناتج من عمومات الألفاظ واصطلاحاتها ونحن قد

تختلف مع بعض ما ذكر من تعارض إلا أن الحقيقة التي لا مرأى فيها أن هناك

أوضاع المرأة المعلمة وموروثها الاجتماعي والموقف من التطهير المعاصر ١٣١

تنافياً بين أصل الفكرة وإطلاقات بعض المواد بل وبعض نصوصها مع أحكام الشريعة بلاريب.

ولكننا لا نستطيع أن ننكر الأفكار الإيجابية التي تحملها والتي ستعود بالفوائد الأيجابية بلاريب أيضاً على وضع المرأة في عالمنا الإسلامي.

الموقف المختار:

إننا نعتقد على ضوء ما تقدم أن الموقف الثالث هو الأقرب للصواب وإن كنا في الجمهورية الإسلامية لم نقرر ذلك بعد. وهناك معارضة واسعة من قبل العلماء والجمعيات النسوية وغيرها لهذه الإتفاقية.

فنحن نرحب بالانضمام النشط الإيجابي للإتفاقية ولكن بتحفظ يشمل مايلي:

المادة الأولى يتحفظ عليها بالنقاط التالية

أ . بملاحظة وجود الإختلاف الطبيعي بين الرجل والمرأة مما يؤدي بشكل طبيعي للإختلاف في المسؤوليات الإجتماعية فإن وجود التفاوت المتناسب مع ذلك لا يعد من التفرقة المرفوضة.

ب . حينما نحاول أن ندرس الحقوق في أي نظام فإن علينا أن نلاحظ التناسب العام بينها وبين الواجبات في إطار النظرية الإجتماعية لذلك النظام.

ج . يجب تعميم النقطتين السابقتين لكل مواد الاتفاقية.

المادة السابعة (اليندب): لا نرى ضرورة الإلتزام بموضوع صدور الحكم القضائي من قبل المرأة وإن كان لها الحق في العمل في الشؤون القضائية الأخرى.

المادة التاسعة: يتحفظ عليها لمخالفتها للقوانين الداخلية.

المادة الخامسة عشرة والسادسة عشرة: نتحفظ عليهما بالتفصيل.

المادة ٢٩: نتحفظ على البند رقم ١ منها وترتبط بالتحكيم.

وأخيراً فإننا نرى:

أولاً: إن الإسلام جعل الأسرة لبنة المجتمع الإسلامي، وبنى الكثير من أحكامه على هذا الأساس.

ثانياً: إن الوضع الحالي للمرأة في مجتمعنا الإسلامي متأثر جداً ببعض العادات الغربية من جهة والتقاليد الغربية عن الإسلام من جهة أخرى.

ثالثاً: إن علينا أن ننظم روابط أكثر انسجاماً بين الرجل والمرأة بعيداً عن أي إفراط أو تفريط.

رابعاً: إن علينا أن تصحح نظرة الغرب للمرأة المسلمة من خلال التوعية الشاملة إعلامياً، ومن خلال إعطائها حقوقها المشروعة.

خامساً: إننا نؤيد التعامل مع الإنفاقية المذكورة بإيجابية دونما إغلاق أو أنجرار.

سادساً: إننا ندعو لتبادل التجارب بين الدول الإسلامية للوصول إلى حلول أفضل لوضع المرأة، أما الحديث عن تفصيل الحقوق والواجبات فيحتاج إلى مجال آخر.

نظرة الشريعة إلى البيت

أو البيت السعيد بالمرأة السعيدة

الشيخ د. الطنب سلامة
عضو المجلس الإسلامي الأعلى - بتونس

مقدمة:

إذا قلنا، البيت... قلنا: الأسرة... وإذا قلنا: الأسرة... قلنا بطبيعة الحال: الزوجين أو الأبوين... ومن ذكر الأبوين ذكر ما تناسل منهما من بنين وبنات.

فالبيت في أصل إطلاقه اللغوي، يراد به المسكن سواء كان من حجر ومدبر أو من شعر. ثم وقع التجوز في إطلاقه فأطلق على الشرف. يقال: بيت تميم في حنظله أي شرفها. كما استعملت كلمة البيت لعلاقة الظرفية في الأسرة التي تسكنه.

وأشعرت كلمة البيت -عند إطلاقها على الأسرة - بمعنى الشرف ومعنى الإحاطة والحماية، فليس قولك: أسرة فلان بعساو لقولك: بيت فلان. فإطلاق البيت حقيقة في السكن، واستعارة في الشرف، أكسبه من ذينك المعنيين عندما أطلق في معنى الأسرة، فصار البيت هو الأسرة الشريفة.

وعندما نقول في العنوان الذي أطلقناه على هذه الكلمة: " نظرة الشريعة إلى البيت " فليس معنى ذلك إلا التعرف على تصور الشريعة الإسلامية لفهوم الأسرة الشريفة التي جعل محورها المرأة السعيدة، وما جاءت به هذه الشريعة السماوية و المظهرة من أحكام و ترتيبات لتضمن لهذه الأسرة الحياة الكريمة، وتحقيق رسالتها في المجتمع الذي نبئت فيه.

الأسرة تركيبة اجتماعية تبدأ بالزواج

فالأسرة تبدأ بالزواج، ثم تمتد وتتفرع بالتناسل والتوالد و حينئذ فالأسرة
تركيب اجتماعي، أو مركب اجتماعي.

ولكي نتصور هذا المركب لابد من الحديث على عناصره التي تركيب منها قبل
كل شيء.

تتركب الأسرة من زوج وزوجة قبل ولادة الأبناء، ثم يصبحان بعد ولادة
الأبناء أبوين أو أباً وأماً.

والزوجان لم يسميا بهذا الاسم إلا لكون الرابطة التي ربطت بينهما تسمى
الزواج.

فبمعرفة الزواج في الإسلام نعرف البيت، أو على الأقل تقدير نعرف جانباً من
جوانب هذا البيت أو وجهاً من وجوهه.

فما هو الزواج في الشريعة الإسلامية ؟

الزواج هو أول رابطة بين إنسان و إنسان، وعن هذه الرابطة تفرعت جميع
الروابط الأخرى، فلو لم يتزوج آدم بحواء ولم تربط بينهما رابطة الزوجية، لما
وجدت أنواع الروابط الأخرى التي عرفتها الإنسانية منذ أقدم العصور إلى اليوم.

فالزواج أية عظيمة من آيات الله الناطقة بحكمته تعالى وبحسن تدبيره وتقديره
لهذا الكون.

وآية الزواج في حد ذاته تشتمل على آيات عدة، كما جاء صريحاً: "ومن آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة و رحمة "
(٢١/الروم). فتزويج الرجال بالنساء - وقد خلقن منهم - هو آية كبرى، وكون

هذا التزويج سكتاً واطمنناناً للزوجين هو آية من آية.

ثم كونه سبيلاً إلى المودة والرحمة بين الزوجين وكذلك بين اقاربهما. هو آية أخرى من آية الزواج الكبرى.

ومن آيات الزواج ما ابرزته الآية في قوله تعالى: **"والله جعل لكم من انفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفلة ورزقكم من الطيبات"** (٧٢/للحل).

فالأبناء الذين هم زينة الحياة، إنما هم ثمرة هذه الرابطة الزوجية التي من بها الخالق على العباد، والتي جرى العباد وراء تحقيقها باعتبارها نعمة، وباعتبارها ناعياً من دواعي الفطرة في البشر. هذا هو النوب الذي البسه الإسلام لرابطة الزواج، ليعلمها الناس على حقيقتها، وليدركوا أهميتها في تأسيس البيت السعيد، فلا يكون البيت سعيداً إلا بالزواج السعيد.

- فما هو الزواج السعيد للرجل؟

هل هو الزواج الذي يظفر فيه الزوج بالمرأة الجميلة؟ أو بالمرأة الثرية؟ أو بالمرأة صاحبة الوظيفة الراقية؟ أو بالمرأة ذات الحساب؟

وما هو الزواج السعيد للمرأة؟

هل هو الزواج الذي تظفر فيه بالرجل الوسيم؟ أو بالرجل الثري الذي يملك قصرأ و سيارة فخمة، ومدخراً مهماً من الأموال؟ أو بالرجل صاحب الوظيفة العالية في الدولة أو في المجتمع؟

إذا كنتم تنتظرون الجواب منى، فأنا لا أحببكم، لأنى لا أقدم على جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى تعليمه لنا جميعاً، مما علمه ربه تعالى، وما ينطق

عن النهوى، ان هو الا وحي يوحي.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم حانا المستطيعين من الشباب على الزواج ان يتزوجوا، وعلى الذين لا يستطيعون ان يترثوا حتى يعينهم الله على بلوغ الإستطاعة: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج... فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".^١

فالباة كما فسرها الحنابلة من أهل الذكرك هي الإستطاعة والقدرة على القيام بأعباء الحياة الزوجية، وبشؤون الأسرة. ويشمل ذلك القدرة على الإنفاق. والقدرة على حسن التربية والتوجيه، والقدرة على حماية الأسرة من كل الأخطار دون توان ودون تخل.

وأشار الرسول على غير القادرين بالإحتماء بعبادة الصيام لتكسير شهوة النفس، وهو عين ما ورد في قوله تعالى: "وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله"، (٢٣/ النور).

ثم هاهو الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيكم المقياس الصحيح لحسن الإختيار حتى يقع الرجل على المرأة الصالحة التي بيدها ثلثا التأثير على حياة الأسرة، وعلى تأسيس البيت السعيد. قال صلى الله عليه وسلم: "تتكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك".^٢

١ - حديث عبد الله بن مسعود وغيره - متفق عليه.

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه - رواه الجماعة إلا الزملي.

فلا دنيا لمن لم يحيي ديننا

فقالبن اصل الصلاح في المرأة وفي الرجل على السواء. والمرأة الصالحة التي يعينها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة. إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته".^١ هي المرأة المتدينة. وقد اجلس الإسلام المرأة على عرش الأسرة لأن بيدها مفاتيح إصلاح أسرتها، ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة".^٢

وليس هذا من باب تدليل الرجال على حساب زوجاتهم، وإنما هو من باب الإظهار لقدرة المرأة ولتاثيرها، بما في هذا البيت رتبته الذي هو الزوج.

ونسوق في هذا المجال مثلاً يوضح تأثير المرأة على زوجها،

- سئلت امرأة خطاب، بماذا استحققت مكانتك من نفس زوجك؟

- فأجابته: "أحسن بالعناء الذي يلقاه، وهو يقطع الحطب بالجبل، وأحسن بغطشه وهو يعاني الفاس فيتصبب عرقاً، فأعد له طعاماً وشراباً بارداً، وأنسق بيدي ثم أقف في انتظاره في أحسن ثيابي فإذا ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عريسها والأطفه وأقاسمه وأنسيه مشاغله وأتعبه". لقد أصابت امرأة الخطاب إذ اعتبرت استحقاقها لمكانتها متأبياً من حسن معاملتها لزوجها. وقد يعتبره اعناء التربية والأخلاق استعباد المرأة وإذلالاً لشخصيتها، ويقولون هنا تحت عنوان الحداثة والعصرية، ومناصرة المرأة والرفع من شأنها وإزاحة ظلم الرجل لها. ينسون

١ - حديث ابن عباس أخرجه ابو داود والترمذي والحاكم.

٢ - حديث أم سلمة - رواه الترمذي وقال حديث حسن.

الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن الفطرة أن يحمل الرجل فأسه ويصعد الجبل لجمع الحطب وإعالة أهله، وبذلك تهنا المرأة ومن الفطرة أن تتجمل المرأة لزوجها، وتستقبله أحسن استقبال ينسيه تعبها ويعيد نشاطه، وأن تحس بإحساسه الم تكن النصف المكمل والمتفاعل مع نصفه الآخر؟

خطورة دور المرأة مما أوجب التوصية ومزيد الإهتمام بها

ولخطورة دور المرأة في الأسرة وفي المجتمع جاءت الوصية بها في الكتاب وفي السنة، أما في الكتاب فقد أوقف الله سبحانه وتعالى الرجال أمام مسؤولياتهم وذكرهم بالعهد الذي في أعناقهم إزاء النساء وذلك قوله تعالى: **"وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شهناً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً"** (١٩ / النساء). وكذلك قوله تعالى: **"وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً"** (٣١ / النساء).

وأما في السنة فقد جاء في خطبة حجة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم: **"إنما النساء عوان (أي أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بإمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله: فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد"**.

كما جاءت السنة بهذه الوصية في النساء. قال صلى الله عليه وسلم: **"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. وخياركم خياركم لنسائهم"** وقال: **"خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلي"**.

١ - حديث أبي هريرة - أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

٢ - عن عائشة أخرجه الترمذي والدارمي. وعن ابن عباس أخرجه ابن ماجه.

الم تات الحكمة بقول من قال: " إذا غاب عنك السبب فسل عن المرأة. " وحيث أن
إذا غاب عنك سبب سعادة البيت أو سبب شقائه فسل عن المرأة...
فلا سعادة للبيت إلا بالمرأة الصالحة التي جعلها الرسول خير متاع الدنيا حين قال:
" الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة".

هنا هو دور الزواج في تأسيس البيت السعيد، كما تفيدته تعاليم ديننا الحنيف...
ثم إذا تم تأسيس الأسرة بالزواج الموفق القائم على تقوى الله وعلى حسن
المعاشرة، وعلى حسن تفهم كل من الزوجين لدوره ومسؤوليته، فليس ذلك إلا
بعض الطريق، أو قل إن شئت ليس ذلك إلا بداية الطريق، والباقي أخطر وأهم...
فما هو هذا الباقي الخطير والهام في الوقت نفسه ؟

ماذا بعد الزواج ؟

الجواب هو: أن الزارع إذا غرس شجرة لا يكون لعمله معنى إذا لم ينتظر أزهارها
وثمارها، وإذا لم يرع نناجها حتى يكون أحسن نتاج وأجمل نتاج والذ نتاج ورعاية
الشجرة حتى تؤتي ثمرها حيناً طيباً يستدعي من المجهود والخبرة أضعاف ما
يستدعيه غرس الشجرة في حد ذاتها، من عناء وسعي للتوفق في اختيار النوع
واختيار التربة أو إصلاحها إن لزم الأمر...

اعتقد أنكم فهمتم هنا الباقي الذي علينا تحقيقه بعد تأسيس الأسرة بالزواج.
علينا أن نرقب ما يثمره هنا الزواج من أبناء، فنعمل بما في الوسع لتنسنتهم
وتكويبتهم التكوين الصالح. ولا يعذر الجاهل بجعله، ولا تعذر الجاهلة بجعلها.

فالمسلم يعمل طيلة حياته، ويتعلم طيلة حياته، ليكون مضطعاً بالمسؤولية،
وليكون موقفاً بالأمانة حق الوفاء...

البيئة الأولى والرائد فيها المرأة باعتبارها أمّاً

هنا البيت الذي أصبح يضم ابوين وأبناء، زيادة على بعض القارب الآخرين في بعض الأحوال هو الذي يسميه الباحثون في أحوال المجتمع: "البيئة الأولى" ويسميه المشتغلون بالتربية والتعليم: "المدرسة الأولى". وهذه البيئة الأولى أو هذه المدرسة الأولى، هي العينة والنموذج الذي ينبثق بحال الأمة، وبتوعية الشعب، وليست الأمة إلا هذه الأسر مجتمعة، وليس الشعب إلا ما أظلت هذه البيوت بسقوفها:

وحيئنذ فلا تربية ولا صلاح للأبناء، إذا لم تصلح البيت، ولم تصلح الأسرة، ولم تصلح الأم التي هي صاحبة التأثير الأكبر والأوسع فيها، وما أبلغ ما صورته حديث الرسول وهو يتحدث عن الأبناء وعن تربيتهم وتكوينهم، جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة (أي الطبع الحسن الذي ركبته الله تعالى فيه) وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

وما أبلغ ما قاله حافظ إبراهيم عن دور الأم في مجال التربية حيث قال:

والأم مدرسة إذا أعددتها... أعددت شعباً طيب الأعراق فعلينا
قبل إعداد الأسر والبيوت أن نعد من سيكونون أزواجاً وزوجات حتى تكون
الزيجات موفقات، ناجحات نجاحاً حقيقياً، لا نجاحاً مزيفاً، أو نجاحاً ظاهره

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أخرجه مالك في الموطأ، واحمد في مسنده، والصحیحان وأبو داود والترمذي (المشكاة عند ٩٠).

الرحمة، وباطنه العذاب.

فعلى الأسرة دور الإنجاب، ودور العناية المتواصلة بما أنجبت...

الأبناء نتاج شمين لا يقوم، فلا يقتل ولا يهمل

وقد جاءت الشريعة الإسلامية تخالف الحضارات السابقة في قتل الأولاد، سواء بدفعهم قرابين للآلهة وللطبيعة، كما هو الشأن عند قدماء الهنود الحمر (بالإكوادور)، وعند قبائل (الكسيك)، وقداماء المصريين، وعند بني إسرائيل في عهد الملك الحادي عشر (أكاز Achaz) والملك الثالث عشر (منصه Manassé) فقد كانوا يلقون أبناءهم في النار قرباناً للأوثان. كما دل سفر ارميا. وقد مارس ذلك الفينيقيون والقرطاجنيون والرومان.

وكذلك قتل الصينيون القدامى أبناءهم تخلصاً من تبعاتهم، وتخلص اليونانيون من أبنائهم الضعاف البنية، أو الذين يولدون من أبوين ضعيفين أو طاعنين. وقد شجع افلاطون نفسه على شئ من هذه الأعمال.

جاءت الشريعة الإسلامية تخالف ذلك وتمقته مقناً شديداً، مما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طلب المبايعه من المسلمين على عدم قتل أولادهم مثلما يبايعونه تماماً على عدم الشرك وغيره من الموبقات والكبائر، عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيء، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم،

١- الإصحاح، ٢٢.

٢- الأستاذ محمد التومي، نظام الأسرة في الإسلام، ص ١٨-٢٢.

٣- نفس المرجع، ص ٢١، ويحكى عن هتلر - الزعيم النازي - أنه توخى طريقة الصيديين القدامى

ولا تاتوا ببهتان تفترونه... الخ^١.

ولم يقف أمر الإسلام عند حماية الطفولة من الموت، بل شرع العقيقة، وهي تكريم للمولود ذكراً كان أو أنثى، وإعلان الفرحة والإبتهاج في البيت الذي ازدان بهذا المولود.

وأعلن الرسول حبه وعطفه ورحمته بالأبناء والأحفاد، والأحاديث في هذا كثيرة، لا يتسع لها المقام.

ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال،

حديث عائشة الصديقة (رضي الله عنها) قالت: "ما رأيت أحداً كان أشبه سمناً وهدياً ودلاً (وفي رواية، حديثاً وكلاماً) برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة كرم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه، قام إليها فأخذ بيدها وقبّلها، وأجلسها في مجلسه. وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبّلته وأجلسته في مجلسها"^٢.

وحديث أبي هريرة قال: أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل حسينا (رضي الله عنه) فقال: إن لي عشرة من الولد، ما فعلت هذا بواحد منهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يرحم"^٣.

وحديث الجراء قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن (صلوات الله عليه) على عاتقه وهو يقول، اللهم إني أحبه فأحبه"^٤.

١ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان (الباب ١١).

٢ - رواه أبو داود عند ٥٢١٧.

٣ - رواه أبو داود عند ٥٣٨.

٤ - أخرجه البخاري في الأئمة المفرد.

التربية الإسلامية بالقُدوة الحسنة

لا يقف دورنا مع الأبناء عند حد الرحمة والرعاية والإنفاق فذلك لا يكفي لتكوين الذرية الصالحة، بل لا بد من التربية بالقُدوة، وهو طريق التربية النبوية التي أفادت الفرد والأسرة والأمة والأجيال المتلاحقة، وهو الطريق الذي نوه به القرآن في قوله تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" (٢١ / الأحزاب).

فيتعين علينا - كما يتعين الواجب - أن نكون آباءً وأمّهات قُدوة حسنة لأبنائنا إذا أحببنا تكوين الذرية الصالحة ولكي نكون حقاً قُدوة حسنة علينا أن نعايش الكتاب والسنة في جميع شواغلنا ومشاعلنا. وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: " كان خلقه القرآن".

وفي هذه الإجابة من أم المؤمنين دقة واختصار، لأنها تعني أنه صلى الله عليه وسلم كان ترجمة حية لروح القرآن في سلوكه، ومن ثم كان - كالقرآن - نوراً فياضاً، فاض على القلوب وعلى الوجود، وكشف الطريق للناس فساروا حتى وصلوا واهتدوا.

فلا عجب أن تعلقت القلوب بهذا الرسول الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ولا عجب أن تحبه حبيها للنور. وأن تحفل بمولده وتهتز غبطة وإجلالاً، اهتزازها للنور وغبطتها به.

وليست مرحلة من مراحل تربية الأبناء إلا وهي حديرة بكل اهتمام ومتابعة،

١ - أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي والإمام أحمد وغيرهم ولفظه من حديث طويل في مسلم، " كان خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن"

مرحلة الطفولة بين الأحضان أو في رياض الأطفال، ومرحلة الطفولة الثانية في المدارس الابتدائية، ومرحلة الشباب الأولى في المدارس الثانوية ومرحلة الشباب الثانية في الجامعة ثم يسلمه الأبوان إلى المجتمع وإلى الحياة ليتفاعل معها ولينفع ويتفهم، وليكون عملاً صالحاً مستمراً يكتبه الله لأبويه كما ربياه، وكونه وأحسن تربيته.

والحصيلة: إن البيت السعيد - كما يراه الإسلام وكما يحبه الإسلام - هو البيت الذي يبدأ بالزواج الموفق الناجح، ويربط بين شخصين صالحين مدركين لإبعاد المسؤولية في الحياة ويقضي إلى حصيلة من الذرية الصالحة المؤمنة العاملة لخيرها ولخير الآخرين.

وهل بالإمكان أن نقول، بيت سعيد أو أسرة سعيدة دون زوجة صالحة، وهي الأم الصالحة بعد ذلك، وهي المرأة المسؤولة الصالحة، كما جاء وصفها في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته"^١.

وأما المرأة الصالحة فقد جاء التنويه بها في العديد من الأحاديث الشريفة، ومنها زيادة على ما أسلفنا.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - حديث متفق عليه، أنظر، رياض الصالحين (باب حق الزوج على المرأة) عند ٢٨٥.

قال، "الذنبها كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة".

. و عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه يقول: " ما استفاد المؤمن بعد بقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته و إن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله".

المرأة في الإسلام نسيج وحدها

هي في بيت النشأة بنت عزيزة لطيفة، وزهرة مشرقة تبعث بالنور والجمال، وتعبق بالعفة والحياء والجمال، تغمر من حولها برفقتها ومحبتها ورقة إحساسها. وهي - بعد ذلك - الفتاة المفعمة شباباً التي تتفنيا مظلة الوالدين وتتشد المعرفة والنزبة استعداداً لما تجود به الأيام، والحياء من جهاد ومسؤولية ولا فلاح في أي ميدان دون سلاح.

وهي الزوجة التي ارتبطت - بميناق غليظ - مع من رضيت به زوجاً وقريناً رضي تاماً لا إكراه فيه ولا إلزام من أحد ولو كان الأب نفسه ما دامت ابنته عاقلة مميّزة رشيدة، وما دام المتقدم لخطبتها كفاً لها (أي مرضي الدين والأخلاق) وقد ورد أمره صلى الله عليه وسلم بتزويج البنات ممن تقدم لخطبتهن إذا كنا نرضى دينه وخلقه، جاء ذلك في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه

١

١ - رواه مسلم - أنظر، المشكاة، عدد ٢٠٨٢.

٢ - أخرجه ابن ماجه. أنظر، المشكاة، عدد ٣٠٩٥.

فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض^١.

كما جعل صلى الله عليه وسلم امر المرأة إليها في قبول من ترضى، فقد جاء في الحديث عن عبدالله بن بريدة عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت، "جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن أبي زوجني ابن أخيه، ليرقع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها. قالت: إنني قد أحزرت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الأبياء من الأمر شيء^٢.

وإنما سمي القرآن رابطة الزوجية (مبتاقاً غليظاً) لأنها الرابطة الأصل لكن رابطة وجدت بين بني الإنسان، ثم هي رابطة متميزة في رحابها يفضي الزوجان لبعضهما، ويفعل ذلك الإنسان خاصة دون باقي أصناف الحيوان. وهي الأم - وما ادراك ما الأم - هي المسؤولة والراعية على تسيير الأسرة (دولتها الصغيرة والخطيرة) وبدونها لا تقوم للأمة دولة عتيبة وناهضة.

المرأة المسلمة - وهي مسبوقة ومتبوعة -

- عاشت المرأة قبل الإسلام وضعاً في منتهى الغرابة، بما كانت تستغل وتمتحن مجردة من الإرادة ومن الإنسانية، كما سنبيين.

- وجاء الإسلام والمرأة على هذه الحال، فرفعها من الهاوية وعرف بقدرها وبإنسانيتها تماماً مثل الرجل مع مراعاة الفطرة الخاصة التي فطر عليها كل من الحسنيين.

١. رواه الترمذي وقال، حديث حسن، انظر، المشكاة، عدد ٣٠٩٠.

٢. أخرجه التستائي (في باب البكر يزوجه أبوها وهي كارهة) وأخرجه أحمد، انظر، نصب الراية،

- وجات حضارة البلاد الغربية، وهي حضارة المال وإشباع الغرائز -
فاعتبرت المرأة المسلمة بتدينها وعفافها وحيائها امرأة متخلفة لا تصلح للحياة،
وحذرت من إتباعها، ودعتها إلى الترقى في إظهار الأنوثة والتفنن في الإغراء والفتنة،
فعاادت المرأة العصرية سيرتها الأولى أو قريباً منها، وأوشكت أن تطابق مرأة ما قبل
الإسلام، وهذا بعض البيان،

المرأة قبل الإسلام

من خلال تتبع الباحثين والدارسين لحياة القبائل والعشائر والمجموعات الصغيرة
قبل الإسلام، ومن خلال دراسة الطباع والأخلاق والتظيم الإجتماعية في عيش
هؤلاء الأقوام أمكن التعرف على نماذج كاشفة عن وضعية المرأة من ذلك:
- في بعض شرائع الهند يقولون عن المرأة: " إن الوياء والموت والحجيم والسّم والأفاعي
والنار خير من المرأة".

- وعند قدماء الهنود تقوم المرأة بما يسمونه (البغاء المقدس) تقوم به باسم المعبد
وباسم الآلهة وباسم المقدسات، ويعت من ضرورب العبادة يتقرب به إلى الآلهة،
ويستلذ عن طريقه عطف السماء. وجرى العمل بهذا البغاء عند قدماء اليونان في
معبد (أفروديت) وعند قدماء الأرمين وقدماء المصريين. وبقي معمولاً به إلى القرن
التاسع عشر في بعض العابد ببلاد الهند.

- وفي عهد (بونا) نفسه كانت رئيسة البغايا موضع احترام وتقدير في بلدة (فيزالي
Visali) ولم يستنكف (بونا) أن ينزل في دارها،

- ولدى بعض عشائر (التودا- Todas) ببلاد الهند الجنوبية: تصبح الزوجة -

بصورة آلية - زوجة لإخوة الزوج، وأخواتها زوجات لهم - ويوزع المواليد عليهم بحسب التقدم في السن - (المولود الأول للأخ الأكبر، والثاني للذي يليه... وهكذا).

- **في حضارة اليونان** احاز (ليكورغوس) مشرع (أسرطه) نكاح الإستبضاع وهو أن يترك الرجل زوجته تتصل برجل آخر سواه، يكون من عظماء القوم لتنجب منه ابناً أو ابناً يكونون على درجة ممتازة من الذكاء وصفات العظمة وكان (ليكورغوس) يحث الشيوخ بالأخص على ذلك طلباً لنسل جميل وقوي وخدمة للوطن.

- **في حضارة البابليين** يجري العمل (بالبقاء المقدس) في معابد الإلهة (ميليتا Myllita) كما جاء نقل ذلك عن المؤرخ اليوناني (هيرودوت) إذ ذكر أن كل بنت في هذه البلاد، يجب عليها مرة في حياتها أن تذهب إلى المعبد لتقدم نفسها لرجل أجنبي، فإذا مر بها الأجنبي، ووضع على ركبتيها قطعة نقود ودعا لها، أن تباركها الإلهة (ميليتا) نهضت معه وصحته ليقضي منها الحاجة، ثم تعود إلى البيت فرحة بما نالها من تبريك الإلهة. وتتلقى التهاني من الأهل والأقارب والأصدقاء، مصحوبة بالهدايا.

- **أما عند زنوج إيريها**، فقد توصل (إليس Ellis) الباحثة الإنجليزية إلى ما يلي،

- **في ساحل العبيد**، يوجد بكل مدينة مؤسسة تتقدم إليها الفتيات الجميلات من سن العاشرة إلى الثانية عشرة، ليقضين فيها ثلاث سنوات، يتعلمن خلالها الرقص الديني، وترتيل الأوراد المقدسة وبعد مدة التعليم يتخصصن (للبقاء المقدس) ويصبحن وقفاً على رجال الدين، ولكنهن في التطبيق لا يمتنعن عن أي طالب وينظر إليهن على أنهن (زوجات الآلهة) وما أنجب من البقاء هم (أولاد الإله).

- وفي ساحل الذهب: يتعاطى الراهبات والقنيسيات (البيغاء المقدس) في حياة بالغة الوضاعة والإنحطار. وإذا راق في عين إحداهن رجل، ورامت مضاجعته دعتة إلى منزلها، وأخبرته أن الإله الذي أوقفت حياتها على عبادته وطاعته، قد أوحى إليها أن تتخذه عشيقاً، فيضرح بوقوع اختيار الإله عليه، ويبقى حببياً عندها حتى تملة فتطرده.

- عند قدماء العبريين، كانت توجد في المعابد طوائف من النسوة يزاولن (البيغاء) وكان الإعتقاد السائد لديهم، أنهم مصدر خير لمن يتصل بهن، وظل العمل بهذا من التقاليد الدينية، إلى أن جاء سفر التنتية^١ فوقع التحريم.

المرأة في البلاد الغربية

لم تعرف أوروبا منذ القديم قيمة المرأة باعتبارها إنسانة مساوية للرجل وبقيت المرأة بضاعة للنهم الجنسي. للإتجار فيها وبها باعتبارها قيمة مالية بالإضافة إلى القيمة الشهوانية.

من المفروض أن تلقى المرأة في الغرب نصيبها من التغيير والرقي بعد القرون الوسطى بنحو قرن، وليس الأمر كذلك، إذ نجدها في أيام الملك (هنري الثامن) مؤسس المذهب (الأنجليكاني l'anglicanisme)^٢ الذي حكم إنجلترا بين (١٥٠٩ إلى ١٥٤٧م) يصدر قانوناً يحرم عليها قراءة الكتاب المقدس لأنها رجس ولأنها شيطان وليست إنساناً من جنس الرجل كما ساد الإعتقاد بذلك لدى القرون الخوالي،

١ - كتاب الأسرة والمجتمع، ١٠٢ - ١٠٣.

٢ - إصحاح ٢٣ - فقرة ١٧.

٣ - للمذهب الأنجليكاني، مذهب يحاول التقريب والتوفيق بين العدوين (الكاثوليك و البروتستانت) وذوى هذا المذهب لأول مرة في فرنسا وسويسرا (جون كالفان Jean Calvin) (١٥٠٩-١٥٦٤م).

وكما كان الرأي الذي توصل إليه بعد ذلك مجمع مسكوني في باريس، وتمضي ثلاثة قرون على موت "هنري الثامن" أي حوالي سنة ١٨٥٠م والراة على حالها في بلاد الغرب، إذ نجد أن القانون المطبق لا يعترف للنساء مواطنات ولا يمنهن هذا القانون حقوقاً شخصية ولا مدنية فلا مال للمرأة ولو اكتسبته بعرق جبينها، بل هي لا تملك حتى ثيابها، وتقدمت أوروبا صناعياً ومادياً، وتقدمت معها المرأة في فنون الإغراء التي أصبحت ضربة لازب في ترويج السلع وجلب الحرفاء. كما سمحت لها قوانين الحضارة المعاصرة بالحرية المطلقة في ممارسة ما تشاء مع من تشاء دون اعتراض من أحد، إنا صارت رشيدة في نظر القانون (ويكون ببلوغها الثامنة عشرة في الغالب) ولو كان هنا المعارض أياً أو أمماً، فما بالك بالآخرين؟

- مبدأ الحرية المطلقة الذي تبنته المرأة بعنوان المدنية الراقية ألغت به كل الحدود، ودانت به كل الخطوط الحمراء، واستحلّت به كل المنوعات في مجال الشهوات واللذائذ بأصنافها، ولو أذى الأمر إلى أن تعاشر الأم ولدها معاشرة الأزواج، وكم من اعترافات للنساء عن حالات موافقة الآباء لهن دون رضى منهن، ولكنها عملة العصر.

المرأة إنسان كامل الإنسانيّة بالمنظار الإسلامي وحده

من يتأمل حياة المرأة في العالم منذ أقدم العصور يجد أنها بقيت إلى يوم الناس بمعزل عن إنسانيتها، واستمرت تعيش أسيرة الإستغلال في كل المجتمعات لا تخرج من توزيع الإغراء إلا لتدخل في البغاء ولو كان مقدساً تأمر به بعض الشرائع. هذه بالجملة حالة المرأة في العالم إلى الوقت الحاضر، وستبقى وستزيد! ولم يتخلف عن ذلك إلا المرأة التي لادنت بالإسلام و تعاليم الإسلام... لماذا؟ لأن الإسلام سواها بالرجل وخاطبها بخطابه فجاء في القرآن " يا أيها الذين آمنوا... " خطاباً

للرجال وللنساء على حد سواء. ولأنه من المهم بمكان ومما جرى به عمل الرجل أنه لا يستحضر أنه من جنس الذكر، فلماذا لا تنسى المرأة أنها أنثى و ينسى كل من تعایشهم ذلك، وتبقى إنسانة و كفى. ويستثنى من ذلك شخص واحد - دون سواه - هو زوجها من حقها أن تذكر ذكورتها دون غيره، ومن حقها وحده أن يذكر أنوثتها دون الآخرين؟ وهذا هو المسلك الربوي الذي يريده الإسلام و الذي به تستعيد المرأة مساواتها للرجل في الإنسانية وتتحرر من عبودية استغلالها وامتهانها.

تجوع المسلمة ولا تاكل بثديها

وبعد، هل تحتاج المرأة المسلمة إلى الإقدام على تقليد النساء الغربيات؟ سواء في اغترابهن أو في غرورهن أو في انغماسهن في حياة الإغراء و الجنس أو في التمعش من الخناء، وقد اباحت حضارتهم ذلك، ولم تحرمه قوانينهم.

الم تقل الحكمة الإسلامية للمرأة الشريفة المسلمة؟ وكل امرأة مسلمة شريفة: "تجوع الحرة ولا تاكل بثديها" قالت ذلك تنويها بعفاف الحرة و امتناعها على الراودين.

ثم الم تقل الحكمة عند الغربيين: "كل النساء بغايا واستثنى امي براء بها". الم يقل من قال هذه الحكمة ليكشف عن عمل المرأة الغربية المتحللة، لا يمكن أن يصدر عن مسلمة ذلك إلا إذا تخلت عن إيمانها أو نسيت نعمة الله عليها، فلم تشكر، ومن كان في نعمة ولم يشكر سلبت منه ولم يشعر.

التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة

د.أ/جعفر عبد السلام

أستاذ القانون الدولي

والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

تمهيد

تواجه المرأة المسلمة تحديات عديدة في المجتمعات التي تعيش فيها في الأونة الحاضرة في سائر الدول الإسلامية، والسبب الرئيسي في ذلك هو التغريب وطغيانه على حياتنا. لقد بشر الغرب بحقوق المرأة ونادى بالمساواة الكاملة بينها وبين الرجل، واندفع نحو هذا الإتجاه العديد من مفكرينا أمثال: قاسم أمين، وطه حسين، ومحمود عزمي، وزينوا للمرأة الخروج من المنزل والقاء الحجاب جانبا، ثم ما لبثت المرأة أن خرجت في ثورة ١٩١٩م مع الرجال أو بدونهم، وبدأت تحتل العديد من الوظائف في إدارة الدولة. ودفعت ثورة يوليو هذا الإتجاه في مصر بشكل قوي. حيث بدأت المرأة في الدخول في الحياة السياسية، وترشح للمناصب العامة، وتدخل المجالس التشريعية، بل نابت الثورة على أن تجعلها في أعلى الولايات وزيرة واحدة أو وزيرتين في كل وزارة، فضلا عن إتاحة فرص العمل لها، بما في ذلك ولاية القضاء، بل حصلت على فرص العمل في أجهزة لم يكن من السهل أن تعمل فيها، كأجهزة الشرطة، ولم يبق مرفق من مرافق الدولة إلا ونجد فيه المرأة الآن.

ونرى القوانين تتجه لتكريس حقوق المرأة، بل وتتجه قوانين الأحوال الشخصية في بلادنا إلى تسهيل ما تقوم به المرأة من أعمال، ابتداء من عام ١٩٣٥م

حيث صدرت تسريعات للأحوال الشخصية لا تتبع مذهباً بعينه، وتخالف المذهب الحنفي المعمول به في مسائل الأحوال الشخصية، ثم تلي هذا القانون العديد من القوانين التي تسير في نفس الإتجاه، حيث كان آخرها قانوناً صدر عام ٢٠٠٣م، وأطلق عليه من قبل الناس "قانون الخلع"، وهو قانون قنن أحد أبواب الفقه الإسلامي بما يعطي للمرأة حقاً مساوياً للرجل في إنهاء العلاقة الزوجية لكن بحكم القاضي بدلاً من إرادة الزوج. ونستطيع القول بأنه لا فارق بين الرجل والمرأة في التمتع بمجمل الحقوق والحريات في معظم بلادنا الإسلامية في الوقت الحاضر^(١)

مع ذلك لم يرحمنا الغرب في التدخل في أخص شئوننا، وإذ بالولايات المتحدة تطالبنا بالإصلاح السياسي، وتجعله على ثلاثة محاور: الأول، التعليم، أي إصلاح التعليم في العالم الإسلامي، خاصة التعليم الديني، ففي نظرها هذا التعليم يقوم على كراهية الآخر وعلى تحييد الجهاد ضده، ويرى المشروع في كثير من الآيات القرآنية روح الجهاد وكراهية الآخر.

أما المحور الثاني، فيتصل بالمرأة، فالمرأة تعامل في بلادنا معاملة سيئة، وهي نصب ما تربت عليه في أولادها، وتنشئهم على التطرف والإرهاب، بسبب ما تعانيه في مجتمعاتنا من ظلم وكبت.

أما المحور الثالث، فيتصل بالتربية السياسية، وانظمة الحكم في البلاد الإسلامية كلها تقوم على الإستبداد، ولا توجد في الدول الإسلامية أية مشاركة سياسية أو

١ - رند الكثير من إخواننا المثقفين والقانونيين قولاً ربما يكون صائباً، وهو أن معظم ما يصانون من خير يأتي من مصر، وكذلك ما يصبهم من شر فهو من مصر أيضاً، ويدلون على ذلك بانتقال التجنيد في كثير من المسائل من مصر إليهم، مثل قانون الوقف، وقانون الميراث، وقانون الخلع، ومعظم مسائل الأحوال الشخصية. حدث ذلك في لبنان وفي الأردن، وجزئياً في سوريا.

أية صورة من صور الديمقراطية.

الغريب أن من أعطى هنا التلظير للحالة الإسلامية هم -للأسف- مفكرون اعدوا مؤلفات عن الإسلام وتاريخه، أمثال: برنارد لويس، وفوكوياما، ولويس هنتنجتون، ومعروف حقدهم التلقائي على الإسلام وكراهيتهم له، لا أدري لماذا؟ فهم يرون أن الحضارة الغربية ليس لها عدو الآن إلا الإسلام والمسلمون، وإذا لم تقتلع الحضارة الإسلامية فإن النتيجة ستكون سيئة، والضرب بقوة على الأنظمة الإسلامية مفتاح السلامة للحضارة الأوروبية والأمريكية المعاصرة، وللغرض، على ما يطلقون عليه الآن "الإرهاب الإسلامي".

والواقع أن أمريكا وثبعتها الغرب قدما ببرامج لتأهيل المرأة المسلمة كما يريدون، واستجابت لهم بعض الأنظمة، خاصة في دول الخليج وفي العديد من دولنا، إذ أرسلت سيدات لتتربى على الطريقة الأمريكية في الولايات المتحدة، كما دخل التغريب بقوة في جامعاتنا ومدارسنا، وأصبحت شهادة الجامعة الأمريكية هي أعلى الشهادات في بلادنا، كذلك افتتحت مئات المدارس والجامعات الخاصة التي تجعل الإنجليزية اللغة الوحيدة للتدريس في بلاد الإسلام.^(١)

وقد أوجد هذا الإتجاه تغيراً فيما يواجه المرأة المسلمة من تحديات ومشكلات كادت تعصف بأسس كانت ثابتة في مجتمعاتنا للأسف، يجب أن ندق ناقوس

١ - هنا الإتجاه نراه بوضوح في دول الخليج وفي مصر، وفي مدينة دبي توجد جامعة زايد حيث أن التدريس فيها باللغة الإنجليزية فقط، وهي جامعة لبنات سيطر عليها الأمريكيون، وقد رايتهم بعيني، كما أن النخبة المتولدة زمام الحكم في مصر أغلبهم من خريجي الجامعة الأمريكية. وقد اتخذت الجامعات الخاصة منهج الجامعة الأمريكية في اتخاذ اللغة الوحيدة، كما سمحت لمصر بإنشاء جامعات إنجليزية، وألمانية، وفرنسية، وكانت تشدد كثيراً في تأسيس جامعات غير مرتبطة بهذه الدول بدعوى فضل التكنولوجيا التي تتفوق فيها هذه الدول.

الخطر على ما وصلت إليه الحال ياسرنا ومجتمعاتنا اليوم، وهي فرصة أن نجتمع في إيران، لأنها في اعتقادي أصبحت من أهم الدول الإسلامية المحورية التي تواجه موجات الهجوم الغربي على كياننا وعلى ثوابتنا، لذا سأتناول التحديات التي تواجه المرأة المسلمة نتيجة التعريب وسيطرة اتجاهات الهيمنة الأمريكية على المجتمعات الإسلامية، حيث أعرض للتحديات المتصلة بالأسرة في قسم أول، والتحديات المتصلة بالعمل في قسم ثان.

القسم الأول

التحديات المتصلة بالأسرة

يجعل الإسلام الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع الإسلامي، وهي تقوم على زوج وزوجة وأولاد، وتقوم العديد من الروابط بينهم على الأسس الشرعية، وتسودهم المودة والرحمة التي تحدث عنها القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ، وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

ومن مقومات الأسرة المسلمة فضلاً عن المودة والرحمة:

١- أن للزوج قوامة على زوجته، وولاية على أسرته. فمقتضيات تسيير الأسرة أن يكون الزوج والوالد له القوامة، وهي سلطة عائلية تعطيه الحق في التوجيه والتربية

والإرشاد لأسرته.

٢- أن الزوج هو المكلف شرعاً بالإنفاق على زوجته وعلى أسرته بشكل عام، من هنا تكتمل القوامة ويكون لها أساسها، يقول سبحانه وتعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} (النساء: ٣٤).

٣- أن لرب الأسرة سلطة التأديب على زوجته وعلى أسرته، وسلطة التأديب هذه من فنون الحياة الزوجية، حيث إن النجاح في تسيير الأسرة يتوقف على حسن استعمال هذه السلطة دون إقراط أو تفريط.

٤- أن رب الأسرة عليه الدور الأساسي في التربية والتعليم والإرتقاء بشأن الأسرة.

٥- أن الأولاد يبقون في كنف الأسرة حتى يستند عودهم ولا ينفصلون عنها بسهولة.

فالابنة تظل مع أسرته حتى تتزوج، ويقوم الأب بتأهيلها وتثبيت منزلها، وبالطبع يشاركها اختيار الزوج، وتقوم العلاقة بين الزوج والزوجة على النواج، وإذا حدثت مشكلات في الأسرة وبين الزوجين أساساً، فلا بد من إتباع وسائل لحسم الخلاف في داخل الأسرة، ويمكن تدخل الأقارب للوساطة، ويمكن أن تحل العلاقة الزوجية بالطلاق، وهو بيد الرجل أساساً، ويمكن أن يكون بيد القاضي لأسباب قانونية محددة وضعتها القوانين المتعاقبة في مصر، والأمر بيد الزوج أساساً حتى لا تنهار العلاقة الزوجية لأوهى الأسباب وأبسطها.

وقد ظهر أثر التغريب على الأسرة المسلمة واضحاً في الأزمنة الأخيرة. ولعل أبرز السلبيات التي تمخضت عنها هذه الحملة الشرسة على المسلمين، يمكن إيجازها على

النحو التالي:

* العصف باستقرار الأسرة عن طريق إدخال تشريعات بشكل دائم تسهل التخلص من الرباط المقدس للحياة الزوجية، وإذا كنا لا نعارض وجود أسباب لطلب الطلاق عن طريق المحكمة لأسباب يتم التوسع فيها، فقد أعد نظام الخلع في القانون المصري بشكل أدى إلى الإرتباك في نظام الأسرة، حتى إن أقل الأسباب تجعل الزوجة تلجأ إليه، بل صار من المألوف أن تهدد الزوجة زوجها وأسرته، بل ومجتمعها بالإلتجاء إلى الخلع^(١).

* رغم استقرار القاعدة الشرعية التي تعطي المرأة حق اختيار زوجها، إلا أننا نرى صوراً عديدة من الخروج على إرادة الأب والأسرة من قبل البنت، وأصبح الزواج غير الرسمي شائعاً والذي لا يعرف الأب عنه شيئاً^(٢)، بعد أن كثر من يفتون بحل هذا الزواج، حتى يقال إن أغلب طلاب وطالبات الجامعة يقومون بالزواج مغمياً مع إشهاد زملائهم على العقود العرفية التي لا تحرر، وإذا حررت فعلى ورقة بسيطة طالما أنكرها الزوج، مما يؤدي إلى مشكلات عديدة.

١ - اتجه رأي نايب في الفقه ساد في مجمع البحوث الإسلامية أثناء مناقشة القانون إلى أن إرادة الزوج أساسية لإيقاع الطلاق في حالة الخلع. مستنداً إلى أن الرسول ﷺ في الحالة الوحيدة التي عرضت عليه بشأن الخلع أنه طلب من الزوجة أن ترد الحديقة التي أهداها الزوج لزوجته عند الزواج. وطلب منه أن يطلقها، إلا أن وزارة العدل اتجهت إلى إعطاء حق الطلاق في الخلع للقاضي رغمًا عن إرادة الزوج حتى لا يرجع إلى إرادة الزوج في إيقاع الطلاق.

٢ - وهناك قضية معروضة على الراي العام في مصر، هي قضية هند الجناوي، والتي تزعم أن ابن أحد الفنانين المشهورين في مصر قد تزوجها وأنجبت منه طفلة، والسيدة وأسرته تزعم أن هناك زواجاً عرفياً أثبت في ورقة اختلسها الزوج، والزوج اعترف بوجود علاقة غير شرعية بينه وبين النسبة لم تكن زواجاً بحال، رفضت المحكمة إثبات النسب على أساس القاعدة الشرعية ((الولد للفراش وللعاهر الحجر)). وقد طعن في الحكم. وهناك اتجاه قوي بضرورة إثبات النسب عن طريق تحليل معلمي DNA بدلاً من وسائل إثبات النسب العروية، وهذا من ظواهر التغريب التي تحيط بالمرأة والأسرة المسلمة في الوقت الحاضر.

• كثرت حالات الطلاق في العديد من بلادنا الإسلامية، وكذلك مصر التي أتحدث عنها بسبب التغريب والإعلام الغربي الذي لا يوقر الأسرة، ويساعد الزوجة على التحلل من ربتها، وعدم تحمل المسؤولية من الأسباب التي تؤثر على ذلك بشكل كبير.

• وتجد أن الإستقلال الإقتصادي للمرأة قد ساعد على تحلل الأسرة بشكل كبير، فقد باتت المرأة تعمل وتكسب، وأحيانا تحصل على دخل أكبر من زوجها، ولازالت أفكار الفوامة التي تستبد بكثير من الرجال تؤثر بشدة عليهم، مما يعطيها إحساس أنها ليست في حاجة إلى زوجها، الأمر الذي يؤدي إلى سهولة تحلل العلاقة الزوجية.

ومن التحديات الصعبة التي تواجه المرأة والأسرة المصرية، بل والدولة بشكل عام. عزوف الشباب عن الزواج وتكوين الأسر، وترجع هذه الظاهرة إلى العديد من الأسباب، أهمها، السبب المادي، إذ لا توجد دخول لدى أغلب الشباب تكفي لتحمل أعباء الزواج والقيام بمتطلبات الزوجية المادية. كما أن المجتمع سادته عادات غريبة في تكلفة الزواج من حفلات، لا ترضي الله ورسوله، وحكل مخترعات الغرب نجدها حاضرة في بلادنا. هي أسباب ترجع إلى الخلل الإقتصادي في الدخول ووجود طبقات عليا وأخرى فقيرة ينعلم التجانس والتوافق بينهما، ومنها كذلك خروج المرأة إلى العمل واقتناعها بضرورة أن تحقق ذاتها في العمل، ولو كان ذلك على حساب حياتها الاجتماعية، ولا شك أن المرأة أصبحت تعاني من كل ذلك، وأصبحت تعاني كثيرا من وحدتها ومن تعليق المجتمع المسؤولية عليها في الحياة وفي إعالة نفسها، وأصبح من الطبيعي أن نجد سيدة تعيش بمفردها في بيت واحد، ونسمع حكايات كثيرة عن حالات اعتداء على مثل هذه السيدات. بل أصبح من الشائع أن

نجد سيدات وأحياناً رجالاً في بيوت للمسنين، لقد ضاقت عليهم بيوت الأسر التي انحلت التضامن فيها، ومن ثم ذهبوا أو ذهب بهم ذووهم إلى هذه البيوت. إن الأسرة كيان اجتماعي مهم، ولكن المعاول أصبحت تضرب فيه من كل ناحية، ونخشى أن يصيبنا ما أصاب الغرب من تحلل للأسر وضياع للتضامن والتكافل في المجتمع.

إن ظاهرة عدم الإقبال على الزواج في الغرب أوجدت مجتمعاً مخيفاً، وأصبحت نسبة الخصوبة في عدد من الدول الغربية صفراً أو أقل من الصفر، وشاخت المجتمعات الغربية نتيجة لأن الشرائح الغالية أصبحت من الشيوخ، وإذا كنا لم نصل إلى هذه الدرجة بعد، إلا أننا لسنا بعينين عنها بشكل كبير.

إن انتشار الفحشاء في بلادنا بات أمراً محيراً، ولن يقبل الشباب على الزواج إن رأى طريقاً سهلاً يقضي من خلاله غرائزه دون تكلفة كبيرة ودون مسؤولية، وهو عين الداء الذي انتشر في الغرب وأدى إلى النتائج السيئة التي تحدثنا عنها.

إن التحديات التي تحدثت عنها بالنسبة للمرأة والأسرة هي تحديات تواجه المجتمعات الإسلامية كلها بدرجة أو بآخرى الآن. تحدي عدم الزواج، تحدي الوحدة، تحدي عدم استمرار الأسرة والرغبة في حرية الحياة بدون أسرة أو التحلل السريع من مسؤوليات الأسرة والزواج بمؤثرات عديدة، أهمها، الإعلام الغربي والهيمنة الغربية التي تسرب إلينا في كل حين أفكاراً عن الزواج المنلي، وإباحة الحرية الجنسية، وإباحة الإجهاض، وتبادل أنوار الحياة بين المرأة والرجل عن طريق نظام الجندر، والبعد تدريجياً عن مؤسسة الزواج والأسرة، وتسهيل التحلل العلاقة الزوجية من قبل المرأة والرجل على السواء، وهي للأسف أفكار تروجها وثيقة الأمم

المتحدة للسكان، وتقوم أكثر من لجنة من لجان الأمم المتحدة على العمل لنشرها، بل وتهدد أحياناً الدول التي لا تتعامل معها. من شأن ذلك كله أن يشجع التحلل والزنا والفساد، وهي أمور نهىها القرآن الكريم إلى مخاطرها. يقول تعالى: **﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾** [النساء: ٣٧].

القسم الثاني التحديات المتصلة بالعمل

لقد خرجت المرأة إلى العمل في معظم دولنا الإسلامية، وطالبت -ولا زالت تطالب- بحقوق متساوية بشكل حاسبي، أي أنها تريد حقوقاً مقابل ما يتمتع به الرجل من حقوق دون حساب للفوارق بينهما. ولا شك أن ذلك أوجد أمام المرأة مشكلات وتحديات عديدة.

فالمرأة -على كل حال- في المجتمعات الشرقية يقع عليها واجب تربية الأطفال ورعايتهم، وكذلك ترتيب أمور البيت وإعداده للحياة المشتركة لها ولزوجها ولأولادها، ويصعب أن نجد مشاركة من الرجل في تحمل هذه الأعباء الضخمة. ومع عمل المرأة، أصبح من الصعب عليها أن توفق بين متطلبات ومقتضيات العمل ومقتضيات المنزل وتربية الأطفال، وهذه معضلة صعبة وأصبحت من معوقات استمرار الحياة السليمة في أسرنا. حقيقة وجدنا التشريعات التي تساعد المرأة على

التوفيق بين مقتضيات العمل ومقتضيات الأسرة، مثل تقليل ساعات العمل لها وإعطائها وقتاً للرضاعة، وإجازة للحمل وإجازة لتربية الأولاد لمدة عامين، إلا أن ذلك يأتي على حساب العمل، لذا لا نجد القطاع الخاص يقبل بسهولة تشغيل الإناث، بل إن المصالح الحكومية تعاني أشد الاضطراب من انتشار عمل العنصر النسائي فيها، وهذه معضلة أخرى.

ومن ثم فقد بنا التفكير في حلول أخرى، أسهلها أن تعود المرأة إلى البيت وأن تتخلي عن فكرة العمل، ولكن هذا الحل يصعبه عدم كفاية دخل الرجل وحده في بعض الأحيان للإنفاق على الأسرة، كما أن المرأة تقع تحت ضغط التدخلات الخارجية وبعد أن تكون قد وصلت إلى مرحلة متقدمة في العمل ونالت مناصب ارفق فإنها لا تضحى بعملها بسهولة، ومن ثم ينشأ الشقاق داخل الأسرة، ويكون الأولاد والمنزل هم الضحية.

ونحن نحتاج إلى ثقافة للمجتمع تجعل الرجل يساعد المرأة في أعباء المنزل، وتجعل المرأة تختار أعمالاً يسيرة ولا تستغرق أغلب وقتها في العمل، وتوفق دائماً بين متطلبات المنزل والأسرة -ولها الأولوية- ومقتضيات العمل. وحبذا لو انتشرت لدينا الأعمال التي يمكن أن تؤدي في المنزل، وهي كثيرة، مثل الصناعات التي تُدار بانامل المرأة الرقيقة في المنزل، نرى ذلك في دول شرق آسيا وعلى رأسها الصين، حتى في تجميع الحاسبات الآلية والساعات وأدوات الزينة، بل والأغذية.

إن التحدي الأساسي الذي يواجه المرأة المسلمة في بلادنا هو خروج المرأة لتأدية نفس الأعمال في الحكومة وفي القطاعات الأخرى، ومن ثم أصبحت تزاحم الرجل وتعرض للإيذاء في كل مكان، في المواصلات العامة، في جلوسها في المكاتب بجوار

الرجل. في الإختلاط الكامل معه في العمل، وفي كل مكان. إن المرأة التي تعمل وقتاً طويلاً لم تعد تعرف كيف تطهو طعام أسرتها، وإنما تعتمد الأسرة على الوجبات الجاهزة التي تعد في الخارج، ولم يعد الأطفال يجدون من يرعاهم، فمفاتيح المنازل أصبحت توضع في أعلى الأبواب لمن يأتي أولاً من الأولاد، وأصبح دور عاملات المنزل كبيراً في بلادنا، وهم الذين يقومون بعبء تربية الأطفال، فضلاً عن إعداد الأطعمة وترتيب المنزل، ومن ثم فقد البيت الشرقي بعض مقوماته الأساسية في أهمية الدور المبدع لربة البيت في التربية وفي انتقاء الأطعمة وطهيها بالشكل الذي يسعد زوجها وأسرتها.

وقد أوجد هنا التطور تحدياً جديداً أمام المجتمع وأمام المرأة، فلم تعد المرأة هي الإنسانية الرقيقة الجذابة للرجل والتي تسعى إلى راحته، وإنما اتخذت نائماً موافق تجعلها أشبه بالرجل، تتسم بالشدّة والصرامة حتى تؤدي العمل بكفاءة، وحتى تبعد عنها من في قلبه مرض، وما أكثرهم الآن بيننا، بل إن مجازاة المرأة العاملة لمقتضيات الزمالة في العمل وشيوع أفكار عن أهمية هذه الزمالة أوقع مجتمعاتنا في مأزقٍ شديد، ولكم انحلت عرى أسر بسبب ضعف الزوجة أمام رجل محتال أو همها وزين لها أن تترك زوجها وأسرتها، وأن تعيش معه بزواج أو بغير زواج، وهذه للأسف أصبحت إحدى الظواهر التي نحياها.

ومن التحديات التي أصبحت تواجه المرأة في عملها، تحدّي التزيّن لغير محارمها، فليس من السهل على المرأة أن تخفي زينتها أو خضوعها بالقول أثناء العمل، خاصة إذا كان عملاً بسيطاً لا يستغرق وقتاً طويلاً. فضلاً عما فيه من فتنة للرجل الذي يجلس إلى جوارها في العادة، فهو أمر مكلف جداً للأسرة ومندّر بالخراب، لأن المرأة

والرجل خبيلا على الرغبة المتبادلة، وكثيراً ما لا يمنعها السياجات أو محاولات الحجب الهشة.

وهناك من التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في الوقت الحاضر ما هو أشد، إنه تحدي العولمة، وما يتضمنها من قابلية لكل شيء للبيع والشراء، تحدي النمط الإستهلاكي الذي تفرضه العولمة وتجعل مختلف المجتمعات في حالة تبعية تلقائية له، بسبب ترويج السلع والخضوع الكامل للمادة الإعلانية التي تقوم بهذا الترويج، فالمرأة نفسها سلعة تستغل في الإعلان.

إن جسد المرأة ومفاتها أصبحت الوسيلة الإعلانية الأولى، ولا شك أن المستثمر والبانع الغربي هو الذي لا يعبا بجسد المرأة، بل إنه طالما أباح رسم المرأة وتصويرها عارية بدون حياء كما يظهر من اللوحات الشهورة للرسامين والنحاتين الغربيين، في الوقت الذي صان الإسلام الجسد وجعله كله عورة لا يجوز أن يظهر منه شيء إلا الوجه والكفين.. فمانا تفعل المرأة المسلمة أمام هذا التحدي؟!

إن عليها أن تتأبى على عرضها كسلعة، وعليها أن تقف ضد هذه الوسائل الإعلامية التي تستعين بالمرأة في الإعلان.

وتواجه المرأة حملات تعيد إلى الأذهان عهد الرقيق الأبيض، حيث تخصص مصابات في بيع جسد المرأة والمتاجرة به، ويجب أن ترفض المجتمعات الإسلامية كافة أشكال الإتجار بالرقيق الأبيض، أو اتخاذ جسد المرأة وسيلة للدعاية والإعلان عن السلع.

خاتمة،

في هذه الأوراق القليلة استعرضنا بعض ما يواجه الأسرة في مجتمعاتنا من تحديات ومشكلات بسبب التغريب. إن الوضع الخاص بالمرأة في المجتمعات الإسلامية قد وضع أسسه الإسلام بشكل يحقق التوازن بين الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة والأولاد.

وقد بدأ ذلك يختل بسبب التدخلات الغربية التي ما فتأت تصور المرأة المسلمة بانها مستكينة، وتعامل معاملة سيئة في مجتمعاتنا الإسلامية، وبدأت تشجعها على التمرد والخروج على النسق الإسلامي، وجعلت المطالب الرئيسية لها تتصل بوصولها إلى الولايات العامة الكبرى في الدولة، بما في ذلك رئاسة الدولة، والوزارة والقضاء، والأهم من ذلك تلك التحديات التي بنات تتصل بحياتها وأسرتها وتأديتها لوظائفها الرئيسية.

إن التوفيق بين العمل وواجبات الأسرة من الأمور الصعبة التي فشلت فيها المرأة إلى حد كبير، فتحلل الأسرة أصبح ظاهرة خطيرة في مجتمعاتنا الإسلامية لهذه الأسباب. كما بنات تطفو على السطح ظواهر الفساد في علاقات الرجل بالمرأة، وكثرت حالات الزواج غير الرسمي التي لا يتحمل فيها الرجل والمرأة اية أعباء، وإنما يقضون مآربهم الجنسية من خلال هذه العلاقات، مما أدر على الظواهر الإجتماعية بشكل عام والأسرة المسلمة بشكل خاص.

إن اختلاط المرأة بالرجل في العمل وفي أماكن العلم قد أوجد بدوره مشكلات عديدة، فما أحرى الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم أن يتبعد عنها. إن ظاهرة العنوسة والفساد والعلاقات الأثمة، فضلاً عن الطلاق وتحلل الأسر أصبحت أهم الظواهر الإجتماعية التي تحيط بالأسرة.

لذا أتطلع إلى توصيات تأتي من هذا المؤتمر تسهم في راب الصدع الذي أصاب حياتنا الإجتماعية، نتيجة للهيمنة الغربية. والتي تقول لنا عن طريق وناثق دولية، إباحية.. هل من مزيد؟!

لقد رفض الأزهر والكنيسة الإعتراف بالعلاقات الجنسية غير المشروعة والتي تتم خارج الزواج. كما رفض الإعتراف بالزواج المثلي وبالإجهاض دون سبب قوى يقرره الأطباء، ومطلوب من مجتمعاتنا أن تقوي التماسك في العلاقات الإجتماعية، وأن تجد حلولاً لمشكلات العنوسة والبطالة، وأن يزود الشباب والشابات بالطاقات الروحية التي تأتي من تعاليم السماء، وبالطاقات المادية التي تلزم لإقامة الحياة السليمة. فمطلوب مساكن تصلح للحياة ويقدر عليها الشباب، وتسهم فيها الدولة والمقننون كذلك، للقضاء على هذه المشكلات.

إن أوضاعنا الإجتماعية تحتاج إلى دراسات متأنية تعترف بالظاهرة وتشخص المشكلة، ثم تقدم العلاج اللازم لها، وإن لم نفعل فإن أزمات العصر سوف تحيط بنا أكثر وأكثر.

وأخر ما أوصى به هو رفض الهيمنة الغربية التي تحيط بنا الآن، والتي تختار ليس فقط القوة العسكرية والإقتصادية لتحطيم إرادتنا وشريعتنا وإنما تختار التدخل في التعليم والتربية والحياة الإجتماعية والسياسية، بدعوى أننا في حاجة إلى الإصلاح. وهم الذين في أمس الحاجة إليه بعد أن تصدعت مجتمعاتهم وتصدعت أركان الحياة السليمة فيه.

المراة المسلمة والإنتماء الحضاري المعاصر

الأستاذ الدكتور

محمد أمين السماعيلی المملكة المغربية

المرأة المسلمة المكرمة في القرآن الكريم والسنة، وبهما داخل المجتمع الإسلامي الأول، وعبر المجتمعات الإسلامية المختلفة، تعيش اليوم أزمة حضارية وسلوكية تبتعد بها عن روح الإسلام ومقوماته الثقافية والحضارية، إنها تعيش أزمة في نفسها، وفي فكرها، وفي تصورها، وفي سلوكها، وفي واقعها ويدرك كذلك أن شروطاً موضوعية أخرى ساهمت في حياة العيش الذي تحياه في بلادها وبين قومها، غريبة عن قيمها الذاتية التي هي قوام حياة العزة والأنفة والكبرياء الإيجابية في أنوثتها وقاعدتها الدينية الإسلامية الإيجابية التي تعطي الوجود الإنساني للمرأة المسلمة حقه في الحياة الكريمة المتميزة عن الملكة البهيمية، فهي منذ بدأت تبتعد عن القيم الإسلامية وحدثت نفسها في حجيم من الضياع داخل مجتمعتها.

إن المرأة المسلمة المعاصرة أخذت تحمل تصوراً للكون وللوجود وللحياة يحنت شرحاً واسعاً في بنيتها النفسية والفكرية، فهي تعيش واقعاً إسلامياً في الجملة يؤثر على نمط تفكيرها بمقوماته، وعاداته، وتقاليده، واعرافه، وسمته الخاصة، وهي في ذات الحين تعيش تأثير الفكر الغربي الضاغط وتصوره الخاص للكون والحياة والإنسان.

إن العيش والتفكير في التصور الإسلامي فرصة قل نظيرها في الأدیان السماوية والوضعية الفلسفية وغيرها إنها تمنح المرأة الفرصة التي تثبت بها ذاتها وجدارتها

وتبلغ حقوقها كاملة غير منقوصة، تهبها حقوقاً ليس لها مجافاة مع طبيعتها وكيونيتها وتوقعها للحياة الكريمة الإنسانية، بينما القوة الضاغطة الغربية تسعى إلى التصادم الحضاري الإنساني بكل القيم التي تلمح المرأة إليها بفطرتها وتوقعها إلى العزة الكاملة. إن الأفكار الغربية تصادم كل المقومات وإن كانت هناك جوانب يقال إنها تلتقي مع القيم الإسلامية بالقوة والغلبة وليس بغيرهما.

إن الشرخ الكبير المحدث بين الإنجليهين الإسلامي والغربي في حق المرأة المسلمة قد جزأ الذات الإنسانية وجعلها في مهب الريح، حين ينعكس ذلك الإنفصام على البنية النفسية والقيمية للعلاقة الجدلية بينهما. فالمرأة المسلمة المعاصرة لم يبق لها أن أدركت على مستوى الشعور النفسي ذلك الشرخ في ذاتها وفي كينونتها وواقعها المعيش، ولم يبق لها أن أدركت إشكالية ذلك الزواج في المشروع بين حضارتين قرر علماء كل واحدة منهما التصادم وليس التعايش أو على الأقل قررت الحضارة الغربية قاعدة التصادم الحضاري مع الحضارة والقيم الإسلامية دون سواهما ومن جانب القيم مررت الحضارة وأسلوب حياتها الغربية والمحشوة بالدوافع الأيديولوجية والتي تبنتها بعض الحركات النسائية المدعومة من رواد الحركة الغربية وحصرت المشكلة بين الرجل والمرأة بل في أن أزمة المرأة المسلمة قائمة على محورين أساسيين هما :

١ - القضايا في :

أ - القمع والتحرش الجنسي،

ب - عدم المساواة مع الرجل،

ج - عدم إتاحة المساواة في الفرص في العمل بين الرجل والمرأة،

- ك - حرية المرأة المطلقة كما يتطلب النظام الرأسمالي لتتاح الفرصة للإستغلال بكل أنواعه للمرأة في العامل وغيرها،
- ٢ - التطلع للحرية فيما يلي ،
- أ - القضاء على الأسرة،
- ب - مشاعية العلاقات الجنسية،
- ج - القضاء على نظام الوراثة أو جعله يحقق أطماع المرأة دون الإلتفات إلى حق غيرها.

هذه هي العناصر وغيرها في المحورين تبين الهدف من القضايا المشار إليها والتي تهدف إلى خلق تصادم لا يقود أبداً إلى ونام، ويدفع بالمجتمع إلى الضياع وإلى وجود أطفال بدون أمهات أو آباء، ويكون بذلك مجعاً مفكك الأوصال لا يجمع بين أفراده جامع يسير دون هوانة نحو المجهول بعيداً عن الأخلاق والقيم الرحيمة، إنسان الآلة لا يشعر بما يشعر به الكائن البشري بل رغبات تحقق بعيداً عن هدف قيمى يضمن حياة رحيمة سليمة لكل الناس، وإنما تكوين مجتمع تتحكم فيه وسائل إعلام يحركها أناس بدون أي شعور إنساني هدفه تحقيق المصالح الأنوية الدنيوية دون حساب لأي هدف آخر مهما كان نبيل.

إن التصادم الحضاري الغربي الذي يقود العالم اليوم يسير في مخطط يسعى من ورائه إلى جعل المرأة المسلمة لا تعيش في واقع قيمها الدينية إلا من خلال ثقلها الجسمي وأزماتها المعنوية والمادية لا غير، وفي معظم البلاد الإسلامية تهباً واقع مجتمعي مفروض ويطبق بناء مسألة واقعية تريد تحقيق نظرية تقليد الغلوب

للغالب كما قرر عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته وبدأ التصادم يميز كيان الأسرة المسلمة بتهيب الفرص للفتك بالمرأة وربما ياشد مما عليه المجتمع الغربي القارض للتصادم الحضاري فيمارس على المرأة شتى أنواع الضغوط والإغراءات المختلفة والتصورات الخاطئة لمنح المرأة وتجريدها من خصوصياتها، وتصوير ما يجري في الغرب على أن المنجي لها مما هي فيه مجتمعتها برغم التناجح الفلسفة التي شهد عقلاء الغرب على أنها تقود مجتمعه إلى الضياع لا محالة ، "يجب أن يولى المربون اهتماماً شديداً للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى. وكذلك لوظائفها الطبيعية، فهناك اختلافات بين الجنسين غير قابلة للنقص، ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الإختلافات ونحن نسعى لبناء عالم متمثل"^(١)

فإذا كان الحال كذلك عند عقلاء الغرب فما هي الاجراءات التي اتخذها عقلاء بعض البلدان الإسلامية، غير السكوت في الغالب أو الحديث في احتشام كبير؟ هل هناك اجراءات تتخذ قصد حماية كيان المرأة المسلمة والحفاظ على مميزات الشخصية الإنسانية لها داخل المجتمع الإسلامي وفي شتى المجالات الحياتية؟ ثم إن نظرية التصادم الحضاري المفروضة علينا - لظروف وملابسات - قد وجدت كثيراً من الجمود يحيط بالمجتمع الإسلامي في غالبية بلدان الإسلام، دون أن يجد الماء الراكد من يحركه. فنحن إذا عرفنا في الماضي سموخاً لا يقاس، فنحن اليوم نفتقد ذلك الماضي، ونحن إليه كرمز حضاري لا كإطار زمني، بينما الشباب الغربي يشعر بالفخر في حاضره رغم - ما نقول نحن الذين من الله عليهم ببعض التعقل والالتزام- فهل نعمل بجد من أجل توعية المرأة بواقعها في بلاد الإسلام؟

إن التصادم الحضاري يدفع بها إلى مرارة رفض الواقع في بلاد الإسلام، فهي تتمرد عليه، وتنور على قيمه جملة وتفصيلاً، ولو فعلت ذلك بوعي لكان خيراً في قليل من الأشياء ولكن تتمرد وتنور من غير وعي مما يكرس الوضع التصادمي وتجعل من نفسها أداة من أدوات اللعب التي يحركها عدو أمته ويقود بها حركة نشطة يثبت بها وبركز أهدافه المنحرفة التي تجرف المجتمع الإسلامي في عميق سباته وترسخ عملية الإفساد بكل أشكاله.

ومن ثم فإن عمل الدعاة المصلحين لا يستطيع عمل أي شيء لإنقاذ الوضع المتأزم الذي تعيشه المرأة المسلمة في كثير من البلاد الإسلامية.

إنها تعيش أزمة من واقعها اقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً، وعقدياً دينياً، وحضارياً... فلا تلبث أن تصير هي بنفسها أزمة أخرى. فيضيع منها أي توازن من شأنه أن يجعلها قادرة على تحديد واقعها بوضوح ونقطة.

إن كثير من الدراسات تحاول تفسير أزمة المرأة المعاصرة بأزمة الواقع، بل بصفة أدق بالواقع الاقتصادي المتأزم، وترهين فكك أزمتها بفكك أزمته. إن مثل هذه التفسيرات لا تزيد على وصف جزء من الواقع بأنه فاسد، تفهم المرأة المسلمة أن فسادها خارج إرادتها، فيتحول الأمر إلى تبريرات تصب أخيراً في تكريس أزمتها بانتظار انفراج أزمة الواقع الاقتصادي بالفتاح السحري.^(١)

إذا كان الواقع الاقتصادي في أزمة، والواقع الاجتماعي في أزمة فهل هذا من الأسباب الكفيلة بتخلي المرأة المسلمة المعاصرة عن وعيها كلية؟ ليس ذلك معقولاً ولا مقبولاً ولا مبرراً لاستسلام المرأة أمام هذه الأزمات وتصبح هي نفسها أزمة

١ - المرأة العربية المعاصرة، عز الدين البوشيخي، ص ٦٤، مطبعة مكاتب مكناس، الحزب.

حقيقية، فهذا لا يبرر ضعفها وعجزها بل ينبغي أن يكون حافظاً قوياً وليس حافظاً ضعيفاً تقوم بوعي إلى الوقوف في وجه نظرية التصادم الحضاري من خلال عملها على تغيير الواقع المحلي تغييراً جذرياً لا أن تجعل من نفسها أداة لتكريسه وعنصرأ من عناصر المذلة الحضارية التي يسعى الغرب إلى دفعها للوقوع فيها دون شفقة. لأنه حينها إلى الإستسلام وقبول موت الرحمة التي بصورها كآخر الحلول الممكنة وتسد المرأة برمي كل مسؤولياتها على عاتق الواقع المتردي والمتآزم. وتنتظر الفرج من الله الذي تحرك ساكناً إلى جهة رحمته بتغير ما بنفسها حتى يغير الله ما بداخلها - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن وضعية المرأة المسلمة المعاصرة في نظرية الصراع الحضاري الغربية الرأسمالية تحتاج إلى وعي كامل بدورها داخل المنظومة الإسلامية أما صناعة للأجيال ينبغي أن تنطلق من أن وضعيتها كإنسانة في منظومة التوحيد الإلهي، هذه الوضعية التي تحدد وجودها النفسي والإجتماعي والسياسي، والإقتصادي، والفكري، هذه القيم هي التي ينبغي أن تكون إطاراً مرجعياً لقياس الحضارات ليس الغالب اليوم، فهو لن يبق غالباً علداً بل سيكون هناك من هو أغلب منه وربما يكون الإسلام وسيكون إن شاء الله تعالى.

ولما كان الإنسان للعاصر يعاني أزمته في ذاته وفي فكره وفيما يحيط به، ولما كانت الآلية الحضارية الغربية تكرر أزمته رغم أنها من صنع يده، فإن حضارة الغرب التصادمية تجد نفسها في موقف صعب لأنها تجافي الفطرة الإنسانية، فلقد أنشئت دون أي معرفة بطبيعة الإنسان الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الإكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وإن سقط

النظام الشيوعي لينذر بسقوط النظام الرأسمالي إن عاجلاً أو آجلاً لما نراه في المجتمعات التي أصبحت تحمل في ثناياها أسباب فناءها. فإنا عرفنا المرأة المسلمة المعاصرة أن دوام الأمور ليس على الإطلاق حجة البقاء وإنما مراد الله يتحقق بعشيتها، ومشينته لها آجال تحقق فيها. والحسابات الربانية مقرونة بمواعيدها ومربوطة بها، لذا فنحن لا نستعجل الأمور بل علينا الوعي بها.

فنحن نحتاج إلى وعي المرأة المسلمة المعاصرة، وعي بواقعها ووعي بمستقبلها بين

يدي الله.

إن المقصود بوعي المرأة بمستقبلها بين يدي الله، هو قيامها بوعي الحضارة التصادمية الحديثة وتأطيرها وعدم الإلتئام إليها. لقد كان الغرب كله يستفيد من حضارة أمة الإسلام، ويرسل بعثات طلابية للأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها من بلاد الإسلام، لكن تعامله معها لم يصل إلى حد الإلتئام إليها، سيكولوجية وفكراً وسلوكاً. فإلى هذا المستوى ينبغي للمرأة المسلمة المعاصرة أن ترتقي حفاظاً على هويتها الدينية الإسلامية.

إن مكمن الداء، والعقبة الكأداء أمام أي تغيير على أي مستوى هو نظرية التصادم الغربية التي أفلحت الرأسمالية الحديثة في إطلاقها ومواجهة العالم الإسلامي بها، كي تحطمه وتدفع به إلى القنوط وإلى الهاوية والإنتحار. هذه النظرية التصادمية التي من خلالها تنتفي الذات والصفات كماهية والتاريخ كهوية عقديّة وهما معاً يكرسان سوء التعامل مع الآخر "الأعلى حضارية".

لا شك أن عبد الرحمن ابن خلدون قد فقه فكرة "الأعلى حضارياً" حيث سعى في مقدمته مفسراً سلبيات هذه النظرية : "إن النفس أبداً تفتقد من غلبها وانقادت

إليه ؛ إما لنظرة بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما لتغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لهما اعتقادا، فانتحلت جميع مناهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الإقتناء.

أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لهما ليس بعصبية ولا قوة باس، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمناهب...

ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبنا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها في جميع أحواله.^(١)

فتقليد المغلوب للغالب استيلاء للهوية، ومنع لتقييم، وذهاب للإعتبار. أما إذا كان الغالب يدفع سلاح الصدام الحضاري فذلك معناه نهاية المغلوب بأي وسيلة كانت إذ لا سبيل له للإنعتاق، فإذا كانت المرأة المسلمة المعاصرة تريد أن تحيا في تاريخها وقيمها وقبل كل شيء عقيدتها فإنها سوف تأمل البقاء أما إذا ارتفعت في أحضان اليأس والقنوط فإن الذوبان والنهاية هما المآل.

ولو كانت المرأة المسلمة تطمح إلى مكانة في العالم الإنساني بدينها فلها في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة فقد أباح لها صلى الله عليه وآله وسلم أن تعمل عقلها وتجيل آراءها فيما يعرض لها فتتمثل الواقع بنظائره وتشبهه بأمثاله وترد بعضها إلى بعض في الأحكام، وقد رضي لنا الاجتهاد في حياته والوحي يتنزل عليه من السماء، فكيف لا نقبل ذلك، والعالم من حولنا مشتعل بالنبال والحرب والآراء المضادة لديننا ووجودنا ماذا عسانا نعمل إذا لم نحاذر الواقع ونعمل للمستقبل، والمرأة أما وزوجة وقاعدة أساسية فليس لنا من مصير غير الذي ترضعه

١ - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص ١١٢.

فمتى تراها ترضع العزة والمنعة والعقيدة السليمة لأجيال الغد؟

أما إذا بقيت المرأة المسلمة المعاصرة تعظم الغرب وكل ما هو غربي، وتعتقد فيه الكمال، وتتوهم أن تقليده عبر الإنتماء إليه تصوراً وسلوكاً وقيماً هو التحرر والتقدم وهو الحضارة التي تتفدأها من الصدام الحضاري والهروب من الجمود والانتماء إلى الحضارة الإسلامية فهي تقع حيث تريد الهروب والنجاة فتسقط في الإستيلاء، حيث لم تبحث عن ذاتها، إلا في ذات الآخر وفي قيمه وهبوطه الأخلاقي ومسخه الإنسانية الداخلية عليه واحتقاره لهم وما هي النتيجة التي حققت؟ لا شك أنها فقدت كل شيء، وسقطت فريسة في يد الآخر.

إن المسؤولية الحضارية تقتضي من المرأة المعاصرة وعى ذاتها ووعي الآخر، وتحديد العلاقة بين الأنا والهو، وبين الأنا والواقع بشكل يضمن للذات تحقيق تلك المسؤولية المتمثلة أساساً في المساهمة وبفعالية في بناء حضارة إسلامية جديدة على قواعد الماضي الإيجابي، وآمال المستقبل، ولتعلم المرأة المسلمة المعاصرة أن المهادنة مع الآخر لن تنفعها فحتى لو هادنته من طرفها فسوف لن يترك لها الفرصة للإعتاق، في قضية لا مهادنة فيها إنه صدام الحضارات الراسمالي بكل ما أوتي من ميكافيلية قاتلة لا تعرف الرحمة، والمرأة المسلمة إذا عادت لوعيها فسوف تصون النفس والعقيدة وترضع الأجيال القادمة العزة والكرامة والأنفة وكلها إسلام.

حقوق المرأة ومسؤوليتها الاقتصادية في الأسرة والمجتمع

ريباب الصندر

رئيسة مؤسسات الشهيد الصندر في لبنان

المرأة: ولادة الوطن والمستقبل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه نبيه وحيبيه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ندور حول عصر العولمة، أو يدور بنا عصر العولمة، وتتوالى البيانات والتوصيات والشعارات من المؤتمرات والتظاهرات الدولية كما المحلية، وواقع المرأة في هذه المنطقة من العالم ما يزال يدور حول نفسه. كما وأنها ليست بأفضل حالاً حينما كانت، حيث نلاحظ "أن الحضارة الحديثة قد أعلنت تحريرها، لكنها قيدتها بمختلف وسائل الإعلام والتجارة والأزياء والحفلات..".

صحيح أن نسبة الأميات بين النساء تشهد انخفاضاً متنامياً، وخروجهن من المنزل لم يعد معضلة في حد ذاتها، كما وأن أزمنا الاقتصادية المتفاقمة تدفعنا إلى الإستعانة بسواعد المرأة في العمليات الإنتاجية.. إلا أن الطريق أطول بكثير مما خلفناه أو نخاله.

يرتكز الإسلام على مبادئ أساسية قوامها المساواة الكاملة في الإنسانية، وفي العبادات. ولدينا في ذلك خير دستور وأفصح دليل، سيما في شرعة الحقوق والواجبات "لهن مثل الذي عليهن بالعروف". ونحن نجد هذا المعنى في قول الإمام السيد موسى الصدر "في الحقيقة لو حاولنا تحرير المرأة تحريراً حقيقياً، فإنتنا نجد

في التعاليم الدينية ما يؤمن ذلك لها" - كما ويقول "الدين لا يمنع إطلاقاً من ممارسة المرأة لمختلف النشاطات الإجتماعية".

ويبدي الإمام الصدر رأي القرآن في المرأة فبيلفتنا إلى أن القرآن (بمتمرها مثل الرجل في الحقيقة وفي الذات) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً [الروم /٢٧] ثم يعلن إنها تشارك مشاركة جوهرية في تكوين الطفل، وليست ممرراً لإتجاب الرجل ولا حقلاً ليدره (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) [النساء /١٠] ويلفت الإمام الصدر كذلك إلى أن تكرار عبارة: (بعضهم من بعض) تؤكد على المساواة.

ويحترم عمل الإنسان رجلاً وامرأة، فمن المحرمات فرض عمل على المرأة حتى من زوجها وليس لأحد من منع الرجل والمرأة من العمل وحجز حريتهما أو حرمان العامل أو العاملة اجرتهما.ومن هنا يحترمها معنوياً بالآية الكريمة: (إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) [آل عمران /١٩٥]. واقتصادياً (للرجال نصيب مما كسبوا وللنساء نصيب مما أكتسبن) [النساء/ ٣٢] وسياسياً (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيمنك على ألا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين بهتاناً يغربنه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستقر لهن) [المتحنة /١٢]

ولا يقوم الأمر بتعداد من الحقوق، بل إنها بدني جميع شؤون الحياة من حقها بالتصرف بأموالها حتى بعد الزواج، كما لا يفرض عليها الزواج دون رضاها إلى آخره من الأحكام.

ورغم ذلك، هناك تيار كاسح يجتهد في إعادة إنتاج أحكام وشرائع فيما عني

العاملات، دون أن يوضح فيما إذا كان اجتهاده على مستوى العاملات أم المبادئ. والفرق واضح بين المبادئ والعاملات. فهذه الأخيرة يضع معظمها الفقهاء، وهي بحاجة دوماً إلى إعادة النظر فيما بها يتماشى مع تطور حاجتنا وظروف دنيانا ولنا دائماً في المبادئ خير مرشد ونعم الدليل.

من المفاعيل الخطيرة لجمود العاملات وثبات تطبيقاتها أنها ترسخ في الناكرة المجتمعية وتتساقط سلم القيم لترقى إلى مستوى المبادئ. والأمثلة الشعبية مثل "المرأة بربيع عقل" خير شاهد على ذلك. تكمن خطورة المفاهيم التقليدية في أنها تأسر أواليات التفكير وتكبل السلوك الاجتماعي. والمفاهيم المترسكة والمتوارثة أنتجت ما يشبه الممانعة الشعبية لتحقيق العدالة الاجتماعية وبالأخص العدالة بين الجنسين. لقد ان الأوان للتعاطي مع المرأة كونها عنصراً فاعلاً وإيجابياً، وليست مجرد مستفيد سلبي من برامج الدعم والمساعدة. ومن هذه المنطلق، ان الأوان لانتهاج استراتيجية شاملة متكاملة مبنية على تحديات الواقع بكل حقائقه المرة والخطوة. وهدافة إلى إحداث تغييرات نوعية وكمية ومترسكة تفضي إلى العدالة الاجتماعية وإلى تحقيق إنسانية الحياة.

لا بأس من اعتماد مخطط متشعب لكافة الأمية بين النساء، واستطراًناً الرجال، محو الأمية الإنجابية في مسائل الإنجاب والأمومة، فحكايات الأمهات وحرارة الإرضاع هي الفتان الأول الذي يرسم الصورة البهية للمستقل في مخيلة الطفل. محو الأمية التربوية. إذ أن نظام التنشئة، الموكل بشكل شبه حصري للأم، لا معنى له إذا لم يكن مرتبطاً بنظام الحياة وبما يحدث داخل الأسرة والمجتمع. ونظام التعليم سيؤول إلى الفشل إذا لم يكن نظاماً تطويرياً قابلاً للتعديل باستمرار تبعاً

لتغيير المواضيع والحاجات.

محو الأمية الإقتصادية مفهوماً ووظيفياً في أمور الوعي المهني وبناء القدرات،
ومحو الأمية الحقوقية لناحية القدرة على التحكم بالموارد والمشاركة في صنع
القرار.

... وستكون أمية الألقباء في هذا السياق مكافحة حكماً، ومن باب تحصيل

الحاصل.

إن وعي المرأة لنفسها، أو التعاطي مع الذات بإيجابية، هو الشرط الضروري
والأساسي حتى يمكنها خوض حوار حول أدوارها ومواقعها في إطار تفاعلي بناء.
هذا الوعي (أي بناء الثقة بالنفس) هو الكفيل باستنهاض وعي مختلف للعالم
وبطريقة مختلفة، لأنه سيكون معززاً بالإيمان بالقدرة على إحداث تغيير إيجابي
شامل. لا يمكن الثقة بالآخر إذا كانت الثقة بالذات مهزوزة.

كانت المرأة وستبقى مركز الثقل في ترميم الوطن. وفي صناعة المستقبل. وإلى
أن تستعيد المرأة زمام المبادرة في بناء ذاتها وبناء أطفالها، سيبقى الوطن مازوماً.
وسيبقى المستقبل رهينة الحاضر الفصامي بين ماضٍ لا يستعاد وآتٍ نشغل في القلق
منه بدل العمل على صنعه.

واسمحو لي بأن أعود إلى الآية الكريمة في كتابه العزيز : بسم الله الرحمن
الرحيم (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات بهائمك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في
معرفة قبايعهن واستغفر لهن الله أن الله غفور رحيم) .

اللبابعة في مفهومها العام ممارسة حق سياسي، ولكن الممارسة هذه محكومة
بالتحرر من كل مؤثرات الحياة الدنيا، إن كان المؤثر شخصاً أو هوى أو مادة،

وأي ارتباط بأي مؤثر دنيوي هو شرك بالله.. وقد أراد الله من خلال الارتباط به دون سواه، أن يحررنا عقليا ونفسيا وواقعاً من التأثير بسواه. وهنا يفسح المجال أمام النساء بالتححرر من أي مؤثر خارجي وحصر التأثير بالإيمان به.. والإيمان به سبحانه تحرر من كل الأوجاء الضاغطة والمخفية من قدرة هذا الإيمان عندما تقتضي ظروف الحياة موقفا حرا وكلمة جريئة بالمبايعة على عدم الشرك.

وإذا انتقلنا من هذه النقطة فإننا نعيش مع بقية عهد المبايعة على عدم الشرك. ونواصل مع بقية عهد المبايعة في اجواء اخلاقية تبعد المرأة عن الهوى.. وتدفعها إلى الصفاء النفسي والروحي.. وكلما استطاعت المرأة أن تبتعد عن المنكر مما ذكرته الآية الكريمة فهي تتقرب إلى الحرية في القرار والموقف.. بحيث تستطيع ان تقوم بالمعروف .. والمعروف هو كل عمل لله فيه رضا وللناس صلاح. وبمعنى آخر هو كل عمل او قول منطلق من قناعة كاملة بالصلاح.

من المفهوم العام للآية الكريمة، يتبين أن على المرأة ان تحرر نفسها أولاً.. وفي رأس هذا التحرير الأرتبط بإيمان بغير الله، تتوجه إليه وحده في تحركاتها وسكناتها. فلا تقيم له آخر سواء كان ذات أو الرجل أو الولد أو المال أو الشهوات والرغبات.

وبعد أن تصفو داخلياً.. تقوم بترويض نفسها عملياً بالبعد عن المنكرات، وتردف هذا الترويض بفعل المعروف، فتفرض نفسها إنساناً كاملاً قويا ذا رأي وقناعة ورجحان .. يعني أنها تحقق الأهلية اللازمة للممارسات العامة في السياسة والاجتماع ومختلف حقول الحياة. وهنا فرض الله على رسوله الكريم أن يبايع النساء، او بمعنى آخر أن يحرر تحركهن الاجتماعي ليؤدبن دورهن في القيام بالمعروف حسب المفهوم القرآني.

والعروف هو العمل الصالح كما قلنا، ونتائج العمل الصالح الحياة الطيبة .. والحضان .. والأجر وعدم الخوف .. والدرجات العلى .. والفلاح وسواها من المعاني التي وردت في القرآن الكريم لن أمن وعمل صالحاً، فيما لا يقل عن ستين آية .. وفي أغلبها ينص على الذكر والأنثى .. فجمعهما معاً في ثنائية متلازمة مع ثنائية أخرى، ثنائية الأيمان والعمل الصالح.

التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية

رغم إعادة تعريف التنمية وإدخال المكون البشري بعناً أساسياً فيها، مع ما يشتمل عليه ذلك من مفردات توسيع الخيارات وممارسة الحريات والمساءلة والحكم الصالح، ونظراً لتفاقم مشكلة الفقر في العديد من بلدان المنطقة .. فإن النمو الاقتصادي ما يزال أولوية ملحة، وذلك بكل ما يحويه من خلق لفرص العمل وتمكين للمجموعات الضعيفة وتوزيع عادل للموارد.

أثبتت تجارب العديد من الأمم أن إطلاق العجلة الاقتصادية يتوقف إلى حد بعيد على مبادرات القطاع الخاص، وفي عائلنا الإسلامي المئات بل الآلاف من التجارب الناجحة، تجارب أولئك الذين زاوجوا بين نجاح أعمالهم لناحية توليد القيمة المضافة، وبين مسؤولياتهم الاجتماعية لناحية أعمالهم الخيرية وإسهاماتهم في تنمية مجتمعاتهم.

للقطاع الخاص مصلحة أكيدة في التنمية وفي تمكين الناس، موارد بشرية مدربة، قوة شرائية، رفاهية .. الخ. والمسؤولية الاجتماعية لأصحاب المال والأعمال لم تعد مجرد ترف أو خيار يمكنهم أو لا يمكنهم تبنيه، بل أصبحت شرطاً ضرورياً لنمو أعمالهم ونجاح مشاريعهم على المدى الطويل.

- يرتكز خطاب النوع الاجتماعي والتنمية على ٣ محاور أساسية:
- ١- بناء القدرة على الفعل، أي تمكين النساء من الإسهام المتكافئ والفاعل في صنع القرارات على شتى المستويات.
 - ٢- بناء القدرة على العمل مع الأخريات والأخرين، أي تمكين النساء من الانتظام ضمن مجموعات اجتماعية فاعلة وهادفة،
 - ٣- وبناء القدرة الذاتية، أي تمكين النساء من بناء الثقة بالنفس، والثقة بالقدرة على إحداث تغيير.

التنمية وأعمال القطاع الأهلي

حرص الإمام الصدر على تاطير حركة الناس الفاعلة فكان أول من طرح تنظيم العمل المؤسساتي والإنمائي في المناطق المحرومة بناء على دراسات علمية وافية يحكمها النهج الإيماني المنفتح على الآخر

ولهذا تتقدم الجمعيات التطوعية والأهلية التي أسسها الإمام الصدر بخطى أكيدة على طريق المساهمة الفاعلة في التغيير الاجتماعي وفي تحريك القطاعات الشعبية وإدماجها في عملية التنمية. وبلدت تلك الجمعيات تتجاوز أدوارها التقليدية في تأمين الرعاية للضعفاء ونجدة ضحايا النكبات والحروب، وتنتقل منها إلى أدوار أكثر تقدماً. وتحديداً في مجالات التمكين والتدريب والشاركة سعياً نحو العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة.

ونظراً لنمو طموحاتها وتوسع مشاريعها، بدأت مؤسسات الامام الصدر تستشعر الحاجة إلى تنمية مواردها الذاتية وإلى إطلاق مشاريع مدرّة للدخل ومحققة للقيمة

المضافة بمفهومها الاقتصادي البحث، وتقوم بتوظيف تلك العوائد في مشاريع اخرى او في تطوير ما هو قائم.

لماذا المرأة؟ المرأة والتنمية

مضت عقود طويلة على شعوب المنطقة، وعلى غيرها من الشعوب، ومجهودات التنمية تواجه العديد من الإخفاق والتحديات. ولعل السبب الأساسي في ذلك هو أن البرامج التي طرحت تجاهلت الدور المحوري للمرأة. في حين أن المرأة هي الأقدر والأكثر مهارة على التقاط التفاصيل الدقيقة للمجتمع وبالتالي على إحداث التغيير المطلوب. وعليه، يكون كسب التنمية عبر إعادة تعريف أدوار النساء والرجال، وغير تبني أدوار أكثر عدالة في علاقات العمل والأذهان والتشريعات، وفي أسلوب الحياة عموماً. علماً بأنها -أي المرأة- أثبتت مقدرة عالية على تبني مواقع المسؤولية واتخاذ القرار، وعلى إطلاق المشاريع الناجحة وإدارتها.

الانتقال نحو القدر الأفضل مهمة صعبة ومركبة وطويلة، إلا أنها ممكنة وضرورية. والتغيير المنشود ليس مسرحة القيادات والتشريعات فقط. بل أيضاً وربما الأهم - ما يحدث في أوساط العامة - على مستوى العائلة والحي والشارع والمدرسة والوسيلة الإعلامية. وفي كل دائرة من هذه الدوائر تلعب المرأة دوراً محورياً، وإلا فإننا نعيد إنتاج الأوضاع القائمة بكل ما فيها من وهن وقصور.

المرأة في مؤسسات الإمام الصدر

كانت السيدة زينب عليها السلام لا تزال تدرج في سنواتها الأولى يوم فقلت أمها، ولكنها لم تفقد ما بنته فيها، كما أنها لم تفقد طريقة العيش التي رسمتها أمها. وجاء يوم غير كل حياة السيدة زينب عليها السلام وعزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من مكة، فخرجت السيدة زينب من كل حياتها لتكون راعية للنساء والأطفال، وتدير الشؤون الإدارية للمعركة، وإذا بها في نهاية الأمر تدير شؤون الإمامة، التي ما سل سيف في الإسلام كما سنل فيها.

كان عليها بعد استشهاد الإمام الحسين وأصحابه ان تحمي الإمامة بحمايتها لعلي ابن الحسين عليه السلام، فكانت مواقفها التي نستعيدها في مناسبات عاشوراء مع ابن سعد، مع ابن زياد، مع يزيد، في مسيرة السبي ذهاباً إلى الشام وعودة إلى المدينة مما جعلنا نخرج بالصورة الكاملة للحركة النسوية لبيت النبوة، فالسيدة خديجة رعت النبوة، والسيدة الزهراء رسمت حدود الحق في الإمامة والسيدة زينب حمت الإمامة، صلوات الله وسلامه عليهن وعلى النبي وآل بيته وعلى الأنمة المعصومين وبذلن في ذلك كل متاع الدنيا لنيل المتاع الآخروي.

هكذا أراد الامام السيد موسى الصدر للمرأة ان تتأسى بالسيدة زينب (ع) بتساء بيت النبوة، وان اختلف الزمان والمكان. أراد للمرأة ان تكون ركيزة للمجتمع الفاضل، مجتمع العلم والإيمان. فممنذ تأسيسها، نهجت مؤسسات الإمام الصدر نهج سيدها الإمام السيد موسى الصدر وسارت على أسس هديه، حيث يتحد الخيار والالتزام الديني والإيماني بالخيار العملي في الحياة. تميزت الجمعية بسجلها الواضح في التصدي لمشكلات المرأة ولاحتياجاتها التربوية والصحية والمهنية، فاكتملت

مكانة مرموقة في أذهان وذاكرة المجتمع النسائي خصوصاً الفقيرات ومحدودات الموارد، وكان ذلك بفضل مساهماتها القيّمة في المساعدة الاجتماعية وبرامج محو الأمية ورعاية اليتيمات والتصدي لغير ذلك من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المرأة الجنوبية في الظروف العصيبة.

إضافة إلى إسهاماتها المحلية، تنخرط المؤسسات في شبكة روابط وعلاقات وطنية وعالمية خصوصاً مع المنظمات المهتمة بقضايا المرأة. لهذا تراها تساهم في المؤتمرات والمنتديات المحلية والإقليمية. كما وساهمت المؤسسات في كافة النشاطات والتحركات ذات العلاقة بمناهضة كافة أشكال التمييز ضد المرأة. والخطاب الرسمي للجمعية يدعم بوضوح قضايا العدالة الجنسانية ومساهمة المرأة في الحياة العامة.

والجمعية تساهم عبر علاقاتها المحلية والإقليمية والدولية في تبادل خبراتها وتعميقها وفي تغذية النقاش حول أمور الإغاثة والتنمية في لبنان. وقد نالت مؤخراً العضوية الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة بهدف زيادة فعاليتها وتأثيرها على المستولين المحلي والدولي. كما وتبذل الجمعية جهودها لتشجيع وتعزيز الحوار والتلاقي بين الثقافات المختلفة لتحقيق التفاعل والتسامح تمسياً مع شخصيتها الوطنية المنفتحة على الجميع.

يكاد تمكين المرأة يكون جوهر وجود جمعية مؤسسات الإمام الصدر ونهايتها،

وذلك عبر:

- تمكين ديني وأخلاقي وروحي بحيث إن تقوم بالمعروف ... والمعروف هي كل

عمل لله فيه رضا وللناس صلاح.

تمكين تربيوي ونفسي واجتماعي عبر رعاية اليتيمات وتأهيلهن
تمكين صحي ونفسي واجتماعي عبر برنامج رعاية الأم والطفل وجلسات الحوار
والتوعية وخدمات المراكز الصحية والاجتماعية

تمكين مهني وتقني في مدرسة التمريض وبرامج التدريب المهني المعجل
تمكين حقوقي وسياسي لإحداث التغيير الاجتماعي العميق عبر إعادة النظر في
عدالة الأدوار المناطة بكل من المرأة والرجل، وعبر حوار الطاقات ومكافحة كافة
اشكال التمييز

توفير نموذج مماثل وقابل للاقتداء به لناحية الحضور الفاعل للمرأة في
عمليات اتخاذ القرار والإدارة، وهذا ما يعكسه الهيكل المؤسسي للجمعية.

الأهداف العامة للجمعية :

تري الجمعية مبررات وجودها واستمرارها من أجل تحقيق الأهداف عبر ترجمة
فكر الإمام السيد موسى الصدر أي الفكر الإصلاحية الاجتماعي التنموي على النحو
التالي :

تحسين نوعية الحياة وظروفها عند الفئات المستهدفة (المحرومين، المرأة، المجتمع
المحلي)، إشراك وتمكين المستفيدين عبر تنمية قدراتهم وإمكانياتهم، تهيئة مناخ
الحوار والتلاقي بين الأديان والثقافات والجماعات.

الأنشطة العامة

رعاية اليتيمات

تربية أكاديمية ومختصة ودار حضانة

إعداد وتدريب مهني

شبكة من المستوصفات الثابتة والمتحركة

خدمات اجتماعية وتنموية (مطعم خيري ومعامل حلويات، معمل تجميع

وتصنيع الحليب، إعداد المؤونة المنزلية، الخ)

خدمات ثقافية متنوعة (تنظيم مؤتمرات، مركز أبحاث، نشر، الخ)

وفتكم الله ورعاكم، وتقبل أعمالكم وشكراً لكم لاستضافتكم والسلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.

(معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة)
بحث موارد تعارض روح ومضمون المعاهدة مع
القيم الوطنية الثقافية للمجتمعات المختلفة

دكتورة طوبى كرماني

استاذة جامعية

مقدمة تاريخية :

حتى أوائل القرن العشرين لم تكن الأنظمة الغربية المختلفة تولي أي أهمية لحقوق المرأة ولكن مع حلول العام ١٩١٨م تمكنت النساء في انكلترا والعام ١٩٢٠م في امريكا، من الحصول على حق الإدلاء بأصواتهن والمشاركة في الانتخابات و في العام ١٩٤٨ و للمرة الأولى تحلت الاعلان العالمي لحقوق البشر وبصراحة عن تساوي حقوق الرجل والمرأة. وأخيراً وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٧م صدقت الهيئة العامة للأمم المتحدة على اعلان رفع التمييز ضد المرأة في مقدمة و١١ مادة.

وهنا لا بد لنا من توضيح مختصر لاصطلاحين وكلمتين هما : المعاهدة، و التمييز..

معاهدة (كنفانسيون) : وتعني توافق دولي أي العقد الذي يتم الاتفاق عليه بين دولتين أو عدة دول. ولا يخرج موضوع هذا العقد عن إحدى حالتين : إما ان يكون الموضوع متعلقاً بقواعد كلية (نوعاً) في الحقوق الدولية وإما ان يكون موضوع العقد شاملاً لقرارات تتعلق بمواضيع خاصة في العلاقات الدولية، وتستعمل الكلمات "اتفاق" أو "عهود" و"توافق" أيضاً للدلالة على معنى المعاهدة الدولية أو "الكنفا نسيون".

المعاني الاصطلاحية : التمييز : لا يعني مفهوم التمييز في اصطلاح " معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة"

صرفت إلغاء التمايزات واللامساوة المحففة بل انه يؤكد على التساوي الكامل في التعامل مع النساء و الرجال في جميع الشؤون والمجالات ، بطريقة توحى بقولها بعدم وجود أي اختلاف أو تمايز طبيعي وبيولوجي بين الرجل والمرأة أو انها (أي المعاهدة) لا تعتبر اساسا بان هكنا اختلافات أو تمايزات يمكن ان تؤثر على الحقوق والواجبات والادوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة. التعريف الذي قدمته المادة الاولى لهذه المعاهدة عن التمييز يدل بشكل واضح على هذا المعنى.

للتمييز في هذه المعاهدة معنى اوسع من المعاهدات المشابهة السابقة وهو يشمل في الوقت نفسه تساوي الفرص (مساواة رسمية - قانونية) وايضا التساوي في الانجازات (مساواة عملية وفعلية)، في الواقع ان المساواة المطروحة في المعاهدة تعني التشابه الكامل بين حقوق الرجل والمرأة في كل شيء.

اول مؤتمر عالمي للنساء في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٥ م وضمن تشجيعه و تاييده على دور لجنة مقام المرأة طلب من منظمة الأمم المتحدة ان تلزم دول العالم بقبول و تنفيذ المعاهدة التي كانت في طور الاعداد والصيغة.

قدمت لجنة مقام المرأة عام ١٩٧٧ مسودة المعاهدة التي كانت قد اعدتها إلى الهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة. ليتم عبور مشروع " معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة" من مرحلة تصديق الهيئة العامة لمنظمة الأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ م ويصبح لازم الاجراء من تاريخ ٣ سبتمبر ١٩٨١ م

وخلال السنوات الـ ٢٥ السابقة تم عقد خمسة مؤتمرات عالمية في مجال الدفاع عن حقوق المرأة من قبل منظمة الأمم المتحدة وذلك لتحديد السياسات والاستراتيجيات العالمية المناسبة لاجراء وتحقيق مضامين " معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة" : مؤتمر مكسيكوسيتي (١٩٧٥ م) ، مؤتمر كوبنهاغن (١٩٨٠ م) ، مؤتمر نيروبي (١٩٨٥ م) ، مؤتمر بيكين (١٩٩٤ م) ، مؤتمر نيويورك (٢٠٠٠ م).

ومع انه لم يمنع الالتحاق بالمعاهدة مع وضع الشروط الخاصة ولكن البند الثاني من المادة الثامنة والعشرين للمعاهدة ينص على ما يلي، "يمنع وضع أي شرط يكون مغايراً لهدف وقصد المعاهدة".

ولذا فإنه لا يحق عملياً للدول التي تعتبر ان روح المعاهدة مغايرة لقيمها الثقافية الوطنية ان تضع الشروط والقيود.

ولقد انضمت حتى الآن البلدان التالية إلى المعاهدة : (إضافة إلى الكثير من البلدان

الأوروبية والأمريكية وغيرها)

١٤- بلداً أفريقيهما مسلماً من اصل ١٧ بلداً

٥- بلداً آسيويهما مسلماً من اصل ١٢ بلداً

٩- بلداً عربيهما من اصل ٢١ بلداً

بناءً على المطالعات التي أجريت في مركز الأبحاث الإسلامية في هيئة الإنعاش والتلفزيون (في إيران) فإن هذه المعاهدة تغاير الأحكام الشرعية في أكثر من أربعين مورداً وتغاير القوانين الداخلية (الإيرانية) في سبعين مورداً.

وبشير تقرير إحدى لجان الحكومة (الإيرانية) ان موارد التغايرة أكثر من هذه الأرقام بكثير وأنه فقط في المادة الأولى من هذه المعاهدة يوجد تسعون مورداً مغايراً مع الدستور وقانون العقوبات الإسلامي وسائر القوانين.

الفتاوى الصريحة للقائد الولي الفقيه (الامام الخامنئي) ومراجع التقليد تبين

ايضاً عدم جواز الانضمام لهذه المعاهدة.

ومع ان دلائل كثيرة تطرح من قبل الموافقين على الانضمام للمعاهدة ، الا ان السبب الأول لتأييدهم انما هو تخفيف الضغوط الدولية ورد الاتهامات والادعاءات الدولية.

من المفيد ان نعلم هنا بانه في الحال الحاضر قد اُست الكثرات من النساء المتقفات والفكرات الغربيات نقاط ضعف هذه المعاهدة ويقمن بابراز عدم رضاهن عن هذه الوصفة غير الشافية لمشاكل النساء بطرق واساليب مختلفة.

المطلب التالي هو ترجمة لمقالة لجمعية غير حكومية من النساء الامريكيات تدعى "نادي الامهات الامريكيات" وقد نشرت هذه المقالة على الموقع الانترنتي لهذه الجمعية :

[/CEDAW.htm](http://CEDAW.htm) www.americanmothers.org

جزء من اعتراضات " نادي الامهات الامريكيات " ،

" على الامريكين ان يعلموا بان الهجوم على الامومة ، الدين والسيادة الوطنية قد وصل إلى مقربة من حدودنا "

سنذكر هنا الاسباب والدلائل الاساسية المذكورة لخالفى الانضمام لهذه المعاهدة ومن ثم نضع مختارات واقسام من تقارير لجنة المعاهدة بعنوان مستندات وادلة لرافضي الانضمام.

١- من وجهة نظر خبراء الامور الساسية، يعتبر الانضمام للمعاهدات الدولية نوع من المشاركة الدولية في حكومة البلدان (الموقعة على المعاهدة)، وتسعى البلدان عادة إلى تجنب الانضمام إلى هذه المعاهدات ما لم تتأكد من وجود مصلحة واضحة لها في الانضمام.

٢- لم تلتفت المعاهدة إلى الاختلافات الاقليمية، الثقافية والدينية للمجتمعات ولم تأخذها بعين الاعتبار، وعملت على فرض الفلسفة الحاكمة عندها على الثقافات الاخرى عبر تقديم نموذج واحد. وبعبارة اخرى ان مضمون المعاهدة ليس فقط لا يمثل اجماعا دوليا بل انه يمكن الادعاء بأن هذه المعاهدة تمثل نمطا من التفكير الذي اصبح حاليا في حالة العزلة والانزواء وهو التفكير الفيمينيستي (الجيل

الثاني من القيمينيسم) والذي يتعرض حاليا لانتقادات وتحديات جديدة حتى من انصار الفيمينيسم انفسهم.

٢- ان متابعة الاصلاحات الحقوقية والاجتماعية للنساء في اطار هذه المعاهدة سيؤدي الى تهميش الآمال والمثل المحلية ووضعها على هامش الاهداف والاماني المطروحة في هذه المعاهدة ، وكمثال على ما نقول : انا كانت الاولوية في بلد ما لتقوية مؤسسة العائلة وتمتين اوصارها، يمكن الادعاء بان هذه الاولوية تتعارض مع الروح الحاكمة على المعاهدة والمتمثلة في القضاء على الأدوار الجنسية.

٤- يوجد في المعاهدة تعارضات كثيرة لم يذكر آية لازالتها والقضاء عليها، على سبيل المثال : التاكيد على اهمية مؤسسة الاسرة من جهة وسلب العلاقات الحقوقية بين الزوجين من جهة اخرى هو مصداق بارز للتعارض.

٥- من جملة الاهداف والاماني الهامة للمعاهدة القضاء على الأدوار والرموز القائمة على اساس جنسي، عند تطبيق هذا مع حقوق وقوانين البلدان المختلفة تبرز ابهامات وحالات غموض، مثلا : من غير المعلوم ان كان اعطاء النفقة للزوجة او اعطاء المهر أو التعهد به من قبل الزوج هو من مصاديق استمرار الأدوار الجنسية ام لا ؟

من الممكن ان يقال في الاجابة عن هذا التساؤل بان الروح الحاكمة على المعاهدة هي رفع التمييز وهنا لا يتنافى مع اعطاء امتيازات خاصة للنساء. وفي الجواب عليه يمكن الرد ،

اولا، ان اعطاء امتيازات خاصة بدون تحمل مسؤوليات خاصة في المقابل يوجب نوعا من عدم التوازن في المؤسسات الاجتماعية.

ثانيا : البحث الجدي سيكون حول هذا الامر : ماهي الاشياء التي يمكن اعتبارها مصاديقا للتمييز والاشياء التي ليست مصاديقا للتمييز ؟ لانه يمكن الادعاء بانه انا تمت في الظاهر مراعاة حقوق المرأة مقارنة مع حقوق الرجل في بعض القوانين

ففي المقابل قد تم اخذ حقوق اخرى بعنوان تمييز ايجابي يعين الاعتبار (كالتفقه مثلا) وايضاً من خلال سلب بعض المسؤوليات فان التوازن والتعادل بين الجنسين قد تمت رعايته.

٦- احدى الاماني المهمة للمعاهدة هي القضاء على الرموز الجنسية وهذا الهدف له جذر في التفكيك بين الجنس والجنسية "الجندر" مع التوضيح بان الجنس له معنى بيولوجي فقط اما الجنسية "الجندر" فهي مجموعة من الصفات والسلوكيات المعطاة للرجل او المرأة وهي من صنع المجتمع. الاختلافات الناشئة عن الجنسية يمكن تغييرها ومنشأ الظلم والتمييز هو ايضاً هذه الاوصاف والسلوكيات التي يتم تلقينها لمجتمع النساء.

وبشكل كلي الجيل الثاني من الفيمينيسم عندهم المدعيات التالية :

- اولاً : تفكيك بين الجنس والجنسية.

ثانياً : عدم الارتباط بينهما.

ولكن عندما تتم اليوم مناقشة هذا التفكيك ومجادلة الادعاء بعدم الارتباط بين الجنس والجنسية فلا يمكن بعدها القبول بانه لا يوجد مطلقاً اي ارتباط بين طبيعة المرأة وبين العمل الإجتماعي الخاص بها.

٧- من الخصائص الهامة للمعاهدة هيمنة روح محورية الحقوق على المعاهدة واعطاء الاصالة للمسائل الحقوقية واعمال العناصر الدينية، الاخلاقية والثقافية. هذه الخاصية تتعلق بالمجتمع الغربي في مرحلة الحدانة (الدرنيته) . على سبيل المثال لا تتخذ المعاهدة اي موقف من الفحشاء والشذوذ الجنسي.

٨- بنظرة اجمالية للمعاهدة سنجد الكثير من الموارد التي لم تلتفت الى العلاقة بين الحق والتكليف في النظام الحقوقي وتعتبر الحق مقدماً على التكليف، وهذه مؤامرة لتضبيب المجتمعات الإسلامية والعالم الثالث والا فما معنى بانه في بلدان الغرب نفسه يوجد التكليف ثم يتبعه الحق.

٩- العلمانية والحرية الليبرالية من جملة المبادئ النظرية للمعاهدة وعليه فإنها لا تبدي أية ردة فعل على العلاقات غير الشرعية، المثلية الجنسية، الشذوذ، الدعارة (برضا المرأة)، الاستغلال التجاري للنساء والفتيات في مجال الاعلانات والترويج.... وفي المقابل تدين وتنفي مسائل كمنع الزواج من مذهب آخر، منع الأجهزة وارتباط المرأة بزوجها في الحصول على الجنسية.

١٠- بغض النظر عن الانتقادات والأشكالات الكثيرة من جهة المبادئ النظرية الكلية لهذه المعاهدة، فإن مغايرة ومخالفة بنودها للكثير من المواد والقوانين الداخلية لايران من النقاط التي تستحق التأمل في اصل الانضمام للمعاهدة.

١١- ان انضمام الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى المعاهدة، من الممكن ان يتم حالياً بصورتين :

الف - من خلال اعلان تحفظ كلي يقوم على ان مواد هذه المعاهدة يمكن ان يتم اجرائها ما لم تكن مخالفة للشرع المقدس.

ب - الانضمام إلى المعاهدة مع اعلان تحفظات خاصة، وفي هذه الصورة وبسبب كثرة الموارد المغايرة، فإن التحفظات أيضاً ستكون كثيرة ومتعددة.

وعلى كل الاحوال، ومع قيد التحفظ (الشروط) ستبرز الاشكالات التالية:
اولاً ، استناداً الى المادة ٢٨ من المعاهدة وحتى مع غرض النظر عن هذه المادة فإن وضع الشرطين المذكورين سابقاً مخالف للروح الحاكمة على المعاهدة.
ثانياً : اللجنة المشرفة لـ (CEDAW) تعكف حالياً على بحث اقتراح إلغاء جميع التحفظات.

ثالثاً : مع ان اللجنة المشرفة على المعاهدة لم تقم عملياً إلى الآن بإلغاء التحفظات، إلا ان الدول الاعضاء الأخرى في المعاهدة تعترض على الكثير من

التحفظات ومن جعلتها الشرطين المذكورين وتدين الدول التي تتحفظ وتضع هكذا شروط.

١٣- امني وادعاءات المعاهدة لا مصداقية لها. اليوم وبعد مرور حوالي عشرين عاما من انضمام اول دولة للمعاهدة هل يمكن الادعاء بعدم وجود ظلم وتمييز ضد النساء في البلدان النضوية في اطار المعاهدة؟ ام هل يمكن الادعاء بانه في بلد كامريكا التي لم تنضم للمعاهدة لادعائها بان قوانين امريكا هي ارقى وافضل من المعاهدة، ان المرأة تتمتع بوضع مناسب وجيد؟

١٣- النموذج الاسلامي هو التناسب الحقوقي، فيما النموذج الحاكم على المعاهدة هو نموذج التشابه والتساوي الحقوقي. هذا النموذج الذي يؤدي عمليا ومن خلال تجاهل الدور الامومي والزوجي للنساء إلى تزلزل بناء الاسرة، ارتفاع سن الزواج، انخفاض سن العلاقات غير الشرعية و.....

١٤- من النقاط الجديرة بالتأمل في هذه المعاهدة انها أكثر المعاهدات الدولية تعرضا للمخالفة والتحفظات، أي انه قلما استطاع بلد ان ينسجم مع جميع بنود ومواد المعاهدة.

وعلى كل حال السؤال هو هنا : لانا يتم السعي لفرض هكذا وثيقة - لا يمكن اجرائها في كل البلدان- على العالم بعنوان وثيقة دولية؟ وكيف يمكن الإدعاء بان هذه الوثيقة ستتحول قريبا إلى ، قاعدة امرة ، وعرف دولي؟

١٥- من خصائص هذه المعاهدة انها مثل بعض المعاهدات الدولية الاخيرة تشمل على كلمات واصطلاحات اساسية مثل التمييز والادوار الجنسية و.....

هذه الكلمات لم يتم توضيحها ابدا من الناحية المفهومية وامضاء اي وثيقة تحتوي على امر أو امور مبهمه هو من قبيل الجهل والغبن في المعاملة.

وبالطبع يمكن الادعاء بان هذه المفاهيم لها توضيح مفهومي في الوثائق الدولية وفي اعراف المجتمعات الغربية، ولكن التقاسير غير الصحيحة والتي تطرح من قبل

معالجة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة... ٢٠٧

بعض المدافعين لتبرير هذه الوثيقة توسع الاطار وكنانه يوجد ابهام مفهومي في ذات هذه الوثيقة.

مستندات

- مع ان الاعلان العالمي لحقوق الانسان (١٩٤٨م) يلائف بصراحة عن مؤسسة الأسرة والامومة (المادة ١٥ -المقطع ٢) الا ان لجنة المعاهدة المذكورة قد قامت بتوبيخ وتانيب الكثير من الدول الاعضاء :

- خطاب الى " بيلاروسيا " : " ان اللجنة تعرب عن قلقها من استمرار الزواج المرتبط بالدور الجنسي في شكل مؤسسات مثل عيد الام و جائزة الام والتي تعتبر تشجيعا على الادوار التقليدية للمرأة من قبل منظمة الأمم المتحدة ."

- خطاب إلى جمهورية "تشيك" : " ان اللجنة تنظر بعين القلق إلى تزايد الاجراءات التي ترعى وتشجع الحمل والامومة "

- الاعلان العالمي لحقوق البشر (١٩٤٨) وميثاق الأمم المتحدة (١٩٤٥) والميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية (١٩٧٦) يتضمنون موقفا واضحا وصريحا في مقابل التمييز الديني و... " الحريات الاساسية مسلمة للجميع بدون أي فرق من حيث العرق، الجنس، اللغة أو الدين " (المادة ٣-١ ميثاق الأمم المتحدة)
" لكل شخص حق حرية الفكر، الوجدان والدين " (الاعلان العالمي لحقوق الانسان - المادة ٢٠)

" احترام حرية الوالدين.... ضمانة التعليم الديني والاخلاقي لابنائهم وفق معتقداتهم "(الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية - المادة ١٨-٤)

" يتم الاعتراف بشكل رسمي بالدور المحوري الذي يقوم به الدين، المعنويات والعقيدة في حياة الملايين من النساء والرجال " (بيكين + ٥ - ١٩٩٨)

ولكن الهجوم الذي تقوم به المعاهدة ١٩٨١ على دور الدين كان كما يلي ،

٢٠٨ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الاسلامي

" ان اللغة الحاسمة للمعاهدة يمكن ان تؤثر على المؤسسات الابوية ومن حملتها الدين "

" اجراء كل التدابير اللازمة لجهة إلغاء التمييز ضد المرأة من قبل أي شخص أو مؤسسة " (المعاهدة - المادة ٢٠ البند د)

" اجراء كل التدابير اللازمة ومن حملتها وضع القوانين لتعديل أو نسخ القوانين، الرسوم، الممارسات التي تحتوي على تمييز ضد المرأة " (المعاهدة - المادة ٢ البند هـ)

- خطاب لدولة " النروج "، " تعرب اللجنة عن قلقها ازاء استثناء بعض المجموعات الدينية من قوانين الحقوق المتساوية... تطلب اللجنة من دولة النروج ان تعدل قوانينها بما يضمن تساوي الحقوق لجهة حذف الاستثناءات الدينية على الدين "

(المعاهدة ٩٨-١٩٩٥)

- خطاب لدولة " البيرو " : " تعرب اللجنة عن قلقها من عدم تمكن الفتيات تحت سن العشرين من الحصول على وسائل منع الحمل بالكميات الكافية.

(المعاهدة ٩٨-١٩٩٥)

- يدافع ميثاق الأمم المتحدة ١٩٤٥ عن السيادة الوطنية بقوله " ان منظمة الأمم المتحدة قوم على اصل تساوي سيادة جميع اعضائها " (الميثاق المادة الاولى والثانية)

و (المادة الثانية المقطع السابع)

هجوم المعاهدة على السيادة الوطنية للدول (١٩٩٩-٢٠٠٠ م)

- خطاب لدولة " ايرلندا " ، " ان تلتزم الدولة... بان التعليم الجنسي ليس فقط قسم لا يمكن التخلي عنه من البرنامج الدراسي للجامعات الحقوقية، بل انه قسم من التعليم المستمر للخبراء الحقوقيين والقضاة " .

- خطاب لدولة " المانيا " .

" تعرب اللجنة عن قلقها من العاهرات وعلى الرغم من الزامهن قانونا بدفع الضرائب الا انهن لا يتمتعن بحماية قوانين العمل والرعاية الاجتماعية ".
- خطاب لدولة "تايلند" :

" ان اللجنة تلزم الدولة بوجوب تجديد نظرها في القوانين و السياسات والكتب الدراسية لجهة حذف رموز وتعابير التمييز الجنسي كي تشجع وسائل الاعلام النساء والفتيات للظهور بشكل لا ينبع من هنا الاطار "

من اجل تنفيذ توصيات المعاهدة من قبل الدول النامية والتي لم تطبق بعض بنود المعاهدة، يتم الضغط على هذه الدول عبر امتناع البنك الدولي عن تقديم القروض الضرورية واللازمة لهذه الدول، وموخرًا اوجدت المحكمة الجنائية الدولية التي تأسست حديثًا الكثير من المخاوف في مجال السيادة الوطنية ايضاً.

ويلاحظ هنا ان التصديق على المعاهدة والانضمام اليها يشرع ابواب الولايات المتحدة امام سلسلة من الدعاوى الحقوقية وغيرها في مقولة السيادة الوطنية والثقافية للبلدان الاخرى ومع الانتفات الى ان البلدان التي وقعت على (معاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة) او انضمت اليها ملزمة بان تقدم تقريراً كل اربع سنوات تشرح فيه كيفية تطبيقها لمقررات المعاهدة وتقوم اللجنة بدورها بمحاسبة هذه الدول وتطلب منها تنفيذ توصياتها تباعاً وبالتوجه الى ان هذه المعاهدات تمثل توافقاً بين الدول فان الخوف يتزايد ان تقوم اللجنة المذكورة بالطلب نائماً من الدول بالتدخل في المسائل الشخصية والثقافية وتضغط في هذا المجال والخوف الاكبر هو نفس وجود مؤسسة دولية تفرض نفسها وارياءها في المسائل الداخلية والثقافية والسياسية للبلدان المختلفة.

للاطلاع أكثر على هذا الموضوع وعرض نماذج من المناظرات النهائية لهذه

اللجنة لا بد من مراجعة هنا العنوان : www.unrechtlitbtsldoc.net

ومطالعة الفهرس الذي يشمل :

الدعارة، الامومة، الاجهاض، الاعتراض على المخالفات الوجدانية، التعليم الجنسي الالزامي ووسائل منع الحمل ، ضد الحمل ، تعليم الاطفال، ترويج المطالب الفيمينية، تشجيع العلاقات خارج اطار الزواج ، التدخل في شؤون الاسرة ، تغيير الدساتير والقوانين الوطنية، الضغط لاعلان الانصراف عن التحفظات، تخفيض الدعم والرعاية عن النساء الحوامل.

بالاتفات إلى المطالب المذكورة والى ان كل بلد يريد ان ينضم لهذه المعاهدة الدولية ينبغي ان يصدقها عبر المراجع المعنية والصالحة قانونيا ولنا فانه ملزم عندها بالعمل وفق مقرراتها مثل المعاهدات الدولية الاخرى و لا يمكن لهذا البلدان بغير أو يصلح هذه المعاهدة وبالتوجه إلى البند ٢ المادة ٢٨ فان حق التحفظ غير ممكن ايضاً فان البلدان تواجه حالة تعارض وتضاد ثقافي وطني بين نمط الحياة ، الآداب والسنن، الدين والمذهب، العلاقات الاسرية والسيادة الوطنية وبين مضمون هذه المعاهدة والاهم من هنا كله وبالتوجه إلى مضمون ومحتوى المعاهدة ونتائجها المشؤومة.

ليس من حق مليار مسلم في العالم ان تكون لهم معاهدتهم الخاصة وميثاقهم ومنشورهم الخاص ؟!

ترجمة: محمد حسن

دور المرأة ومنزلتها في عملية الخلقة

اقبال بريشا حلوتي
المختصة في علوم الالهيات

إن الرسائل والأفكار والاقتراحات التي ستطرح ستكون مقوية على الصعيد الأخلاقي والروحي والعقلي للقراء الذين يعتمدون على المفاهيم الإسلامية، التي تطبق من قبل الأشخاص المخلصين بدقة.

فمن العجيب أن نقوم بهكذا نشاط ثقافي، علمي، وذي مغزى في شبكة ذات نطاق واسع ورائع، كما هو هذا المؤتمر، لكي نحقق هدفنا من خلال العنوان الذي نختاره دور المرأة ومنزلتها في الخلقة، نقاط الاشتراك والاختلاف بين الذكور والإناث في عملية الخلقة والدور لكامل.

١. دور الأنثى

إن دور الأنثى كجنس يتضمن نطاق واسع في المجتمع كله، حيث أن نشاطات الأنثى، إذا ما ارتكزت على الشريعة الإسلامية، ستمد المجتمع بتطور ومنظارتها صعبة عالمية. لقد أعطى الله عز وجل مكانة لدور المرأة ووضحه لنا من خلال الآيات القرآنية .

من جهة أخرى فإن استسلامها وصدتها قد أدر على مستقبل الأجيال الجديدة والمجتمع بشكل عام، وحبسها عن التطور أدى بها إلى التحول إلى طرق ملتوية

وضيقة لعدة أجيال تالية .

بعد كل الصعوبات التي واجهتها من أجل حياة أفضل ودور أكبر في المجتمع، فقد سلكت المرأة طريقاً مدمراً سيؤدي بها على التهور والعنف والاستغلال وخسران الحقوق، وسوء الاستفادة، وسيتم تجاهلها... الخ .

إن دور المرأة بشكل عام، منذ زمن طويل في بقاع مختلفة من العالم يعكس في الغالب وضعاً مأساوياً ومخيفاً عن طبيعتها وخلقتها .

سوف نعرض بشكل مختصر وضع المرأة في العصور القديمة في مناطق مختلفة من العالم، ومن ثم سوف نعرض المرأة بشيء من التحليل والدراسة المجدية عن دورها، لكي ننظر من بعد ذلك إليها كمخلوق إلهي، وبعدها ستعرض دور المرأة في القرنين العشرين و الحادي والعشرين .

مهما درسنا التاريخ سوف نجد أن المرأة كانت ذات وضع مرعب عبر الحضارات التي وجدت .

المرأة في اليونان القديم

. لم يكن هناك زواج معروف .

. إذا لم يكن لها وصي كانت تابعة للملك .

. كان زوجها يعاملها كأمة وكانت تجبر على أن تناديه بـ"السيد" ولم يكن لها

الحق أن تناديه باسمه إختلافاً .

. كانت تعتبر في فترة الحيض أنها قدرة، وكانت تحبس وتعطى الطعام من

خلال فتحة صغيرة .

النساء في أستراليا

- . كانت تعتبر من الحيوانات الأليفة .
 - . كانت تعتبر آفة للمتعة وتكثير النسل .
 - . عندما كان يسيطر الجوع كانت المرأة تقتل ويؤكل لحمها .
 - . لم يكن لها الحق في الجلوس مع زوجها لأكل الطعام بل كان عليها أن تنتظر وتاكل ما يتبقى منه .
 - . كانت تموت دون أن تلقى عناية طبية أو اهتمام من الأقارب .
 - . إذا عمرت طويلا كانت تقتل خنقا أو بمنعها عن الطعام .
 - . كان حب الأهل عندهم أنه، إذا وصلت الأم إلى سن الأربعين ومرضت كانت تدفن حية .
 - . في نيوزيلاندا كانت تستخدم لنقل الحمولات الثقيلة بالعربات .
- النساء في أفريقيا**
- . كانت قيمة لحم النساء أقل منها في أستراليا .
 - . كانت تقوم بكل أعمال الريف، من بذر وسقاية وغيرها .
 - . كانت النساء مصففات شعر، حمالات، جراحات، في حين كان الرجل يهتم بالشباب وبعض الأحيان يتاجر بالمعادن .
 - . كانت قبعات الرجال وأسلحتهم من المقدسات التي يجب أن لا تمسها النساء .
 - . في جزر الماركيز، اللحم والدجاج وجوز الهند والجوز كانت ثمار أكل مختص بالرجال .

النساء في أمريكا الجنوبية

- . كانت النساء تهتم بالطعام في حين أن الرجال كانوا يتسلون .
- . كان الرجال يقتلون النساء العجائز غير القادرات على العمل .

- كانت المرأة تتولى الحراسة إذا كان هناك أي خطر مخوف .

النساء في المنطقة العربية

- كانت العائلات يدهنون البنات أحياء بعد الولادة .

- كان الرجال كالحيوانات المتوحشة لا يرحمون أولادهم وزوجاتهم .

- كانت المرأة تباع وتشترى كالحيوانات .

إذا بعد أن نظرنا إلى وضع المرأة في العصور القديمة سوف نلقى نظرة إليها في العصر الحالي ونقيم مقارنة بين مكانتها في الأيام الخوالي ومكانتها في المجتمع في الحاضر، حيث سنلاحظ فروقا كبيرة تشير بلا شك إلى استغلال المرأة بشكل مثير للاشمئزاز .

١ - دور المرأة في زمن الرسول الأكرم (ص)

بناء على ما في أيدينا من نصوص يمكن أن نستنتج أن المرأة كان له دور في مختلف ميادين الحياة، وأن النساء كن موجودات بأعمار مختلفة، متزوجات وغيرهن، شابات وغيرهن. وكل الأعمال التي كان يقوم بها الرجال والنساء لم تكن لتشير إلى تمييز بينهم .

ونرى أن لدينا آيات أوحيت إلى الرسول (ص) قبل وبعد آية الحجاب، والآيات المتعلقة بنساء النبي (ص). وهذه النصوص تشير إلى نساء أخريات التقين بالنبي (ص) في حضور الصحابة، أو امرأة تلتقي رجلاً واحداً أو أكثر أو مجموعة من النساء تلتقي مع مجموعة من الرجال .

أما في مسألة الآية التي تقول: "وقرن في بيوتكن" فإذا اعتبرت هذه الآية أمراً لكل المسلمات، فحينئذ سوف تقع في تعارض بالنسبة للنصائح الموجهة للنساء لطلب العلم والمساهمة ومساعدة الآخرين والمشاركة بعض الجهاد، ...

إن النساء اللواتي يقلن أنهن يفضلن الجلوس في المنزل لأنهن يشعرن بالارتياح هم

الواقع ضد مفهوم الحياة، ويسبب ظهور صعوبات ومشاكل اجتماعية جديدة .
كان الرسول (ص) رمز في التعامل مع الأمور ببساطة وبشكل طبيعي في كل شيء . كان (ص) معتدلا لما تلقاه من أخلاق وتربية الهية، وقبل أن تنزل آية الحجاب كان الكثير من الرجال والنساء يتواجدون في بيته. لقد كان الرسول (ص) يرى في المرأة إنسانا له حقوق متساوية أمام الله عز وجل .

كانت المدينة النورة مدينة يحكمها الإسلام، لنا قد يظن البعض أنها كانت آمنة لكن مع الأخذ بعين الإعتبار تواجد المنافقين والخائنين فيها، ولكن لم يكن هنا ليشكل سببا يحجز النساء في البيوت، بل على العكس حيث كن يذهبن إلى المساجد وبشاركن في العديد من النشاطات، ولنلفت النظر هنا إلى أن المسجد كان مركزا لكافة النشاطات .

التجمعات التي كانت تحصل كان يشارك فيها النساء والرجال، ومن هذه الاجتماعات الصلوات الخمس، والتجمعات التي كان يطلب فيها العلم، وإن كان الاختلاط في هذه الأيام يحتمل أن يؤدي إلى المفاسد والوقوع في المحرمات إلا أن هذا لا يعني أنه يجب أن يمنع بل يجب أن نكون أكثر حذرا .

هذا الفصل يؤدي إلى وجود التوتر بين الجنسين بحيث كلما حصل لقاء بينهم قد لا يستطيعوا أن يضبطوا أنفسهم وهذا ما شهد به الواقع، لا أن هذا الكلام مجرد نظرية .

هل كان الرسول (ص) ضد الاختلاط الخالي من النوايا السيئة؟ لو كان الأمر كذلك إذا لما سمح بتواجد النساء والرجال معا في المسجد، وكان ألقى خطبه عليهم بشكل منفصل .

ب- دور المرأة في مجتمع اليوم

أما في المجتمع الأوروبي اليوم حيث تعيش المرأة المسلمة الألبانية، فهو على العكس

حيث ان المرأة في اطار المجتمع يضمحل دورها لماذا نقول هذا؟ لأنه من المستحيل أن تخرج المرأة دون أن تكون معرضة للخطر في كل خطوة، من تصرفات الكفار وهي ليست محمية من بعض المؤمنين، لأنهم بسبب جهلهم يؤمنون بوجود بقائنها في البيت مدعين بذلك أنهم يحمونها، وبذلك يبقونها كامة تطبق قوانين المنزل، ولا مجال لديها لإظهار قدراتها الإبداعية ومساهماتها التي يجب أن تقدمها إلى المجتمع . نحن نعرف أن المرأة معرضة دائما للخطر. ولكن مع كونها متعلمة لا تقدر من أجل فضائلها الأخلاقية بل على أساس شكلها فحسب كجمال الجسم مثلا، بينما في زمان الرسول الأعظم(ص) كانت تعامل معاملة المتساوية مع الرجل، أما في أيامنا هذه فنرى العكس. في هذه الأيام تستغل المرأة بأبشع الصور اللاإنسانية، كان تعمل في النوادي الليلية كنادلة أو أن تعمل كعارضة أزياء حيث تمشي بجسد يكاد يكون عار .

لذا أقول، إن مشاركة المرأة في المجتمع اليوم لا غنى عنها. إن طلب العلم هو من الواجبات الدينية، فالمرأة يجب أن تتعلم لكي تفهم الدين وتساهم في بناء المجتمع . إن هذه الحياة الحديثة تفرض علينا أن لا نكون معزولين، بل نتعاون مع الأشخاص المختلفين ولو كانوا رجالا .

إن تخلف الإسلام اليوم قد سبب لنا مشاكل حقيقية يواجهها المسلمون اليوم، ويجب أن نفعل كل ما هو ضروري لتجنب هذه المشاكل .

إن الواقع اليوم صعب جدا ومليء بالمشاكل، فماذا علينا أن نفعل؟ إن تبقى داخل البيوت ونستسلم لكي نحافظ على أنفسنا؟

إن العالم في هذه الأيام متقد بسبب عدة مشاكل، ويحارب الإسلام، وليس هنا هو اليوم الذي يجب أن تبقى فيه النساء وتترين وتنتظرن أزواجهن في البيوت .

٢. المنزلة في الخلق

يجري تأكيد أن حواء (ع) خلقت من ضلع آدم (ع)، وهذه الكلمة تعني في اللغة العربية والعربية الطبيعية .

لهذا فإننا نقول أن حواء (ع) خلقت من طبيعة آدم (ع) لا من ضلعه .

إن خلقتنا لها سبب واحد، والله عز وجل يتصرف بقدره مطلقة وإرادة مطلقة إن خلقتنا جاءت أولاً بخلق إنسان واحد ثم خلق رفيقته، وهذا ما ورد في سورة النساء، الآية الأولى: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها واتقوا الله الذي نساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)

إنه حقا لأمر مثير للعجب أن يخلق الله من رجل واحد مليارات الأشخاص بوجود مختلفة واللوان، أبيض، أسود، أزرق، أصفر، أحمر، جميل وبشع، وهذا ما يدل على عظمة الله وعزته، ولهذا يجب أن نطيع الله ونؤدي واجباتنا، كما قال الله في كتابه الكريم: سورة الناريات: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

لقد خلق الإنسان من روح الهية ممنوحة الشعلة الإلهية لقد أعطي الإنسان خاصيات مهمة وقبل أن يكون أمين الله في أرضه، كما وأن خلق الإنسان ظاهرة عظيمة مع الأخذ بعين الاعتبار المسؤولية التي حملها على عاتقه، تلك المسؤولية التي أبت السماوات والجبال أن تحملها. سورة الأحزاب، الآية ٧٢ :

(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا).

من الآية المذكورة نرى أنه إذا قمنا بمقارنة الإنسان مع المخلوقات الأخرى سوف نرى أن الرجال كما النساء يشعرون حب السلطة، وهو الوحيد الذي يمكن أن يتصرف على خلاف شهواته، بينما لا يستطيع هذا الأمر الحيوانات الأخرى .

إن الله هو الذي أعطى الإنسان هذه القدرة، ولهذا نعرف أن الإنسان لديه شعلة
إلهية أن خالق هذه الروح هو الله، فإله يريدنا أن نكون شبيهين به لا مثله تماما .
إن الخالق العظيم الذي خلق الجنسين في نفس الوقت، في نفس المكان، من نفس
التركيبة - الطين والروح - مخلوقات متماثلة، موروثات متحدة في الصفات من
جميع الجهات، كما هم الأولاد من نفس الأهل .
إن لدى الإنسان طاقة عظيمة في داخله، وهي التي سمحت له بالشروع في
اكتشاف ذاته، والأمر كما قال أمير المؤمنين (ع): " من عرف نفسه فقد عرف
ربه ."

عندما يبدا الإنسان يشعر بهذه النخ التي أعطاها الله إياها سوف يدرك أن
الاختلافات بين الجنسين لا دور كبير لها في هذا الوجود .

٣. نقاط الاشتراك والاختلاف

المرأة في النظام الإسلامي لها نصف الحقوق والمسؤوليات كالرجل، فهي شريكة.
بالنظر إلى التكامل الروحي فهي شريكة الرجل في الصلاة، الصوم، الزكاة، والحج،
في الأدعية... المرأة لها حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

هذه كانت يضع مسائل تتعلق بنقاط الاشتراك في العبادة، والآن سوف نذكر
النشاطات المتبادلة بالمقدار الكافي، فللمرأة قدرة على أن تكون تاجرة ناجحة، نائب في
البرلمان، دكتورة محترفة، مستشارة جيدة، وفي النهاية فقد أوكل الله مهمة عظيمة
جدا إلى المرأة وهي الولادة والتربية للأجيال .

إن الدين الإسلامي يلزم المرأة كما يلزم الرجل بطلب العلم، أن تكون مسلحة
بالعلم الموجود في القرآن، كما يقول القران نفسه، في سورة الليل، الآيات الثلاث
الأولى: (والليل إذا يعشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى)

ولكن تبقى هناك بعض الاختلافات بين المرأة والرجل، كان الله أوجب على الرجل مهمة الخروج من المنزل والعمل لتأمين حياة العائلة، في حين لم يوجب هذا الأمر على المرأة. وهنا يمكن أن ندرك أن هذا الأمر جد منطقي نظرا إلى طبيعة الخلق .

عندما خلق الله الجنسين أوكل إلى كل منها سلسلة من التكاليف التي لا يمكن أن تتبادل، كان تكون المرأة قادرة على الحمل، وهنا ما لا يستطيعه الرجل ولن يستطيعه .

٤. الدور المكمل

إن الله كما أنه خلق الليل والنهار يتعاقبان، كذلك خلق الرجل والمرأة يكملون بعضهم البعض. فكما أن الحياة لا يمكن أن تجري بدون نظام الليل والنهار فكذلك يجب أن يكمل كل من الرجل والمرأة واحدهم الآخر. يقول الله في سورة الناريات، الآية ٤٩: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون).

لا يمكن أن تكون المرأة عدوة زوجها أو ضده، إذ أن الله يقول في سورة آل عمران، الآية ١٩٥: (فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) وهذا يعني أن كل من الرجل والمرأة لبعضهم البعض، لا يمكن أن يعيشا بدون بعضهم البعض .

عندما خلق الله آدم(ع)، ووضعه في الجنة لم يكن لذلك أي معنى، لذلك خلق الله رفيقته حواء(ع) لتعيش معه: (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة)(سورة البقرة، الآية ٢٥). وكذلك في سورة الأعراف، الآية ١٨٩، يقول الله عز وجل: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها). أي بجانبها، يطلب العيش معها . الرجل للمرأة والعكس صحيح. لا يمكن أن يكون هدف المرأة الرئيسي هو معارضة الزوج، فالمرأة في المستقبل لا يمكن أن تكون ضد زوجها، أو أن تطلب أن

تحصل على نفس الوظيفة مثله أو تلبس لباسه .
من المؤسف أن في هذا القرن الذي نعيش فيه، اختلطت الأدوار والشخصيات بين الجنسين. فالمرأة تتمنى أكثر فأكثر أن تكون مثل الرجل، والمراهقون يتصرفون تصرفات انثوية، كأنهم يريدون أن يصبحوا إناث .

لم يسمح الرسول (ص) أن يلبس الرجل لباس المرأة والعكس كذلك، لقد لعن (ص) الرجل الذي يتشبه بالمرأة أو المرأة التي تتشبه بالرجل. لقد فعل ذلك (ص) لأن كلا من الرجل والمرأة يجب أن يحافظا على الخصائص التي أعطاها الله إياها .

أنا أعتقد أن المرأة المسلمة في الغد سوف تحمي جسدتها بالقوة التي تمتلكها. سوف لن تقلد الرجل، بل سوف تساعد، وسوف تشارك في تلك الأعمال التي تناسب طبيعتها، سوف تعمل كمعلمة، كمرمضة، وتعالج أخواتها في الإسلام قبل أن يفعل ذلك طبيب غير مسلم. أو حتى أن تعمل في بيع الثياب الداخلة للنساء .

إذا المسلمون مجبورون على العثور على طريق للتوحد والتقرب من بعضهم البعض. ونحن أولئك الذين يؤمنون بهذه الوحدة ويسعون نحوها، لكي يزهر الإسلام وتحترم مكانة المرأة وتقدر أكثر، وبالمساهمة التي سوف تقدمها، سوف يكون المجتمع الإسلامي مثالا يحتذى به في احترام حرية وحقوق المرأة .

الأثار المستعملة :

١- ترجمة القرآن الكريم، ترجمة، فتحي مهدي .

٢- حقوق المرأة في الإسلام للشهيد مطهري.

ترجمة: محمد موسى

**حقوق المرأة ومسؤوليتها الاقتصادية
في الأسرة والمجتمع**

احمد بن سعود السبيعي

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
والآله، وعلى كل من سار على نهجه وهداه.

أما بعد، فهنا بحث بعنوان، حقوق المرأة ومسؤوليتها الإقتصادية في الأسرة
والمجتمع، مقدم إلى المؤتمر الدولي الأول لحقوق المرأة ومسؤوليتها في النظام الإسلامي،
الذي يعقد بمشينة الله تعالى في طهران العاصمة الإيرانية.
وقد جاء البحث في ثلاثة محاور أو ثلاثة مواضيع هي:
حقوق المرأة في الإسلام، ويتناول تكريم الإسلام للمرأة وإعطاءه إياها كامل الحق
والأهليه.

مسؤولية المرأة الإقتصادية في الأسرة، واشتمل على ثلاثة أمور:

حقها في الصداق،

حقها في الميراث.

التعاون المنزلي بين الزوجين.

مسؤولية المرأة الإقتصادية في المجتمع، ويشتمل أيضاً على ثلاثة أمور هي:

حق التملك للمرأة.

حق التصرف.

عمل المرأة.

حقوق المرأة في الإسلام:

تدخل حقوق المرأة ضمن حقوق الإنسان بصفة عامة، انطلاقاً من آية التكريم الواردة في سورة الإسراء رقم ٧٠، التي يقول الله تعالى فيها، ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً.

وقد ذكر العلماء عدة صور لهذا التكريم الإلهي للإنسان منها:

- الإستخلاف في الأرض لقول الله تعالى، وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة. (البقرة / ٣٠).

- حسن الصورة، قال الله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات (عافر ٦٤)

- اعتدال القامة، يقول الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (التين ٤).

- حسن الخلقة لقوله تعالى عندما تحدث عن مراحل خلق الإنسان من بداية التكوين وحتى اكتمال الخلقة، ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (المؤمنون ١٢، ١٣، ١٤)

- القراءة والكتابة، (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (العلق ١)، وقال رب والقلم وما يسطرون (سورة القلم / ١).

- حسن المنطق، (الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الرحمن ٤٢، ٤٣) كل هذه الخصائص والصور يستوي فيها الإنسان ذكراً كان أم أنثى، كما

إن آية المساواة تشملهما معاً حيث يقول عز من قائل: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير» الحجرات ١٣، كما أن عدالة الإسلام أعطت كل ذي حق حقه من الرجال والنساء دون حنف أو حيف «وأمرت لأعدل بينكم» (الشورى ١٥) «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى» (النحل ٩٠). كل هذه المعطيات الإسلامية شملت الرجال والنساء وتنطلق حقوق المرأة من هذه المعطيات العظيمة المباركة من عدل وتكريم ومساواة.

على أننا إذا ما نظرنا إلى وضع المرأة قبل الإسلام، فإننا نجدتها مهضومة الحقوق مسلوطة الإرادة، منقوصة الحركة، مفقدة التدبير وقد اشترك في وضع المرأة في ذلك الوضع النظرتان النظرة الديانية التعبدية والنظرة القومية أو العنصرية. أما النظرة الديانية فكما هو شأن المرأة في اليهودية والنصرانية والبوذية وغيرها من الديانات، وأما النظرة القومية أو العنصرية فكما هو شأنها عند العرب وسائر الأمم الأخرى، كما هو معروف من غير حاجة إلى ذكر ذلك بالتفصيل.

ويأتي الإسلام ليكرم المرأة ويعلي من شأنها ويعطيها جميع حقوقها ويجعلها في المكان اللائق بها. فقد كرمها أمم قاله تعالى يقول عندما وصى الإنسان بوالديه «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها» (الأحزاب ١٥)، نجدد بذكر هذا الإنسان بأمه نظراً لما عانته من حمل وفصال لكي يرق قلبه تجاه أمه أكثر من أبيه ورسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه حث ذلك الرجل الذي جاءه يسأله عن أحقية بره ومعروفه قائلماً له أمك في المرات الثلاث، ثم قال له أبوك في الرابعة.^(١)

أما تكريمه لها وهي بنت فان الله تعالى نعى على أولئك الذين يشتمون إذا ما ولدت لهم أنتى يقول الله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا سوء ما يحكمون (النحل ٥٨)، وكرم الإسلام المرأة اختاً، فقد أكرم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أخته من الرضاعة الشيماء السعدية وهي ابنة حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم عندما كانت من بين سبايا هوازن التي غنمها المسلمون في معركة حنين. وذلك إنه عندما عنف المسلمون عليها السوق قالت لهم والله اني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا انتهت إليه قالت يا رسول الله اني أختك من الرضاعة قال ما علامة ذلك قالت، غضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، ولما عرف النبي صلى الله عليه وسلم العلامة بسط لها رداءه وأجلسها عليه وخبرها وقال إن أحببت فعندي محبيه مكرمه، وإن أحببت أن أمتك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت بل تمتعني وتردني إلى قومي، وتمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأعطاه ثلاثاً أعبد وجارية ونعماً وشاء.^(١)

أما تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجة فيتجلى ذلك في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته تلك المعاملة الإنسانية الراقية التي يعجز القلم عن وصفها وتحليلها بدءاً من زوجته الوفيه العظيمة خديجة بنت خويلد وانتهاء بأم ولد مارية القبطية رضي الله عنهن. أما النظرة الإسلامية العامة للنساء بجانب الرجال فهن شقائق الرجال، والشقائق جمع شقيقه، والشقيقة أخت الرجل وهي مؤنث شقيق

حقوق المرأة ومسؤوليتها الاقتصادية في الأسرة والمجتمع ٢٢٩

وهو ما يتكون من نصف الشيء ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إنما النساء شقائق الرجال^(١) وهو ما يعبر عنه بنصف المجتمع.

لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة مساواة تامة على جميع المستويات، فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض آل عمران ٩٥.

على أننا إذا وجدنا الإسلام قد أعطى للرجل شيئاً من الأعمال التي لم يعطها للمرأة فليس ذلك إلا زيادة تكليف للرجل وتكريم للمرأة تقديراً لمساعرها الأنونية ومراعاة لطبيعتها الجسمية.

على أن هذه المعطيات التي ذكرناها وغيرها من المعطيات الإسلامية التي لم يتسع المقام لذكرها وهي - ولاشك - كثيرة، قد اهلته المرأة لكي تتبوأ المسؤولية سواء كان ذلك في إطار الأسرة أو في فضاء المجتمع.

مسؤولية المرأة الاقتصادية في الأسرة

الصداق:

شرع الإسلام الزواج وسنه وجعله رباطاً بين الزوجين وميناقاً غليظاً بينهما، وبما أن هناك منفعة يتلذذ بها الرجل من المرأة وهي منفعة اللذة الجنسية المعبر عنها فقهاً بالإستمتاع. فقد شرع الإسلام مقابل هذا الإستمتاع الصداق، وهو ما يقدمه الرجل إلى المرأة من مال، ولذلك كان هذا المال الذي هو الصداق هو حق خاص للمرأة لا يشاركها فيه غيرها لا الأب ولا غيره من سائر الأقارب أمراً من الله

١ - رواه مالك في الموطأ.

تبارك وتعالى «واتوا النساء صدقاتهن نحلة» (سورة النساء ٤) ويقول جل شأنه «وما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضه» (سورة النساء ٢٤). والتعبير القرآني بالنحلة تحتوي على معان عدة، فهو صدق يدفعه الزوج الى زوجته عن طيب نفس منه، وهو امر فرضه الله تعالى على الزوج للزوجة ديانة وتعبداً، وقد وردت احاديث نبوية تشدد على ضرورة وفريضة ان يوفي الزوج زوجته صداقتها. والا فهو معرض الى الهلاك.

وبما انه جرت العادة في بعض الاحيان او في احيان كثيرة ان يقدم الرجل الى المرأة، او الخطيب الى خطيبته هدية تتقدم الزواج المنشود، تمهيداً للمقصد، وعادة ما ترتاح النفوس الى الهدايا بشكل عام، فهي وسيلة من وسائل الود والمحبة بين الناس كما عبرت عن ذلك بعض الاحاديث النبوية، «تهادوا تحابوا»^(١). فان ايضاً تلك الهدية هي حق للزوجة تدخل في ملكها تتصرف بها كما شاءت من غير ان يستأثر بها احد غيرها، وقد ناقشت الاحكام الفقهية موضوع تلك الهدية، وهنا انقل ما جاء في كتاب شرح النيل للشيخ اطفيش حيث وجدته يقول «فمن خطب امرأة فاهدى اليها، ثم تركها - أي ترك المرأة - فليس له عليها رد. ولزمها ان امتنعت»^(٢) واذا ما تم الزواج، وصار الاقتران المنشود بين الزوج وزوجته، وطابت لهما الحياة سعادة وهناء، فربما يحمل ذلك الزوجة ان تعطي شيئاً من صداقتها الى زوجها الحبيب، مكافأة له على حسن صحبته وطيب عشرته. ولكي لا يتحرج من ذلك، ولا يظن ان به شبهه، فقد اباح لها الإسلام ان تتصرف في صداقتها بأن تعطي زوجها منه،

١ - اطفيش محمد بن يوسف، شرح النيل ج ٦، ص ٨٠، وهو من اهم المصادر الفقهية في المنهج الاباضي.

٢ - السلمي، شرح الجامع الصحيح، ج ٢، ص ٤٢٩ وهو شرح للجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن

كما أباح للزوج ان يأخذ منها، ويأكله أكلاً هنيئاً مريئاً لا شبهة فيه ولا حرج
(هنا طين لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) (سورة النساء: ٤)، مما يدل على
ملكيتها التامة لصداقتها وعلى ان لها التصرف فيه بمقتضى تلك الملكية.

الميراث:

الميراث أو الإرث هو التركة التي يتركها المتوفى، ومعناه في اللغة البقية من الشيء
كما جاء في صيغة الدعاء، واجعل ذلك الوارث منا.^(١)، ولكن كيف جاء الميراث إلى
المرأة؟ أو كيف حصلت المرأة على الميراث؟ وهل كانت المرأة قبل الإسلام تحصل
على الميراث من أقاربها؟

توحي أسباب نزول آيات المواريث، كما تشير الروايات المصاحبة لها إلى ان العرب
ما كانوا يورثون المرأة شيئاً من تركة أي قريب لها ولا نظن الأسم الأخرى إلا
كذلك بحجة أنها لا تتركب الفرس ولا تحمل السلاح ولا تقاتل العدو. وهو كناية
عن ضعفها عن حماية قومها وقبيلتها، وإنما كما يقولون يفعل ذلك ويقوم به هم
الرجال وحدهم، ولذلك من وجهة نظرهم فهي لا تستحق شيئاً من الميراث، على أن
بعض العرب، وحتى بالنسبة إلى الرجال، فإنهم يجعلون ذلك الحق من الميراث للكبار
من الرجال فقط دون الصغار منهم، لم ذلك؟ يقولون بأنهم أيضاً لا يستطيعون
حمل السلاح ولا مناصرة العدو إذا داهمهم في عقر دارهم، ويعنون بذلك بأنهم أي
الصغار محميون من قبل الكبار، والمال في نظرهم يتبع الحماية أو سبب للحماية
ويحتاجه الحامي.

أما سبب نزول آيات المواريث فتشير الروايات التي تخبر عن سبب النزول أو أسباب

١ - علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص ١٠٦ وانظر، اطفيش، تيسير التفسير ج ٢، ١٤٧.

النزول الى ان ارملة اوس بن ثابت وبناته الثلاث لم يورثن من مال ابيهن شيئاً، وإنما الذي حاز المال واستحوذ عليه هما ابنا عمه يقال للأول سويد والثاني عرفجة. فجاءت تلك الأرملة وبناتها الثلاث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنه عن ذلك ويشتكين إليه من ذلك الأمر.

كما ان امرأة سعد بن الربيع جاءت هي الأخرى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعها بنتاها تشكي من نفس ما اشتكت منه ارملة اوس بن ثابت. وهو ان عمهما أي عم ابنتي سعد بن الربيع قد استحوذ على المال ولم يعطهن شيئاً، فكانت هاتان الحادثتان - ولا تستبعد ان تكون حوادث أخرى مشابهة لم تذكرها الروايات - كانتا سبباً في نزول آيات الموارث، فقد نزل أولاً للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً (سورة النساء ٧)، ثم نزلت الآيات الأخرى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين...) (سورة النساء ١١، ١٢، ١٣، ١٤)

فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإعطاء كل ذي حق حقه،^(١) على ان الأمر لم يكن بالشيء السهل بالنسبة الى نفوس العرب آنذاك مما جعلهم يتعجبون من ذلك، لولا قوة الإيمان هي التي حملتهم على قبوله وتقبله وتنفيذه، فكان نصيب المرأة حسب قرابتها للمتوفي كالتالي:

١- البنت:

- نصف نصيب أخيها من التركة، يوصيكم في أولادكم للذكر مثل حظ

الأنثيين.

- النصف عندما تكون متفردة، فان كانت واحدة فلها النصف.

- الثلثان إن كن اثنتين فما فوق، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك..

٢- الأم،

- السدس إن كان لابنها ولد، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، وكذلك مع وجود إخوة له فلها السدس.

- الثلث إن لم يكن لابنها ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث.

٣- الزوجة،

- الربع إن لم يكن لزوجها ولد، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد.

- الثمن إن كان للزوج ولد، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم.

٤- الأخت،

- لها عدة حالات تراوح بين السدس، والمشاركة في الثلث وأحياناً تكون عسبة مع البنات.

لقد أعطى الإسلام بهذا المرأة حق التملك وحق التصرف والأهلية الكاملة فيهما، فأي عدالة أعطت المرأة مثل هذا الحق وأنصفتها غير عدالة الإسلام.

التعاون المنزلي بين الزوجين:

عظم الإسلام من شأن الزوجية وجعلها رباطاً مقدساً، وأحاطه بسياج قوي محكم من الإحتياطات والتدابير الكفيلة باستمراره وعدم انقطاعه أو عدم انفصامه لكي يبقى ويستمر ذلك الميثاق الغليظ الذي تأخذه الزوجة على زوجها، ولا شك ولا ريب أن التعاون بين الزوجين هو الذي يحافظ على هذا الرباط بل ويقويه ويمنحه العروة الوثقى التي لا انفصام لها لذلك يعتبر التعاون بين الزوجين من أهم عوامل

الإستقرار الأسري امتثالاً لأمر الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (سورة المائدة ٢) وهذا أمر من الله تعالى لجميع عباده المؤمنين، بما فيهم الرجل والمرأة، الزوج والزوجة.

فإذا وجد الرجل الزوجة الصالحة التي تجعل البيت واحة للمراحة والدعة والسكون والإطمئنان، فإنه بذلك يحصل الإستقرار، بيد أنه على الزوج ان يهيئ ويوفر الاسباب الموصلة الى ذلك الإستقرار من توفير متطلبات المنزل من نفقة وأثاث ولباس وكل ما يمكن الزوجة الصالحة من تكوين البيت السعيد، وتهيئة الجو المريح. فإذا وجد هنا التعاون او هنا التفاعل الإيجابي بين الزوجين فإنه يتحقق من ذلك، تلك المودة وتلك الرحمة اللتان جعلهما الله تعالى ثمرة للزواج السعيد الذي يطمئن فيه قلب الزوجة، وتسكن إليه نفس الزوج بقول الشارع الحكيم في كتابه (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (سورة الروم ٢١)

على ان التدبير المنزلي هو ركيزة المسؤولية الإقتصادية للمرأة في نظري، فهناك يتجلى حسها الإقتصادي، وهناك يظهر تدبيرها لشؤون الحياة، فالبيت مملكة المرأة فيه تصول وتجول، تضع هنا وتزيل ذاك، وترتب هذا، وتنظف ذاك، إذن عليها ايضاً ان تهين البيت الخالي من القوضى والضجة والإهمال، وليكون مملوئاً بالترتيب والحفظ والنظافة والإقتصاد. كيف لا؟ ألم يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف، والمرأة راعية في بيت زوجها..^(١)

غير أننا نقول لكي يتحقق ذلك الجو العائلي البهيج، ويفيض البيت سعادة وسروراً، ومحبة وحبوراً لأبد من التعاون بين الزوجين. فعلى كل منهما مساعدة

الأخر، فسيدتنا وأسوتنا وحيينا وقائدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يساعد زوجاته في شؤون المنزل، كما كان يخبط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته^(١)، وعلى ذلك النهج السليم سار خلفاؤه العظام وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، وإننا إذا طالعنا كتب الفقه الإسلامي نجدها تذكر بالتفصيل حقوق كل من الزوج والزوجة، ومما جاء ذكره في ذلك إنه على الزوج توفير النفقة من مسكن ومأكل وملبس، أما هي فعليها حفظ زوجها في ماله، وأن تنفق منه نفقة الكفاية من غير إسراف ولا تبذير، لأن المرأة الصالحة إذا غاب عنها زوجها حفظته في نفسها وماله، كما جاء في الحديث الشريف^(٢).

أما إذا كان الزوج بخيلاً شحيحاً فإن للزوجة أن تأخذ كفايتها وأولادها من ماله. لأن النبي عليه الصلاة والسلام اذن لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب أن تأخذ من مال زوجها، عندما شكك إليه شح أبي سفيان، خذي ما يكفيك ووليك^(٣).

غير إن الفقهاء اختلفوا في تحديد الواجبات بالنسبة إلى الزوجة، ماذا يتوجب عليها؟ هل عليها أن تخدم زوجها؟ أم إن ذلك ليس عليها؟ وإنما هو امر راجع إليها إن أرادت فهو من قبيل التطوع متها لزوجها بتلك الخدمة.

هناك ثلاثة آراء،

- الرأي الأول: ليس عليها خدمة الزوج، وإنما هو من باب التطوع إذا هي أرادت بنفسها ذلك.

- الرأي الثاني: يجب عليها خدمة الزوج.

١ - رواه عبد الرزاق في المصنف والطبراني في الأوسط.

٢ - لطيفي، شرح النبيل، ج ١٦، ص ١١٦.

٣ - جوهر النظام كتاب نظمي مرجز، وهو مختصر في الفقه الإباضي.

الراي الثالث، يكون حالها في منزل الزوجية كحالها في منزل الأبوية، فإذا كانت مخدومة هنالك تكون أيضاً مخدومة هنا.

على ان الفقهاء وان اختلفوا في تحديد الواجبات المنزلية على الزوجة فقد اتفقوا على القول بوجوب التعاون أختاً من مفهوم الأمر بالتعاون على البر والتقوى، وتعاونوا على البر والتقوى..

لهذا يجب ان يشترك الزوج والزوجة في تدبير شؤون المنزل من خدمة وترتيب ومحافضة، واختيار مقتنياته ومستلزماته من اثاث وأوان وغير ذلك.

وهناك كلام جميل للإمام نور الدين السالي العماني في كتابه جوهر النظام

حيث يقول في باب معاشره الأزواج:

فانه قد قيل ما عليها	تخدمه لكنه إليها
وانت ان تظرت سيره السلف	رايته من اللزوم مزدلف
مضى زمان الفضل فيه الرجل	وزوجه والكل منهم يعمل
والشرع قد حرض كل واحد	على القيام وعلى التعاضد
ولم يفصل بين ما يلزمها	من خدمة البيت ولا يلزمها
ولم يقل عليه ان يخدمها	او يطبخن عنها لكي يكرمها
وفي الكتاب الأمر بالتعاون	في البر والتقوى على التعاون
وقد اخذنا من جميع ما وصف	بان ذاك بالوجوب متصف

ولكن كي يحصل ذلك التعاون والتعاضد، فلا بد من وجود وسائل تعمل وتعين على تحقيقها، ومن أهم هذه الوسائل التشاور والتفاهم، لأن الله أمر جماعة المؤمنين بالشورى وحثهم عليها واصفاً عباده المؤمنين بقوله (وامرهم شورى بينهم) (الشورى /

٢٨) فالآية الكريمة تتضمن أمراً في صيغة الخبر، وكل أمر من الأمور ينتظم الجماعة المؤمنين يدخل فيه كل فرد من المؤمنين بما فيهم الزوجان. وأيضا ومن العلوم تجرية وخبرة إن المشاور والتفاهم والتنسيق بين أي طرفين يقضي على الكثير من الشقاق، ويحل أسباب الخلاف، فالحياة الزوجية بتعقيداتها وحساسيتها محتاجة إلى التفاهم والتشاور بين الرجل والمرأة. سواء كانا على رباط الزوجية أو يعيشان تبعاتها من نفقة وإرضاع، لذلك أوكل الله إلى الزوجين المنفصلين طلاقاً حل خلافاتهما بالجلوس سوياً على بساط التفاهم وطاولة المفاوضات ليقررا ما يريدانه حول الاستمرار في إرضاع مولودهما وما يترتب على ذلك من نفقة فإن ارادنا فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، (سورة البقرة ٢٣٣).

وإذا كان الله عز وجل اقتضت حكمته بأن أراد ذلك للزوجين المنفصلين، فمن الأحرى والأجدى أنه يريد للزوجين النائمين

مسؤولية المرأة الاقتصادية في المجتمع

حق التملك :

منذ أن أنزل الله تعالى قوله المبارك للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وإسألوا الله من فضله، (سورة النساء ٣٢) أصبحت المرأة لها أهليتها الاعتبارية وشخصيتها وكيانها المستقل في التملك والتصرف بعد أن كانت انوثتها سبباً في عدم أهليتها كما كان متعارفاً عليه قبل الإسلام عند الأمم ودياناتهم، وأعطاه الله في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، نصيبها من الميراث والتركة، حتى أصبحت تراث أبائها وأخاها وزوجها وبناتها وغيرهم من الأقارب

حسب درجة القرابة الموصلة إلى المتوفى، وصارت تملك الضياع والدور وسائر أصناف المال كله بكافة أسباب التملك، كما مارست التجارة بيعاً وشراءً، ولها إن تعطي من تشاء. من مالها وتمنع من تشاء يقول الشيخ محمد عبده، هذه الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده، وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة إن بالغت في احترام النساء وتكريمهن، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التي منحها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء في كل شي كما كن في عهد الجاهلية عند العرب. بل أسوأ حالاً... وقد صار هؤلاء الإفرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء ويفخرون علينا بل يرموننا بالجهل في معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم إن ما نحن عليه هو اثر ديننا. ^(١) وحق تملك المرأة لما يخضعها من ممتلكات الملكية التامة هو امر تسنده الكثير من الوقائع التطبيقية، وعليه أمثلة وشواهد في التاريخ، وفي مقررات التشريع الإسلامي، حيث انها تملك ما يقدم إليها من صداق، وما ترثه من ميراث، وما تعطي إياه من هبات، وما تكسبه من تجارة وصناعة وزراعة، دون تدخل من أحد قريباً كان أو بعيداً.

حق التصرف:

إذا كانت المرأة لها الملكية التامة على ما تملك، فهل يباح لها التصرف فيما تملك؟ لأن هناك من تكون لهم ملكية ما يملكون دون أن يؤذن لهم في التصرف، مثل القاصرين، أو فاقدى الأهلية أو ناقصيها. فهل المرأة غير مؤهلة في التصرف أيضاً؟

إن الشرع الإسلامي يقرر أن المرأة كالرجل في الحقين معاً، حق التملك وحق التصرف في ما تملك، سواء كان الأمر يتعلق بالعمل الأخرى وما يترتب عليه من جزاء، أو بالعمل الدنيوي وما يترتب عليه من كسب أو حق مادي «هاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضهم من بعض» (سورة آل عمران ١٩٥).

وقد قرر لها الإسلام أن تعطي من مالها وتتصدق، فكثيراً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث النساء على التصديق من اموالهن، يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع مشاة محرق،^(١)

وعندما سمعته مرة زينب زوجة عبدالله بن مسعود يأمرهن بالصدقة جاءت إليه تسأله أين تضع صدقتها، لأن زوجها عبدالله بن مسعود قال بأنه وولده أحق بها من غيرهما نظراً لفقركهما وحاجتهما فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام صدق، وأمرها أن تجعلها فيه وولده،^(٢) نستخلص من هنا كله أن المرأة لها الحق في أن تعطي وتتصدق وترزقي وتهب، وهذا دليل على كامل أهليتها في التملك والتصرف.

١ - رواه الربيع حبيب في مسنده.

٢ - سيد سابق، فقه السنة، ج ١، ٣٤٢.

عمل المرأة:

خلق الله تعالى هذا الكون وما فيه من كائنات بقدرته وحكمته وخلق من كل شيء زوجين اثنين للتكامل والتعايش والإنسجام، واقسم بالذكورة والأنوثة من خلقه بوجه عام وفي الإنسان بصفة خاصة (وما خلق الذكر والأنثى) (سورة النبل الآية ٢). وما أقسم الله تعالى بهما إلا لينبه على خصائص كل منهما، حيث للرجل خصائصه وللمرأة خصائصها.

ولهذا التكامل بين الذكر والأنثى أو بين الرجل والمرأة. كانت المرأة بجانب الرجل في أعمال الحياة تشاركه ويشاركها العمل داخل المنزل وخارجه ويظهر هنا التعاون الذي خارج المنزل عند المرأة الريفية أو دعونا نقول في الحياة الريفية، حيث تشاهد المرأة بجانب الرجل سواء كان أبوها أو زوجها أو أخوها في البستان وفي الحقل وفي مبادي الحياة الأخرى، وأحيانا يتعدى الحضور العمل الثنائي إلى العمل الجماعي عندما يستدعي الأمر حضور جماعة من الرجال والنساء للعمل معاً، غير أنه من غير شك يتم ذلك في إطار الحشمة والإحترام بعيداً عن التبذل والميوعة والإنحلال، وقد عشنا تلك الحياة الريفية في عُمان وهي مجتمع عربي مسلم محافظ، وشاهدت حضور المرأة والرجل معاً، وحضور الرجال والنساء جماعة لدى العمل في المزارع وبساتين النخيل أو غير ذلك من الاعمال التي تستدعي التعاون بين أهل الحارة أو المحلة أو القرية.

ولكن يبقى السؤال هل القضية المطروحة في عصرنا الحاضر حول عمل المرأة هو ذلك العمل الذي فنائه في الحياة الريفية؟ بالطبع لا، وإنما المقصود من عمل المرأة حالياً هو خروج المرأة من بيتها للعمل خارجه سواء كان ذلك في القطاع العام

متمثلاً في مؤسسات الدولة وهيئتها ودوائرها، أو كان في القطاع الخاص متمثلاً في الشركات والمؤسسات والأفراد.

لقد اختلفت الآراء إزاء هذا الموضوع وهو عمل المرأة بهذه الصورة في القطاعين العام والخاص إلى ثلاثة آراء:

- الرأي الأول، يؤيد خروجها للعمل خارج بيتها بل ويطالب بالزيد قائلاً إن عمل المرأة يوسع لطاقاتها، ويرز وينمي مقومات شخصيتها وإن عملها هنا يتحقق به مجد الأمة، لأن مجد الأمة في كثرة الأيدي العاملة، وبالتالي فهي بعملها هنا تساعد من يعولها أو تعول من لا عائل له غيرها.

- الرأي الثاني، لا يرى لها ذلك، لأنه على حساب أمومتها وخصائصها الأنثوية، أي على حساب الأمومة والزوجية كما أنه لا يمكنها التوفيق بين عمل المنزل والقيام بحق الزوج وتربية الأولاد وبين عملها خارج بيتها، وبالتالي يترتب على ذلك إهمال للبيت وللزوج وللأولاد.

- الرأي الثالث، يجيز لها ذلك على اعتبار أن العمل في ذاته مشروع غير محرم على أحد ما دام في غير معصية. على أن لا يستغرق وقتها، وفكرها ووجدانها، فيخرجها عن خصائصها ومقتضيات مهمتها الفطرية فلها أن تزاوّل أي عمل على أن تلتزم في ملابسها وزينتها وسلوكها، وعدم الخلوة^(١).

إزاء هذه الآراء الثلاثة، فإننا نجد أنفسنا منحازين إلى الرأي الثالث لأنه الأليق بمقام المرأة وكرامتها وعفتها، لأن بقاء المرأة في بيتها وعملها فيه هو الأصل، وخروجها لعمل مشروع هو الفرع فلا ينبغي أن يطغى الفرع على الأصل، وعندما

١- الإسلام والمرأة والمعاصرة (بتصرف) والنظر، محمد حسين فضل الله، تأملات إسلامية حول المرأة

عرض علي بن أبي طالب (ع) وزوجته فاطمة (س) عملهما على النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأنه لعل عمل الخارج ولقاطمة عمل البيت .

لكنه حدث تطور كبير في الحياة، الأمر الذي أوجد أعمالاً خارج البيوت، تتطلب وجود نساء في تلك الأعمال، فكان لا بد من خروج المرأة للعمل فيها، ولعله من المناسب أن نختم هذا الموضوع بكلام جميل للأديب والفكر الإنجليزي برناردشو حيث يقول (أما العمل الذي تنهض به النساء العمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه، العمل الذي لا يمكن الإستعاضة عنه بشيء آخر فهو حمل الأجنة وولادتهم وإرضاعهم وتدبير البيوت من أجلهم. ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية، وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق، فإذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم، وأنه هو الكادح وراء الرزق، الساعي المجهد وراء لقمة العيش، وما إلى ذلك من الأوصاف التي يخلعونها عليه في جهل وافتراء، إلا أن المرأة تعمل في البيت وكان عملها في البيت منذ الأزل عملاً ضرورياً وحيوياً لبقاء المجتمع ووجوده. بينما يشغل ملايين الرجال أنفسهم وبيدودون أعمارهم في كثير من الأعمال التافهة، ولعل عذر الرجال الوحيد في قيامهم بتلك الأعمال أنهم يعولون بها زوجاتهم اللاتي لا يمكن الإستغناء عنهن، ومع ذلك فالرجال مغرورون لا يريدون أن يفهموا^(١) .

خاتمة:

حق المرأة هو من حقوق الإنسان العامة فهي صنو الرجل وشقيقته، فلكل واحد من الرجل والمرأة كامل الحق سواء كان حقاً ذنبياً مادياً أو كان أخروبياً، كما كرم الإسلام المرأة، فقد كرمها أما وكرمها اختاً وكرمها زوجة وكرمها في النسيج العام للمجتمع فهي نصف المجتمع.

واعطاها حق التملك وحق التصرف، فهي تملك ما يقدم لها من صداق لنكاحها وترت اقاربها حسب درجات القرابة من المتوفى بعد ان كانت لا تورث شيئاً من ذلك لا عند العرب ولا عند غيرهم.

اما حول التعاون المنزلي او التدبير المنزلي فكما ان عليها القيام بالواجبات المنزلية فان على الزوج ايضاً ان يقوم بمعاونتها ومساعدتها على اعباء المنزل وخدمته لكي تستقر الحياة بينهما، كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجته في بيته، كما ان على الزوج ان يوفر متطلبات المنزل كلها حتى تتمكن هي من القيام بتدبير شؤون المنزل مصحوباً ذلك كله بالتشاور والتفاهم والتنسيق بينهما.

وكما اعطاها الإسلام حق التملك والأهلية الكاملة في ذلك، فقد اعطاها ايضاً حق التصرف فيما تملك، فهي تعطي وتتصدق وتركي وتهب.

اما عملها خارج البيت فلها ذلك على الراي الذي اخترناه، ما دام في غير معصية، شريطة ان لا يستغرق وقتها وفكرها ووجدها اي لا يكون على حساب خصائصها الفطرية من انوثه وأمومة كما لا يشغلها ذلك عن القيام بحق الزوجية وعمل البيت وتربية الأولاد.

قراءات في الإتفاقيات والقرارات الدولية
الصادرة عن المؤتمرات الدولية

عفت الجميري

رئيسة مركز دراسات الخليل

المرأة في الفكر الغربي؛

مدخل

يقوم الفكر الغربي على الفكر العلماني المبني على فصل الدين عن الدولة وهذا الفكر في أبعاده المختلفة يقوم على معاداة الأديان السماوية، لأنه يعتبر الدين معيقاً للتقدم والإزدهار في الحياة. وقد أوضح يوسف القرضاوي^(١) تعريف العلمانية كما عرفتها دائرة المعارف البريطانية (أن العلمانية حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بالدنيا وحدها).

وتعتبر الليبرالية الأمريكية نموذج للفكر العلماني، يرى منير شفيق أن هذه العلمانية الليبرالية تحاول أن ترسخ قيماً جديدة تتعلق بالأسرة والرجل والمرأة حول التعليم والعقوبة والشذوذ والجريمة تحت دعوى الحداثة والتقدم وهي تتسم برفض ومحاربة العادات والتقاليد المنبثقة عن الدين. فكانت النتائج والتأثيرات على المجتمع والأفراد خطيرة حيث انتشرت الجريمة والمخدرات وانحدرت القيم والشاعر الإنسانية. فالليبرالية كما يراها منير شفيق تتسم بالإرتجالية والخفة ويرى أن قطعها مع الدين والماضي لن يؤدي إلى السلبيات بل سيؤدي إلى ولادة سلبيات أشد

١- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ط٢، ص٢٩.

خطراً وفي هذا يقول راشد الغنوشي^(١) "إن الليبرالية الاقتصادية إلهها الربح تستحل كل شيء بسبب ذلك تستحل الكذب تستحل تدمير ثقافات الشعوب وامتصاص دماؤها وتنتهي إلى فقر الشعوب من أجل مصالح عدد من العائلات وليس الشعوب" ويذهب فهمي هويدي^(٢) في الحديث عن العلمانية وتجلياتها إلى أبعد من أن تكون العلمانية فصل الدين عن الدولة حيث يقول: "إن العلمانية فصل كل المطلقات الأخلاقية والعرفية والإنسانية عن الدنيا بحيث تصبح كل الأمور نسبية".

المرأة وهيئة الأمم المتحدة:

بنتت هيئة الأمم المتحدة بمنظوماتها المختلفة الفكر العلماني كمنطلق لأعمالها ونشاطها الإجتماعي والثقافي وإن كانت هيئة الأمم قائمة في الأصل على حفظ السلام وقض النزاعات وتوفير الأمن للشعوب.

تقول عائشة عبد الرحمن^(٣) بنت النشاط، عن وثيقة حقوق الإنسان التي أعلنتها الأمم المتحدة: "إن هذه الفترة التي أعلن فيها عن هذه الوثيقة انتهكت فيها حقوق الشعب الفلسطيني وتمت فاجعة هروشيما وحرب الإبادة والتدمير في آسيا وإفريقيا".

إلا أننا اليوم نجد هيئة الأمم المتحدة تركز على النواحي الإجتماعية والثقافية

١ - رسالة ماجستير عفت الجعبري

٢ - فهمي هويدي، الفترون خطاب التطرف العلماني في الجزائر ط١، ص٢٤٦.

٣ - عائشة عبد الرحمن، القران وقضايا الإنسان ط١، ص٢.

للسعوب وتسعى الى تأسيس قواعد كونية تحكم السلوك البشري وتسعى لتكوين نمط بشري واحد في ثقافته. والمرأة تحظى بالإهتمام الواسع من قبل هذه الهيئة لأن المرأة هي المفتاح الذي يستخدم لفتح جميع الأبواب فهي تعتبر مدخلاً من مداخل التغيير التي تسعى له الأمم المتحدة بقيادة أمريكا وقد خصصت هيئة الأمم المتحدة منظمات يعنىها لتخطيط وتنفيذ البرامج المتعلقة بالمرأة والطفل وصندوق الأمم المتحدة من أجل المرأة".

وقد اشرفت الأمم المتحدة على سلسلة من المؤتمرات العالمية مثل مكسيكو سيتي الذي عقد في المكسيك عام ١٩٧٥م وهو العام الذي أعلن فيه عام المرأة الدولي " ومؤتمر كوبنهاجن الذي عقد عام ١٩٨٠م ومؤتمر تروبي عام ١٩٨٥م ومؤتمر السكان في القاهرة ١٩٩٤م ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م.

الحركات النسوية وأثرها على هيئة الأمم والقرارات الدولية :

ظهر مصطلح النسوية (القيمينزم) في كتاب كرستينا هوف سومرز (من الذي سرق النسوية) والذي راج في أمريكا ويعني المصطلح ان المرأة او النساء بشكل عام مسجونات في إطار نظام ظالم وهو النظام الأبوي الذي يتحكم فيه الرجل ويفرض سيطرته على المرأة فكلمة القيمينزم هي المساواة بين الرجل والمرأة وهذه الحركة ترى أن حال المرأة يزداد سوءاً وأنهن يردن إحداث ثورة نوعية جنسية وهؤلاء الراديكاليات او المتطرفات يسمين أنفسهن المتحررات (البيرز) قد بلدان

حركتهن في أمريكا^(١)

أما هبة رؤوف عزت^(٢) فقد قالت " أنه يقصد النسوية بالترجمة الحضارية المتمركز حول الأنثى، وتضيف أن حركة تحرير المرأة كحركة إجتماعية كونها جزءاً من المجتمع تسعى للدفاع عن حقوقها حول المجتمع، بينما نجد أن النسوية في الرؤية الغربية تعتبر المرأة خارج السياق الاجتماعي، كأنها كائن قائم بذاته، متمركز حول ذاته، منفصل عن الرجل في حالة صراع كوني معه؛ لذا فهي تسعى لتغيير اللغة الإنسانية ومسار التاريخ والطبيعة البشرية ناتها حتى يتم اختلاط الأدوار تماماً".

ابتدأت هذه الحركة منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وفي البداية قامت هذه الحركة للدفاع عن حقوق المرأة وتسليط الضوء على قضيتها من جراء الظلم والإستبداد والغبن اللاحق بها واستطاعت هذه الحركة أن تجعل قضية المرأة قضية عالمية تجاوزت الحدود وأصبحت تطالب بالحقوق السياسية والإجتماعية والإقتصادية وتنادي بإزالة العقبات والمشاكل والصعوبات التي تقف أمام تقدم المرأة وازداد نشاط هذه الحركة بعد الحرب العالمية الثانية وراحت أمريكا وأوروبا تتنافس للمطالبة بحقوق المرأة منطلقه من الفلسفات الفكرية المختلفة الليبرالية والإشتراكية على مر السنين لقد تطورت هذه الحركة وتأثرت كثيراً بالفلسفات والأفكار المختلفة.

١- ورقة عمل بعنوان (من وثائق الأمم المتحدة من الحرية والساواة إلى التعاندية والشدود) إعداد صباح عبده هادي الخيشني الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٢٣، ١٩٩٣.
٢- هبة رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية طلاء، ص ٥٠.

قال محمد عماره:^(١) إن أبو النزعة الأنثوية الفرنسية هو الإشتراكي الفرنسي (فوربييه) (١٧٧٣-١٨٣٧م) وقد دعا إلى تحرير المرأة على كل الأصعدة: البيتي... والمهني... والمدني... والجنسي وقال: إن العائلة تكاد تشكل سداً في وجه التقدم، وأضاف أن فيلسوف هذه النزعة هو "ماركيز هربرت" (١٨٩٨-١٩٧٩م) وقد جعل من أسس (نظريته النقدية) التأكيد على انعقاد الغرائز الجنسية وإطلاق الحرية الجنسية بلا حدود سواء من ناحية الكم أو الكيف أي حتى حرية الشذوذ بل تمجيده باعتباره ثورة وتمرد ضد قمع الجنس معتبراً التحرر الجنسي عنصراً مكماً ومتمماً لعملية التحرر الاجتماعي.

كما رفض (فوكوميشل ١٩٢٦-١٩٨٤م) ربط الممارسة الجنسية بالأخلاق فقال لماذا يجعل السلوك الجنسي مسألة أخلاقية ومسألة أخلاقية مهمة؟ ثم يضيف محمد عماره أما فيلسوفة هذه النزعة الأنثوية الكاتبة الوجودية (سيمون دي بوفوار ١٩٠٨-١٩٦٨م) فقد اعتبرت مؤسسة الزواج مؤسسة لقهر المرأة يجب هدمها وإلغاؤها وأنكرت أي تمييز طبيعي للمرأة عن الرجل فلا يولد المرء أمراه بل يصير كذلك وسلوك المرأة لا تفرضه عليها هرموناتها ولا تكون دماغها بل هو نتيجة لوضعها.

ازدادت هذه الحركة تطرفاً عندما سعت إلى عالم تنفرد به المرأة تتمركز فيه حول ذاتها وتطلق العنان لمفهوم الحرية ومفهوم المساواة يقول محمد عماره: فنحن

١ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، دراسة نقدية إسلامية، تقديم

بالمسيرة الحضارية الغربية أمام نزعة للغلو سارية في العديد من النظريات ومتخذة شكل الثنائيات المتنافضة والمتصارعة (العقل والنقل، الفرد والمجموعة، الذات والأخر، الدين والدولة، الدنيا والآخرة، المادية والروحانية) دونما وسطية جامعة تجمع عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة لتكون موقف ثالث متميز لكنه ليس مغايراً تماماً لقطبي الظاهرة، فلغلو النزعة الأنثوية المتطرفة أيضاً ترات في الغلو الذي تميزت به مسيرات النظريات الفكرية في النموذج الحضاري الغربي بوجه عام، ثم يشير محمد عماره، إلى أن احتقار المرأة كما نراه في التراث الغربي كان ردت فعله غلواً أكثر وتطرفاً في الحركة الأنثوية تطرفاً يعالج تطرفاً وجنوحاً إلى التمرکز حول الأنثى ويواجه جنوحاً آخر في احتقار الإناث).

يقول مننى الكردستاني^(١) حول زيادة التطرف النسوي: ولكن الحركة النسوية ومع تصاعد درجات العلمنة والإباحية والأنانية والتخبط الفكري سرعان ما تحولت أكثر من فصائلها إلى حركات هدامة وشمولية وراдикаلية متطرفة تجاوزت حدود اختصاصها وقضاياها إلى الحديث عن ايدولوجيا خاصة بالمرأة "ابستمولوجيا" نسائية بل حتى مجتمعات خاصة بالمرأة وبدأت تتبنى مطالبات تتعارض مع العدالة والأخلاق والقيم والأديان وتؤدي إلى الفوضى والعبث وتهدد الأمن الاجتماعي وتستهدف الأسرة وحقوق الأطفال وتدخل المرأة في مناهات وظلمات لها أول ولا آخر لها".

١ - مننى أمين الكردستاني، المرجع السابق.

الحركة الأنثوية والمؤتمرات الدولية:

اتخذت الحركة النسوية المؤتمرات قاعدة لتحريك مخططاتها ولقد شكلت هذه الحركة لجان ضغط مختلفة على هيئة الأمم المتحدة والدول الكبرى لتحقيق أهدافها ومآربها، مثل لجنة المرأة في الأمم المتحدة تقول كاثرين بالتمور^(٧) الأمريكية: إن المرأة التي شكلت هذه اللجنة هي إمرأه اسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح ورفض الأسرة وتعتبر الزواج قيد. ثم تضيف أن المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان تصاغ في لجان ووكالات تسيطر عليها الفئة الأنثوية المتطرفة "الشاذون والشاذات جنسياً".

مؤتمر السكان والتنمية عقد في القاهرة عام ١٩٩٤م:

لقد حفلت وثيقة هذا المؤتمر بمصطلحات خطيرة غير واضحة المعالم مثل مصطلح "الإختيارات الإيجابية"، "الصحة الجنسية" وعبارة المتحددين والمتعاشين. يعتبر هذا المؤتمر أكثر المؤتمرات الدولية التي تعارض وتمس الأديان. إن عنوان هذا المؤتمر وشعاره السكان والتنمية كان بعيداً عن حقيقة المؤتمر والذي يدعو على حرية الجنس والعلاقات الجنسية خارج الزواج والمساواة المنلية والشذوذ والإباحية

٧ - كاثرين بالتمور، محاضرة في كلية القانون في جامعة بريهام بونغ بالولايات المتحدة وقد شاركت بالعديد من اجتماعات الأمم المتحدة وتعرف فحوى الوثائق واتفاقيات مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وهي مديرة المركز العالمي لسياسات الأسرة بجامعة بريهام وهي أم لستة ونها حفيد واحد المرجع، ندوة العولمة وقوانين المرأة الدولية التي أشرف عليها مركز لينا للإنتاج في الخرطوم السودان فبراير ٢٠٠٠.

وتحديد النسل، يقول مثنى الكردستاني^(١) لاشك أن هذه الوثيقة وبقية المواثيق والإتفاقيات الدولية، تتضمن الكثير من الأمور الجيدة والمفيدة والتي تشكل أرضية مشتركة يمكن للبشرية جميعاً أن تقف عليها سواء ما يتعلق منها بالمرأة وتحسين أوضاعها أو ما يتعلق بمشاكل المهاجرين أو البيئة... الخ

ولكن المشكلة تكمن في خلط هذه الأمور الطيبة ببعض الأمور والآليات الخبيثة التي لا يمكن الإتفاق عليها أبداً وقد وردت في هذه الوثيقة أمور من هذا النوع وهي لا شك انعكاس لفكر الأنثوية المتطرفة ومن يشايعها. منها الحديث عن المساواة المتعلقة بين الجنسين وإلغاء جميع الفوارق بينهما وهذا يعني إلغاء ممكننا في الواقع بأن نجعل الجنسين جنس واحد فكان من المنطقي بعد ذلك سن قوانين على وفق ذلك ولكنه مستحيل مهما غيرنا من طرق التنشئة والتربية.

إن هذه الوثيقة تصف دور المرأة في استمرار الحياة وتربية الأجيال وتوفير الأمن الأسري والمجتمعي بالأدوار النمطية والتقليدية التي لا بد من تغييرها، ويصف مثنى الكردستاني^(٢) "وفي مسائل المساواة أيضاً في الفصل الرابع هناك حديث عن المساواة بين الجنسين في حق الملكية وفي هذا إشارة خبيثة إلى موضوع المساواة في الميراث".

وفي إباحة الجنس فإن الوثيقة تتحدث عن إلغاء القوانين التي تحد من ممارسة الأفراد لنشاطهم الجنسي بحرية وتتحدث عن حماية الحاملات سقاحاً لأن ممارسة الجنس والإنجاب حرية شخصية وليست مسؤولية جماعية. تقول الوثيقة .

١ - الكردستاني، المرجع السابق.

٢ - الكردستاني، المرجع السابق.

، ويتعين على البلدان بدعم من المجتمع الدولي أن تحمي وتعزز حقوق المراهقين في التربية والعلوم الرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية، حماية قانونية للإتحاف الخلفي والرذيلة بل طالبت بعض المؤسسات والمنظمات المشاركة في المؤتمر بتدريس الجنس في كافة المراحل التعليمية ونشر الثقافة الجنسية عبر وسائل الإعلام.

أجازت الوثيقة إنهاء الحمل وشجعت على الإجهاض غير المأمون واعتبرته حق للمرأة ووسيلة من وسائل صحتها الجنسية. فرقت الوثيقة بين الزواج والجنس والإنجاب ومعنى ذلك أنه يمكن ممارسة الجنس بدون زواج ويمكن الإنجاب بدون زواج ويمكن للمرأة تأجير رحمها كما حصل للسيدة البريطانية التي أجرت رحمها لأبنتها التي لا تنجب " الأم البديلة أو البيولوجية " وفي ذلك الزنى وخلط الأنساب. جاء في الوثيقة تعريف أشكال متعددة للأسرة مثل الأسرة المثلية المتكونة من جنس واحد من امرأتين أو من رجلين شذوذ ولواط. أسر المعاشرة الجماعية وهي متكونة من مجموع من الشباب والشابات يمارسون حياة جنسية مشاعية بأشكال مختلفة (وهنا زنى وفاحشة نكراء تعاقب عليها جميع الأديان)، الأسر المقترنة أو المتزاوجة والمتكونة من النساء والرجال الذين يعاشرون البعض ويتبادلون المتعة الجنسية دون وجود زواج ولا عقد ولا وثيقة بوي فرندز.

هذا ما جاء في وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد في عاصمة دولة مصر العربية المسلمة. هذه العاصمة جاءها الشاذون والشاذات، زعيمات الحركة النسوية الفمينيزم ليتظاهروا في شوارعها مطالبين بحقوقهم الشاذة.

نستطيع القول أن هذه الوثيقة التي صدرت عن مؤتمر السكان بإشراف الأمم المتحدة قد أيدت ممارسة الرذيلة والإجهاض والشذوذ الجنسي وممارسة الجنس

خارج نطاق الزواج الشرعي وتجنبنا الوثيقة استخدام كلمة "أسرة" إلا عندما نتكلم عن تنظيم الأسرة وحاولت الوثيقة قدر الإمكان تجنب استخدام لفظ الزوجين وفضلت عليه لفظ "القريين" وعندما تحدثت الوثيقة عن اللقاء بين الرجل والمرأة لم تفترض وجود زواج شرعي كما أنها عندما ذكرت وسائل مكافحة مرض الإيدز لم تذكر بين الوسائل العفة الجنسية أو الإمتناع عن ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج، كذلك فإن الوثيقة عارضت بشدة الزواج الشرعي المبكر في الوقت الذي ساندت فيه العلاقات الجنسية المبكرة خارج نطاق الزواج. إن هذه المحاولة وغيرها من المحاولات المستمرة تستهدف تقويض الأسرة المسلمة وإفراغها من مضمونها وفرض نموذج الأسرة الغربية على مجتمعنا وإلغاء قيود التقاليد والعادات والأديان.

مؤتمر بكين:

عقد مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين بتاريخ ١٩٩٥/٨/٣١م ويعتبر هذا المؤتمر حصيلة عدة مؤتمرات عالمية سبقته مثل مكسيكو سيتي وكوبنهاجن ونيروبي. كان شعار المؤتمر "تنمية سلام ومساواة" اجتمعت في الصين أكثر من ٤٠ ألف امرأة من جميع أنحاء العالم للمشاركة في هذا المؤتمر وبعد المداولات والنشاطات التي تبني منهاج العمل باعتباره وثيقة عالمية، تعرض منهاج العمل إلى اثني عشر مجال اهتمام تم تحديدها على أنها بحاجة إلى عمل حاسم لضمان تقدم النساء وهي:

١. عبء الفقر المتزايد الواقع على المرأة.

٢. عدم المساواة في فرص التعليم والتدريب ذات النوعية الجيدة على جميع المستويات وعدم كفايتها.

٣. أوجه عدم المساواة في الرعاية الصحية والخدمات المتعلقة فيها.
٤. عدم المساواة في الهياكل والسياسات الاقتصادية وفي جميع أشكال الأنشطة الإنتاجية وفي الوصول إلى الموارد.
٥. عدم المساواة بين الرجل والمرأة في اقتسام السلطة وصنع القرار على جميع المستويات.
٦. العنف ضد المرأة.
٧. عدم وجود آليات كافية على جميع الأصعدة لتعزيز النهوض بالمرأة.
٨. عدم احترام ما للمرأة من حقوق الإنسان وقصور الترويج لهذه الحقوق وحمايتها.
٩. التصوير النمطي للمرأة وعدم المساواة في وصولها إلى جميع نظم الاتصال والمشاركة فيها ولا سيما في وسائط الإعلام.
١٠. عدم المساواة بين الجنسين في إدارة الموارد الطبيعية وحماية البيئة.
١١. التمييز المستمر ضد الطفلة وانتهاك حقوقها.
١٢. آثار النزاعات المسلحة وغيرها من أنواع النزاعات على النساء بما فيهن النساء اللاتي يعشن تحت وطأة الإحتلال الأجنبي.

وقدم ممثلو الدول في المؤتمر البيان التالي في إعلان بكين،

”إننا نحن الحكومات، نعتمد ها هنا منهاج العمل التالي ونلتزم بتنفيذه وبما يكفل مراعاة الجنسين في جميع سياساتنا وبرامجنا، وإننا نحث منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات المالية الإقليمية والدولية وسائر المؤسسات الإقليمية والدولية ذات الصلة والنساء والرجال كافة وكذلك المنظمات غير الحكومية مع الإحترام التام لاستقلالها وجميع قطاعات المجتمع المدني على التعاون مع الحكومات على الإلتزام

الكامل بمنهاج العمل هنا والمساهمة في تنفيذه،^(١)

إن هذه المتهجية وهذه الشعارات في ظاهرها قد توهم البعض بأنها منطوية للمرأة ولكن بعد اثني عشر يوماً من الإجتماعات الساخنة بين المؤتمرين المحافظين والليبراليين الغربيين، أظهرت حجم الهوة في الخلافات إحداه بين مختلف الديانات السماوية ومختلف الثقافات والتقاليد السائدة في العالم مزيج متنوع من الشرق والغرب والشمال والجنوب في الكرة الأرضية. كلها جاءت تسلط الضوء على قضية المرأة ولكن لكل واحد وجهة نظر مختلفة عن الآخر سواء في طرح الموضوع أو معالجته ويبقى الأهم وهو من هو صاحب القرار الأخير ومن هو الطرف الذي صاغ القرارات والتوجيهات النهائية في هذا المؤتمر وما هي المواضيع التي حازت على الأولوية بعد أن اختلط الجابل بالنابل كما يقولون بعد أن اختلط السم بالدم، لقد خرج موضوع المطالبة بحقوق المرأة عن نطاق الحق والخير كما تقول (أمنة) فتلقت مسيكة بر^(٢) ودخل حيز الزايدات والهاترات، وابتعاد المرأة عن النطق والموضوعية...

كانت المفاجآت التي ظهرت في هذا المؤتمر مثل عبارة Sexual Orientation التي تفيد حرية الحياة غير النمطية كحق من حقوق الإنسان في نص المادة ٢٢٦ تختلف بحسب المجتمع وقد أمر هذا المؤتمر بوجود ستة أنماط للأسرة حسب الوسط الإجتماعي وبعد جهد جهيد استطاعت الدول المحافظة إدخال كلمتي الزوج والزوجة، وفي إطار السياق رفضت الدول الغربية إدخال كلمة "التقليدية" لأن في ذلك عودة إلى الوراء وانتكاساً للمكتسبات التي تم تحقيقها في مؤتمر السكان في

١ - ما بعد بكون : نشرة إخبارية تصدر عن مشروع اليونيفيم العدد ٣، ١٩٩٨.

٢ - أمنة فتلقت مسيكة بر، واقع المرأة الحضاري في ظل الإسلام ط١، ص ٤٤٢.

القاهرة.

طالبت هذه الوثيقة الدول والمجتمعات تبني استراتيجيات للتغيير مثل تغير الأدوار والوظائف بين الرجل والمرأة على أساس الجندر بين الجنسين وفي استعراض سريع لمفهوم الجندر الذي ظهر في البداية في مؤتمر السكان في القاهرة ولكن ظهر في مؤتمر بكين بشكل أثار شكوكا وتوجها لما يحوي من معاني غير واضحة فهو يمثل لغماً مبيثوناً وقد تكررت هذه الكلمة في إعلان بكين ٢٥٤ مرة وقد أثار هذا المصطلح جدلاً واسعاً بين الوفود الحاضرة من المحافظين فخرجت لجنة التعريف بدون تعريف ومعنى ذلك أن الأمم المتحدة استخدمت في وثاقها تعريفها الذي اعتمدته، وقد عرفته منظمة الصحة العالمية " هذا المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها بالإختلافات العضوية"، تفسير ذلك " أن كونك ذكراً أو أنثى عضوياً ليس له علاقة باختيارك لأي نشاط جنسي قد تمارسه، على ذلك يمكن أن يقوم الرجل بدور المرأة وتقوم المرأة بدور الرجل يدخل في ذلك موضوع الشذوذ".

وهنا ما أوضحه فهي هويدي^(١) " إن كلمة الجندر تحمل معاني وأبعاداً تختلف تماماً عما يخطر على بالنا لأول وهلة لا يقصد بها الفرائز التي تستثيرها علاقة الرجل بالمرأة فيما يسمى بالجنس البيولوجي فهي أقرب إلى معنى كلمة "الشخص" الذي لا يعرف له مدلول محدد سوى أنه بشر، أما هل هو رجل أم امرأة؟؟ فليس معروفاً على وجه التحديد فهو طمس للعالم الذكورة والأنوثة ومحاولة لتحديد فكرة الجنس لتجاوز ثنائية الأنوثة والذكورة واستيعاب الشواذ جنسياً وقد تعامل البعض مع المصطلح براءة على اعتبار أنه يعني جنس الرجال والنساء معاً بينما

١ - فهمي هويدي، جريدة القدس ١٣/١٢/١٩٩٥م.

كان البعض الآخر على وعي بان المصطلح ليس بتلك البراءة..

أما الموسوعة البريطانية تعرفه " أنه شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى وفي الأعم الأغلب فإن الهوية الجندرية والخصائص العضوية تكون على اتفاق أو تكون واحدة" ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائص العضوية ولا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية "أي شعوره الشخصي بالذكورة أو الأنوثة" وتواصل الموسوعة البريطانية تعريفها، للجنس " كما أنه من الممكن أن تتكون هوية جندرية لاحقة أو ثانوية للتطور وتطفي على الهوية الجندرية الأساسية الذكورة أو الأنوثة حيث يتم باكتساب أنماط من السلوك الجنسي في وقت لاحق من الحياة، فالمجتمع من وجهة النظر الجندرية هو المسؤول عن تحديد أدوار النوع والعلاقات الإجتماعية وهذه العلاقات والأدوار قابلة للتغيير. فالفرق بين النوعية ليست فروقاً بيولوجية ولكنها تستند إلى الأدوار الإجتماعية كما يقول أصحاب الجندر التي نستعملها منذ الطفولة ومن ثم يستطيع المجتمع تغييرها عند الإقصاء وعادة يتم طرح سؤال في التدريبات الجندرية للمجتمعات النسائية والرجالية البسطاء في تعليمهم وفهمهم للحياة وهنا السؤال هو: ما هي اللحظة الأولى التي وعيتم فيها أنكم ذكور أو إناث؟؟ بسؤال اخر متى كان إدراككم الأول بوضعكم ذكوراً أو إناثاً إذ عليكم ان تفعلوا اشياء أو لا تفعلوها؟؟ تقول عالية الكردي^(١)، إن وثيقة بكيين ركزت على قضية توزيع الأدوار الأسرية والإجتماعية على أساس وجود اختلاف بين الجنسين حيث يتم التطرق إلى أهمية استبعاد هذا النمط من التوزيع للأدوار والوظائف من خلال الحوار التالية:

١ - عالية الكردي، الوثائق الدولية والتغيير في واقع الحياة الأسرية، مؤتمر الأسرة السليمة والتحديات

(المرأة والفقير) (التعليم وتدريب النساء)، (العنف ضد المرأة).

(آليات مؤسسية لتقدم المرأة)، (الحقوق الإنسانية للمرأة)، (المرأة والإعلام)، ثم تضيف: "تقر المواد المتضمنة في المحاور السابقة بخطورة توزيع الأدوار على أساس وجود الاختلاف بين الجنسين ثم تصف الأدوار أنها ثابتة ونمطية وغير قابلة للتغيير يجب تغييرها من خلال طرح أدوار ووظائف جديدة على أساس الجندر بين الجنسين".

وتضيف عالية الكردي، إن الوثيقة ربطت بين مناداتها بتوزيع الأدوار والوظائف بين الجنسين على أساس الجندر وبين العنف الممارس ضد المرأة خاصة في إطار المنزل حيث ترى الوثيقة أن التساوي المطلق بين الجنسين فيما يتعلق بقيامهم وأدوارهم ووظائفهم الأسرية مدخل للقضاء على مظاهر العنف الموجود تنطلق الوثيقة من واقع المجتمعات الغربية التي فشلت رغم تسخير مؤسسات الدولة المختلفة لحل الخلافات والتجاوزات الأسرية تجاه أعضائها في تأمين وضعان جو أسري يتسم بالإستقرار والأمان من خلال فرض حلول ومعالجات قانونية أدت إلى تدهور مكانة الأسرة أكثر مما كان عليه من قبل.

إن هذه الوثيقة تعتبر من أخطر الوثائق لأنها تتناول أدق التفاصيل المتعلقة بالأسرة من زواج وعلاقة وأدوار ونزع القداسة عن المفاهيم السائدة بين أفراد الأسرة من مودة وتراحم واحترام. فهي تتناول منظومة العلاقات الأسرية وتشير إلى أن العلاقة بين أفراد الأسرة علاقة متميزة وغير متساوية حول هذا الموضوع، تم عقد ورش عديدة مدعومة من المنظمات الدولية حول تغيير بعض المصطلحات التي تكرر دونية المرأة مثلاً ما ورد في إحدى كتب اللغة العربية في فلسطين للمراحل الابتدائية حيث تم الاعتراض على جملة تقول "أحمد يلعب ورياب تساعد أمها في

أعمال البيت" كان مساعدة البنت لوالدها شيء فيه انتقاص واحتقار للبنات، يريدون لهذه العلاقة القريبة والحميمة بين أفراد الأسرة أن تتسم بالندية والأناية. أما في موضوع المساواة فقد نادى الوثيقة بإحداث تغييرات للتشريعات القائمة حتى تتمكن المرأة من الحصول على فرص متساوية مع الرجل في الموارد الاقتصادية الأسرية والاجتماعية وغيرها وقد أشارت بذلك إلى الميراث في الإسلام.

وقد تكررت المطالبة بإعطاء المرأة فرصتها كاملة ومساوية للرجل في الحصول على المواد الاقتصادية والمساواة في الرعاية الصحية ومساواة في الهياكل السياسية واقتسام السلطة وصنع القرار وقد تم شرح هذه المطالب بتفصيلات وتفسيرات بعيدة عن معناها اللغوي والشرعي للمجتمعات الإسلامية.

تقول عالية الكردي،^(١) إن الوثيقة تتناول أهم مشكلة تعاني منها المجتمعات الغربية وهي هروب الرجال من تحمل المسؤوليات الأسرية (وخاصة من ما يترتب على العلاقات والممارسات الجنسية من الحمل والإنجاب) وبالتالي ازدياد معاناة النساء اللاتي يردن التمتع بحياة أسرية.

وتترجم هذه الوثيقة هذه المعاناة من خلال المحاور التالية: المرأة والصحة، المرأة واتخاذ القرار، المرأة والإعلام، فتطالب الوثيقة بتبني استراتيجيات تساند وتعمل على ترسيخ الشراكة المتساوية بين الجنسين ومن خلال حملات إعلامية تستهدف التأكيد على المساواة الجندرية والأدوار الجندرية غير النمطية، أي تحقيق التوازن بين الجنسين في الحقوق والواجبات للنساء والرجال داخل الأسرة، لكي تتسنى للمرأة المشاركة المجتمعية أي تشريد المرأة ثم العمل على تمكينها اقتصادياً.

ثم تضيف عالية الكردي، «والملاحظ من خلال المواد المتضمنة للشراكة المتساوية

أنها تربط بين الشراكة المتساوية وحصول النساء على خدمات الصحة الإنجابية والتمتع بعلاقات جنسية غير مسؤولة حيث تترجم الوثيقة واقع المجتمعات الغربية ترجمة دقيقة إلى حد كبير، من حيث عدم وجود إطار قانوني وسرعني للممارسات الجنسية للجنسين وذلك نتيجة تراجع نسب الزواج تدريجياً والتحول من الزواج نحو المساكنة مع عدم وجود أية التزامات للرجال بما يترتب على العلاقات الجنسية في إطار المساكنة وبالتالي، تصبح الآثار الناتجة من العلاقات الجنسية الغير مقيدة بإطار قانوني وبالأعلى للمرأة حيث تتحمل الحمل والإنجاب وتنشئة الطفل لوحدها ومعروف أن أكثر من ٩٠٪ من الأسر التي لها عائل واحد الأب أو الأم هي أسر مؤنثة بمعنى أن عائلها الوحيد امرأة وهذه الظاهرة تؤكد على جميع الدراسات الاجتماعية الغربية كما تواجه الدولة مشكلة اللقضاء والأولاد غير الشرعيين وما يترتب عليها من أعباء اقتصادية واجتماعية تكلف الدولة ميزانية باهظة.

بينما حال المجتمعات الإسلامية المترزمة بالحياة الأسرية المنظمة حسب القواعد والضوابط الشرعية، مختلفة تماماً عن هذه الصورة القاتمة للغرب، إلا اللهم ما يتجدد من مظاهر اجتماعية نتيجة التدهور الإقتصادي مثل زيادة نسبة معيلات الأسر من النساء وهذه لا يمكن مقارنتها بما وصلت إليها الحياة الأسرية من التفكك.

إتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW)

تعتبر هذه الإتفاقية مكملة ومتطورة عن معاهدة حقوق المرأة السياسية الصادرة عن الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م. بدأت المفاوضات في إعداد هذه المعاهدة في عام ١٩٧٢م وأكملت إعدادها عام ١٩٧٩م اعتمدها الأمم المتحدة في ١٨/١٢/١٩٧٩م وأصبحت

سارية المفعول في ٣/١٢/١٩٨١ م بعد توقيع خمسين دولة عليها.

تتكون الإتفاقية من ثلاثين مادة موزعة على ستة أجزاء وتتناول مجمل القضايا المتعلقة بالمرأة من الحقوق السياسية والحقوق الإجتماعية والإقتصادية والتعليم والصحة بما فيها الصحة الإنجابية والجنسية وقوانين الزواج والأسرة وفيها مواد تتعلق باللجان وكيفية متابعة عملها.

لقد تم صياغة هذه المواد، صياغة قانونية ملزمة قانوناً للدول التي تصادق عليها وبمقتضى هذه الإتفاقية فإنه يتوجب على الدول التي توقع على هذه الإتفاقية أن تلغي التشريعات والقوانين المخالفة لها. تشكلت لجنة إزالة التمييز ضد المرأة بموجب المادة ١٧ من هذه الإتفاقية ومهمتها مراقبة الدول الموقعة وإعداد التقارير والتوصيات وتقييم الأداء وتتكون هذه اللجنة من ثلاثة وعشرين عضواً منتخبين من الدول التي وقعت على الإتفاقية والمؤمنين بمبادئ هذه الإتفاقية.

وقد تحفظت معظم الدول العربية والإسلامية على كنف من بنود هذه الإتفاقية وذلك لما تحتوي من مخالفات شرعية، تقول الدكتورة سعاد الفاتح: "إن الإتفاقية تقلب موازين المجتمع رأساً على عقب وإن منظمة الأمم المتحدة مع جهات أوروبية أخرى تمارس ضغوطاً مضمّنة من أجل إرغام الدول على التوقيع، ثم تضيف: "لن نساوم ولن نجامل ولن نتنازل عما قاله الله ورسوله وهذه الإتفاقية تلغي عشرين آية من القرآن تتعلق بالزواج والطلاق والأنفاق والقوامة والرضاعة".

أما كاترين بالتمور^(١) فقد قالت: "إن الإتفاقية تحتوي على بنود مبهمّة وفضفاضة يفسرها الناس بأرائهم المختلفة ويوقعون عليها ظناً منهم بأنهم يفسرونها

١- كاترين بالتمور، نفس المرجع.

بطريقتهم الخاصة فحق الشذوذ غير موجود في القانون الدولي ولكنة أدخل عن طريق تفسير النصوص المهمة الفضاضة لأبحاثه ثم تضيف، لقد ذكرت لجنة الأمم المتحدة لمراقبة تنفيذ الدول الأعضاء إتفاقية سيداو أنه لا مجال لتفسيرات مختلفة تقوم على الدين والثقافات المختلفة. أي أنه حين تتعارض الثقافة والدين مع ما تقوله اللجنة فإن الدين يترك وقد سبق أن طلبت لجنة سيداو في تقريرها عام ١٩٩٤م من الجماهيرية الليبية أن تعيد تفسير القرآن ليتماشى مع رؤية سيداو للأموور. ومن المحاور التي تجدها باستمرار تضيف كاترين في تقارير اللجنة هو نقد الأمومة ووصفها بأنها قوالب جامدة وجائرة تعوزها الأصالة والشخصية تبلى بها المرأة وتكرر اللجنة الطلب من الدول باستمرار لإلغاء هذه القوالب الجامدة التي تصف النساء كامهات بآنة شرف لهن.

تقول عالية الكردي:^(١)، إن الإتفاقية تعمل بالتدرج أي تنتقل من نطاق إلى نطاق يتدرج وانتظام فهي تبدأ من مستوى الدستور إلى القانون إلى أعمال المحاكم الوطنية إلى مستوى تصرفات السلطة العامة إلى مستوى الأفراد وتختتم بمستويين متكاملين

اولهما، تعديل تشريعات تعتبر تمييزية(من وجهة نظر الإتفاقية)

ثانيهم، إلغاء جميعا أحكام قوانين العقوبات الوطنية باعتبار الإتفاقية ناسخة لغيرها من التشريعات والأحكام.، ثم تضيف عالية الكردي، إن أهم ما يلاحظ في الجزء الأول من المادة ١٦، أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح هو أن المراد من صياغة هذا الجزء بكافة بنودها هو تحقيق التماثل (Sameness) بين الجنسين بمعنى تحقيق

المساواة بدرجة التماثل الكامل بين الجنسين فيما يتعلق بحصولهم على الحقوق في الزواج عقداً وادواراً ووظائف ومسؤوليات بعيداً عن كل ما يراد تحقيقها من وظائف وادوار لأسرة مكونة من رجل وامرأة بل بدل ذلك التعامل مع الجنسين كفرادين ننحكم في تأسيس حياتهما الأسرية كل من الفردية والصراع واللذة (....) ومحاولة عولة هذه الأسس وفرضها على الشعوب كلها من خلال هذه الإتفاقية الدولية) ..

اما فيما يتعلق بالمادة الخامسة تضيف عالية الكردي إن هذه المادة ببندها (أ، ب) تؤكد على أن الإتفاقية تساوي بين الجنسين ولا تعطي أية اعتبار للإختلافات البيولوجية بينهما وفي سبيل ترجمة هذا التوجه إلى واقع معاش تفرض التغير على كل الثقافات بمختلف مكوناتها إضافة على أن الإتفاقية وخاصة من خلال بند (ب) تدمج بين الشراكة في تربية الأطفال بين الوالدين والذي يطالب به الإسلام وغيره من الأديان بمطلب آخر والذي يعبر عن رفض الإتفاقية للأساس البيولوجي، لوظيفة الأمومة مع تأكيدها على إعطاء الأولوية لصحة الأطفال أنفسهم التي تتناقض واقعاً مع تعميم وظيفة الأمومة للجنسين على أنها وظيفة اجتماعية مجردة ..

تقول عالية الكردي: «إن قبول المادة ٢، أ من اتفاقية سيداو معناه أن الإتفاقية تتدخل في إطار سيادة الدولة، وما يحدده دستورها من معالم شتى تنبني على أساسها قوانينها، بينما قبول كل من بند (و، ز) سيؤدي إلى إبطال كافة الأحكام واللوائح والأعراف والتي تميز بين الرجل والمرأة في قوانينها إضافة إلى مطالبة الدول باستبدال تلك القوانين بأخرى تؤكد القضاء على تلك الممارسات، سواء كانت

صادرة عن اشخاص أو ناتجة عن أعراف أو أعراف دون استثناء، حتى التي تقوم على أساس ديني، وبالتالي تستهدف الإتفاقية تحقيق التماثل بين الرجل والمرأة خاصة فيما يتعلق بقوانين الأسرة.

وتشكل الإتفاقية خاصة البندين (و، ز) من حيث انهما يقدمان الإتفاقية بأنها مرجعية في ذاتها ولا تستمد معيارها إلا من ذاتها بمعنى أنه لا يحتج عليها بشيء خارج عنها، ويحتج بها على كل شيء (اعراف، تقاليد، أديان، ثقافات، قوانين) ❖ بمقتضى المادة ٢، تصبح جميع أحكام الشريعة المتعلقة بالمرأة لاغياً وباطلاً ولا يصح الرجوع إليها.

❖ بمقتضى المادة ٥، ب: فإن الأمومة وظيفية اجتماعية مجردة من أساسها البيولوجي ويمكن أن يقوم بها أي إنسان رجلاً كان أم امرأة وبعيداً عن الدراسات والبحوث التي أثبتت أن حنان الأم فطري ولا يساوي حنان الأب ولا يساوي صبره صبر الأم، تنفي المادة ٥، ب اختصاص المرأة بها ويساوي عطفها وحنانها وتميزها بالأداء غيرها.

❖ بمقتضى المادة ١٦، فإن المساواة الكاملة يتحقق فيما يتعلق بمنح المرأة والرجل نفس الحقوق على قدم المساواة في عقد الزواج وفي أثنائه وعند فسخه وكذلك في القوامة والولاية على الأبناء (وذلك يتعارض مع قاعدة ولي الزوجة عند عقد الزواج) ومع النهر وقوامة الرجل على المرأة في الأسرة وتعدد الزوجات ومنع زواج المسلمة بغير المسلم وأحكام الطلاق والعدة وعدة الوفاة وحضانة الأولاد.

يقول مثنى الكردستاني: ^(١) "ولا تختلف المسائل الواردة في اتفاقية سيداو كثيراً عن الواردة في مؤتمر السكان ولكنها تزيد عليه في بعض من الأمور الخطيرة منها:

- ١- أنها اتفاقية دولية وأحكامها ملزمة تماماً للدول التي تدخل فيها.
- ٢- وجود لجنة دائمة في الأمم المتحدة لتابعة الإتفاقية وهذه اللجنة تستنفر منات الخبراء والناسطين الأثنويين ومئات المنظمات الأهلية لتابعة الإتفاقية والضغط على الدول للتوقيع عليها وتنفيذ بنودها.
- ٣- ربط بنود الإتفاقية بكل مرافق الحياة وبكل مشاريع الدولة المختلفة السياسية، الإقتصادية، الجيش، البرلمان، مؤسسات القرار، التعليم، الصحة، التوظيف، التدريب، القانون... بحيث أن الدولة المنظمة لا بد أن تغير من دينها وثقافتها وأولويتها وبرامجها حتى تستجيب لمتطلبات الإتفاقية.
- ٤- إلزام الدول بالعمل على إزاحة كل العقبات الثقافية الفكرية والقانونية التي تعترض تنفيذ الإتفاقية بما في ذلك الدين، الثقافة، الهوية الخاصة بل وتطهير مناهج التعليم، ووسائل الإعلام من كل أثر لذلك الدين وتلك الثقافة فيما يتعلق بمخالفتها للإتفاقية وقد طلب من الباكستان وليبيا أن يعيدا قراءة وتفسير القرآن ليتوافق مع الإتفاقية وهذا يعني أن الإتفاقية اصل وكل الأديان والثقافات فرع يقاس عليها، فإن خالفها أمر رفض وأزيج، وقد طلب من الصين أن تسمح بالدعارة وتوفر لها الحماية من الإستغلال والإتجار ومخاطر الأمراض وذلك باعتبارها من حقوق الإنسان.
- ٥- الإتفاقية مطاطية وفضفاضة بخلاف الإتفاقيات الدولية المعروفة وتحمل أوجه كثيرة من التفسير وربما أن هنا يغري البعض بالتوقيع عليها بحجة تفسيرها محلياً، ومن كثرة مطاطية الإتفاقية، فإن هناك بعض الإضافات جاءت بعد ١٩عاماً من توقيع بعض الدول على الإتفاقية وفي هنا قالت (مولانا فريده) القاضية بالمحكمة العليا بالخرطوم:، وقد يدخل لاحقاً فيها حق الإستنساخ البشري للأطفال

حتى تتفادى المرأة الإنجاب.

٦. وقد يكون هناك مخرج من التحفظ على البنود المخالفة لديننا كما تحفظت بعض الدول الإسلامية وكثيراً من الدول غير الإسلامية أيضاً على بنود متعددة من الإتفاقية، ولكن الإتفاقية تنص (المادة ٢٨) على عدم جواز التحفظ على المواد التي تعتبر جوهر الإتفاقية وهذا القيد المطلق يجعل التحفظات التي نحتاجها نحن المسلمين لاغية وباطلة وسوف يطلب منا عاجلاً أم آجلاً سحب هذه التحفظات والتنازل عنها والإنقياد للإتفاقية وتفسيراتها.

الاستنتاجات :

- ١- إن الإتفاقيات والوثائق الدولية الصادرة عن المؤتمرات الدولية تأثرت بالفكر الأنثوي المتطرف إذ يستمد أفكاره من العلمانية القائمة على فصل الدين عن الدولة، بل إنه هنا الفكر الذي تتبناه الحركة النسوية ازداد تطرفاً في أفكاره في فصل كل المطلقات الأخلاقية في سبيل الحرية المنفلتة التي تنسف كل المبادئ والقيم.
- ٢- إن هيئة الأمم المتحدة بكافة منظماتها ومؤسساتها تم تسخيرها لدعم الحركة النسوية الغربية تمثلت بالمؤتمرات والبرامج وورش العمل التي يتم عقدها عبر الجمعيات والمؤسسات الناعمة والمؤيدة لهذه الحركة في جميع أنحاء العالم.
- ٣- إن بعض الدول العربية والإسلامية قد وقعت على بعض الإتفاقيات مثل اتفاقية مكافحة كافة اشكال التمييز ضد المرأة وتحفظت على بعض بنودها ولكن هذا التحفظ ليس له أهمية في تغير بنود الإتفاقية.
- ٤- إن هذه الإتفاقيات والمواثيق الدولية تمثل تحدياً خطيراً ومعادياً للأديان السماوية، وبالرغم من هذه الخطورة فإن العالم العربي والإسلامي " في قضية المرأة"

لازال عنده سُح في فقه المرأة ويفتقر إلى دراسات علمية متخصصة تعالج المشكلات برؤية إسلامية حضارية عصرية عميقة شاملة، لازالت المعالجات لهذه القضية معالجات سطحية تتسم برود الفعل.

التوصيات :

١. مراجعة التراث الفكري الإسلامي القائم على العادات والتقاليد الموروثة الخاصته وهرز الصحيح من الخاصن خاصة فما يتعلق بإقصاء المرأة و تهميشها والعمل على تأهيل معرفي لقضايا معاصرة تتعلق بالمرأة . العمل على دراسة أسباب تخلف المرأة المسلمة واسباب بعدها عن دينها وما ينتج عن ذلك من مخاطر وتأخير في نهضة المرأة.

٢. العمل على تأسيس مراكز بحوث متخصصة تؤسس لعمل نسائي فكري وثقافي شامل يضع الخطط والبرامج يقوم على الإحصاءات والرصد وجمع المعلومات.

٣. العمل على تفعيل الروابط الإسلامية النسائية على مستوى العالم العربي والإسلامي عبر المؤتمرات والندوات لبلورة رأي وموقف موحد في مواجهة التحديات التي تواجه المرأة المسلمة.

٤ . العمل على إنشاء قاعدة بيانات مركزية تخدم قضايا المرأة في العالم الإسلامي على أن تجدد دوريا مع تبادل الخبرات والمعلومات.

٥ . مراقبة المؤسسات غير الحكومية المدعومة من الخارج والتي تعمل بأجندة الحركات النسوية الغربية والتي لا تتوافق مع ديننا وحضارتنا الإسلامية ورصد أنشطتها ونشرها والتصدي والرد عليها لبيان الحقيقة ودحض الأباطيل التي تروج ضد الدين بأسلوب حضاري علمي.

**المرأة في منظور إسلامي وأهليتها
للولاية العامة**

الشيخ محمود عكام

١ - هل تجد المرأة نفسها في الشريعة أم في القانون ؟

هذا هو السؤال الكبير الذي يلح على مساحات الإستفهام في تفكيرنا، ويطلق عليها أحياناً ولعله من مفترقات الطرق التي يقف عليها الإنسان ليحدد اختياره ويرسم مساره، إلى الشريعة يلتجئ ؟ أم إلى القانون يولي وجهه ؟! هل الحل هناك ؟ أم هنا ؟ أعني هل الشريعة أقدر من القانون على استيعاب الإنسان وصفاً وتوظيفاً، أم العكس هو الصحيح ؟!

أسئلة ترتادنا، وحيرة تمسك بعضنا ولا تكاد تفارقنا، والمرأة لهذه الأسئلة أكثر تعرضاً وهي في حيرتها أشد تارحجاً فالويلات التي عانت منها جد كثيرة، والتجاذبات التي مستها وهيرة، وهي اليوم كالأمس هذا يطالبها بالهمود وأخر لا يريد لها رهينة الجمود، وثالث يسعى ليباهي بها - عقواً بشكلها وصورتها فقط - القريب والبعيد، ورابع يناديها لتدخل كل مجال وميدان فهو يأبى لها القعود، وخامس يمنيها بمستقبل قادم يكون أفضل عليها من سالف العهود، وسادس يظلمها بتبرير يزعم أنه من بعض احتمالات دلالات نصوص ديننا المجيد، وسابع يغمرها بالروايات الموضوعية موهماً أنها - أي الروايات - الدين وثامن وتاسع... ولا يكاد العد ينتهي.

والأمر كل الأمر جواب نسمعه منك أنت أينها المرأة فالفضل فيك لك والحكم عليك لا يكون إلا منك وما نحن في مثل هذه المحاضرات والكتابات إلا عارضون. فاختاري بنفسك لنفسك ولراحتك براحتك واعلمي معي أن الحياة اختيار قائم على اختيار، قاله اختارك للحياة فاختاري نفسك لما اختارك له ربك أي لحياة كريمة بها تسعدين و تسرين.

وها أنا ذا أقدم بين يديك ملامح الشريعة عنك استوحيتها من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل تسمحين ؟
ولكن:

٢. قبل الشروع.. عقل يجب أن يتحرر:

لقد انعم خالقنا علينا بالعقل وجعله أساساً في تكوين علاقتنا مع الله ذاته، ومع كل من سواه، ولا بد لهذا العقل من أن يكون حراً حتى ينتج. وحرية العقل تعني انعتاقاً من عادات معادية وعواطف جامحة ضارّة وأهواء ضارّة وأنقال كونتها الأوهام وأساطير نسجتها الخرافات والخيالات. فإلى متى سنظل عقولنا مكبلّة بأحكام الرواية الأسطورية والأفكار المغلوطة والسلطة المرعبة والشهوة العارضة والنزوة الفاجرة ؟

إلى متى سنظل نشكو من ضعف تفكيرنا وقلة إنتاجنا وهزاله عطائنا، جراء لهثنا وراء سراب غير ممحص، وفراغ لا يحوي حقيقة ولا يلم شعناً ؟
إلى متى سنظل نرفض الفعل ونتبنى ردة الفعل، ونعر الشكليات ونذل المضامين، ونخضع للصورة ونأبى الحقيقة ؟

إن أي قضية يجب التأكد قبل معالجتها من صحة وحرية وسيلة العلاج التي هي العقل: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رقعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت. فذكر إنما أنت مذكر) الغاشية/١٧، ٢١ .
أي: ليحربوا عقولهم وليدربوها قبل سماع التذكير وليحزروا تفكيرهم قبل تلقي التكليف.

٢. ملامح يرسمها الإسلام:

١ - الرجل والمرأة من أصل واحد ولا خلاف،

قال تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً) النساء/١، وقال تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض) آل عمران/١٦٥. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال" أخرجه أبو داود. جيل كل منهما مما جيل منه الآخر مكرّمان بالتكليف مجزيان بالنواب نفسه، ومعاقبان بذات العقاب فلا والله ما فرق في أصلهما مفرق إلا دلت على عدم فهمهما ومن لم يكن عارفاً بموضوع الحكم رفض حكمه وفسد رأيه، (إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل) الحجرات/١٣.

٢- المرأة شخصية مستقلة فلا اندراج ولا اندماج،

هي كائن مستقل وتشكلت لنا للجنس الآخر وديفاً وكذلك الرجل بالنسبة لها قال تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات...) الأحزاب/٣٥. والواو هنا عاطفة معايرة والمغايرة بين المعطوف

والمعطوف عليه تعني استقلالية كل وكيونة متفردة لكل. قال تعالى: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين. وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) التحريم / ١١-١٠، وقال تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنصيبنه حياة طيبة) النحل / ٩٧، وقال تعالى: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) النساء / ١٢٤.

وهاكم وقائع في العصر الأول تدعم هذا الذي قلنا، فقد روى البخاري عن القاسم أن امرأة من ولد جعفر تخوفت أن يزوجها وليها وهي كارهة فأرسلت إلي شيخين من الأنصار فقالا: لا تخشين فإن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهي كارهة، فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك. ولعل من التأكيد على الإستقلالية حديثاً وارداً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه الراوي: "لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخنئين من الرجال والمرجالات من النساء" أخرجه البخاري. فلا اندماج ولا اندراج ولا التحاق ولا تبعية عمياء ولا تقليد بلغي تفرد الكيونة. وهذه ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها أعتقت وليدة ولم تستأنه فأقرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا. أخرجه البخاري.

٣ - المرأة تشارك وتساهم في الحياة الاجتماعية،

فهي الأمرة بالمعروف الناهية عن المنكر الداعية إلى خير المجتمع والناقدة المصلحة الوطنية ذات الغيرة قال الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون

المرأة في منظور إسلامي وأبوابها للولاية العامة ٢٢٧

بالمعروف وينهون عن المنكر) التوبة / ٧١، وقد ورد أن عبد الملك بن مروان لعن خادمه لأنه أبطأ فلما أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة " أخرجه مسلم.

والمرأة في الإسلام صانعة ثقافة وقائمة على إدارة منتهديات ورعايتها ولا ادل على هذه من قصة يرويها الإمام مسلم عن فاطمة بنت فيس قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " انتقلي إلى أم شريك " فقلت: سأفعل. قال: " لا تفعلين إن أم شريك كثيرة الضيفان يأتيها المهاجرون الأولون " وعندما يأتي المهاجرون الأولون فالساحة ساحة حوار وتنارس وتبادل وجهات نظر.

والمرأة عاملة في المجتمع الإسلامي ناشطة تتعلم المهنة وتمارسها فقد روى جابر قائلاً: طلقت خالتي فازادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: " بلى فجددي نخلك فإنك عسى أن تصدقني أو تفعلني معروفاً "، أخرجه مسلم.

والمرأة في المنظور الإسلامي تزور وتزار وتدعو وتدعى وتهدي ويهدى إليها وتعود وتعاد ولا يمنعها من ممارسات كافة النشاطات الإجتماعية مانع وهيئات تم هيئات أن يدعى إلى الركود والهمود وهي التي تقرأ في كتاب ربها العظيم: (والذين جاهدوا فبنا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت / ٦٩.

لا فرق في الدعوة والثواب بين ذكر وأنثى وقد وردت في هذا الشأن واقعة ذات دلالة واضحة على هذا الذي ذكرنا فقد جاء في صحيح مسلم، أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جار فارسي، وكان طيب المرقق فصنع لرسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ثم جاء يدعو فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، " وهذه " يعني عائشة فقال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " لا " فعاد يدعو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " وهذه " قال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا " ثم عاد يدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " وهذه " فقال: نعم. فقاما - أي رسول الله وعائشة - يتدافعان حتى أتيا منزله.

والمرأة معلمة ومنقفة وموجهة وحسيب هنا أن أنقل لكم واقعة ذات دلالة في هذا الشأن فقد قالت الشفاء بنت عبد الله: دخل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا عند حفصة فقال لي: " ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة " أخرجه أحمد. وأنا هنا مقتصر على حركة المرأة في العصر الأول عصر التشريع ولو سعيت لذكر وقائع من عصور تالية لتفنت الصفحة وما تفنت الحوادث والوقائع.

لنا بالإقتصار على المثال الرائد هو ديني في هذا المجال ومن أراد التوسعة فليعد إلى خزائن الكتب ومجمعات الأسفار وروايات التاريخ في موسوعات الأخبار.

٤- المرأة تشارك في النشاط السياسي فإني لكم منعها ١٩

ما كانت المرأة بمعزل عن السياسة وميدانها في منظور الإسلام ولا في واقعه المضبوط به والملتزمة بتعاليمه، وأنى لها الإنعزال وهي التي تتلو وتسمع مثل قول الله جل شأنه: (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً... فبأعنهن واستغفر لهن إن الله عفور رحيم) المتحنة ١٢، وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن) المتحنة ١٠. والبيعة والهجرة مصطلحان ذوا صلة بالسياسة وعلاقة بالحياة العامة أو ما يسمى بالقانون العام الشامل للدستوري والدولي.

وكذلك الجهاد فالرُبَيْع بنت معوذ وهي صحابية تقول، " كنا نغزو مع النبي

صلى الله عليه وآله وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونداوي الجرحى ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة " أخرج البخاري.

وإذا كانت السياسة مسؤولية من نوع خاص، فالمرأة مسؤولة في نظر الإسلام مسؤولية عامة، لا فرق بين طبيعة مسؤوليتها وطبيعة مسؤولية الرجل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، أخرج البخاري ومسلم، لا فرق بين ذكر وأنثى في توجيه الخطاب والخلاف في مسؤولية الناس عن بعضهم واختلافها إنما يكون في الموضوع والمساحة.

لقد ضربت النساء الأوائل أصدق الأمثلة وأروعها في هذا الشأن من خديجة التي رعت الرسالة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إلى فاطمة التي ساهمت في إغناء المواقف الرسالية في دنيا السياسة والعلاقات مع الحاكم، إلى عائشة التي ناقشت في الفروع والأصول، إلى أسماء، إلى رقية، إلى... وما أكثرهن. ومن قبل بلقيس وامرأة فرعون آسيا. فهل بعد هذا البيان من طلب لزيادة برهان على أن الإسلام أعطى للمرأة رعاية الإنسان ؟

دعونا يا ناس إلا من دين أو مبدا يكرم الإنسان ولا فرق بين جنس وآخر في الحقوق والواجبات وهذا هو - ورب الكعبة - عين الإسلام الذي ارتضاه الله ليوساً صالحاً لهذا الكائن الأسمى: (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة / ٣.

٥- المرأة ذات أهلية كاملة ولا خلاف،

ما كانت الأنوثة في يوم من أيام الإسلام عارضاً من عوارض الأهلية وحاشا للمرأة المسلمة كالرجل من حيث الحقوق والواجبات قال تعالى: (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) النساء / ٣٢. ويقول جل شأنه فيما يتعلق بحق المرأة في الميراث وأنها كالرجل: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب

مما ترك الوالدان والأقربون) النساء / ٧. ويأتي المهر نموذجاً لحق مكتسب للمرأة: (واتوا النساء صدقاتهن نحلة) النساء / ٤. ولا يحل للرجل أياً كان اقتناص أي قدر ومقدار منه: (إن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) النساء / ١٩. وإلا لا يحل أبداً أي إن لم يكن عن طيب نفس منها وإرادة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تزدوا النساء كرهًا) النساء / ١٩، وقال تعالى: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينكمهن) النساء / ١٩.

وتابع البيان الإلهي تأكيداً هذا الحق للمرأة فقال: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتينكم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً لتخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً) النساء / ٢٠. ولعل من مظاهر اهلية المرأة واعتراف الإسلام بها حق اختيار الزوج: (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) البقرة / ٢٣٢. وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن جارية بكرأ أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت أن أباهما زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويغنينا عن تتبع جزئيات وأمثلة الحقوق المنبثقة من تمتع المرأة بالأهلية الكاملة أن نقف عند هذه الآية الكريمة الجامعة، (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) التوبة / ٧١.

٤. خاتمة نريدها وقفة عاملة مع القانون؛

وسأذكر هنا ما يلي:

١- لم يكن القانون القديم على اختلاف جغرافيته ليعطي المرأة حقها أو بعض حقها، ومن عاد إلى ملفات التاريخ وقعت عيناه على غرائب وفضائح فالمرأة في قوانين الهند القديمة وجرمان والصين - على سبيل المثال - لم تكن شيئاً بل كان ينظر

اليها على أنها متاع رخيص تورث مع المال وتتداول مع الأشياء، وما اظن قوانين اليوم تفضل سوابقها كثيراً فالزوجة في فرنسا اليوم ليس لها ان تعطي وتبيع وترهن إلا برضا زوجها خطياً.

ويقول الدكتور شارل فيدز استاذ المعهد الأمريكي للدراسات الإسلامية، "كثير من الرجال وافقوا على قدرة المرأة للقيام بوظيفة الرجل إلا أنهم رفضوا تقاضيها نفس راتب الرجل لنفس العمل، هذا الاعتقاد بالمساواة في القدرة وعدم المساواة في التعويض ما زال سائداً في معظم الأقطار الغربية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية".^{٥٦٠}

٢- لقد بدل القانون نظرته الي المرأة مراراً وتكراراً وتخطط واضعوه وتحيروا ولا يزالون، وهم بين الفعل وردته يتميلون، فتارة يلتفون الي ما كان قد سطره افلاطون، وتارة يرجعون الي ما سجله حمورابي ومن سار على منهاجه وطريقته، واللافت في الأمر أن القانون في هذا المضمار قلما يبحث مستقلاً أو يناقش بحرية، وإنما هو ربات فعل على ما جاء في رسالات السماء تأييداً أو استنكاراً.

يقول مونتسكيو في (روح القوانين)؛ "لقد وقف القانون مدهوشاً حيال قضايا الإنسان اللصيقة وقد تكون وقفته متصفة بالحائرة لأنه لم يكون الإنسان، فهو به جاهل أحياناً فكيف يشرع له؟ والتشريع يستلزم علماً دقيقاً للمشرع له".

٣- ما اظن أن عقلاء القانونيين يرفضون تشريع السماء الموثق النسبة لله، لأنهم لا يرفضون ولا يمكن أن يرفضوا خطاباً توجه إلى العقل من خالقه العليم به، (لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك / ١٤.

٤- قد يفصل القانون في أمور تتعلق بالمرأة تفصيلاً دقيقاً وقد لا تجد في الشريعة هذا التفصيل وهذا لا يعني إضافة اضافها القانون أو تفوقاً أحرزه بل القانون في هنا

مطبق ومصنف يجهد في إلحاق الوقائع الحالية بالقواعد المجملة.

٥- لنن كانت هنالك شبهات تحوم حول حمى ما جاء في الشريعة عن المرأة فذاك طبيعي ولا مناص منه، وليس السبب فيه قصوراً في الشريعة، وإنما نسبية عقولنا هي التي أوقفنا في بؤرة الحيرة والتردد والإشكال ومتاعب الاستفهام. ولنن سنحت لي فرصة لقاء أخرى تحدثت عن إشكالات تثار عن:

- طلاق، وكونه بيد الرجل.

- وحجاب تصعب معه حركة ونشاط.

- وميراث لا تتساوى فيه المرأة و الرجل.

- وتعدد يمنحه الرجل على حساب المرأة.

- وولاية عامة اختص بالأهلية لها الذكر دون الأنثى. و... و... و...

٦- أرني إنتاجك ولا ثربي احتجاجك، فهاكم نظاماً متكاملأ يقدمه القرآن الكريم والسنة الشريفة، فهل عندكم من نظام متكامل فتخرجونه لنا؟ وإنا ننتظرون.

كل الشكر لكم، وكل التقدير للمرأة الحرة التي تطالب بحقها بنفسها، ولا تخاف في طلب الحق لومة لائم، ولا تخشى في حوارها لأجل فهم صحيح بهما سطوة غاشم.

ملحق

أهلية المرأة للولاية العامة في منظور إسلامي

لا بد من الإشارة أولاً إلى أن الإسلام دعا إلى التساوي في الحقوق والواجبات بين كل الناس ذكوراً وإناثاً، وهذا لا يعني التماثل والتطابق وإنما يقصد منه رعاية

انكفاءات وتقديرها وإعطاؤها حقها بغض النظر عن مصدرها. وعلى سبيل المثال، حق العالم ليس هو ذاته حق الجاهل، وحق الغني لا يمكن أن يكون نفسه حق الفقير وقد كان هذا الحق للعالم أو الغني بناءً على (صفة) كفائية أو اقتنارية معينة والقضية في (امر الرعاية) محسومة لصالح الأكما في امتلاك مقومات ساحة ومجال وميدان هذه الرعاية والناس سواء أمام هنا.

هب أن الزوج الفقير، والزوج غنية فمن الذي يرعى مسؤولاً أمر الإنفاق ؟ ومن الذي يتولى راعياً زمام الإنفاق ؟!

الجواب: الزوجة الغنية.

وينسحب هنا على كل خلية اجتماعية صغيرة أو كبيرة، وهذا ما تفرزه الآية الكريمة: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة / ٧١. ويبقى السؤال الأكبر ما تعلق في الولاية العامة وهل هذه - أي الولاية العامة - خلية من جملة الخلايا التي أشرنا إليها آنفاً أم أنها خارجة عن ذلك بقطعية سنديّة ودلالية معاً ؟

أما الجواب: فينصب أولاً على نقي القطعية السندية والدلالية الداعية إلى إخراج هذه المساحة أو تلك الخلية كما أسميناها عن نظيراتها من سائر الخلايا الاجتماعية والسياسية. فللمرأة حق التصرف اقتصادياً واجتماعياً وسياسةً وبحسب امتلاكها للكفاءة المطلوبة لكل مجال كالرجل لا فرق بينهما في ذلك. وللمرأة (الولاية) إذا امتلكت مقوماتها كما هو الأمر بالنسبة للرجل ولا يمكن أبداً أن تفقد صفة (الأنوثة) أحقية المرأة بالولاية هنا: الولاية بشكل عام حتى إذا ما وصفناها ب (العامة) وصار المراد منها: ((المراسة العامة)) قلنا وردنا ما قلناه آنفاً.

وإلا فإنا يعني حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل: "إنما النساء

شقانق الرجال " رواه الإمام أحمد والترمذي، وماذا يعني حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القائل أيضاً: "ناس من امتي عرضوا علي عزاة في سبيل الله، يركبون البحر ملوكاً على الأسرة" فقالت أم حرام: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها، رواه البخاري ومسلم.

نعم ادع الله أن يجعلني منهم وهم الموصوفون بالملوك على الأسرة فدعا لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما ما احتج به من قبل المعارضين وهو حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ما اقلح قوم ولوا امرهم امرأة" برواياته الكثيرة المختلفة فإنه لا يدخل في عناد قطعي السند والدلالة على الإطلاق أولاً، ثم إنه واقعة حال حسب رأي بعضهم وواقعة الحال ليست دليلاً في البحث. وما اظن أن قوله تعالى: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) النمل ٢٤، يصلح دليلاً لرفض تسمية الحاكم ملكاً في إسلامنا أو لنسف اعتبار (الملكية) صيغة من صيغ الإسلام السياسية المقبولة إذا قامت على العدل والشورى ومرجعية القرآن الكريم والسنة الشريفة. ولم نر في القرآن الكريم بعد ذكره وسرده قصة بلقيس الملكة تعليقا يفيد الإنكار على كونها ملكة أو حاكمة أو رئيسة ولو كان الأمر ممنوعاً ومرفوضاً شرعاً لأشير إلى ذلك لاسيما وأن القرآن الكريم هو الكتاب الأعظم في اغتنام الفرص والتعليق المناسب واتباع القصص المحكية بالعر المطلوبة.

إنها كلمة لا تشكل فتوى وإنما هي مشروع بحث جاد في تلك القضية الهامة جداً، سنعيد النظر مرة أخرى بوثائق أكثر ومفاهيم أوفى إلى أن نصل إلى ما يقربنا من مرادفات الله الحق أكثر واعتقادنا أولاً وأخيراً أن ما كان من الله حقاً هو الحق ويقدر ما تقرّب الأحكام من الحق المطلوب بقدر ما تكتسب مقبولية إنسانية واعتباراً ريانياً مرضياً.

الحقوق الإجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع

د. سعيد عبدالله حارب

المقدمة :

مازالت المرأة تشكل حضوراً دائماً في القضايا الإجتماعية المعاصرة، فعلى الرغم من مرور قرون على جدلية الصراع حول المرأة ودورها ومكانتها في المجتمع إلا أن هذه القضية لم تحسم بعد، وستبقى حاضرة أمام كل الأجيال، بل إن قضية المرأة خرجت من إطارها الجغرافي المحلي لتصبح قضية عالمية تتناولها المحافل والمؤتمرات الدولية وتصدر بشأنها القرارات التي أصبحت نافذة التطبيق في كثير من الأحيان، كما أن قضية المرأة خرجت من بعدها الإجتماعي والنقابي لتدخل دوامة الصراع السياسي ولعل ما يطرح من مشروعات دولية تحت مسميات مختلفة كحقوق المرأة وتمكين المرأة ومشاركة المرأة يشير إلى أن هذه القضية قد أخذت بعداً سياسياً دولياً لا يمكن تجاهله أو تجاوزه فقد أصبح الأمر واقعاً لا بد من التعامل معه بوضوح وشفافية، فالحديث عن المرأة مازال في مجتمعاتنا من مسائل "التردد" أو "التوقف" كما يمكن تسميتها إذ يتردد كثيراً من الباحثين والمهتمين بالشأن الإجتماعي في طرح قضايا المرأة خوفاً من قوى معارضة ترى الحديث عن المرأة مدخلاً لكثير من

المشكلات المجتمعية، ولذا فهي تفضل إغلاق هذا الباب -على ما فيه- خوفاً من الجهول الذي لا يمكن مواجهته!! وقد نسيت هذه القوى أن هذا الجهول الذي تخافه سيأتي إليها إن لم تذهب له!! إذ تحركت كثير من المياه الراكدة تحت أقدامها ولم نعد قادرين على تجاهل ما يحدث في العالم من حولنا بشأن المرأة وإن ما كنا "نتمرس" خلفه من أسباب الحماية قد تحطم بفعل عوامل النحت الإجتماعي المرتبطة بسنة التغيير والتطور، وهنا تأتي صعوبة إتمام المعادلة بين ما تحمله من قيم تنطلق من شريعتنا الإسلامية الغراء وبين واقع يلقي علينا بكلكله!! قد تبدو الإجابة سهلة وبسيطة وهي: إن تمسكنا بشريعتنا يوفر لنا الحماية اللازمة أمام "عواتي" الزمن وذلك حق لا شك فيه ولكن كيف نستطيع أن نتعامل مع واقع يتغير كل يوم بعيداً عن ضوابط الشريعة وهنا يأتي السؤال الآخر: ما هي هذه الضوابط؟ هل هي من الأحكام القطعية النابتة التي لا يمكن تجاوزها أم هي من الآراء والإجتهادات الزمانية والمكانية؟ التي يمكن أن نستخدم أدواتها في إعادة الإجتهد حول كثير من القضايا التي نحياها، ومن بينها قضية المراق، والتي نستطيع من خلال هذا الإجتهد أن نوفق بين شريعتنا الإسلامية وبين واقعنا الذي نعيشه.

إن بعضنا يصعب عليه ذلك لأنه يرى أن ذلك تنازل عن الحق وعن ما عاشت عليه الأمة خلال عصورها الماضية، وليس الأمر كذلك، إذ أن فقهاءنا السابقين كانوا معاصرين لزمتهم حين اجتهدوا لقضايا الأمة وأوجدوا الحلول لمشكلاتها ولم يتجاوزوا بذلك قواعد الإسلام، ونحن اليوم مدعوون إلى الإجتهد في كافة القضايا حتى نستطيع أن نواجه مشكلاتنا - وبغير ذلك "سيجتهد" غيرنا لنا بما لا نرغب.

ويفرضه علينا بأسماء مختلفة، وفي هذه الورقة محاولة لطرح قضايا المرأة من خلال محوري البحث وهما مكانتها في الشريعة الإسلامية وواقعها المعاصر، وهي محاولة لا تخلو من الحاجة للتصويب والناقشة.

أولاً: مكانة المرأة في الإسلام

جاء الإسلام رسالة عامة لكافة البشر ولكافة الأجناس فلم يفرق بينهم بلون أو جنس أو عرق أو غير ذلك، فكانت دعوة النبي ﷺ تشمل الرجال والنساء ومثلما اهتم الإسلام بالرجل اهتم كذلك بالمرأة فلم يفرقها عن الرجل في شيء سوى ما جاءت به النصوص الشرعية من اختلاف محدود في التكليف أو المسؤولية. كعدم تكليف المرأة بالجهاد وعدم مسؤوليتها الإنفاق على البيت أو بعض المسؤوليات الأخرى، أما في غير ذلك فإن المرأة أخذت مكانتها في الإسلام إلى جانب الرجل، مساوية له في الحقوق والواجبات، ومن يبحث في كتب الفقه أو التراث الإسلامي لا يجد فصلاً بين أحكام الرجل أو أحكام المرأة - إلا ما اختلفت فيه المرأة لأسباب خلقية (بيولوجية) كأحكام الحيض والنفاس والرضاعة - وعلى قدر المسؤولية المتساوية كان التكليف مساوياً كذلك، يقول تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم لئن لآ أضحع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى نعذبكم من بغض﴾ [آل عمران-١٩٥] ، ويقول تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة-٧١] ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما النساء شقائق الرجال)^(١).

وتؤكد الآيات على المساواة بين الرجل والمرأة فقد قال تعالى: ﴿إن المستميين

والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقابلات والصابغين والصابغات والصابرين والصابرات والقاشعيرين والقاشعيات والمتصنئين والمتصنقات والصابغين والصابغات والخافظين فرؤسهم والخافظات والككبرين الله كثيراً والككبرات اعتد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً﴾ [الأحزاب-٣٥] ، وتؤكد هذه الآيات وغيرها على استقلالية المرأة عن الرجل فهي ليست تابعة له في شخصيتها أو فكرها أو دينها، وإنما هي مساوية له، جاءها التكليف مستقلة عنه فهي أهل لهذا التكليف وأهل للقيام بأداء واجبها، وهذا الإستقلال لا يعني الإنفصال عن الرجل أو الإستغناء عنه كما تصورها الأفكار الأخرى، أو كما تطبقها بعض المجتمعات إذ تجعل من إستقلال المرأة بشخصيتها عن الرجل إستقلال في كل شيء فتستغني عن الرجل بمالها أو بعلمها أو بعملها وتكتفي بذلك زاعمة أن هذا يحقق شخصيتها وذاتها، ومثل ذلك ما يزعمه بعض الرجال كذلك باستغنائهم عن النساء، أو ينظر تهم الدونية للمرأة، إذ لا ينظر هؤلاء إلى المرأة إلا كنظر السيد لخدمته أو المتبوع لتابعه فيتعاملون مع المرأة بإذلال واحتقار ويحرمون المرأة من حقوقها الشرعية التي وهبها الله سبحانه وتعالى لهم، فهم بين إفراط وتفریط.

ثانياً: المرأة قديماً:

لم تحظ المرأة قديماً بالتقدير والإحترام اللائق بها، بل نكاد أن نقول إن المرأة لم تجد إنسانيتها وكرامتها إلا مع ظهور الإسلام، أما قبل ذلك فقد مر تاريخ المرأة - إذ جاء التصير - بصورة منقلبة رفعتها أحياناً إلى مراتب دون العليا، وهوت بها أحياناً أخرى إلى مراتب حيوانية، كما لدى بعض الشعوب القديمة.

١- المرأة عند الفراعنة:

يعتبر الفراعنة من الشعوب القديمة القليلة التي حظيت فيها المرأة بمنزلة مرموقة، فقد حصلت المرأة عندهم على بعض الحقوق، واختيار الزوج والإنقصال عنه، لكن مكانة المرأة ارتفعت حين جعل المصريون القدامى من بعض النساء آلهة تعبد مثل الرجال. وكان لها دور سياسي بارز في الحضارة المصرية القديمة، وتعد الملكة حتشبسوت أشهر ملكات مصر في التاريخ القديم إذ حكمت مصر في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد، وكانت متناً للحكمة في السياسة، بقول وليام لانجر، كانت حتشبسوت هي الحاكم الحقيقي منذ عام ١٥٢٠ (ق.م) حتى وفاتها عام ١٤٨٠ (ق.م) وهي أخت ليست شقيقة لتحتمس الثاني، أولاً ثم لتحتمس الثالث^(١). وإذا كانت هذه المنزلة الرفيعة التي وصلت إليها المرأة في عهد الفراعنة في الجانب السياسي فإنها في الجانب الإجتماعي تدنت إلى أسفل المراتب، إذ كان الرجل يتزوج باخته، فقد جاء في الأسطورة الشهيرة لـ "إيزيس" أنها كانت أخت "اوزير" وزوجته في نفس الوقت^(٢).

ويرى بعض كتاب التاريخ أن زواج الرجل من أخته جاء حرصاً من المصريين القدماء على نقاوة الدم والمحافظة على نسلهم من الإختلاط بغيرهم، وكان تعدد الزوجات سائداً بين الفراعنة إذ يصل أحياناً إلى ست زوجات إضافة إلى الخليلات اللاتي لم تكن لهن حقوق الزوجات، وقد أدى ذلك إلى كثرة الأولاد، فقد ذكرت الروايات أن رمسيس الثاني كان لديه مائة وستين ولداً، وفي العهود المتأخرة لعصر

١- تاريخ العالم، وليم لانجر، ج ٢، ص ٤٨

٢- انظر قصة الحضارة- ديورانت، ص ١٥٩

الفراغنة تدنت مكانة المرأة، فقد حرمت من أهليتها ومن التصرف في أموالها، إذ أصبح الأب ثم الزوج أوصياء عليها لا تتصرف إلا بإذنهما، وكان بعض الفراعنة يعتقد أن المرأة طريق للغواية ووسيلة للشيطان.

٢- المرأة عند اليونان:

تعتبر الحضارة اليونانية من أبرز الحضارات الإنسانية القديمة التي خلفت أثراً واضحة في الأدب والفن والثقافة، وكانت الأساس الذي بنت عليه أوروبا نهضتها الحديثة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن للمرأة دور واضح في صنع هذه الحضارة التي يمكن اعتبارها حضارة خاصة بالرجال، فقد كانت الحضارة اليونانية القديمة حتى في أوج ازدهارها (العصر الذهبي في أثينا ٤٨٠-٣٩٩ ق.م) لا تقيم للمرأة وزناً. فقد كانت المرأة تباع وتشتري في الأسواق وتسلب حريتها وإرادتها وحرمت من التعليم والمشاركة في الحياة، ولم يكن ينظر إليها إلا باعتبارها وسيلة، للمتعة، بل هي رجس من عمل الشيطان، وكان للرجل أن يتخذ ما يشاء من النساء غير زوجته، وفي ذلك يقول دسطين: "إننا نتخذ العاهرات للذة، والأزواج ليلدن لنا الأبناء الشرعيين، ويعتنين ببيوتنا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص"^١.

وكان من أثر هذه الرؤية للمرأة في الحضارة اليونانية أن فرضت عليها العزلة، فاختفت من الحياة الفلسفية والفكرية التي تميزت بها هذه الحضارة واختفت من المشاركة في الحياة، بل إن دورها كزوجة تراجع لوظيفة الإنجاب فقط وتقدمت

عليها البغايا اللاتي اشتهرن بحضورهن مجالس الثقافة والفلسفة أمثال (اسباسيا) التي ذكرها الفيلسوف سقراط، فكانت حياة الفجور مقدمة على الحياة الإجتماعية للمرأة، يقول الدكتور مصطفى السباعي: "وفي أوج حضارة اليونان تبدلت المرأة واختلط بالرجال في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنى أمراً غير منكر وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الأثمة بين الرجل والمرأة، فمن آلهتهم «افروديت» التي خانت ثلاثة آلهة وهي زوجة إله واحد وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم! ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الإتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تمثال «هرموديس» وأرستوجيتين، وهما في علاقة أئمة، وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا"^(١)

٣- المرأة عند الرومان؛

لم يكن شأن المرأة عند الرومان أفضل من اليونانيين، فقد حُرمت المرأة لديهم، من كافة حقوقها وخضعت تابعة للرجل، وكانت النظرة إليها أقل مستوى من الرجل، واعتقد الرومان ان المرأة كائن لا نفس له، فهي جسد فقط!! وهي وسيلة للغواية واللهو يستخدمها الشيطان لإفساد الرجال، كما كان يُحرم على المرأة الظهور في أماكن كثيرة كالمحاكم وغيرها، ولم يكن للزواج شأن يذكر فقد

١ - المرأة بين الفقه والقانون : د. مصطفى السباعي ، ص ٤١.

استبدل عامة الرومان ذلك بإشاعة الزنا والفاحشة فراجع دور الزواج والأسرة وانتشر التفتت الأسري وغابت سلطة الأب والزوج، وكان من حق الأب أن ينكر نسب ابنه إليه، ويدخل في نسبه من يشاء، وهو مالك أموال الأسرة يتصرف فيها كيف يشاء فالمرأة -عندهم- فاقدة الأهلية كما أنها تُحرم من ممارسة الشعائر الدينية، كما تحرم من حقوقها السياسية، بل حتى من حقوقها الشخصية، فقد كانت تنسب إلى الزوج، وتفقد اسم عائلتها، واسم أبيها، كما هو عليه المجتمعات الغربية اليوم، ولعل السبب في رؤية الرومان للمرأة يعود لحضارتهم المادية الصرفة التي جعلت دور الإنسان في الحياة محصوراً في تحصيل المتع واللذات، ولذا كانت المرأة صورة من هذه الرؤية، فراجع دور العقل والتفكير والنطق لبحل محله الوصف الحسي المادي للأشياء.

وإذا كانت الحضارة الرومانية القديمة قد نظرت إلى المرأة بهذه النظرة فإن الحضارة الغربية المعاصرة التي بنت أسسها على الحضارتين اليونانية والرومانية لم تختلف في نظرتها للمرأة كثيراً فهي وإن أعطتها الحقوق المادية والسياسية إلا أنها سلبت منها مكنونها الإنساني فمارالت رؤية الرومان القداماء للمرأة على أنها مصدر للشهوة والمتع هي السائدة إلى يومنا حيث تبرز المرأة -في الغرب- باعتبارها وسيلة للمتعة فهي وسيلة الدعاية والإعلان، وهي المروج للبضائع والسلع، وهي وسيلة جذب الناس لمشاهدة الترامج والأفلام والروايات التي يستغلها أصحاب المصالح في تحقيق المكاسب المادية، إننا حين ننظر إلى واقع المرأة المعاصرة يجب أن لا نغفل هذه الصورة من رؤيتنا فما حققته المرأة من مكاسب يجب أن لا يكون على حساب إنسانيتها وشخصيتها وكرامتها.

٤- المرأة عند الهنود:

موقع المرأة في الحضارة الهندية القديمة هو موقع دولي جعلوا له فلسفة واعتبروه ديناً من خلال الأساطير التي ابتدعوها، فقد جاء في كتبهم المقدسة: "عندما خلق (مانو) النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد وحب الزينة والشهوات الدنسة، والتجرد من الشرف وحسن السلوك، فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة، وطبيعة المرأة أن تعوي الرجل في الحياة الدنيا، ولهذا لا ترى الحكماء في صحبة النساء إلا شديدة الخيطة والحذر والمرأة غير صالحة للإستقلال بنفسها"^(١)، بل فرض على المرأة أن تحرق جثته إذا مات زوجها،^(٢) وفرض على المرأة أن لا تخاطب زوجها إلا بكلمة مولاي أو سيدي أو إلهي!! كما منعت من السير امامه أو بجانبه بل فرض عليها أن تمشي خلفه.

وبهذه الرؤية لم يكن للمرأة مكانة حتى حين تكون زوجة، بل إن الزواج لم يكن طريقة واحدة فقد أباح (مانو) ثمانية أنواع من الزواج من بينها الزواج بالإغتصاب والزواج بالشراء!! وقد خرمت المرأة من حق الملكية، وحق التعلم لأنهم كانوا يعتقدون أن المرأة إذا تعلمت فإن ذلك علامة لفساد الملكة!!^(٣).

إن أهم ما يميز رؤية الهنود القدماء للمرأة هو الإعتقاد بأن رؤيتهم للمرأة تنبع من معتقد ديني، إذ أن معظم أحكامهم حول المرأة استمدت أصولها من نصوص دينية ومن أقوال آلهتهم "المزعومة" وحكماتهم الدينيين، مما جعلها تتمكن في حياتهم بل إن بعض أثار تلك المرحلة ما زالت ممتدة إلى الحياة في المجتمعات الهندوسية المعاصرة.

١ - حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية: إبراهيم عبد الهادي النجار ، ص١٣

٢ - قصة الحضارة، نيوراتت ، ج ٣ ، ص١٧١.

٣ - نفس المصدر.

٥- المرأة عند الفرس:

لم يكن حال المرأة عند الفرس قديماً يختلف عن حالها عند بقية الشعوب، فقد تعرضت المرأة إلى القهر والظلم، فقد أباحت المعتقدات الفارسية القديمة بيع المرأة كما جعلت سلطة الرجل مطلقة، فله حق تقييد حريتها بل الحكم عليها بالموت لأن الفرس - قديماً - كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة متدنية، وقد شاع بينهم زواج المحارم إذ يحق لديهم زواج الأب من ابنته أو أمه، وكان الإبن يرث أمه بعد موت أبيه لتصبح زوجة له، وقد تضمنت تعاليم (مزدك ٤٨٧م) الدعوة إلى شيوع المال والنساء ونادى بأن الله خالق الناس متساويين وجعل المال والنساء حق للجميع فهم فيهم شركاء، فشاع الفساد حتى أصبح الرجل لا يعرف ولده ولا المولود يعرف والده.

ولم يكن للمرأة عند الفرس - قديماً - أهلية في التملك أو غير ذلك من الحقوق الدينية أو المدنية، لكن هذا الأمر لم يكن شأن جميع النساء إذ كانت هناك طبقة خاصة من المجتمع هي الطبقة العليا التي فرض على نساها الحجاب والعزلة ولم يكن يسمح لهن بالإختلاط ببقية النساء من عامة الشعب^(١).

٦- المرأة العربية في الجاهلية:

على الرغم من أن المرأة كانت حاضرة في الحياة العربية بصورة واضحة إلا أن هذا الحضور لا يشير إلى المكانة التي عاشتها المرأة العربية في الجاهلية، إذ اقتصر حضورها على ميدان الشعر - فكانت مصدر الهام للشعراء وسبباً للحرب - إذ سببت المرأة، وبرزت في التاريخ العربي القديم نساء كان لهن أثر في الحياة العربية، إلا أن

١ - انظر قصة الحضارة، ديورانت، ج ٣، ص ٢٢٠.

ذلك بقى على نطاق فردي محدوده أما بصفة عامة فقد عانت المرأة من الظلم والإضطهاد وهضم حقوقها، فلم يكن لها حق الإرث بل كانت ثورت كما يورث المال، وكان الولد الأكبر يتزوج بزوجة أبيه إنا مات أباه، وعلى الرغم من أن المرأة العربية قديماً حظيت بحماية الرجل ودفاعه عن شرفها، والتأثر ممن يتعرض ذلك إلا أن هذا الاهتمام من الرجل نابع من ذاتية إذ كان يعتبر التعرض للمرأة تعرض لمكانته وشرفه أما المرأة ذاتها فلم تكن لها عنده منزلة كبيرة فقد كان العرب لا يحبون أن تولد لهم بنات، وقد أخرج القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُرُءُ أَحْنَاهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل-٥٨]، ولنا شاع عند كثير من قبائل العرب واد البنات حتى لا يكن مصدر للعار - كما كانوا يعتقدون - وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير-٨-٩]، ولم تكن الحياة الزوجية بأفضل من حياة المرأة. فقد شاع بين العرب قديماً تعدد الزوجات بلا حدود وشاع بينهم زواج الإستبضاع أو نكاح الرهط. وكانت المرأة كالأسيرة عند زوجها يطلقها متى شاء ويمسكها متى شاء بلا ضابط أو نظام أو شرع، ولنا فإن المرأة في الجاهلية كانت تعيش حالة من الأضطهاد ولم يبرز في تاريخ المرأة العربية قديماً إلا بعض النسوة اللاتي كان لهن من المكانة الإجتماعية ما مكنهن من كسر قيود المجتمع. حتى جاءها الإسلام وأبطلها مما كانت فيه.

حقوق المرأة في الإسلام

أولاً: الحقوق الاجتماعية

١- التعليم:

إن من نافلة القول أن الإسلام قد أعطى المرأة حق التعليم واعتبر ذلك واجباً عليها لأنها إذا تعلمت ففهمت دينها وواجبها تجاه ربها وقامت بما يجب عليها، كما أنها إذا تعلمت استطاعت أن تتعرف على الحياة من حولها، وأن تتعامل معها وفق شرع ربها ووفق ما تحتاجه من مستجدات ومتغيرات، وقد توالى الأدلة الشرعية على حق المرأة في التعليم. فعن أبي سعيد الخدري قال، (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله، ذهب الله بحديثك - وفي رواية، علينا عليك الرجال - فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فاتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن ما علمه الله، ثم قال: ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهن يا رسول الله واثنين؟ قال: فأعادتها مرتين ثم قال: واثنين واثنين^(١)

وهذا الحديث فيه دليل على حرص المرأة المسلمة على العلم، وحرص النبي ﷺ على أن يخص النساء بحقهن في التعليم، على الرغم من أن الدلائل قامت على أهمية العلم للرجل والمرأة لكن هذا التخصيص فيه إشارة إلى الذين يقصرون حق التعليم

على الرجال دون النساء لما في ذلك من أهمية. وهو إشارة كذلك إلى ما يعتقد بعض المسلمين قديماً وحديثاً بعدم اهلية المرأة لهذا الحق، لكنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلمهن أن للمرأة هذا الحق في تخصيصها بالعلم على الرغم من مشاركتها للرجال في ذلك إذ كانت النساء يحضرن في المسجد لسماع خطبة الرسول ﷺ، تقول خولة بنت قيس: كنت أسمع خطبة الرسول ﷺ يوم الجمعة وأنا في مؤخرة النساء وأسمع قراءته - في القرآن المجيد - على المنبر وأنا في مؤخرة المسجد^(١).

ومن يقرأ فيما كتبه العلماء والمؤلفون خلال مسيرة التاريخ الإسلامي يجد نماذج فاصلة من النساء اللاتي برزن في شتى المعارف والعلوم

٢- العمل:

المرأة عنصر فاعل في بناء المجتمعات والإسهام في كافة برامج التنمية والتطوير ولم يعد الحديث عن عمل يدور حول السؤال القديم: هل تعمل المرأة أولاً تعمل؟ فهذا سؤال تجاوز الزمن كما تجاوز الواقع، وقد أعطى الإسلام للمرأة حق العمل بما يناسب تكوينها وشخصيتها، ولم يحدد لها طبيعة هذا العمل أو نوعه وإنما وضع ضوابط لعمل المرأة، وقد جعل عمل المرأة حقاً لها وليس واجباً عليها أي أن المرأة إذا اختارت أن تتفرغ لبيتها ولتربية أبنائها، فالإسلام لا يلزمها بالعمل خارج المنزل ولا يبيح لزوجها أو أبيها إلزامها بذلك، بل ترك لها حرية الاختيار، إذ رأت أن الأولى لها أن تتفرغ لرسالتها التربوية. ولا يعيب المرأة ذلك بل هو واجبها الأول كما أنها إذا اختارت العمل خارج البيت كان لها ذلك كان وفق الضوابط الشرعية ولم يخل

١ - طبقات بن سعد، ج٨، ص٢٩٦.

برسالتها، فليس في الإسلام معركة بين المرأة العاملة والمرأة غير العاملة كما يصورها البعض حين يصف المرأة غير العاملة بالتخلف والعزلة فهذه المعركة المفتعلة لا وجود لها في الإسلام مثلها مثل تلك المعركة الأخرى التي تقلل من شأن المرأة العاملة وتصقها بالتححرر أو التحلل لأنها تركت بيتها - فتلك أيضاً معركة مفتعلة يطلقها ذوو النظرات الضيقة، فالإسلام يعطي المرأة هذا الحق دون إخلال بدورها، وتشير الأدلة الشرعية على ذلك فقد روى جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها، فقال لها النبي: (من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟ فقالت بل مسلم، فقال، لا يفرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة^(١)، فقد كانت هذه الصحابة تمارس عمل الزراعة وقد أثنى النبي على فعلها وأكده، وعن سعد بن معاذ أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى الغنم، غنما بسنلح - أي جبل سلع بالدينة - فاصيبت شاه منها فأدركتها فذبحتها بحجر فسئل النبي ﷺ فقال، كلوها^(٢).

وعن سعد بن سهل رضي الله عنه قال، (جاءت امرأة بريدة قال، أترون ما البرده؟ فقيل له، نعم أنها الشملة - ملابس يغطي بها الجسم - منسوجة في حاشيتها، قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي، أكسوكها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً لها فخرج إلينا وأنا إزاره^(٣))

وقال الحافظ بن حجر، أن ابن اسحاق ذكر أن ربيعة الأسلمية، كانت تدأوي

١ - رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج ٥، ص ٢٥٨.

٢ - رواه البخاري، كتاب النبات والصيد، باب ذبيحة المرأة، ج ١٢، ص ٥٠.

٣ - رواه البخاري، كتاب البيوع، باب النساج، ج ٥، ص ٢٢٤.

الجراح، ولما أصيب سعد (رضي الله عنه) يوم الخندق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (اجعلوه في خيمتها لأدعوه من قريب)^(١).

فهذه أربعة نماذج من الأعمال التي كانت سائدة في ذلك الوقت وممارستها المرأة المسلمة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على مشروعية عمل المرأة.

٢- الحياة الاجتماعية:

المرأة ليست كأنها معزولاً عن المجتمع وليست أقل رتبة من الرجل في القيام بدورها الاجتماعي بل إن كثيراً من جوانب العمل الاجتماعي لا يمكن أن تتم إلا بمشاركة المرأة، ولذا فإن الدعوة إلى عزل المرأة عن القيام بدورها الاجتماعي، إنما هي دعوة لتعطيل طاقة فاعلة في المجتمع وحرمانه من دورها ورسالتها الاجتماعية، ولقد حرص الإسلام على مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية وفق الضوابط الشرعية بعدم ارتكاب المحرمات كالترج والإختلاط بالرجال لغير حاجه من علم أو عمل أو علاج أو غير ذلك مما شرعه الإسلام. فإذا كانت مشاركة المرأة ضمن الضوابط الشرعية، فإن الإسلام يؤيدها بل يطلبها، وقد شاركت المرأة في الحياة الإسلامية بصورها المختلفة، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: فقدمنا المدينة ليلاً - يوم الهجرة - فتنازعوا أيهم ينزل رسول الله ﷺ، فقال: أنزل على بين النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون: يا محمد رسول الله، يا محمد رسول الله^(٢).

١- رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ج٨، ص٤٦

٢- رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة، ج٨، ص٢٢٧.

وقد قامت الأدلة على مشاركة المرأة المسلمة في الحياة الإجتماعية وقيامها بدورها في مجتمعا بطبقفة منهج الإسلام في المسؤولية الإجتماعية التي لم تقتصر على الرجل فقط، وإنما شملت الجنسين، وذلك ضمن الضوابط الشرعية التي تحكم هذه المشاركة ومن أبرزها أن يكون في اللقاء بين الرجل والمرأة جدية والتزام لقوله تعالى: "وقلن قولاً معروفاً" سورة الأحزاب الآية-٣٣، فالآية تشير أن يكون الحديث في حدود المعروف ولا يتضمن ذلك منكراً ولهواً أو غير ذلك، وكذلك غض البصر لقوله تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من أنصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون" سورة النور، ٢٠، والغض من البصر يعني منع الإرسال في النظر، مخالفة الفتنة، واجتناب الخلوة، لما في ذلك من فتح باب للفتنة لقول النبي ﷺ: " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" ^١.

لكن إذا تعدد الرجال أو النساء زال المنع لأن الخلوة إنما تكون بين رجل وامرأة أما كثرة العدد فلا خلوة بينهم، ولقول الرسول ﷺ: " لا يخلون رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان" قال النووي، وأن النساء المجتمعات لا يتمكن في الغالب الرجل من مفسدة ببعضهن في حضرتهن ^٢، ومن ذلك اجتناب مواطن الفتنة والريبة، فالمرأة والرجل كلاهما أهل للشرف والعفة في الحياة الإسلامية، ولذا فإن من آتاب مشاركتها في الحياة الإجتماعية أن يجتنب مواطن الفتنة أو الريبة حتى لا يكون ذلك باباً للشيطان أو مدخلاً للفساد لأن مواطن الفتنة بيئة ومهيئة لذلك قال تعالى: "ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكنم به لعلكم تحفلون" الأنعام، الآية١٥١، وقوله ﷺ:

١- رواه البخاري- كتاب النكاح- ج١١- ص٢٣.

٢- انظر كتاب المجموع، شرح المذهب، ج٤- ص١٧٦.

"دع ما يريبك إلا ما لا يريبك"^{٣٢}.

ومن ذلك أيضاً أن تلبس المرأة المسلمة ملابس محتشمة، وأن لا تتبرج تبرجاً ظاهراً، فالإسلام لم يحدد لباساً للمرأة وإن حدد ضوابط لذلك كان يكون اللباس ساتراً ولا يكشف من جسد المرأة إلا ما أباحه الله سبحانه وتعالى، كالتوجه والكفين، وأن لا يكون اللباس ضيقاً يصف الجسد، وما عدا ذلك فللمرأة أن تلبس ما تشاء، إذا توقرت فيه هذه الضوابط، ولذا فإن المرأة المسلمة إذا ارتت المشاركة في الحياة الإجتماعية العامة فعليها أن تلتزم بالزي المحتشم لقوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" الأحزاب، الآية، ٣٣.

وقوله تعالى: * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُضْرَبْنَ فَلَا يُؤْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً " الأحزاب. الآية ٥٩.

ثانياً: الحقوق المالية

للمرأة في الإسلام كافة الحقوق المالية فليس هناك فرق بين الرجل والمرأة في مصادر كسب المال ولا في طرق إنفاقه بل يتساويان في ذلك ضمن الضوابط الشرعية لذلك. كان يكون مصدره حلال وإنفاقه في أمر مشروع وأن لا يكون إسرافاً أو تبذيراً أو غير ذلك من الضوابط، بل تميز الإسلام عن الشرائع الوضعية في حقوق المرأة المالية فأعطائها استقلالاً في ذمتها المالية فجعل لها ذمة مالية مستقلة عن زوجها فلها حق مباشرة أعمالها المالية ومباشرة كافة العقود والتصرفات، وجعلها صاحبة الحق المطلق في مالها فليس لأحد من الرجال أن يتدخل أو يمنعها أو يحجر عليها، هنا التصرف إلا بحكم شرعي، كما أن لها حق التصرف الحالي

المشروع بكافة صورته كالبيع والشراء وممارسة التجارة والإجارة والمضاربة والشراكة وكافة المعاملات المالية، فقد ورد أن زينب بنت جحش رضي الله عنها، كانت تعمل في دباغة الجلود وحياتها قبل زواجها من النبي ﷺ، وبعد زواجها منه، وكانت تتصرف في نتاج عملها من أموال كيف تشاء^(١). وإذا كان للمرأة المسلمة حق التملك والذمة المالية بصفة عامة، فإن لها كذلك حق التصرف المالي مثلها مثل الرجل دون فرق بينهما، وتطبق عليها كافة ضوابط الإنفاق مثل عدم الإسراف والتبذير لقوله تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " الفرقان، الآية-٦٧. بل حث الإسلام المرأة كما حث الرجل على الإنفاق في مواطن الخير والمصلحة فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طِبْعَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ " البقرة الآية-٣٦٧، ولذا فإن تصرف المرأة مالياً يكون مشروعاً إذا كان وفق تلك الضوابط فمن حق المرأة أن تتصرف بأموالها على سبيل المعاملات المالية السابقة أو على سبيل التبرع والتصرف وقد اثنى الله على المسلمين بذلك بقوله تعالى: " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالسَّكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالسَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَقَرًّا وَأَجْراً عَظِيماً " الأحزاب الآية-٣٥.

فلم تفرق الآية بين الرجال والنساء في كل هذه المواقف ومنها التصديق، وتشير هنا إلى مسألة هامة من مسائل حقوق المرأة المالية ألا وهي قضية الدخل الخاص بالمرأة من العمل أو الميراث أو الوقف أو غير ذلك من مصادرها الخاصة إذ ينشأ كثير

١- حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم النجار، ص ٢٤٧

من النزاع فيمن هو صاحب الحق في هذا الدخل وخاصة لدى الأسر التي تعمل فيها امرأة زوجة أو أما أو بنتاً، وما ذلك إلا بسبب نقل نماذج من الصور لدى المجتمعات الغربية إذ تلزم المرأة لديهم بالمشاركة في الإنفاق على البيت، وأحياناً تكون ملزمة وحدها بذلك الإنفاق بسبب انفصال الزوجين أو طلاقهما أو غير ذلك من الأسباب، أما في الإسلام فالمرأة غير مكلفة شرعاً بالإنفاق على بيتها أو أسرتها، لأن الرجل هو المكلف بذلك الإنفاق بما في ذلك نفقة الزوجة، لكننا نؤكد على أن بناء الأسرة المسلمة قائمة على المودة والرحمة لا على المصالح المادية، فمع حق المرأة المسلمة في دخلها ومالها الشخصي، إلا أن الأولى لها أن تسمن مع أبيها أو زوجها وأسرتهما في شيء من الإنفاق خاصة إذا كانت أسرتهما بحاجة لذلك إذا لا ينبغي داخل المجتمع الإسلامي والأسرة المسلمة أن يتمتع أحدهم بالمال بينما الآخرون بحاجة إليه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (جاءت زينب امرأة عبد الله بن مسعود، وقالت: يا نبي الله إنك أمرت بالصدقة كان عندي حلي فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت عليه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدق ابن مسعود، زوجك وولئك أحق من تصدقت عليه)^(١)

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع زينب من التصديق لكنه أشار إلى أن أسرتهما أولى بتلك الصدقة، وهذا يشير إلى أن المرأة المسلمة هي جزء من النسيج الاجتماعي وعليها أن تتحمل جزءاً من الواجب تجاه تنمية وتوفير احتياجاته ومن بين ذلك الاحتياجات المادية وتحكم هنا المبحث بقضية تشغل كثيراً من الناس بشأن الحقوق المالية للمرأة ألا وهي قضية الميراث، فقد أعطى الإسلام للمرأة حق الميراث من زوجها، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، فنظر بعضهم إلى تلك القضية بمنظار التشويه

متأثراً بآراء المستشرقين أحياناً والمعرضين أحياناً أخرى، متأثرين بالرؤية الغربية التي تلزم المرأة بالمشاركة في الإنفاق على الأسرة، ولذا فإنهم يرون أنها يجب أن تتساوى في الحصول على الميراث، عملاً بأن المرأة لديهم كثيراً ما تحرم من الميراث إذا لم تنص وصية الميت على ذلك!! أما الإسلام فقد عالج المسألة معالجة شرعية وعقلية فقد كلف الرجل بالإنفاق على الأسرة بينما احتفظت المرأة بحقوقها بعالمه عدا أن هذا الحكم أمر مشروع من الله سبحانه وتعالى علينا قبوله والرضى به، ومن يبحث في تفاصيل أحكام الميراث، يجد أن بعض الحالات تأخذ المرأة فيها النوع دائماً على الحاجة، وقد أدرك المنصفون من علماء الغرب حقيقة ذلك، يقول "جوستاف لويون" صاحب كتاب: «الدعوة إلى الإسلام»: "مبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف" ويظهر لي من مقابلي بينهما وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات حقوقاً في الميراث لا تجد مثلها في قوانيننا"^(١).

ثانياً: واقع المرأة المسلمة

أ. المرأة والتعليم:

شكلت المرأة المسلمة حضوراً متزايداً على الساحة العامة إذ أصبحت مجالاً لكثير من الأحاديث والكتابات والمناقشات التي تناولت قضية المرأة، تلك القضية القديمة المتجددة، واتجهت معظم المعالجات والتحليلات إلى أن المرأة مضطهدة ومقهورة ومظلومة، وأنها لم تأخذ حقوقها من الرجل، إلى غير ذلك من الأطروحات التي ترد في المناسبات الإحتفالية التي سرياً ما تنتهي وتبقى قضية المرأة حاضرة، وقد انشغل

١ - حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٥٤

المسلمون بقضية المرأة وكأنها قضية لأجل لها، إذ أن الحديث حول المرأة وحقوقها ومدى حصولها على هذه الحقوق، سيبقى من القضايا الدائمة ولا نعتقد أن هذا الحديث حول ذلك سيتوقف في يوم من الأيام. فحتى الدول التي حققت فيها المرأة نجاحات واضحة على مستوى الحياة العامة مازالت تناقش هذه القضية وإن اختلفت مفرداتها وتفاصيلها، وسيبقى هناك من يرفع لواء إعطاء المرأة حقوقها بينما يرفع الآخرون دعوات أخرى تقول إن المرأة قد نالت حقوقها كاملة أو حققت إنجازات كبيرة "متأثرين" تارة بالقيم والتقاليد الإجماعية، ومستندين تارة أخرى إلى النصوص الدينية. بينما يطرح المقابلون لهم واقع المرأة وما تعيشه في صورة قياسية "منمنجه" بالنموذج الغربي الذي يتصورونه النموذج الأمثل لما يمكن أن تحققه المرأة على أي بقعة من بقاع العالم، ولنا فإن هذه الجدلية ستظل مطروحة على بساط البحث مادام هناك امرأة ورجل أو رجل وامرأة، وما يهمنا أن نناقش حالة المرأة المسلمة التي هي ميدان البحث في عالمنا ومجتمعاتنا، فهل حققت المرأة المسلمة شيئاً يذكر في مجتمعاتها، وهل هناك من يحول دون تحقيق ذلك؟ إن التسرع بإطلاق الأحكام والإجابة يضعنا في أحد القوالب السابقة - الهجوم أو الدفاع في قضايا المرأة - لكننا سنناقش القضية من خلال الأرقام التي تعد أكثر دلالة وأوضح مؤشر على ما حققته أو يمكن أن تحققه المرأة وسنعمد لمقارنتها - بشقيقتها - الرجل. ولعل أهم المؤشرات التي يتم الإستناد إليها لقياس لتقدم أو تخلف أي مجتمع هو التعليم، وهنا ما سارت عليه التقارير والدراسات الدولية، وما اعتمده المنظمات الباحثة في هذا الميدان، فمادام حققت المرأة المسلمة من التعليم؟^(١)

١ - تم استخراج الأرقام من تقرير البرامج الإنمائي للأمم المتحدة ٢٠٠٤م.

إن الأرقام تقول إن المعيار العالمي لمعرفة القراءة والكتابة بين البالغين من النساء والرجال قد بلغ ٧٨,١%، أما الرجال فهو ٨٤,٣%، وقد حققت الدول الصناعية المتقدمة أعلى المستويات إذ بلغت نسبة النساء المتعلّمات لديها ٩٨,٦% بينما بلغت نسبة الرجال المتعلّمين ٩٨,٩% أي بفارق ٠,٣%، وحققت الدول النامية نسبة لا بأس بها إذ أن نسبة اللاتي يحسن القراءة والكتابة ٦٢,٩% بينما بلغت النسبة بين الرجال ٨٠% أي بفارق ١٧,١% لصالح الرجال، أما الدول الأقل نمواً فقد تدنّت نسبة النساء القادرات على القراءة والكتابة إلى ٢٨,١%، أما الرجال فقد بلغت نسبتهم ٥٨,٩% أي بفارق ٣٠,٧% لصالح الرجال، فماذا عن المرأة المسلمة؟ إن القادرات على القراءة والكتابة من النساء المسلمات لم تتجاوز ٤٦,٤%، أما الرجال فقد وصلت نسبتهم إلى ٧٠,٦% أي بفارق ٢٤,٢% لصالح الرجال، وهو أعلى فارق بين الرجال والنساء على مستوى العالم، لكننا يمكن أن نلاحظ أن الفارق في جميع الأحوال على مستوى العالم كان لصالح الرجل، ويمكننا بذلك أن نقول إن تعليم المرأة أو على الأقل قدرتها على القراءة والكتابة مازال في منطقة "الظلم" بالنسبة لها وليست المرأة المسلمة بدعاً من ذلك إذا تساوت في هذا "الظلم" مع غيرها، وإذا كان هذا حال المرأة المسلمة بصفة إجمالية فماذا عن مستوى بعض الدول - كمنماذج - في ذلك؟ إن الأرقام تشير إلى أن أكثر النساء المسلمات اللاتي لهم قدرة على القراءة والكتابة هن النساء في بروناي (دار السلام) إذ تبلغ نسبتهن ٩١,٤% وهي نسبة عالية إذا ما قورنت بالنسبة الإسلامية الإجمالية أو حتى النسبة العالمية، ولذا فإن نسبة الأميات في بروناي - غير القادرات - على القراءة والكتابة لا تتجاوز ٨,٦% ولا تختلف هذه النسبة كثيراً عما عليه الرجال إذ تبلغ نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة في بروناي ٩٦,٣% أي أن نسبة الأمية

بينهم لا تتجاوز ٣,٧% وهي نسبة ممتازة إذا ما قورنت بما هي عليه في بقية دول العالم أو الدول الإسلامية أما ثاني النساء المسلمات قدرة على القراءة والكتابة فهن النساء الأردنيات إذ تبلغ نسبتهم ٨٥,٨% أي أن الأميات بينهن لا يتجاوزن ١٤,٢%، بينما تبلغ نسبة الرجال القادرين على القراءة و الكتابة في الأردن ٩٥,٥%، أي أن الفارق بين النساء و الرجال ٩,٧% لصالح الرجال وتأتي ماليزيا في المرتبة الثالثة حيث تبلغ نسبة المتعلمات فيها ٨٥,٤% أي أن نسبة الأميات للماليزيات تبلغ ١٤,٦%، بينما تبلغ النسبة بين الرجال الماليزيين ٨% فقط، أي أن نسبة الرجال القادرين على القراءة و الكتابة في ماليزيا تبلغ ٩٢% و هي نسبة عالية وفقاً للمعايير العالمية، وتأتي البحرين في المرتبة الرابعة من حيث قدرة النساء على القراءة و الكتابة إذ بلغت نسبتهم ٨٤,١% أي أن الأميات البحرينيات يبلغن ١٥,٩% لكن الرجال البحرينيين يتفوقون على النساء في ذلك إذ بلغت نسبتهم ٩١,٥% أي بفارق ٧,٤% لصالح الرجال الذين لا تتجاوز الأمية بينهم ٨,٥%، أما النساء القطريات فيأتين في المرتبة الخامسة إذ تبلغ نسبتهم ٨٢,٢% أي أن الأميات بينهن لا يتجاوزن ١٦,٦% أما الرجال القادرين على القراءة و الكتابة في قطر فتبلغ نسبتهم ٨٤,٩% أي أن نسبة الأمية بينهم ١٥,١% فقط بفارق يبلغ ٢,٦% لصالح الرجال، وكانت المرتبة السادسة من نصيب لبنان إذ أن نسبة النساء اللبنانيات القادرات على القراءة و الكتابة تبلغ ٧٨,٥% أي أن الأميات بينهن يبلغن ٢١,٥%، لكن الرجال اللبنانيين تبلغ نسبة القادرين منهم على القراءة و الكتابة ٩١,٣% أي بفارق ١٢,٨% لصالح الرجال، ولذا تنخفض نسبة الأمية بين الرجال في لبنان إلى أدنى المستويات إذ لا تتجاوز ٨,٨% مما يضعهم في المستويات المتقدمة تعليمياً، أما الكويتيات فيأتين في المرتبة السابعة بين النساء المسلمات القادرات على القراءة

والكتابة إذ تبلغ نسبتهم ٨١% أي أن الأميات بينهن تبلغ نسبتهم ١٩% لكن الرجال يسجلون تقدماً ملحوظاً على النساء في الكويت إذ تبلغ نسبة القادرين منهم على القراءة ٨٤,٧% بفارق ٢,٧% لصالح الرجال وهي نسبة جيدة مقارنة بالفارق الكبير في التعليم بين الرجال و النساء على المستوى العالمي وعلى مستوى الدول الإسلامية ، وتأتي النساء الإماراتيات في المرتبة الثامنة من حيث المعرفة بالقراءة والكتابة إذ إن نسبة القادرات منهن على ذلك تبلغ ٨٠,٧% وهي تتفوق على الرجال بنسبة ٥,١% أي أن نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة في الإمارات تبلغ ٧٥,٦%، وتعتبر النساء الإماراتيات الوحيدات في الدول الإسلامية اللاتي يتفوقن على الرجال في مجال القراءة والكتابة، ولذا ترفع نسبة الأمية بين الرجال الإماراتيين عن النساء، إذ تبلغ نسبتهم ٢٤,٤%، أما نسبة الأمية بين النساء الإماراتيات فتبلغ ١٩,٣% وإذا كانت الصورة في هذه البلدان تبدو جيدة، فإن سبب ذلك عائد إلى الوضع الإقتصادي لهذه الدول، إذ تأتي معظمها في مقدمة الدول الغنية بالنفط، باستثناء الأردن ولبنان، مما يشير إلى ارتباط الأوضاع التعليمية بالإمكانيات المادية بصورة مباشرة.

و مقابل هذه النتائج نجد صورة أخرى تعبر عن الأوضاع السيئة التي تعيشها المرأة المسلمة في بعض البلدان، إذ تكاد تأتي معظم الدول الإسلامية في آخر قوائم التعليم على المستوى العالمي عدا أن تكون أوضاع المرأة فيها أوضاعاً سيئة، ففي بلد كالنيجر لا تستطيع سوى ٩,٢% من النساء القراءة و الكتابة أي أن نسبة الأميات بينهن تبلغ ٩٠,٨%، و لا تقل أوضاع الرجل سوءاً إذ أن القادرين بينهم على القراءة و الكتابة لا تتجاوز ٢٥,١%، أي أن نسبة الأمية بينهم ٧٤,٩%، و لنا أن نتصور حال برامج التنمية الإجتماعية و الصحية و غيرها في ظل هذه الأوضاع التعليمية.

أما في السنغال فإن نسبة القادرات على القراءة و الكتابة لا تتجاوز ٢٩,٧% أي أن نسبة الأمية بين النساء تصل إلى ٧٠,٣%، بينما تصل نسبة الأمية بين الرجال السنغاليين إلى ٥١% فنسبة القادرين على القراءة و الكتابة لا تتجاوز ٤٩% أي ما يقرب من نصف عند الرجال.

و في اليمن تبلغ نسبة الأميات من النساء ٧١,٥% أي أن القادرات على القراءة و الكتابة لا تتجاوز ٢٨,٥%، و مثل هذه النسبة في باكستان كذلك، إلا أن وضع الرجال في اليمن أفضل حالاً إذ تبلغ نسبة القادرين على القراءة و الكتابة ٦٩,٥% أي أن نسبة الأمية بينهم ٣٠,٥%. أما في باكستان فإن نسبة الأمية بين الرجال تتجاوز نصفهم إذ تبلغ ٥٣,٤% أي أن نسبة القادرين على القراءة و الكتابة لا تتجاوز ٤٦,٦%، و قريباً من هنا في بنغلاديش إذ تبلغ نسبة الرجال القادرين على القراءة و الكتابة ٥٠,٣% أي أن نسبة الأمية بينهم ٤٩,٧%، و ليست النساء البنغلاديشيات أفضل حالاً إذ تصل نسبة القادرات على القراءة و الكتابة ٣٦,٤% فقط، أي أن نسبة الأمية بينهن تبلغ ٦٨,٦%.

و في المغرب تبلغ نسبة القادرات على القراءة و الكتابة ٢٨,٣% فقط، أي أن نسبة الأمية بين المغربيات تبلغ ٦١,٧% أما الرجال فهم أفضل حالاً من النساء، إذ أن القادرين على القراءة و الكتابة من بيتهم تبلغ ٦٣,٣% أي أن نسبة الأمية بين الرجال المغربية تبلغ ٣٦,٧%.

إن هذه النماذج من بعض الدول الإسلامية تعطي مؤشراً مهماً و هو أن حال المرأة للمسلمة في مجال التعليم مازال متأخراً عن مثيلاتها في دول العالم الأخرى، بل مازال متأخراً عن المتوسط العالمي في مجال التعليم، على الرغم من كفالة الإسلام لهذا

الحق و حثه على إعطاء الفرصة للمرأة حتى تأخذ نصيبها من التعليم، إلا أن الأوضاع الإقتصادية و القيم و العادات المتخلصة التي تحرم المرأة من هذا الحق و النظرة القاصرة لدور المرأة في المجتمع و الحياة أسهم في هذا الوضع الذي يخالف ما دعت إليه الشريعة الإسلامية الغراء.

٢- المرأة والعمل:

مازالت الرؤية لعمل المرأة ومشاركتها في الحياة العامة من القضايا التي تستثير الباحثين والدارسين، بل تستثير التقارير الأخبارية والتعليقات الإجتماعية من خلال وسائل الإعلام، فبين محدد دور المرأة من خلال العمل في ميادين التعليم والعلاج، وإلى ناع للمرأة للمشاركة في الحياة العامة بصورة أوسع من الصورة السابقة، مستنديين على موقف الشريعة الإسلامية التي أعطت للمرأة حقوقاً متساوية مع الرجل في كافة شؤون الحياة إلا ما قامت الشريعة على التفريق بينهما لأسباب محدودة وفي جوانب خاصة بالرجل أو المرأة، كما يستند هؤلاء على الواقع الذي تعيشه المرأة العاصرة بما فيها المرأة المسلمة إذ أن المرأة حصلت على مستويات متقدمة من التعليم والتدريب تؤهلها إلى القيام بدورها العملي بما يسهم في تنمية المجتمع ويتوافق مع احتياجاته ومتطلباته خاصة وأن المرأة مارست هذا الدور قديماً، إذ يرى هذا الفريق أن المرأة مارست العمل منذ القدم، ولم يتراجع دورها التناموي في المجتمعات إلا في العقود المتأخرة، وربما أسهمت الوفرة المادية في ذلك، وكنموذج على ذلك المرأة في الخليج " فقد كانت المرأة الريفية في الخليج تقوم بحرث الأرض، وجمع الثمر وتربية الدجاج والحيوانات، كما باعت الخضراوات

والبيض، وصنعت سلالاً من القش، وقامت المرأة البدوية برعي الأغنام، وصنع الأغذية كاللبن المجفف وزبوت الطهي، كما صنعت السجاد والخيام والصناديق لنقل حاجاتها التي قايضتها في السوق.

أما زوجات صاندي اللؤلؤ فتحملن مسؤولية إدارة أمور الأسرة نظراً لقضاء أزواجهن أوقاتاً طويلة في البحر.

وتشير إحدى الباحثات إلى دور المرأة في العمل باعتبارها قوة منتجة وتأخذ نموذجاً لذلك حالة المرأة الريفية في دولة الإمارات العربية المتحدة فتقول "على الدوام كان للمرأة في الإمارات بشكل عام دور ريادي في ما يتعلق بحركة الإنتاج واستمرارية الإستقرار الإجتماعي فهي مساند قوي في المناطق الزراعية تعمل على تحقيق أكبر مستوى من الإنتاج في المزارع التي تملكها عائلتها عن طريق المشاركة اليومية في أعمال الزراعة، فمثلاً تستطيع القيام بأعمال السقاية وتطهير الحشائش وجني المواسم وتجهيزها بحيث تكون صالحة للأكل طوال العام، مثل صناعة الدبس والتمور، وإنتاج الحب أي القمح "والخن" - نوع من الحبوب تتم صناعة الخبز منه - وتجهيف ثمار الليمون الصغيرة (اللومي) وإنتاج الأعلاف الموسمية لمساعدة الماشية التي تربيتها في الشهور الجافة من السنة وتجهيز الثمار الناضجة للبيع - وفي المناطق البحرية تتحول المرأة إلى عضو هام في جماعة الحفاظ على الثروة السمكية والبيئة البحرية وزوجات الصيادين لديهن خبرة كافية لمساعدة رجال البحر وتسهيل مهامهم، فهي إلى جانب خبرتها في صناعة الأسماك للملحة وهذه بالمناسبة أمنت مورد رزق جيد لمئات العائلات على امتداد القرون الماضية ومهمة تمليح الأسماك وإعدادها للبيع كانت من نصيب المرأة في القرى.

إن عمل المرأة مازال إحدى الإشكاليات الإجتماعية التي تلعب فيها القيم دوراً واسعاً مما يجعلها محط دراسة الباحثين والمهتمين إذ، تكاد لا تخلو دراسة حول أوضاع العلم في الخليج من الإشارة إلى مجموعات القيم التي تفرض على المرأة الإشتغال بمهن معينة، خصوصاً التدريس، الذي تلحق به الإناث اللواتي يصرفن النظر عن تخصصاتهن العلمية والأكاديمية، حتى إن مراحل تعليمية في أكثر من قطر عربي خليجي كادت أن تعتمد على الإناث وحدهن، وإذا كان بعض الأقطار الخليجية قد وسع هوامش عمل المرأة، فإن ذلك كمي وليس كيفياً، وأفضى هذا الوضع إلى تضخم وظيفي من الإناث في مجالات العمل التي لا يوجد فيها اختلاط أو تعامل مباشر مع الذكور، وإلى نقص في مجالات أخرى تستجلب إليها العمالة الوافدة لتفي بحاجات المجتمع في هذه القطاعات، وقد أكدت دراسات تاريخية حول أوضاع العمل في الخليج أن مشاركة المرأة، قبل الحقبة النفطية، في كثير من المهن والأعمال كانت كبيرة، فقد كانت النساء يعملن في بيع السمك والدجاج والماء، ويقمن بالأعمال المنزلية اليومية وصباغة الأقمشة والزراعة وبعض الصناعات الحرفية غير أن الوفرة المالية بعثت قيماً وأكدت أخرى، كان من شأنها تحجيم عمل المرأة وإذا كانت هذه الظاهرة تبدو أكثر وضوحاً في الخليج، فهي متفاوتة في الكم في غالبية الأقطار الإسلامية، وإن كان هنا التفاوت لا يرتبط بالقيم الإجتماعية على النحو الذي هو عليه في الخليج، حيث توجد عوامل بلدانية أخرى ذات صلة بانحصار الإنتاج ومحدودية فرص العمل، التي يفوز بها الرجل، نتيجة للفرص التي أتاحت له تاريخياً في التعليم والعمل، خصوصاً في الشرائح

الوسطى وما يعلوها، ولعل من بين ما يدل على انخفاض مشاركة المرأة عموماً. وفي المهن الإنتاجية خصوصاً، ان نسب مشاركتها في الإمارات والكويت، على سبيل المثال في أعمال النقل والمواصلات والتشييد والبناء، تراوحت بين ٠,٣ و ٣,٠٤ بالمائة .

إن عدم وجود المرأة في مواقع عمل تسمح لها بممارسة دورها مع محافظتها على شخصيتها العربية الإسلامية والتزامها القيمي يحرم المجتمع من هذا الدور. هذا إلى جانب الهدر في الإمكانيات المادية والبشرية إذ أن الواقع يشير إلى تزايد في أعداد الخريجات من الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي، وقد أنفقت الدول ملايين الدراهم والدنانير على تعليم هؤلاء الفتيات وعدم فسح المجال لهن في العمل يهدر هذه المبالغ، ولا يكفي القول أن التعليم بذاته مطلب، فلا شك أنه مطلب حيوي للإنسان في هذا العصر، لكن التعليم إذا لم يتحول إلى عمل فإنه يصبح "مخزوناً" لا ينتفع به، ثم إن المعارضين لدور المرأة في الحياة يذهبون بعيداً حين يفترض - البعض منهم - أن خروج المرأة ومشاركتها في الحياة سيؤدي إلى "انحراف" المرأة، وهذا عدا أنه تصور يتعارض مع المفهوم الشرعي الإسلامي الذي يفترض في المرأة المسلمة العفة والحصانة شأنها شأن الرجل، إلا أنه يصور المجتمع المسلم بصورة الوحش الكاسر تجاه المرأة "الضعيفة" أمام رغباتها وسلوكها، وكان العلاقة بين المجتمع أو بصورة أخرى بين المرأة والرجل هي علاقة "شهوة" فقط، وهو تصور يسيئ إلى المجتمع بأكمله مثلما يسيئ إلى المرأة، خاصة وأن التاريخ الإسلامي حفل بصور ناصعة من مشاركة المرأة المسلمة في الحياة ولم يشر أحد إلى أن ذلك مدعاة انحراف أو إساءة مع وجود النصوص التي تحذر من ذلك والتي يجب

ان تفهم فهما شاملاً في ظل القواعد العامة للإسلام التي تمنع التقاء الرجل بالمرأة لغير حاجة أو بصورة تفتح ابواب الإلحراف والفساد، أو في أجواء تهين الوقوع في ذلك، لكن إذا تحقق للمرأة تربيته الإسلامية التي تمنعها من الوقوع في الزلل وتهيات لها الظروف المناسبة للمشاركة كان الحديث عن الحرافها يعد تعريضاً بالمرأة المسلمة وتقليل من شخصيتها ومثل هذا القول ينطبق على الرجل أيضاً فوجود الإنسان في بيئة (موبوءة) بالفساد والإنحراف مدعاة كذلك للسقوط.

إن قصر التصور على المرأة وحدها نابع من رؤية اجتماعية بينية محدودة وليس من نظرة شرعية حددت الظروف والشروط والمواصفات للمرأة والرجل ليكون لكل واحد منهما دوره في المشاركة والعمل من أجل البناء والتنمية في المجتمع.

ويقابل هذا التصور كذلك تلك النظرة التي ترى في المرأة - غير العاملة - تخلفاً وتأخراً، خاصة إذا كان لتلك المرأة دور تمارسه في الحياة فقد ترى إحداهن أن التفرغ لتربية أبنائها تربية سليمة أولى من مشاركتها في العمل - الوظيفي - أو أن يكون لها دور اجتماعي من خلال المؤسسات الاجتماعية أوسع من مجرد الوظيفة المحدودة فينظر إليها أنها ليست - مشاركة - أو أنها غير مواكبة لحركة المجتمع، أو غير ذلك من النعوت التي يصفها بها بعض الكتاب والباحثين - من المبالغين - في دفع المرأة للحياة العامة حتى ولو لم يكن هناك مبرر لهذا الدفع. وإذا كنا نعيب على أولئك الرافضين لمشاركة المرأة فإننا نعيب على هؤلاء كذلك لقد استمعت إلى إحدى المتحدثات التي تصف المرأة غير العاملة بأنها امرأة (متخلفة)

وكان مقياس التخلف والوعي هو وظيفة المرأة أو عملها المحدود، وكان رد إحدى المشاركات عليها أنها تفضل أن تكون متفرغة لتربية أبنائها (الخمس) ليكونوا عناصر قاعلة في المجتمع على أن تخرج للعمل وتترك مسؤولية هؤلاء (الخمس) على امرأة أخرى هي المربية أو الخادمة.

إن المبالغة في كلا الأمرين أضاعت حقيقة دور المرأة في الحياة، وكان المرأة مخلوق آخر براد له أن يأتي من يحدد له هذا الدور ونسي كلا الطرفين إن الحياة تقوم على طرفيها المرأة والرجل، ولا قيمة للحياة بدون إحدهما، وكما أن للرجل دوره فإن للمرأة دورها، ولا يقلل أحدهم من الآخر.

٢- المرأة والسياسة:

إذا كانت المرأة المسلمة قد دخلت القرن الحادي والعشرين ولم تحقق تقدماً واضحاً في ميدان التعليم الذي يعد الأساس في عملية البناء والتنمية لأي مجتمع فمادنا يمكن أن نتصور إنجازها في ميدان السياسة والمشاركة؟ إن المرأة المسلمة لا تختلف كثيراً عن معظم دول الشرق إذا ما زالت مشاركتها محدودة أو رمزية في الأقطار التي سمحت لها بهذه المشاركة عما أن هناك أقطاراً عدة من بينها بعض الأقطار الإسلامية لم تسمح للمرأة بالمشاركة السياسية. ولعل التجارب التي مرت بها بعض تلك الدول في السنوات الأخيرة تشير إلى أن المرأة المسلمة لم تصل إلى القبول بمشاركتها السياسية علماً عن وجودها في المؤسسات السياسية، وما زالت بعض المجتمعات منقسمة على نفسها بين قبول هذه المشاركة ورفضها لأسباب كثيرة،

لكن المرأة حتى في بعض الدول التي سمح لها بالمشاركة السياسية لم تستطع أن تحقق موقعاً يذكر فلم تستطع أن تصل امرأة واحدة إلى مقاعد البرلمان أو الوزارة أو المؤسسات السياسية الأخرى في بعض الدول الإسلامية التي أعطتها هذا الحق مما يعني عدم تقبل بعض المجتمعات الإسلامية لفكرة مشاركة المرأة إما لأسباب يعزوها البعض إلى الدين أو التقاليد أو للمرأة ذاتها حيث يشكك البعض في قدرتها على هذه المشاركة أو عدم صلاحيتها للقيام بهذا الدور "الذكوري"، ولهذا فإننا نجد أن دور المرأة في العمل السياسي المؤسسي مازال ضئيلاً منذ أن سمح للمرأة بالتصويت في أول بلد إسلامي وهو تركيا عام ١٩٣٠ م. ثم سمح لها بالترشيح عام ١٩٣٤ م، وعلى الرغم من مرور ما يقرب من ستة وسبعون عاماً على ذلك، إلا أن المرأة التركية لم تحقق حضوراً في البرلمان حيث لم تتجاوز ٤.٤٪ من أعضاء البرلمان في آخر انتخابات. أما الدولة الإسلامية الثانية التي أعطت المرأة حقوقاً سياسية فهي المالديف وقد تم ذلك عام ١٩٣٢ م إلا أن أول امرأة وصلت للبرلمان كان عام ١٩٧٩ م أي بعد سبعة وعشرين عاماً!! من اقرار الحقوق السياسية للمرأة في المالديف، تم جاءت أندونيسيا عام ١٩٤٥ م لتعطي المرأة حقوقها السياسية، ولم تمض فترة طويلة حتى وصلت أول امرأة أندونيسية إلى البرلمان وذلك عام ١٩٥٠ م. وفي عام ١٩٤٦ م حصلت المرأة في جيبوتي على حق للمشاركة السياسية فتم الاعتراف لها بحق التصويت دون الترشيح الذي جاء متأخر عام ١٩٨٦ م، أي أنها احتاجت إلى أربعين عاماً لتكتمل مشاركتها السياسية، ومع ذلك فإن المجتمع في جيبوتي له رأي آخر إذ لم يستطع منذ تلك الفترة أن يقلل وجود امرأة واحدة في البرلمان!! مما يشير إلى أن مشاركة المرأة

السياسية لا تتوقف على صدور القرارات والأنظمة فقط وإنما هي ظروف وفتاعات لدى المجتمع الذي يقرر قبول المرأة من عدمه، ولم يكن شأن المرأة الباكستانية مختلفاً كثيراً فعلى الرغم من تأخرها عن الجيبوتية سنة واحدة للحصول على حق التصويت والترشيح أي عام ١٩٤٧م إلا أنها انتظرت طويلاً كذلك لتوصل أول امرأة إلى البرلمان حيث كان ذلك عام ١٩٧٣م، أي أنها صيرت! سبع وعشرون سنة للحصول على ما اكتسبته في مجال المشاركة السياسية لكنها استطاعت بعد ذلك ان تحقق حضوراً وصل إلى ٢١,٦% من مقاعد البرلمان في آخر انتخابات نيابية وجاءت النيجر بعد ذلك أي عام ١٩٤٨م لتقر بالحقوق السياسية للمرأة، لكن أول امرأة وصلت للبرلمان في النيجر كان عام ١٩٨٩م، ومع ذلك فإن حضورها لم يتجاوز ١,٢% من عدد أعضاء البرلمان في آخر انتخابات، وتعد سوريا من الدول التي أعطت المرأة حقها للمشاركة السياسية في مرحلة مبكرة إذ سمحت لها بالتصويت عام ١٩٤٩م ثم بالترشيح عام ١٩٥٢م، لكنها انتظرت عشرين سنة لتوصل أو امرأة إلى البرلمان أي عام ١٩٧٣م واستطاعت المرأة السورية أن تحصل على ١٢% من مقاعد البرلمان في آخر انتخابات نيابية، أما مصر فقد أعطت المرأة حقها السياسي مبكراً عام ١٩٥٦م، وتعد مشاركتها أسرع مشاركة للمرأة إذ لم تنتظر طويلاً كسقيقاتها بل استطاعت ان تصل للبرلمان بعد سنة واحدة فقط أي عام ١٩٥٧م لكن تلك المشاركة لم تحقق نسبة كبيرة إذ لم تتجاوز هذه ٤,٢%!! من أعضاء البرلمان في آخر انتخابات، ثم توالى بعد ذلك الدول الإسلامية في إعطاء المرأة حقوقها السياسية في الترشيح و التصويت وكان آخرها الكويت حيث أقرت الحقوق السياسية للمرأة عام ٢٠٠٥م وينتظر ان

تشارك المرأة الكويتية في الإنتخابات المقررة في ١٩ يونيو ٢٠٠٦ م، وهي أول مشاركة لها، لكن الملاحظ أن بعض الدول الإسلامية لم تقر الحقوق السياسية للمرأة عدا عن الحقوق السياسية للرجل، حيث تنعدم فيها القوانين المنظمة للحقوق السياسية مما يحرم الجميع من ممارسة هذا الحق. و إذا كانت بعض الدول تنظر بإمكانية إعطاء الرجل الحقوق السياسية إلا أن نظرتها للمرأة مازالت متاخرة عن الرجل في ممارسة الحقوق السياسية.

وهنا يشير إلى أهمية التوعية بهذا الحق ومعالجة موضوع مشاركة المرأة في ضوء المؤثرات الإجتماعية السائدة بين المسلمين، خاصة المؤثر الديني إذ يركز بعض المانعين لمشاركة المرأة على فهمهم لبعض النصوص دينية، كما أن العوقبات الإجتماعية والتصور لمشاركة المرأة المسلمة في الحياة السياسية . وفقاً للنموذج السائد في الغرب . جعل المجتمعات الإسلامية تتردد في قبول هذه المشاركة نظراً لاختلاف المجتمعات وتقاليدها الإجتماعية ولطبيعة دور المرأة التربوي والأسري في المجتمعات الإسلامية.

الخاتمة والتوصيات

١- إن عدم الوعي بالحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية للمرأة حرمها من كثير من الأدوار التي يمكن أن تقوم بها، ولذا لابد من توعية شاملة بهذه الحقوق و التعريف بها، خاصة في الجوانب التي لم تحظ باهتمام كبير كحقوقها المالية و السياسية.

٢ - أدى الخلط بين ما أقرته الشريعة الإسلامية من حقوق للمرأة، وبين العادات و التقاليد السائدة في المجتمعات الإسلامية، إلى طغيان هذه العادات و التقاليد على تلك الحقوق، ولذا لابد من الفصل بين الأمرين و التأكيد على العادات و التقاليد و القيم الإجتماعية التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية، وبيان ما يخالفها.

٣ - لا تأخذ حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية حقها من البحث والدراسة في المؤسسات المختصة، كما أن غياب هذه الحقوق من مناهج التعليم أدى إلى الجهل بها، ولذا لابد من تضمين مناهج التعليم - وخاصة في التعليم العالي - محتوى يهتم بحقوق المرأة، حتى يستطيع الطلبة معرفة ذلك وتطبيقه في حياتهم.

٤ - بعض القوانين المتعلقة بحقوق المرأة في بعض البلاد الإسلامية وضعت وفق رؤية غربية، أو وفق قيم اجتماعية محلية، ولذا لابد من وضع قوانين جديدة أو تعديل القوانين القائمة حالياً بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية.

٥ - إن وجود منظومة علمية إسلامية متكاملة بحقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ييسر معرفة هذه الحقوق، كما ييسر تطبيقها، ولذا يمكن أن تتولى إحدى مؤسسات البحث العلمي أو الجامعات أو المراكز المتخصصة وضع هذه المنظومة العلمية وترجمتها إلى لغات متعددة حتى يتيسر للساحئين والمختصين الاستفادة منها.

٦ - لا توجد مساواة بين الرجل و المرأة في المجتمعات الإسلامية من حيث الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية كحق التعليم وحق العمل وحق التملك وحق المشاركة السياسية، ولذا لابد من العمل على إصلاح هذا الخلل من خلال التوعية

وتشريع القوانين التي تحقق هذه المساواة.

٧- هناك محاولات لصياغة واقع المرأة المسلمة وفقاً للتقييم والرؤية السائدة في المجتمعات الغربية، باسم التحرر أو التقدم أو المشاركة العامة في الحياة، ولنا هنا إبراز دور المرأة المسلمة في مجتمعتها والأدوار التي تقوم بها وفق الرؤية الإسلامية، يعتبر رداً على تلك الدعوات، وتأكيداً على هذا الدور.

٨- إن عزل المرأة المسلمة عن مجتمعاتها ومجولة قصر دورها على بعض الشؤون المحدودة يعتبر تقليلاً من مكانة المرأة وتعطيلاً لدورها الذي أقرته الشريعة الإسلامية، ولنا لا بد من مشاركة المرأة المسلمة في الشأن العام وفقاً للظوابط التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

أساليب تأثير المرأة المسلمة عالمياً

"الحاجة عفاف الحكيم"

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به، ويغفر لكم والله غفورٌ رحيم) (الحديد ٢٨).

مقدمة

في الوقت الذي يواجه فيه عالمنا الإسلامي بتحدٍ كبير من دول الإستكبار والدول الغربية التي تريد أن تشكل عالماً جديداً هدفه الأساسي استهداف الإسلام والنيل منه حتى لا يعم وينتشر.

فإن المرأة المسلمة في اطار هذا التحدي تواجه تحديات جمة تهدف في مجملها الى تعطيل فاعلية دورها ومسؤوليتها.. حتى لا تتمكن من النهوض بمهامها كقوة اساسية فاعلة في حركة الأسرة تحديداً، ومن ثم حركة المجتمع... فمعادلة المرأة.. فالأسرة.. فمجتمع صالح.. فامة عزيزة غالية... أدركها الأعداء وبنوا العمل عليها منذ وقت..

وعليه فإن الحديث عن - اساليب تأثير المرأة المسلمة عالمياً - يصبح متعذراً من دون التطرق لما شهدته العقود الماضية الأخيرة من اهتمام عالمي مكثف وواسع بقضايا المرأة، سواء عبر الفعاليات والجمعيات الحكومية وغير الحكومية.. أو عبر المنظمات

الدولية ولا سيما الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة.. وحيث نُظمت سلسلة مؤتمرات في عواصم مختلفة من العالم أفردت لها ارسدة مالية ضخمة وطرحت فيها شعارات استقطابية جاذبة تتعلق بالمساواة والحقوق والقضاء على كافة أشكال التمييز والعنف ومشاركة المرأة في هياكل السلطة ومواقع صنع القرار..

همن مؤتمر "نيروبي" الذي انعقد في العام ١٩٧٥ تتالت المؤتمرات واللقاءات الدولية في نيومكسو وكوبنهاغن. وصولاً الى مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤ والمؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين عام ١٩٩٥ الذي كان له دوراً كبيراً في كشف المرامي الخفية لهذه المؤتمرات. وذلك لأنه كان متميزاً عن غيره من المؤتمرات الأخرى التي تبنتها الأمم المتحدة.. إذ طرحت فيه بصراحة ووضوح مجموعة من الآراء والوسائل التي حملت تهديداً مباشراً لكل الأديان والقيم الحضارية.. مما لا يمكن التسامح فيها من أي طرف لأنها تتناقى مع أجديات الخلق الإنساني والإسلامي والقيم العائلية.. وقد أثار هذا الطرح حينها مجموعة من التساؤلات وعلامات الإستفهام.. كما اظهر وبشكل واضح أن الغرب يحاول ان يصنّر مفاهيمه الى العالم كله بهدف ارساء اوضاع جديدة تنسجهم وتطلعات النظام العالمي الجديد.

نظرة موجزة في التفاصيل :

هذا التوجه لفرض الرؤية الغربية العلمانية على المجتمعات الأخرى بما فيها العالم الإسلامي يبرز من خلال وثيقة "بكين" التي تمخضت، أولاً عن مشروع التحرر المطلق للمرأة من كل ما له صلة بمعتقداتها وتقاليدها وثقافة مجتمعتها، بل كل ما له صلة بتاريخها من موروث ديني وعقدي وأعراف اجتماعية...

ثانياً، هذه الوديعة وضعت المرأة في حالة مواجهة مع الرجل.. إذ صتفته مهندساً لقبود تحجيمها عبر التقاليد والدين وقوانين الأحوال الشخصية التي - كما سمعنا هناك - أنه ثقن الرجال في رسمها ولا يد لتساء العالم العربي والإسلامي من العمل على تقويضها لأنها العائق الأكبر أمام تقدم المرأة في هذه البلدان.

ثالثاً: الوثائق الأساسية لهذا المؤتمر اشتملت بنوداً تهدد كيان الأسرة وتضع المؤسسة الزوجية كما تعارفت عليها الأديان في صف واحد مع العلاقات الشاذة وإياحة التمرد على سلطة الوالدين ومسؤوليتهما تحت قناع الحرية الفردية. وحيث رأينا خلال انعقاد المؤتمر تظاهرات حاشدة للشابات ويافطات زُفعت دون حجل... كما وصلت الأمور بوفد نسائي أن قدم اقتراحاً بإلغاء كلمة "أم" لأنها بحسب زعمهن تشكل امتهاناً للمرأة وتجعلها أقرب إلى حيوان مهمته الأساسية أن يلد ويرضع..

هذه الأمثلة تُظهر عمق الهوة التي يمكن أن تنحدر إليها الإنسانية في المستقبل إذا بقي الإلحاح المنظم على الفساد والانحراف، فما يعمل على إسقاطه وفرضه - للنهوض بالمرأة - عبر القنوات الدولية ينطلق كله من إطار الحياة الغربية المثقلة بالأمراض والعلل النفسية والخلقية والجسمية.. وهذا ما يضع المرأة المسلمة أمام مسؤوليات وتحديات جمة.

وقد أكدت البحوث والمعلومات بأن قائدات الحركة النسوية التحريرية في الغرب يُمثلن القوة الدافعة لهذا المشروع.. عبر الأمم المتحدة بدعم من الدول الغربية.. والملفت أن حسابات هؤلاء.. أخذت يعين الإعتبار ما تكتنه غالب الدول من الخيرة الشديدة لاعتقاداتها وتقاليدتها التي تعتبرها سرّ تماسكها وسلامة انساتها مقارنة بما آل إليه حال الإنسان في الغرب - وإنه من هنا لجأت هذه المؤسسات والمنظمات الداعية

للتحرر المطلق.. لتغطية دعوتها باستخدام مصطلحات غامضة ومطاطة بحيث ان التفريعات والتفاصيل لدى مناقشة الوثيقة الأساسية كانت تخرج كلياً عن العناوين..

فالحديث عن الصحة الإنجابية - على سبيل المثال - يتحول ليكون بحثاً عن الإجهاض والتحرر الجنسي وتشجيع الإباحة وجعلها من حقوق المرأة المحمية من القانون، والدعوة للإعتراف بتكوين نمط جديد من الأسر بهدف إباحة الشذوذ والانحراف السلوكي وتهميش دور الزواج في بناء الأسرة.

ويبقى الأخطر في هذا المؤتمر هو الوصول الى صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة على جدول أعماله. والتي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات السابقة تحت اشراف الأمم المتحدة..

من هنا كان لا بد من التنبيه الى ان الدعوات القائمة الآن الى عولمة المؤسسات النسوية وربط المنظمات والجمعيات في بلادنا ببرامج واستهدافات مثيلاتها في العالم على ضوء هذه الأسس ليس الا مقدمة ووسيلة من وسائل السيطرة على حركتها والحد من نهوضها المحتمل.. ومشاركتها في الحياة العامة... فمؤتمر بكين اليوم، بات يمثل الإطار الإستراتيجي والتصوري الذي تدور في فلكه مجموع الجمعيات ومؤسسات ما يسمى بالمجتمع المدني (التي تتزعمها وتنفذها في العالم الإسلامي الأحزاب والقلوب النسائية العلمانية..)

وان ما تهدف اليه سياسة عولمة المؤسسات النسائية والإجتماعية وتريد.. هو اداء وظيفة محلية تتمثل بالعمل على استقرار الوضع الإجتماعي المتفجر بسبب سياسة القهر والنهب المتواصلة مما يتيح المجال واسعاً - لقوى الإستكبار - بالعمل على تنفيذ اهدافهم على حساب شعوبنا دون مقاومة، أو بأقل قدر ممكن من

التكاليف.. وبالتالي فإن هنا يعني بأن هؤلاء يريدون من المؤسسات النسوية أن تكون الحارس على سياساتهم العدوانية ضد شعوبها وحركة تقدم مجتمعاتها ونهب ثرواتها، وصولاً إلى تحقيق طموحاتهم بإيجاد المجتمع العالمي ذي الصفة والسمة الواحد الذي تسيطر عليه مفاهيم الغرب الإنحلالية الآيلة إلى تقويض دعائم الأسرة وتدويب المجتمعات وتحويلها إلى نسيج واحد مهترئ تسلس قيادته ويسهل التلاعب فيه كيف يشاء...

ولعل هذا الوضع هو أكبر تحدي يواجه المرأة المسلمة المعاصرة ويجعلها أمام المواجهة المتعددة الأبعاد خاصة وأن هذا الإنشغال الإستراتيجي يستثمر فقر وجهل شعوب العالم وخاصة المرأة التي تنعكس عليها الأزمة الإجتماعية والعرابية والإقتصادية، وذلك أن ٨٠% من النساء في معظم بلاد العالم الإسلامي يعانين من الأمية والفقر وهنا بالتالي يعكس مستوى تدني الوعي بالحقوق والمطالب المشروعة ويفسح المجال من جهة ثانية للبرامج والمقررات الدولية التي تجتاح سائر المجتمعات ومنها مجتمعاتنا والتي تتحرك عبر أساليب مدروسة تحقيقاً للهيمنة، وتاطيراً للشعوب بعيداً عن هويتها وحاجاتها الحقيقية، وبعيداً عن مبادراتها الشخصية.

حاصل المسألة:

إن موضوع المرأة اليوم لم يعد مسؤولية أفراد وشخصيات أو مبادرات معزولة تنطلق من هنا وهناك لثبير نقاشاً بين مؤيدين ومعارضين.. القضية اليوم تُطرح على بساط النقاش الدولي، وقضية المرأة في العالم الإسلامي هي اليوم تخضع - بشكل وبأخر - لنوع من التدويل السياسي والثقافي وهذا يعني أن موضوع المرأة والأسرة عموماً صار جزءاً من المواجهة الحضارية الشاملة...

وبديهي أن هذا الإنتقال والتحول لم يحدث فجأة ودفعة واحدة.. وإنما حدث على مراحل متدرجة وكان يُراد لكل مرحلة أن تصبح مكسباً ليتم الإنتقال الى المرحلة التالية وان ترسخ كواقع لا يمكن التشكيك فيه أو التراجع عنه.. باختصار هذه هي صورة السلسل الذي أدى الى انعقاد العديد من اللقاءات الدولية بشأن المرأة الى أن أصبحت توصياتها ملزمة للدول والشعوب غير الغربية. ليس فقط بقوة الشرعية العالمية، بل كذلك بقوة النفوذ الذي اكتسبته الحركات النسوية داخل هذه البلدان بفضل الدعم الأجنبي، بحيث أصبحت تشكل لوبيات للضغط والمطالبة إزاء الحكومات.

وقد رأينا نماذج لهذا.. في بلدان عربية وإسلامية عملت فيها الهيئات الحزبية والنسوية على الحكومات ورفع مطالب بتغيير قوانين الأسرة والزواج بشكل يستوعب المبادئ والقرارات الصادرة عن تلك المؤتمرات واللقاءات الدولية.

كيف نربح المعركة؟:

إن التحدي الذي يواجهنا كأمة في قضية المرأة ليس تحدياً هيناً ولا بسيطاً كما قد يبدو.. باعتبار أن قضية المرأة ليست معزولة عن قضية الأسرة. والأسرة ليست معزولة عن المجتمع برأته، بل الأمة بكاملها.

ويبقى المؤسف - كما بينا - أن هذه المخططات الدولية التي تنتشر بأدوات بشرية من بلدان عربية وإسلامية وهي محملة بأشكال من الضغوط التي تصل الى درجة الفوضى والتدخل السافر، بحيث يمكن القول أن التاريخ لم يسبق له أن عرف مثيلاً لها. وأنه إزاء هذه المخاطر المحدقة على واقع المرأة والأسرة المسلمة كان لا بد

من مطالبة المهتمين بقضايا الأمة الإسلامية بتوفير البديل الإيجابي الفاعل على هذا الصعيد، إذ أن الأوان للتعاطي مع المرأة كونها عضواً فاعلاً وإيجابياً وليست مجرد مستفيد سلبى..

أن الأوان لانتهاج استراتيجية شاملة متكاملة مبنية على تحديات الواقع، وهادفة الى إحداث تغييرات نوعية وكمية تفضي الى تقديم الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين كمخلص حقيقي للبشرية.. وكمنقذ وباعث لعزة وكرامة الإنسان... الإسلام الذي يؤمن بكرامة الإنسان الذاتية، وينشد السعادة لكل الناس. الإسلام الذي جاء بالمفهوم السليم للتحرر الشامل للمرأة وتعامل معها كأنسان وساوٍ وشارك بينها وبين الرجل في كل المبادئ ووزع بينهما الأدوار على أساس التكامل ومن ثم دفع بهما معاً نحو صنع حركة الحضارة، جاعلاً معياراً واحداً للتفاضل بين الجميع هو التقوى.

الإسلام الذي أزال الجاهلية وحمى الشعوب من الفساد والانهياب الأخلاقي وما يترتب عليه من علل وأوبئة وسان الأسرة وحفظ لكل من الرجل والمرأة والطفل حقوقه الشرعية. الإسلام الذي كان نتاجه بعد مسيرة أربعة عشر قرناً، هو قيام الثورة الإسلامية في إيران، والتي شكلت أهم حركة لإحياء الدين في عصرنا وبرهنت من خلال التجربة العملية وبما لا يدع سجلاً للشك على كفاءة الدين الحنيف وقدرته على إحداث تحولات هائلة على مختلف الصعد ومنها وضع المرأة.. الذي تتحدث الأرقام عما بات يعنله من دور ريادي. رغم الإنحسار والسحق على يد النظام البائد الذي قلّد الغرب.

من هنا فإن مسؤوليتنا كبيرة وكبيرة جداً حيال كنوز التجربة التاريخية

التي أرسى قواعدها الدين الحنيف والتي تقف اليوم وبعد ما يزيد على الأربعة عشر قرناً، حية نابضة جاذبة لسائر عناصر المجتمع وملبية لكافة احتياجاتهم الروحية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية.. في مقابل تجربة الغرب التي اكملت قرنين لكنها قادت الى تفسخ الأسرة وأفرزت مناخاً من الإنحلال والفوضى اصاح بالأخلاق الاجتماعية والحسن الإنساني السليم. وجعل المرأة - مع عدم وعي الحاجات الحقيقية - تتجه نحو تأكيد حضورها الإقتصادي والوظيفي كنتيجة للفراغ القاتل الذي تعيشه على الصعيد الروحي والنفسي. وهذا بالتالي يكشف لنا مخاطر تعميم النموذج الغربي الذي يهدد كل كيان يسعى الى تقليده أو السير على نهجه..

ففي فرنسا مثلاً، أشارت الإحصائيات أخيراً أن أكثر من اربعين في المائة من الولادات تسجل خارج مؤسسة الزواج. وان ٣٠٠ ألف مولود يولدون سنوياً من علاقات محرمة، والرقم في ارتفاع مضطرد، وتشير الإحصائيات الى ان معدل الزواج في تراجع مستمر ولا تسجل فروق كبيرة بين فرنسا والسويد والنرويج وهنلندا..

أما في بريطانيا فالحال أسوأ، إذ تشير آخر الأرقام الصادرة عن مكتب الإحصاء الوطني البريطاني الى أن نصف الأطفال في بريطانيا تحمل بهم امهاتهم خارج العلاقات الزوجية المتعارف عليها. بينما كانت النسبة تصل الى الثلث فقط قبل عشر سنوات.

أما في ألمانيا، فقد كشفت إحدى الدراسات الرسمية أن فتاة من أصل عشرة مُعرضة للإعتداء الجنسي من أحد محارمها (اب، أخ، خال، عم)، وبعض المصادر تقول ان الأرقام متسامح بها لأن واحدة من ٦ فتيات تتعرض للإعتداء الجنسي من المحارم.

وفي النمسا، ذكرت دراسة اجتماعية أعدتها جمعية الدفاع عن كرامة الإنسان أن ٧٠٪ من الأموات النمساويين يتوفون في المستشفيات ودور العجزة بعيدين عن اهتمام ذويهم. وأضافت الدراسة إلى أن ٦٧٪ فقط من النمساويين لا يزالون يحترمون رغبة ذويهم وأقاربهم في الوفاة على الفراش داخل البيت.

والغريب أن نجد المجتمع الغربي الذي تتزايد فيه ظاهرة العقوق للوالدين وعدم الإهتمام بالأبناء؛ يُقبل بشكل ملفت على اقتناء وتربية الحيوانات الأليفة. بحيث أن الشعب الفرنسي الذي يعشق هذا اللون.. يصل عند الكلاب لديه إلى عشرة ملايين كلب ونحو ٧,٥ مليون قطة...

الغرض من سوق هذه الشواهد هو التوضيح بأن قضية تحرير المرأة في الغرب والتي بدأت بشعارات براءة وانتهت إلى هنا الدرك والإسفاف... لا زال بعض المذمومين عندنا يخططون للإلتحاق بركبها وهم لا يدركون أن الكثيرين من هؤلاء يفكرون في الوقت نفسه في كيفية الخلاص والإلتحاق بنا لو عرفوا الطريق ولو عرفنا نحن كيف نجعلهم يعرفونها...

ونحن هنا مع تأكيدنا أن الحضارة الغربية قد منحت المرأة مجالات واسعة للإبداع والعمل إلا أن هذه النتيجة الإيجابية كان من الممكن تحقيقها دون الإنزلاق في المذارج السلبية التي تعصف بهذه المزايا وترجح بسيناتها.

ولعل هنا هو ما دعا بعض المفكرين الغربيين إلى الدعوة لتشجيع التدبير والإفادة مما تقدمه الرسائل السماوية من الضمانات الخلقية. ومن هؤلاء المفكر الفرنسي المعاصر - اندريه مالرو - الذي تخيل حضارة جديدة تجمع بين المادة والروح وتوائمه بين مرامي الدين ومطالب الحياة. ثم أطلق عبارة اكتسبت شهرة واسعة

بعد ذلك حين قال: "ان القرن الواحد والعشرين اما ان يكون قرن الدين او لا يكون على الإطلاق".

دورنا كمسلمين :

هذه الدعوة العالمية للعودة الى منابع الدين والبحث عن حضارة متوازنة معتدلة تبين أهمية الدور الذي ينتظر أمة الإسلام ودين الاعتدال والوسطية والتوازن في العالم المعاصر كما وصفها ربها على صفحات القرآن الكريم (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

هذه الأمة كي تتمكن من النهوض بهذا الدور فإن على أبنائها ان يأخذوا بشروطه من خلال الإستمسك بالعروة الوثقى، وبالإلتزام بالأمر الإلهي الذي حملته سورتي الأعراف والأنفال أن (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا). "ال عمران ١٠٢". (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). "الأنفال ٤٦". محولين الإختلاف في المذاهب والندارس الفكرية الى نوع من الجمال الذي تتلاقى فيه الألوان والأشكال المختلفة. والى سبب لإغناء التراث الإسلامي وإخصابه. وليس سبباً للتوتر والنزاع الذي يفتت في عضد الأمة ويذهب بقوتها واستقرارها.. فإنه قد ان الأوان حقيقة الى الخروج من كهوف التعصب والتشردم للتوجه نحو دروب الخير ورياضه.. وان وحدة الصف والكلمة ونبذ الفرقة وإعلاء صرح البنيان المرصوص. هي المقدمة التي لا بد ان تسبق عرض ما لدينا من مفاهيم... واننا نعتقد أنه لدينا كمسلمين من مبادئ ديننا وتراثنا ما نقدمه للإنسانية في هذا العصر.. ولا شك ان احد أهم المبادئ التي يمكن الإسلام ان يسهم في علاجها هو ميدان المرأة، وعلى امتداد المجتمع الإنساني بإجمعه.

أساليب التأثير:

١. إن حاجتنا الأساسية على هذا الصعيد تبدأ عبر إعادة ترتيب البيت الداخلي وهذه ضرورة تحتمها التحديات باعتبار أن المدرسة التي إذا أعدناها أعدنا المجتمع بكامله - رجالاً ونساءً - تمكينها يساوي تمكين الأمة من احتضان وتوجيه سائر أفرادها. فإذا وعت المرأة نفسها وعباً تاماً صحيحاً، وعرفت المنطلق الذي تنطلق منه، والهدف الذي ستصل إليه، والغاية من هذا الهدف. فإنها ستتمكن حتماً من التخطيط للوصول إلى تلك الغاية. وبالتالي القيام بعرض تعاليم الإسلام والتبشير بنموذجية للمرأة على الصعيد العالمي..

٢. التأسيس لرؤية اسلامية - فيما يخص المرأة - قائمة على الفعل والمبادرة والإيجابية والشمولية والمعاصرة متجاوزة كافة الخلافات المذهبية وغيرها.. والأمل معقود هنا على التضاف الفعاليات الفكرية والمؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث والمنظمات النسائية والجمعيات والحوزات والمعاهد الدينية بهدف تحقيق هذه الإستراتيجية الأساسية والهامة لحركة المرأة على مستوى العالم...

٣. التركيز على دعم حضور المرأة المحجبة الملتزمة بتعاليم الدين.. وفسح المجال للكفاءات من النهوض بدور فاعل في مواقع العمل المختلفة لإبراز أن الإلتزام بالتعاليم واللباس الشرعي الإسلامي لا يحد من انطلاقتها وعملها الإجتماعي أو السياسي أو التربوي والنقابي.. ولا يعيق حركة انفتاحها على الآخرين.. مثليدين على أن هذا المنحى إنما يدور مدار الناسي بمعالم الدور الذي أرسى معالمه رسول

الفا (ص) قبل ١٤٠٠ عام وبما كرسه بيت النبوة تحديداً من خلال زوج النبي وابنته وحفيدته (ص) بل العديداً من أمثال سمية ونسيبة والخنساء وأسماء وغيرهن...

٤. السعي لدى الجهات الرسمية في دولنا العربية والإسلامية لتعيين المرأة الكفوة الملتزمة بالحجاب والمنقلة ديناً واعتقاداً.. في المناصب الرفيعة في الدولة. من أجل تعزيز حضور هذا اللون المميز من النساء.. بل من أجل أن تعلم هي، ويعلم الآخرون على امتداد العالم أن حجابها والتزامها هو الذي أوصلها أو شجع على تواجدها في ذلك الموقع المتقدم بناء لما دعى اليه الإسلام.. ملتفتين الى معطيات وأبعاد المصداق القيم والمعبر الذي قام به الإمام الخميني (قده) من خلال نظمه للوفد الذي حمل رسالته التاريخية الى غورباتشيف (رئيس الإتحاد السوفياتي السابق حين أعلن سماحته للعالم عن - انهيار الشيوعية - عبر إحياء رمزي من خلال وفد مكون من عالم الدين والجامعي والمرأة - مثنياً عبر طي هذه التركيبة الى ان إحياء الإسلام - القوة العالمية القادمة - سيكون على الأيدي الكفوة لهذه الفئات الثلاث.. وهذا لا شك سيكون من أهم الأساليب وأبعدها تأثيراً...

٥. السعي لتوحيد الجهود والطاقت النسائية على المستويات الوطنية أولاً وعلى قاعدة استيعاب التعدد وعدم إنكار الآخر. والتوافق على الجوامع المشتركة الخاصة بأوضاع المرأة في بلادنا في اطار الظروف الخاصة بكل بلد. وصولاً الى إيجاد شبكة اتصال تضامنية بين المؤسسات والشخصيات النسائية الإسلامية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية المماثلة في التخصص من خلال تنظيم ملتقيات فكرية

نسائية وعقد مؤتمرات وحلقات دراسية وندوات وورش.. لإيجاد روح الأخوة والتضامن وتوفير الأرضية لمزيد من التعاون بين الفعاليات الفكرية في الساحة النسائية الإسلامية.

٦. إيجاد ركائز إعلامية تعكس أفكار وآراء المرأة المسلمة حول كافة القضايا سعياً لإعلاء قيم الحق والحرية والكرامة الإنسانية ورعاية حقوق الإنسان كما وهبها الله تعالى لعباده وكما اقترتها الشرائع السماوية والمواثيق الدولية العادلة والموروث الأخلاقي والإنساني.

٧. الإهتمام برعاية وتأهيل الباحثات للمساهمة بإقامة المؤتمرات والندوات العلمية بما يؤدي الى إظهار هوية المرأة المسلمة والتعريف بمبادئ الإسلام ومفاهيمه وآدابه الأخلاقية والسلوكية والعمل مع نساء العالم على تمكين وسيادة قيم العدالة والمساواة والأخلاق القويمة في المجتمع ونبذ الفرقة والتميز والإضطهاد..

٨. المشاركة الفعالة في المؤتمرات الدولية وطرح البديل الإسلامي على صعيد حقوق المرأة والطفل والأوضاع الإجتماعية.. وكشف الوجه الآخر المخيف لواقع الحياة الغربية الإجتماعية كلما أمكن. وتقديم الإحصاءات ورصد الظواهر في تلك المجتمعات حتى يتبين لهم أنه الحق..

٩. فتح حوار مع قيادات المؤسسات النسائية في العالم الإسلامي التي لا تتبنى المشروع الإسلامي من أجل التباحث والتوضيح وإيجاد نقاط لقاء والتنسيق معاً لتحسين وضع المرأة في العالم الإسلامي تمهيداً للإفتتاح العالمي-

١٠. توفر مراكز دراسات متخصصة بالمرأة كي تقوم بأرشفة كل ما يصدر من دراسات عن المرأة وحشد طاقات الباحثين والخبراء للتعاون في تحقيق إجراء عملية مسح ميدانية لجميع المعلومات والإحصاءات التي نحتاجها لإنجاز الخطط والشاريع...

١١. الإستفادة من بعض الجمعيات النسائية الغربية المناهضة والمعارضة لبعض أفكار تلك المؤتمرات.. وذلك من خلال الإستفادة من نفوذها في بلدانها. وكذلك ما يتوفر لديها من معلومات وحقائق عن مجتمعتها..

دور المرأة المسلمة في المجتمع

د. الشيخ محمد مهدي التسخيري
رئيس تحرير مجلة رسالة التقريب

مقدمة

لقد امتاز الاسلام بنظام متكامل في الحياة يكمل اجزائه بعضه الآخر لتوصل الإنسان إلى قمة الكمال المنشود الفردي والجماعي في الحياة الإنسانية المكرمة والفضلة على كافة عناصر الوجود الخلقية **(لقد كرمنا بني آدم...)** (الأسراء/٧٠). وذلك وفق برنامج تربوي واجتماعي و.. مبين في كتاب **النهاية الإنسانية (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** (آل عمران /١٢٨). نظام يدعو إلى اقامة مجتمع العدل والوسطية بامامة الرسول الاعظم(ص) وشهادته لتكون امته هي الأسوة لكافة بني الانسان في مختلف شؤون الحياة. **(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** (البقرة/ ١٤٣) وهذه الامة الوسطى تؤسس المجتمع النموذجي الذي قوامه الانسان لما له من اصالة فردية في النظرية الاسلامية وما عليه من رسالة اجتماعية، فداء هذه الرسالة الالهية فرض انساني ملقى على عاتقه فطرياً بعد ان عجزت جميع القوى عن حمل هذه الامانة والرسالة الكبرى.

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً) (الاحزاب/ ٧٢) ولما كانت ديمومة

المجتمع تتوقف على قيام الاسرة التي هي لبنته الاساس المتكونة من الزوجة والزوج والاولاد وكانت الزوجة هي العامل المهم في تنمية الاسرة ومن ثم المجتمع الانساني في حركته المتصاعده نحو الكمال المرتجى، اخذت المرأة في منظار الحياة الإنسانية موقعاً متميزاً على مدى التاريخ وتجلت التعامل معها في الادوار السالفة على نحو السلب من غصب حقوقها واضطهادها وتهميشها واتخاذها سلعة تجارية تارة واخرى جنسية شهوانية على حساب انسانيته كما كان هو السائد في اكثر الاقوام والعهود التي سبقت الاسلام وكثير من البقاع التي لم ترسخ لرحمة الاسلام. وعلى نحو الايجاب من احترام وتكريم وتقديم حقوق متناسبة وعادلة تحقق لها امانيتها وآمالها وتجسد انسانيته على ما هي عليها في ظل الهداية الالهية والحضارة الاسلامية تطبيقاً للشريعة الاسلامية العليا. فهذه الورقة المقدمة إلى مؤتمركم الموقر هي محاولة بسيطة في الكشف عن وضع المرأة بشكل عام وما هي عليه في عالمنا المعاصر وما للمرأة من موقع ودور مميز في ظل نظام الحكم الإسلامي خلال التجربة الحديثة في الجمهورية الاسلامية الايرانية راجياً من الله العلي القدير ان يوفق امتنا الاسلامية في انتهاج رسالة النبي العظيم(ص) خاصة وأن الشعب الايراني المسلم في ايران اكراماً لنبي الرحمة اطلق على هذه العام الهجري الشمسي عام النبي الكريم محمد(ص) باقتراح من الامام الخامنئي القائد حفظه الله.

تاريخ المرأة القديم

المرأة تعتبر العنصر الرئيسي في قيام الأسرة واي دراسة دقيقة عن النظم الاجتماعية القديمة والمعاصرة تقتضي البحث والتدقيق في موقعها وشأنها وكيفية التعامل معها، وفي الحديث عن العوامل التي ساعدت على بقاء المجتمعات وديمومتها

على مر العصور لا يمكن أن تتغافل دور المرأة المختلف فيها. فوضع المرأة لدى الحضارات والاقوام وحتى ابناء الديانات المختلفة كان متفاوتا ولكن الاستقرار يشير إلى أنها لم تكن ذا مكانة اجتماعية مرموقة تساعد على تقديم وترجمة ما لديها من طاقات ومواهب في الواقع المعاش فإوضاعها تتغير بتغير الحضارات والمناطق والحكام بل وحتى بتغير الوضع الإقتصادي والسياسي الحاكم آنذاك فهي عند قوم سلعة تجارية يتصرف بها الزوج كيفما يشاء ومحكومة بالتبعية المطلقة، تباع وتشترى وتورث لأنها جزء المال ومن حق الجميع ان يستنمره حين التملك، وعند قوم آخرين تدعى إلى القيام بالبقاء المقدس ارضاءً للرب وتقرباً له ومنهم من يرى انها شر لا بد منه وجسد بلا روح ويؤمر بدفنها مع الزوج بعد موته بل أصبح الفرض عند قوم حرق جسد المرأة بعد وفاة زوجها تطهيراً للأرض من دنس وجود جثتها على الأرض وكل هذه الأفعال جاءت انتزاعاً من فلسفات الفها مفكري تلك الحضارات وطبقها عوامها، لذلك لم نشاهد أثار المرأة في الفن والعلوم والثقافة والسياسة، والأدب إلا في الجوانب السلبية منها وقد حصروا دور المرأة بالانجاب والرضاعة وما شابههما وكان وأد البنات واسترقاق النساء من الأمور الشائعة خاصة بعد انتهاء الحروب والغلبة لفريق على الآخر.

فهذه هي اوضاع المرأة على نحو الأجمال لدى البابليين واليونان والرومان والهنود والصينيين والفرس والعرب قبل الإسلام. نعم لا ننسى ان هناك حالات شاذة في التاريخ منقولة عن بعض الأقسام تحكي عن تكريم المرأة وسلطتها وتديرها كما هو الحال لدى بعض القراعنة المصريين وخبشات اشرافية فارسية وبعض نساء العرب، لكنها كانت حالات يتيمة، مر التاريخ عليها مر الكرام لكونها لا تقوم بدور تغيير مؤثر في مجتمعاتها.

أوضاع المرأة في الغرب

ان الحضارة الغربية المعاصرة قد تأثرت في جانبها السلبي بشكل كبير بالحضارتين اليونانية والرومانية. كما استغلت المرأة آنذاك وكانت وسيلة لاشباع الغرائز الشهوانية الذكور به وكونها عنصر شيطاني خلق لأغراء الرجال واستحقرت الزوجة الشرعية وافصلت عن الحياة الاجتماعية وشاع احترام البعايا وكان لهن دور مؤثر في المجال الاجتماعي والسياسي حتى أصبحت بيوت البعايا نوادي علمية وسياسية وأدبية تجتمع فيها بعض النخب الفكرية والسياسية وتتخذ فيها قرارات مصيرية في شؤون البلاد والعباد. فكذلك اليوم ما نشاهده من الجانب السلبي في عالم الغرب بالنسبة للمرأة ، فجسدها يستغل في اهم البرامج الاعلامية والثقافية وقل ما تجدون شركة تجارية دولية ومحلية، تستغني عن جسد المرأة لعرض منتوجاتها أيا كانت تلك المنتوجات من وسائل النقل والملابس الجميلة إلى عرض المنازل والقصور وحتى كثير من وزارات السياحة لا يمكنها ان تغفل عن هذا الدور للمرأة لجلب السواح إلى بلادها ناهيك عن المنوعات الخلفية من الافلام الاباحية ومجلاتها و... والهدف الرئيسي من كل هذا الدور البارز هو استدرار الأرباح المادية الطائلة لصالح الشركات التجارية الدولية واصحابها وطواغيت الاقتصاد العالمي وكل ما يحصل هو على حساب انسانية المرأة وشرفها وشخصيتها ودورها الحقيقي في اقامة المجتمع الصالح. فاننا كان الذي حصل في الحضارتين الغربيتين السالفتين نتيجة فلسفة وفكر حاكم آنذاك فكل ما يحصل اليوم من سلبيات في هذا الغرب الحضاري أيضاً من آثار فلاسفة الفكر العلماني المادي الخالص الماكياولي والفرويدية خاصة وكل من سعى لطرد الدين من ساحة الحياة الانسانية.

فقد اقدمت العلمانية على الاهتمام بالامور المادية البحتة وابتعدت عن كل ما جاء به الوحي لهداية الانسان في سلوكه ومعارفه. قامت العلمانية في ظل مصطلحات وشعارات رنانة حزت العالم الانساني في الجانب الاخلاقي الى مالا يحسن عقباه، تلك الشعارات الخيالية اسست على اركان بعيده عن الواقع ووضعت البشرية في طوباوية فارغة وبعيدة عن الحياة الطبيعية وكانت من اهم ثمار هذه العلمانية هي ظهور الشيوعية في شرق العالم والليبرالية في غربه وكلاهما من نتاج الفكر العلماني الغربي وانا كانت الشيوعية بعد مرور ثمان عقود قد وصلت الى الفشل واندثرت في مزبلة التاريخ كما قال الامام الخميني(قدس) بعد ان خلفت ورائها الدمار في جميع الشرق على مستوى الفكر والعقيدة والتدهور العائلي وانقصام الشخصية وفقدان الهوية لدى الكثير من الشعوب التي اغثرت بشعاراتها، (المساوات، حق اليد العاملة، الحرية، الاشتراكية، محاربة الاستبداد الفردي و...) - تبعاً لاحزاب سياسية مغلقة اتبعت الحزب الشيوعي الأم وحكمت بلادنا الاسلامية اما فكريا او سلطوياً. فان الغرب الليبرالي هو الثاني الذي ينتهج نفس المنهج الذي هو الوجه الثاني لعملة العلمانية الغربية الزائلة فهو ايضاً يحمل شعارات مغريرة كالديمقراطية والحرية وحقوق الانسان، و... وتحت لواء هذه العناوين جبر العالم الى التفكك الاسرى وارتفاع نسبة الجريمة واشعال الحروب المتتالية وقتل الابرياء - دفاعاً عن حقوق الناس - واغتصاب الاوجان وتسليط انظمة سياسية تابعة لارادته - احتراماً للديمقراطية - ونهب ثروات الشعوب المستضعفة - رعاية للمساواة - وزج القيادات السياسية في السجون واقامة سجون خفية وانشاء اجهزة استخبارات عالمية - نشرأ للحرية - واقامة امراة خورية مغربية بكل معنى الكلمة في جوانبها الإقتصادي والسياسي والعسكري والأمني على حساب شعوب العالم الثالث

كما هو المصطلح عندهم.

ومن جملة شعارات الليبرالية الغربية الحنونة هو تحرير المرأة من كل التقاليد الرجعية السالفة والسعي للدفاع عن حقوقها وتقديم صورة عن المرأة كعنصر مستقل في ذاته، فهي بحاجة إلى ثورة نسوية على الظلم والاستبداد الذكوري واسترجاع حقوقها من الرجال الذين غصبوا حقوق المرأة في كل العصور الماضية واليوم لا أحد قادر على تحقيق أمانيتها وآمالها سوى نضالها المستمر والدوؤب.

وقد استخدم هذا الشعار كوسيلة لتأسيس بعض المنظمات النسائية في الدول الإسلامية واستغل أيضاً لوصول قيادات سياسية إلى مراكز الحكم، وتغنى به الغرب للضغط على عالم مضطهد من أساسه واستمر هذا الاستغلال حينما وسع الغرب دائرة تحرير المرأة إلى العلاقات الجنسية والاباحية اللامحدودة حتى شملت الشذوذ الجنسي وأقر القوانين في بلاده لصالح أهدافه المكنونة وطالب دول العالم بالتبعية احتراماً لحرية المرأة وأقام المؤتمرات الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة ترويحاً لهذا السلوك الدنيئ والرخيص الهتام للأسرة والمجتمع، ومن المؤسف أن تقام هذه المؤتمرات في بلدان إسلامية تحت عناوين سلمية كالسكان والتنمية وما ادراك ما حصل في تلك البلاد من انتهاكات لحرمة الله، وأصبحت البلاد الإسلامية مسرحاً لعصية الخالق المتعال والقرارات التي أقرت في ذلك المؤتمر ومكمله مؤتمر التنمية والسلام والمساواة، معظمها هدامة للمجتمع البشري ولا تمت إلى السلم والسلام والتنمية بصلة، ومن المشهود أنذاك أن أجهزة المخابرات الدولية والأمريكية منها خاصة كانت تبذل كل الجهد لدعم وانجاح هذه المؤتمرات، خصوصاً وأنها تقام في بلاد إسلامية تومن بقيم السماء الرافضة لكل أنواع التسبب والانفلات والفحشاء، لكن الأمر تحقق ولم يتجرأ العالم الإسلامي الرسمي أن ينطق ببنت شفه

خوفاً من اتهامه بأنه معارض لحقوق المرأة وحرمتها وتثبت عليه تهمة الرجعية والتخلف والتعقيد، اُضف إلى ذلك ان وراء كل ما يحصل نشاهد اصابع الحركة الفيمينية المؤسسة استعمارياً في البلاد الإسلامية والداعية إلى المساواة بل إلى معاداة الرجال ونقض الشرائع السماوية في تكوين الأسرة وتأسيس المجتمع الانساني المشروع وهذه الحركة هي أيضاً من صناعة الفكر العلماني وفلاسفته الداعين إلى الوقوف امام كل ما هو وحي او ما أخذوا من الوحي المنزل من قبل الله على لسان انبيائه ورسله.

وقد اصبح لهذه الحركة المتطرفة في عالمنا الإسلامي قيادات تابعة فكرباً للعلمانية بكل ما تحمل من سلبيات امثال كسروي، اخوندزاده وقاسم امين وهدي الشعراوي ونوال السعداوي و.. ظناً منهم ان الرجعية والتخلف المتفشي في المجتمع الإسلامي هو نتيجة الالتزام باحكام الاسلام واعرافه عُقلة منهم ان العكس هو الصحيح فممن ان ابتعدوا او ابعد المجتمع الإسلامي وقياداته عن القرآن الكريم وشريعة السماء، واستبد الحكام بربابهم واضطهدوا ابناء الامة الاسلامية خلافاً لحكم الله، واتبعوا القوانين الوضعية المستوردة من بلاد الغرب جبروا العالم الإسلامي إلى ما نحن فيه. وفتحوا الباب بمصراعيها امام التدخلات الاجنبية في شؤون العالم الإسلامي بحجة مطالبة النخب الفكرية ودعوتهم وطلبهم من الغرب لمساعدتهم في طريق التحرير وانقاذهم من الرجعية السوءاء الفكرية الحاكمة في كافة بلاد الاسلام، وهو ما قام بتنقله الغرب في اوطاننا الاسلامية خلال القرن السالف. واليوم نشاهد ان الوقاحة الغربية وعلى رأسها السلطة السياسية الامريكية وصلت إلى مرحلة بحيث تطالب بالتغيير في اهم مسائل العالم الإسلامي من سياسته وتعليمه وحقوق المرأة فيه كي تخسر الامة الاسلامية آخر ثروة تمتلكها في الجانب العقائدي

والاجتماعي الأسري وتحضر لسيطرة حكومات اكثر تبعية وانسجام وطاعة لتقبل سلبيات العولمة على حساب شعوبنا الاسلامية.

هناك ظاهرة غريبة وفريدة تحكم الغرب الديمقراطي بشكل عام في مختلف المجالات الحياتية. وهي ارتكاب الخطيئة في مجتمعاته ومطالبة الآخرين بدفع الضريبة. وهنا ما حصل بالنسبة لسان المرأة وحقوقها، اذ كان ينظر اليها شريكة الشيطان ومصدر اغراء الرجل وفساد المجتمع، حرمتها من التعليم والمشاركة السياسية والاقتصادية وصنع القرار، عاملها بعنف وسلب حقوقها، واعتبرها اقل شأنا من الرجل وعندما استفاق - إن استفاق - واراد التكفير عن هذه الخطيئة فجز الويل على كافة شعوب العالم بذريعة الدفاع عن حقوق المرأة واسترداد شأنها وشخصيتها لها واصبح المدافع الاول عن حقوقها وكان الآخرين هم الذين سلبوها حقها وعليهم دفع الضريبة بتفكك أسرهم واتباع الاياحية واسترقاق نساءهم على الطريقة الحديثة بحجة توزيع الانوار - دفاعاً عن الحرية الجنسية - فان كانت هناك حقوقاً مسلوبة للمرأة فهي نتيجة انظمة حملت ثقافة الغرب مدعومة به، وضعت قوانين مستلة من القوانين الوضعية الغربية بخجل وحياء غير قادرة على تطبيقها في المجتمع الاسلامي، فاضاعت للمرأة المسلمة حقوقها جراء التبعية الكاملة للغرب.

وقس على قضية المرأة القضية الأخرى المثارة في عالم السياسة اعني قضية الهولوكست - على فرض صحتها - فان مرتكب الجريمة البشعة هو الغرب لا غيره لكن دافع الضريبة هو الشعب العربي المسلم والفلسطيني والضريبة هي قتل الابرياء من الشيوخ والنساء والاطفال على نحو الاستمرار اليومي واتهام المجاهدين المدافعين عن حقوقهم واعراضهم واطوانهم بالارهابيين وتدمير بيوتهم وبنائهم

التحتية وتحميل الهجرة وترك الديار وتسليط الصهاينة الغزاة، عصابات القتل والاحرام عليهم واعتبار اللقطاء الغاصيين كدولة شرعية معترف بها لدى الامم المتحدة ومطالبة الضحية من الدول العربية ايضاً الاعتراف بها تبعاً للاعراف الدولية الجائرة، والسعي الدائم والدوؤب للغرب الديمقراطي لتحقيق التطبيع مع اللقطاء المستوردين من كافة بقاع الارض بدلاً من سكانها المشردين واهلها الشرفاء.

المنظرة الاسلامية الى المرأة

(ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات ووالصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذكوات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً) (الاحزاب / ٢٥).

لو لم يكن في القرآن الكريم سوى هذه الآية المباركة لكانت كافية على بيان مقام المرأة ودورها وشأنها عند الله فكما ذكر المفسرون للقرآن الكريم ان هذه الآية جاءت تأكيداً للمساواة الاسلامية بين المرأة والرجل في نائرة التقويم الالهي للعمل المتترم بالخط المستقيم، وانهما سواء في حصولهما على ثواب التزامهما، من الله تماماً كمساواتهما في عقاب الله لهما على اعمالهما السيئة، لأن مسئلة العمل في قيمته لا تتصل بالشخص في ذكوريته وانوثيته، بل بالعناصر الايمانية في حركة العمل في داخل الذات، في العقل والقلب، وبالعناصر الموضوعية في شروط العمل واجزائه وفي النتائج الايمانية والسلبية في موافقه. في ضوء ذلك، قد تعلقو درجة المرأة عند الله عندما ترتفع في ايمانها وعملها عنده، فكانت هذه الآية وسائر الآيات القرآنية الاخرى التي نزلت في تحديد موقع المرأة ودورها الانساني والرسالي جواباً لما تتطلع

اليه من ان يكون لها نصيب من الوحي الالهي تتشرف وتتكرم به لا سيما على صعيد مشاركتها للرجال من الحيز الذي يذكر فيه الله العاملين في طاعته وفي سبيله بخير، وهذا التطلع انما انطلق من وعيها للدور الذي تقوم به في الساحة الاسلامية حيث شاركت في الدعوة، وفي الهجرة الى الحبشة ، وفي تحمل قسوة الاضطهاد من المشركين، وفي سقوطها شهيدة تحت سياط الكفر وتعذيبه، جنباً الى جنب مع الرجل، وفي الهجرة الى المدينة، وفي مفارقة الاهل والازواج فراراً بسينها ، وفي خروجها الى الجهاد لتكون في الجبهة المساندة للمعركة فتسقي العطشى، وتضمد الجرحى وتقوم بشؤون المقاتلين، وتتحرك في حياتها الخاصة والعائلية والعامة في خط الإلتزام الذي تقف فيه عند طاعة الله والاحلاص له في المواقع المتنوعة والمواقف المختلفة. فهذه هي رسالة الاسلام الى كافة البشر من دون تفریق في الاجناس والاعراق والالوان الا ما اقتضته طبيعة الخلقة الإنسانية المباركة ونحن اذ نعيش في الايام القادمة ذكرى انبعاث ذلك النور النبوي الذي تجلى في رسالة النبي الخاتم محمد(ص). النبي الذي اعطى المرأة استقلاليتها وحريتها وشخصيتها ليكون الرجل رداً لها تتكامل معه في الحياة الاجتماعية والأسرية، تنميةً لقدراتهما واستخراجاً لمكوناتهما العقلية والعاطفية وصولاً الى القمة الإنسانية المودعة.

فإن الاسلام ساوى بين المرأة وبين الرجل من حيث تدبير شؤون الحياة بالارادة والعمل فانهما متساويان من حيث تعلق الارادة بما تحتاج اليه البنية الإنسانية في الاكل والشرب وغيرها من لوازم البقاء وقد قال تعالى (بعضكم من بعض) (ال عمران/ ١٩٥) فلها ان تستقل بالارادة ولها ان تستقل بالعمل وتمتلك نتائجها كما للرجل ذلك من غير فرق. (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ولكن العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان يرى خصوصيتين في المرأة ناتجة من طبيعتها

وتوجب عليها مسؤوليات خاصة بها احديهما: انها بمنزلة الحرث في تكون النوع. وتمتاز بذلك من الرجل والثانية: ان وجودها مبني على لطافة البنية ورقة الشعور . ولذلك أيضاً تأثير في احوالها والوظائف الاجتماعية المحولة اليها.

أهم التحديات التي تواجه المرأة

ان التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في عالمنا المعاصر هي كل التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية و.. التي تواجه الامة الاسلامية بأسرها، والمرأة باعتبارها الركن الاساسي في تكون هذه الامة لذلك اصبحت من اهم عناصر المواجهة لتلك التحديات المتزايدة والمتنامية ولكن هناك تحديات قد تخص المرأة بذاتها نظراً لظروفها الفيزيولوجية والتي حكمت العالم البشري الى يومنا هذا، فمن هذه التحديات يمكن الاشارة إلى حقوق المرأة وحريتها السياسية والوضع الأسري الذي هو لبنة وقوام المجتمع البشري عامة والاسلامي خاصة.

أ- المرأة والأسرة

قال الله تعالى: (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...) (الحجرات / ١٣).

ان ديمومة الحياة البشرية وعمران الارض يتوقف على اقامة الأسرة وفقاً لمبادئ الفطرة الإنسانية باعتبار الانسان موجود اجتماعي لا يعيش لحاله ككفرد معزل او مجرد افراد بعيدين عن العلائق والشائج والصلات التي تجعل منهم نسيجاً واحداً وهو المجتمع. حكمة الخلق تقتضي بناء الأسرة من الرجل والمرأة وكل منهما يشكل ركناً اساسياً في الخلية الأسرية ولا يمكن الاستغناء عن احدهما ولا يكتمل

المجتمع او يتكامل الا بهما معاً.

وانهما المصدر الوحيد للتكاثر البشري وباقترانهما الشرعي يقوم المجتمع البشري ولذلك كان الزنا محرماً في جميع الشرائع السماوية.

فالنصوص الأمرة بتكوين الأسرة وقيامها كثيرة مذكورة في مصادرها. فالزواج في الاسلام ميثاق غليظ ومسؤولية على عاتق كل من المرأة والرجل يجب عليهما حفظه والدفاع عنه رغم كل الظروف الصعبة التي يمكن ان تتعرضهما فاعتبر كل منهما لباس الآخر يحفظه ويستره ويحميه وكان البعض سكناً للآخر وارتباط القلب بالقلب هو فوق كل ارتباط واقتران وعقد وشراكة عادية فالزواج كما يقول الرحوم الشيخ محمود شلتوت كلمة توحى بالاختلاط القوي والامتزاج الشديد. فالوجود الاسرى عامل تكوين ونتاج المشاعر والعواطف والقيم لدى كل من المرأة والرجل على حد سواء ولم يقتصر فيه على مجرد استمتاع واشباع كل من الرجل والمرأة لحاجاته الجنسية المشروعة كما هو قول الدكتور شوقي احمد دنيا.

فتدمير الأسرة بالنات من الاهداف الاستراتيجية التي يسعى الغرب السياسي لتحقيقه برفع شعارات الدفاع عن حقوق المرأة والمطالبة بمساواتها للرجل وحريتها وتحريرها من سجن البيت والحجاب وسلطة الرجل وكانت لهذه الدعوات اذان صاغية في عالمنا الإسلامي واندفع تيار من المثقفين كما ذكرنا نحو هذا الاتجاه وفتحوا له الابواب لالتقاء مغرباته حتى وصلت هذه الدعوات إلى المطالبة بالأسرة النلية، الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة والحق ان ذلك لا يشكل اسرة لا من قريب ولا من بعيد، وانما مجرد اقتران شاذ مناقض لكل نوااميس الخلق والذي لا تتكون به المجتمعات وتستمر، ناهيك عما ينجم عنه من مضرار صحية واجتماعية وخلقية

فكل هذه الدعوات المدعومة بالمؤتمرات المتتالية والقوانين والمقررات الدولية المؤيدة لو استمرت سوف تحول المجتمع الانساني الى حضيرة حيوانات وغابة وحوش لا تحكمها سوى الغرائز الجنسية الضارة ومنطق القوة والغلبة لمن كان اقوى، كما نشاهد اليوم بوادر هذا المجتمع القائم على النظام العالمي الجديد الذي تتحكم فيه يد حديدية ضاربة وقوة مهيمنة في المجالات الامنية والعسكرية والاقتصادية ولا حول ولا قوة للعالم حتى الغرب الاوروبي امام طغيان الامراطورية السلطوية السياسية الامريكية العظمى والتي وضعت على رأس لوائحها التغييرية في العالم الإسلامي التغييرات السياسية والتعليمية وشؤون المرأة المسلمة، ولم يبق امام المرأة الرسالية سوى التسلح بسلاح الايمان والعرفة، معرفة شأنها وموقعها الإجتماعي ودورها الرسالي الذي اراده الله لها في مجال تربية نفسها اولا ثم تربية الجيل المؤمن الصالح المكون من رجال ونساء المستقبل، والتصدي لكل هذه الشعارات، والتي قد تكون بعضها حقا يراد بها الباطل، وتعلن للعالم بان المرأة المسلمة تحت لواء دينها وتعاليمه باستطاعتها ان تحقق كل مطالبها والحصول على حقوقها الطبيعية والانسانية في مختلف مجالات الحياة ولن ترضخ للاستغلال الذي يجعل منها وسيلة لتحقيق اغماع القوى السلطوية الطامحة والاحزاب والتكتلات السياسية المنحرفة او التجمعات اللااخلاقية الفالته. وكذلك على الامة الاسلامية ذولا وشعوباً ان ينتبهوا بفضلته وذكاء ابي الوضع الخطير الموجود وان يقوم الكل بواجباته قبل فوات الاوان. فعلى المجالس التشريعية ان تدعم المرأة بسن القوانين المتناسبة مع شأنها وظروفها القائمة لتسلك نهجاً نحو التنمية الإنسانية والعلمية والاخلاقية والاقتصادية ... ولا ينسى العلماء من النساء والرجال دورهم التوعوي المستمر لمواجهة الامواج الاعلامية والفكرية الجارفة والغازية والتي لا تهدف سوى اسقاط المجتمع الإسلامي بشتى

الوسائل، ومن ثم الاستيلاء عليه ونهب ثرواته الإنسانية، ودرء التاج فيه المرأة المسلمة وعلى الدول الإسلامية والمنظمات الأهلية المدنية الإسلامية مساعدة الشباب من البنات والبنات في تأسيس الحياة السليمة وتقديم الامكانيات اللازمة ورفع الضغوط القانونية المتبعة، وعلى الوالدين رفع الشروط والقيود التعجيزية العرفية التي تفصل المتكافئين والابتعاد عن الاعراف المنقطة والموجبة إلى تأخر الزواج بل قد توصل إلى العنوسة والتجرد إلى مدى الحياة، فهذا التكاتف المحبب من الجميع بإمكانه ان يحد من الهجمات الداخلية والخارجية المتتالية ضد الأسرة السوية.

ب - المرأة والسياسة

بإمكاننا ارجاع كثير من المتاعب التي وقعت على كاهل المجتمع الإسلامي إلى مقولة: فصل الدين عن السياسة، فهذا الفصل كان مطلباً للمتطرفين على كلا الجهتين التحجيري والانفلاتي.

فالتحجرون تمسكوا به فراراً من المسؤولية ومواجهة الواقع والجواب على متطلبات العصر وارضاء الجيل الواعي لمهمات الحياة واهمها الحياة السياسية، واكتفوا من الدين بالقيام ببعض الطقوس الدينية والواجبات الفردية المقولبة وكان اكبر همهم اثناء هذه الفروض التقليدية التي قد تكون من الواجبات التكليفية أيضاً ولكنها بمفردها دون اكمالها يسائر الفروض الدينية فهي بعيدة عن روح الاسلام العظيم الذي يريد للمسلم ان يلتزم بجميع فرائضه الاجتماعية والفردية التكاملية وليس من الاسلام ان يؤمن الانسان ببعض الكتاب ويكفر بالباقي الآخر والحركات الانفلاتية هي الثانية أيضاً نادت بانفضال الدين عن السياسة تبعاً للحركة العلمانية، وهروباً من التعاليم الإسلامية وارتداءً في احضان

الغرب والتبعية الكاملة. وعندما بدأت الحركات النسوية التحررية في مختلف بقاع العالم الإسلامي من مصر إلى إيران وسائر البلدان الإسلامية بمشروعها المدروس فأول ما طالبت به هو الإعتناق من الفرائض الدينية الهادفة إلى حماية المرأة والمجتمع الإسلامي، فبدلاً من الوقوف امام ظلم الحكام والاضطهاد والقوانين الجائرة والفهم المغلوط عن الإسلام في شؤون المرأة، طالبت برفع الحجاب وانكار الحقوق الزوجية واعتبرت الزواج مؤسسة استرقاق والرجل العدو للود التاريخي الذي أن الأوان للانتفاض عليه والأطاحة به لتصل المرأة إلى سلم الرقي والكمال و.. فهذه شعارات القائية عربية القاها الفكري الغربي وفلاسفته نظراً لوجود تلك الظواهر في مجتمعهم في اذهان دعاة التحرر في العالم الإسلامي، فاذا كانت الانتفاضة في الغرب لها نوع من الموضوعية فهي بعيدة كل البعد في عالمنا الإسلامي عن الواقع. وللأسف ان نشاهد في بلادنا الإسلامية قوانين بعيدة عن روح الموضوعية والعصر لا تسمح للمرأة المشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية فضلاً عن مشاركتها في صنع القرار السياسي والترشيح النيابي والتمثيل الحكومي في البعثات السياسية والمنظمات الدولية وهذه الأمور تؤثر سلباً في فهم واقعها وموقعها في المجتمع الإسلامي.

لو راجعنا تاريخ الحضارة الإسلامية الأولى وقوانينها في زمن الرسول وآيام الخلافة الراشدة لنشاهدنا مصاديق عالية ونماذج ارقى بكثير مما توصل اليه الغرب في القرن العشرين من قرارات تخص حقوق المرأة وتقديم الوثائق المرتبطة بوضع المرأة في المجتمعات الإنسانية وبعد اجتماعات ومؤتمرات متعددة لمدة اكثر من خمسين عام واليوم اكثر هذه القرارات بقيت حياً على ورق في كثير من بلاد الغرب نفسه نظراً لمعارضة النساء لهذه القرارات التي اعتمدت آراء بخائفة خاصة من النساء فاعاننا المعاصر اليوم يشهد حركات وتجمعات رجالية ونسائية في امريكا

واروبا وامريكا اللاتينية تعارض الكثير من هذه القرارات التي اوجدت عداءً بين الرجال والنساء وتجاوزت على حقوق كثير من الرجال وابتعدت المرأة عن اداء واجباتها الطبيعية.

فاننا ندعو العالم الإسلامي إلى نظرة واقعية بعيدة عن هدر حقوق المرأة في الغرب وان اعطاها بعض الحقوق ، ندعوا إلى تثقيف المرأة في الجانب السياسي والسعي بكل السبل المشروعة لحصول المرأة على حقوقها والدفاع عنها وذلك بمساندة ومساعدة اصحاب القرار السياسي والمؤسسات المدنية العاملة في الساحة السياسية وتدوين منظومة فقهية واضحة تبين فيها مساحة العمل السياسي للمرأة كما هو مبين للرجل. لنصل إلى مجتمع سياسي رشيد متكامل فاعل وليس بمنفعل اسام الحوادث العالمية والمحلية، وكفانا استغلالاً تحت عناوين متعددة من اجل الوصول إلى اهداف ومراكز سياسية على حساب حقوق المرأة في المجتمع الاسلامي.

وايضاً هناك تحديات اخرى خطيرة وهذا المقال لا يتسع التطرق لها منها المرأة والفن، المرأة والاعلام، المرأة والعمل- المرأة والتعليم ... وارحو ان تكون الاوراق المشاركة قد اشارت اليها.

المرأة في ايران

ناكرة المجتمع الايراني المسلم قريبة لما كان عليه الشعب الايراني في زمن الشاه محمد رضا بهلوي ووالده بالنسبة لوضع المرأة وحقوقها وشأنها الاجتماعي. فقد كانا الاب والابن الآلة التنفيذية المخلصه والطبعة للاستعمار البريطاني والامريكي في تطبيق المخططات المرسومة في مراكز صنع القرار لتلكما الدولتين وعلى رأس كل المؤتمرات الاستكبارية كانت قضية تخريب الشعب الايراني المسلم

وتحويله إلى معادل غربي في الشرق الأوسط في العادات والتقاليد والأكل والشرب والملبس لا في الرقي والتطور التكنولوجي والعلوم والتقنيات وممارسة الحريات السياسية والاقتصادية، لتكون إيران قاعدة عسكرية وأمنية ومركزاً ثقافياً لمواجهة العالم الإسلامي من جهة وسلباً منيعاً أمام الزحف الشيوعي أنذاك لصالح الغرب.

فكانا الأثنان - الابن والأب - مطالبين بتغيير البنى التحتية الثقافية الإسلامية في إيران بدأ من حذف الكلمات العربية من قاموس اللغة الفارسية - أي ابعاد المجتمع الإيراني عن لغة القرآن - واستبدالها بالكلمات اللاتينية وتفسير القرآن وفقاً لمتطلبات الغرب وانتهاءً بمحاربة الشريعة الإسلامية - رغم معارضة علماء الإسلام في إيران - علناً برفع الحجاب والدعوة إلى التحرر والانفلات بإقامة مراكز الدعارة وفتح حانات الخمر وإشاعة الخلاعة والإباحية، حتى في المناطق العامة كما شهدت سواحل بحر الخزر في شمال إيران وفي ظل الأوضاع الاقتصادية البليسة واحتياج إيران المستهلكة للعالم الغربي في حل أمورها الصناعية والزراعية والتكنولوجية وشيوع الأمية في البلاد وفقدان المشاركة السياسية الحرة وحكومة الاستبداد والديكتاتورية وتسلسل الطاغوت على رقاب الشعب وكان محمد رضا بهلوي يدعي بأنه يقود إيران نحو ابواب الحضارة الكبرى مؤيداً بالغرب الليبرالي والشرق الماركسي خاصة أيامه الأخيرة - الكفر ملة واحدة - في ظل تلك الأوضاع كانت المرأة المسلمة تعيش الحرمان والاضطهاد والابعاد عن أبسط حقوقها في مجالات التعليم والعمل والسياسة ناهيك أن تكون في مصادر صنع القرار.

فالأوضاع العامة السالفة هي العامل الأساس في انتفاضة الامام الخميني الراحل على كل انواع الظلم والطغيان في إيران، مطالباً بتطبيق الشريعة الإسلامية واحترام رأي الجمهور واعادة الوجه المشرق للحضارة الإسلامية في عالمنا المعاصر

باقامة دولة تحكم فيها اراء الشعب وفقاً للمبادئ الاسلامية.

ان الاستراتيجية المتبعة خلال العقود الماضية في ايران الجمهورية الاسلامية رسمت وفقاً لآراء الامام الخميني المهندس الاول للثورة والدولة. يرى الامام الراحل ان المرأة هي مبدأ السعادة الانسانية، ولا يرضى لها ان تكون العوبة بيد المهوسين، فإناء الواجب الاجتماعي في حدوده الشرعية هو الدور المهم الذي تقوم به المرأة في بناء المجتمع الانساني.

فحرية المرأة حق لا بد منه ولكن ليس على الطريقة الغربية التي تستغل المرأة كوسيلة باسم الحرية للوصول الى مآربها ومن حقها ان تدخل ساحة العمل بحبايها وعفاقها الذي يبنى عن قيمة المرأة الإنسانية وكان لا يرضى لها بالجمود والسكون في مجال العمل الانساني المتعدد. فان الامام الراحل يؤكد على دور المرأة الأم ويربط السعادة والفضيلة لدى الجيل المستقبلي بوجود الام المتلزمة والورعة فالأم عنده افضل مدرسة لتربية الاولاد لانها الاساس في تربيتهم وتعليمهم وتنميتهم ، فكان يرحب شرف الامومة على شان الابوة ويقارنه بشرافة الانبياء لأن دور المرأة في تربية الطفل الصالح يثمر اقامة مجتمع صالح ، فهي العلم الاول واعلى درجة من سائر المعلمين.

وفي الجانب الجهادي يعتقد الامام الراحل ان المرأة المسلمة في ايران بجهادها ومقاومتها ووقوفها امام الحكم المستبد الشاهنشاهي وتضحياتها رسمت في الاذهان صورة فريدة للمرأة المجاهدة على مدى الزمن لأن التاريخ لم يسجل في كل العصور للرجال ما سطرته المرأة المسلمة في ايران من مواقف في هذه الفترة الزمنية وطالب المرأة بالتسلح بالعلم والايمان والوعي الكامل لتحصل على حقوقها لان الحق يؤخذ ولا يعطى كما يقال.

فالمرأة المسلمة في ايران اليوم وبعد مرور قرابة ثلاث عقود على انتصار الثورة

الاسلامية، قد اثبتت فشل كل الادعاءات التي رفعها قادة التحرر والانفلات في الحركة الفيمينية العالمية وخاصة القيادات العلمانية في عالمنا الإسلامي هؤلاء الذين ربطوا التخلف بالتبعية الدينية.

فهي اليوم بحضورها الايجابي والمؤثر في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية و.. من دخولها المجلس النيابي وتصدى المراكز الحكومية الرئيسية إلى القضاء والرياضة والوصول إلى اعلى المستويات العالمية والحصول على المنارج العلمية العليا. فكل هذه التغييرات حصلت مقرونة بالالتزام الديني ورعاية لمبادئ الاسلام الحنيف.

فلم يكن الحجاب والتبعية لقوانين السماء هو العامل الرئيسي في التخلف والدونية فالداء الحقيقي الذي اوجب انزلاق وسقوط المجتمع الإسلامي وهبوطه العلمي والتقني والتكنولوجي في بلادنا الاسلامية هو الابتعاد عن المنهجية القرآنية في اتباع آيات الله واحكامه وفي احترام حرية الرأي واعطاء الناس حقوقهم التي منحها الله لهم فكل معاناة المجتمع الإسلامي هي نتيجة إقامة حكومات مستبدة لا تمت إلى شعوبها بصلة واتباع افكار مستوردة غير منسجمة مع العقل الإسلامي معلبة باطارات غربية فارغة من كل محتوى ايجابي وادخلت المجتمع الإسلامي في دوّار محير، فهو بعيد عن المنهج القرآني من جهة وغير منقبّل للأفكار المستوردة من جهة اخرى.

وفي خانمة المقال نرفق بعض المقترحات وبعض الجداول والاحصائيات التي تخص شؤون المرأة المسلمة الايرانية، في بعض مجالات الحياة وما وصلت اليه نتيجة الجهد الجاد والعمل الدؤوب وبالتوكل على الله العلي القدير.

وهناك جانب لا يمكن رصده واحصاء جميع جوانبه وهو التكامل العنوي والاخلاقي التي وصلت اليه المرأة المسلمة في ايران ونختم المقال بقول للامام الخميني

الراحل بخصوص هذا الجانب للمرأة حيث قال:

ان الكلام خجل والقلم عاجز عن تبين عزة وعظمة المرأة المسلمة في ايران لما قدمته من مقاومة وصمود ولا يمكن لاي فنان تجسيد نور الايمان والعقيدة الذي هيا المرأة لتقبل الشهادة والجهاد في سبيل الله.

توصيات:

- ١- دعوة المجالس التشريعية في البلدان الاسلامية الى تقنين بعض المواد الملزمة باقامة دورات تاهيلية قبل الزواج تقوم بتعليم الزوجين حقوقهما وواجباتهما الزوجية لتحاكي ما ينجم من اضرار ما بعد الزواج والتي تكلف المجتمع الكثر من الاضرار في الجانب الامني والاخلاقي والاجتماعي.
- ٢- صيانة للأسرة وبقائها وحفاظاً على سلامة الاولاد من الاخطار الجنسية والاخلاقية توضع برامج دراسية متناسبة مع اعمار التلاميذ تقوم بتنقيف الاولاد وتعليمهم حدود العلاقات المباحة والمحرمة وادارها الوضعية وعقوباتها الدنيوية والأخروية.
- ٣- تأسيس لجنة فقهية مختصة بشؤون المرأة لدراسة المواضيع التي تخص المرأة في كافة بلدان العالم الإسلامي والمهجر، تقوم باصدار الفتاوى المتناسبة لحل العضلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. الخاصة بالمرأة وذلك بمساعدة اهل الخبرة من فقهاء النساء في العالم الإسلامي وسوف يكون مكان هذه اللجنة هو المجمع الفقهي الإسلامي بجده.

نسبة المتعلمين ٦ سنوات فما فوق

سنة	رجل	امراة
١٩٩٧	٨٤/٤٥	٧٤/٣٤
١٩٩٨	٨٥/٣	٧٥/٣٣
١٩٩٩	٨٥/٥٣	٧٥/٧
٢٠٠٠	٨٥/٧	٧٦/٠٤
٢٠٠١	٨٦/٠٧	٧٦/٩٧
٢٠٠٢	٨٧/٥	٧٧/٨
٢٠٠٣	٨٨/٨	٧٩/٧

نسبة اصحاب المناصب العليا في الدولة ، بالنسبة لكل موظفي الدولة .

سنة	رجل	امراة
١٩٩٧	٢/١٠	١/٩٩
١٩٩٨	٢/٢٠	١/٦٧
١٩٩٩	٢/١٧	١/٩٣
٢٠٠٠	٢/٣٦	١/٨٦
٢٠٠١	٢/١١	١/٧١
٢٠٠٢	٢/١٠	١/٨٠
٢٠٠٣	٢/١٠	٢/١٠

نسبة الطلبة الجامعيين في الكليات والاقسام المهمة في الجامعات الرسمية

سنة	الطب		العلوم الإنسانية		العلوم الاساسية		الهندسة		الزراعة والبيطرة		الفن
	نسبة	الجموع	نسبة	الجموع	نسبة	الجموع	نسبة	الجموع	نسبة	الجموع	
١٩٩٧	٥٢,٠٦	٢٢٩٨٩	٢٩,٥٥	٨١٩٦٦	٤٢,٢٩	١١٢٢٠٤	١١,٥٨	٢٢٢٩٢	٢٤,٢٥	٤٢١٩٢	١٤١٩٢
١٩٩٨	٥٢,٥٧	٢٦٥٧٣	٢٧,٩٦	٨٩٦٢١	٤٥,٧٠	١١٨٨١٢	١٠,٧٩	٢٥٤٢٢	٢١,٢٦	٤١٢٢٨	١٨٢٢٨
١٩٩٩	٥٦,٢٠	٢٦٧٨٤٢	٤١,٦٨	٩٢٢٧٩	٤٩,١٨	١٢٠٨٠٠	١٢,٦٤	٢٨١١٢	٢٦,٥٨	٤١٤٥٢	٢١٤٥٢
٢٠٠٠	٥٨,٢٢	٢٨١٢٢٦	٤٩,٥٢	٨٦٥٦٦	٥٤,٢٢	١٤١٨٥٩	١٦,١٠	٤١٢٢٥	٢٩,٢٢	٤٢٢٢٧	٢٤٢٢٧
٢٠٠١	٦٠,٩٩	٢١٢٨٥٤	٥٢,٨٠	٩١٢٧٨	٥٦,٤٩	١٥٤١٩٠	١٧,٤٤	٤١٥٤٧	٢٢,٦٩	٤٠٤٢٨	٢٠٤٢٨
٢٠٠٢	٦٢,٥٢	٢٢٢٩٨٥	٥٦,٦٦	٩٧٠٩٥	٥٩,١٩	١٥٢٩٤٥	١٨,٩٣	٤٨٧٢٦	٢٦,٤٦	٤٥٥٦٢	٢٢٥٦٢
٢٠٠٣	٦٤,٩٩	٢٤٦٥٤٥	٥٩,٠٢	١٠٠٤٩٥	٦٢,٠٥	١٨٢٢٢٤	٢٠,٠٤	٥٢٨٤٠	٤٩,٢٨	٤٢٤٢٦	٢٢٤٢٦
٢٠٠٤	٦٦,٨٥	٢٦٠٧٩٢	٦١,٩٥	١٢١٥٠٩	٦٤,٤٨	٢٠٤٢٩١	٢٤,٢٤	٥٨٢٤٥	٥٠,٨١	٤٧٨٨٢	٢٧٨٨٢

سنة	ناشرات	كلمات
١٩٩٧	٨٧	٧٤٨
١٩٩٨	١٣٦	١٠٧٢
١٩٩٩	١١١	٨٢٨
٢٠٠٠	١٣٦	٢٠١١

مراجع البحث

- ١- القرآن الكريم
- ٢- نهج البلاغة
- ٣- الاسلام عقيدة وشريعة / شلتوت الشيخ محمود
- ٤- في ظلال البعد الإقتصادي والاجتماعي للميراث/د. شوقي دنيا
- ٥- حقوق المرأة في الشريعة الاسلامية /د. ابراهيم النجار
- ٦- تفسير الميزان/ طباطبائي سيد محمد حسين
- ٧- صحيفة امام / خميني روح الله
- ٨- بررسي و تحليل نهضت امام خميني /روحاني سيد حميد
- ٩- گزارش تحول وضعيت زنان /مركز مشاركت امور زنان رياست جمهوري
- ١٠- من وحي القرآن / فضل الله سيد محمد حسين
- ١١- قصة الحضارة /ديورانت الجزء الثالث والسابع
- ١٢- مذكرات هدى الشعراوي / الشعراوي هدى
- ١٣- گزيده مقالات و متون در باره فمبنيسم مركز مطالعات فرهنگي / سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامي
- ١٤- فجر الاسلام/ امين احمد
- ١٥- العبادات في الاسلام / الفرضاوي يوسف

حقوق المرأة ومسؤوليتها الفردية

رؤية أحمد صالح بشر
باحثة من السودان

النقطة الأولى: ما بين حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام العالمي والنظام الإسلامي:

القرآن الكريم هو المنهج الأوضح الذي خلص الحقوق والواجبات من التسلط والإعتداء. هذا بالطبع رأي متفق عليه بين المسلمين وغيرهم.. وشهد غير المسلمين على أن القرآن في عصر نزوله قد استطاع أن يصحح مفاهيم خاطئة كانت سائدة في العصور السالفة، وخاصة في مجال إحياء حقوق المرأة، التي كانت أصلاً مهضومة وتوآد بلا ذنب جنته؟! وفي سبيل تمليك الإنسان لحرية الشخصية.

يحتّم علينا الواقع المعاش من خلال عناهينا العقائدية، إضافة للنظام العالمي الجديد، إعادة تقويم الحقوق والواجبات الإنسانية كافة.. وبما أن المسائل متشعبة ومتداخلة في هاتين المسألتين "الحقوق والواجبات".. وحقوق المرأة ومسؤولياتها الفردية هي أساس ركني لكل المسائل الحياتية (والدين والزوج والأبناء والمجتمع)..، فيما يخص حقوق المرأة هنالك بحوث وتساؤلات كثيرة فيما إذا كانت هذه الحقوق الإنسانية متشابهة مع حقوق الرجل؟ أم مكمله له؟؟

وفي الغرب إقترن مفهوم النهضة العلمية والفلسفية، بنهضة إجتماعية أطلق عليها حقوق -لأنهم في الأساس يفتقدون لمثل هذه المفاهيم الدينية الراقية- ودون ذلك قامت المؤتمرات وتأسست الجمعيات تحت هذه التسميات الإصطلاحية.

و في القرن التاسع عشر ظهرت أفكار جديدة ارتبطت بحقوق الإنسان الحياتية والإقتصادية مما أثر ذلك في تركيب نفسية الإنسان، وتقسيم المجتمع إلى فئات متعددة "غنية وفقيرة".. ولتشابك الآراء والأفكار نبع حوار فكري وحوار أديان حتى مشارف القرن العشرين، ومع بدايات الألفية الثالثة طرحت مسألة حقوق المرأة مقابل حقوق الرجل وبذلك يكون قد أسقط الرأي القديم السائد حول التبعية العمياء والمقصودة من الرجل ضد المرأة. ثم أعلن بعد الحرب الكونية الأخيرة عن تساوي حقوق المرأة والرجل في كثير من المحافل الرسمية المعترف بها دولياً^(١).

و اعتبر رواد هذه النهضة تحرر المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات متمماً لنهضة حقوق الإنسان. ولكنهم لم يلتفتوا إلى أن هناك مسائل أخرى مؤثرة وذات أهمية ضرورية في الحياة، أهم من المساواة والحرية. وهما شرطان لازمان ولكن غير كافيا. فتساوي الحقوق شيء وتشابهها شيء آخر.. وتساوي حقوق المرأة والرجل من حيث القيمة المادية والمعنوية شئ طبيعي ويمكن، أما التشابه والتماثل فهو شيء آخر.

و وقعوا في خطأ مريع بأن جعلوا التساوي محل التشابه، والمساواة محل التماثل. لذا إختفت الكيفية تحت ظل الكمية. وكون المرأة إنساناً شفافاً أدى إلى نسيان كونها كائن حي في المقام الأول.

الحقيقة إنني أرى هذا التداعي التعمد يرجع إلى عوامل عديدة كإستثمار مصطلحات الحرية والمساواة، في الاستفادة منها مادياً واجتماعياً وسياسياً. وجعل

١ - انظر مذكرة حقوق المرأة سداو، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة اعتمدت وعرضت لتوقيع والتصديق والإنضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتاريخ بدء النفاذ ١٩٨١/٩/٣م.

المرأة أداة للكسب للمادي الرخيص.

و الناظر بعين الإعتبار لهذه الإهمالات المقصودة يجد أن المرأة خرجت من مجموعة من التعاسات إلى مجموعة أخرى أكثر تعاسة. وموقفها الطبيعي والفطري واستعداداتها الخاصة حيث أنها خرجت من كونها أداة اجتماعية مكتملة للرجل إلى أداة مستهلكة من قبله. علماً بانها تتحمل اعباءً إضافية في البيت وخارجه.. مما أدى إلى خلل كبير في المجتمع على الصعيدين العائلي والإجتماعي فلما فقد التوازن الذي كانت تخلقه المرأة من خلال مسؤولياتها كراعية للبيت وللزوج وللأبناء إضافة إلى مسؤولياتها في حياتها العملية عامة. ولإنشغال كل الأسرة بيهومها الخاصة والعامة تفتت في المجتمعات ظاهرة الفساد. فزادت نسب الجريمة الأخلاقية وتحللت القيم السمحة وفرضت علينا مسائل مستوردة بإسم الحضارة والعولمة. فحلت الخادمة محل الزوجة، والحاضنة محل الأم، والإعلام المتردي اللاأخلاقي محل الأسرة.. وتفككت العائلة الواحدة المتضامنة التي تحكمها القيم والنبل الإسلامية السمحة. وخسرنا أهم معتقداتنا الدينية والأخلاقية الفاضلة بتلك الفرضيات المستوردة.

أما شعار تحرير المرأة فقد كان في طبيعته شعاراً زائفاً، يتأتي إلينا من واقع متردي يخلو من الجوانب الروحية والإنسانية. والذي تعيشه المرأة الغربية وهو بطبيعة الحال لا يتماثل مع المرأة المسلمة.

يرى الذين يدعون تحرر المرأة المجرّد الذي ورد في هرطقاتهم الجوهاء بأن عمل المرأة مع الرجل في ميان واحد معناه التحرر والإنعتاق من عالم العبودية "الحريم".. وفي ذلك حل لمشكلة حقوق المرأة؟؟ ولكن في حقيقة الأمر فإن ذلك قلل من فرص

عمل الرجل مما سبب ذلك في فجوة حضارية واجتماعية جعلت الشباب بلا عمل وقننت العطالة.. وحملت المرأة اعباءً إضافية لم تخلق لها اصلاً.
قد لا نحتاج إلى مزيد من التفاصيل والتبريرات المتعلقة بهذه الجزئية، والإنسانية في كل حركاتها وتحولاتها تنطلق من السعي نحو إيجاد نظام متوازي متكافئ بين المرأة والرجل، ذكر وانثى، فكان من الطبيعي الحتمي أن تحقق هذه الغايات بحريات ذات مسؤولية اخلاقية في عمق المصلحة العامة للإنسانية.

النقطة الثانية: الإسلام لم يبلغ إنسانية المرأة ولم يعفها من مسؤولياتها

يقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة/٧١).

أعتبر الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، وحيث نجد تأكيداً لدور المرأة الأساسي في تربية النشئ وإدارة الحياة الزوجية، هو دور إضافي بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبأن الرجل عليه توفير قوت عياله وهنا ليس دور الرجل الوحيد، إذاً فدور كل منهما يصب في إمكانيات حدودية علمها الصانع -الله- وحدد إصارها.

فإنسانية الإنسان تتسع لكل جوانب الحياة، ومن الآية السابقة نجد أن الإسلام لم يبلغ إنسانية المرأة، ولم يعفها عن مسؤولياتها والتي هي فوق المسؤوليات القطرية.
فإذا كان دعاة الحضارة والتمدد يعتبرون أن العنصر الأنثوي يختزن بعض الضعف في شخصية المرأة إنطلاقاً من الجانب العاطفي الأكثر ظهوراً في مشاعرها، أو من الجانب الجسدي البض الذي لا يستطيع حمل الأثقال كما هو الحال عند

الرجل. فإن الإسلام قد جعل تحويل هذا الضعف إلى قوة بطرق مختلفة وبمنهجية موضوعية متوازنة.. وقد رأينا في التاريخ الإسلامي صلابة إرادة المرأة في التصدي القضايا الإنسانية الكبرى^(١). والمسؤولية الشاملة للقضايا الحياة بوعي كامل، إدراكاً لمفهوم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِلِينَ وَالْقَائِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ لِرُوحِهِمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب/٢٥).

فمضمون الآية أعلاه يحتر المجتمع وحقوق الإنسان الذي يتضمن "الرجل والمرأة" في مجال التربية العملية والروحية، والتي تؤكد على مواقع القوة بوصفها أساس الإلتزام بالشخصية الإسلامية من حيث الإلتزام للعقيدة والإيمان والشعور العميق بفكرة العبودية والعطاء المتمثل بالصدقة والصوم الذي يوحى بالإرادة الصلبة بتحمل الجوع والعطش والحرمان الغريزي، والعفة عن الحرام، في مواجهة الغرائز. وفي وعي الفكر، وفي حركة المواقف، وبالتالي على الحياة الإنسانية جمعاء. وهو الأمر الذي زمت إليه في هذه الجزئية إلا وهي "حقوق المرأة ومسؤولياتها في الفلسفة الإسلامية وغير الإسلامية".

النقطة الثالثة: حق المرأة في صيانة نفسها

رغم إدعاءات دعاة الحضارة بأن قوانينهم للموضوعة تكفل للمرأة الحرية في كل حركاتها وسكناتها.. إلا أن الغرض المجرد في البعد الآخر من مبدوس الأمر

١ - انظر: محاضرات الأستاذ الشيخ محمد سند، مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة، بقلم: السيد محمد علي الحلو. دار القدير، قم، ط٥، ٢٤، ١٤٢٤هـ. / ٢٠٠٤م.

هو جعلها جارية أسوأ من الإماء في العصور الجاهلية المظلمة.. قبل مجئ الرسالة الخاتمة الإسلام..

فقد كانت الصورة تكمن في صاحبات الرايات، والآن في عارضات الأزياء على صفحات المجلات والإعلانات... الخ. تحت دعاوى الحرية الفكرية والحضارة الإنسانية. أما الإسلام فقد جعل للمرأة كياناً له احترامه وتقديره ورفع من قيمتها عن مستوى التنازلات الرخيصة التي تحط من قيمتها كإنسان، وتزهق كرامتها. ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن فلسفة الحجاب في الإسلام أساس لهذه الفكرة. فمدلول الحجاب اللغوي كما ورد:

(.. تأتي بمعنى الستر تارة وبمعني الحاجز والحاجب تارة أخرى.. وربما أمكن القول أنه ليس كل ستر حجاباً.. وإنما الحجاب هو ما يفصل تماماً لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (سورة ص/٣٢) .. أي بعد الفصل التام بينهما وبين الناظر)^(١).

فالضمون الحقيقي لسالة الحجاب هو الستر. وسؤالنا، هل من المستحسن أن تبرز المرأة للوسط الاجتماعي كاسية "مستورة" أم عارية؟ فالإسلام نظر إلى جوهر الأمور وأمر بالحجاب للحيلولة دون النظر للمرأة كوسيلة إستماع مباحة للجميع. وإنما التعامل معها يكون كإنسان له قيمة روحية سامية، وقيمة اجتماعية فاعلة. فالفطرة في الرجل تحتم عليه النظر إلى أنوثة المرأة. فحجب الشارع "الله" هذه المفاتن الأنثوية ليتح النظر إلى خصال المرأة الأخرى، بل وأبعد من ذلك حتى توطين

١ - انظر، مقالة كتاب مسألة الحجاب، مرتضى المتطهري، ص ٧٧-٩٥. بتصريف. والراة في الإسلام ويران اعدا مهدي المهريري، مكتبة الدراسات الإسلامية، رابطة الثقافة والعلاقات العامة ١٣٨٠هـ. ش. طهران ص ١٧٩

سلسلة العلاقات الأسرية والإستقرار الاجتماعي أخيراً، واحتجاب المرأة عن الرجل بحائل يعتبر من الأساليب المميزة التي تستخدمها المرأة للحفاظ على كينونتها وخصوصيتها أمام الرجل.. وهذا ما ثبت من خلال التجربة الحياتية اليومية المعاشة.

النقطة الرابع : حقوق المرأة المعاقة جسدياً وعقلياً؟

وضع الإسلام في الإعتبار حقوق المرأة في صياغة الفرض الإلهي وهي يكامل أعضائها، فمن باب أولي أن تكون المرأة المعاقة أكثر إهتماماً في المجتمع من المعاقبة خصوصاً في نطاق الواجبات والحقوق الإنسانية. وهذه الجزئية تكاد تكون معالجة مسبقاً في النقاط أنفة الذكر.. غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن المنظمات ودعاة التمدن والحضارة، لم يعطوا المرأة المعاقة أدنى إشارة ناهيك عن أن يهتموا بامرها وحقوقها. وهو ما يعزز افتراضاتنا وما توصلنا إليه من خلال تمحيص النظر في هذه الورقة. وأن الإسلام قد تناول حقوق المرأة عموماً سويه كانت أم معاقة، وجعل حقوقها ومسؤولياتها وواجباتها في مقام الإعتبار. والحمد لله على نعمة الإسلام.

لكي لا تكون خاتمة...

مبادئ ومفاهيم حقوق المرأة لا بد وأن تكون مستقاة من العقيدة والشريعة الإسلامية، لإيجاد مساحة شاملة وكاملة في جميع النواحي المادية والمعنوية والحياتية، وأحياناً الجبلية. حتى يتاح لها ممارسة حقها في الحرية والكرامة الإنسانية.

٣٧٤ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي

و البناء الأساسي في تكوين المرأة والرجل يكمن في المواهب الذاتية والطاقات الكامنة الإلهية. والأمر ليس بالتنافسي بقدر ما هو تكاملي. وليس فيه منصر أو مهزوم.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبَدُونَا﴾ (سورة الذاريات/٥٦). ويقول سبحانه، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُوفُ﴾ (سورة الملك/٣).

و منطلقاً من قناعاتنا الذاتية نقول: بأن هنالك إختلافات ومفارقات من حيث الخصائص العنوية والعضوية، والتقنية. وهي بكل تأكيد قائمة على الحكمة الإلهية الأزلية لسر استمرارية الوجود وحياة الكائنات جميعها.

لقد بثقة العارف بأن المرأة والرجل يمثلان في الحقيقة معياراً واحداً لا خلاف فيه ولا جنال. ولكل حقوقه وواجباته ومسؤولياته الفردية والجماعية. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ أُنثًا خَلَقْنَاكُمْ عُنَا وَأَلَكُمُ الْإِنثَا لَا تَرْجُونَ﴾ (سورة المؤمنون/١١٥)

ثبّت المراجع

- السيد احمد الماجد البحراني- اهل البيت عليهم السلام شركاء النبي في الدعوة- سلسلة الدفاع عن العقيدة- مؤسسة نور الزهراء ٢٠٠٤م.
- د. علي التميمي - المرأة بين الفقه والطب- مؤسسة العارف بيروت- ١٩٩٠م.
- فتحية مصطفى عطوي- مع المرأة في نهج البلاغة- الدار الإسلامية- ١٩٩٢م.
- السيد محمد الحسين الطهراني- قضاء وحكمة وجهاد المرأة - دار المحجة البيضاء- بيروت- ١٩٩٢م.
- محمد مهدي الصدر- اخلاق اهل البيت عليهم السلام- مؤسسة دار الكتاب الإسلامي- ٢٠٠٤م.
- آية الله السيد محمد تقي المدرسي- النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - دار اليعاقبة للطباعة والنشر- ١٩٩٧م.
- الشهيد آية الله مرتضى المتطهري- ترجمة د. ابوالزهراء التحفي- نظام حقوق المرأة في الإسلام - رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية- ١٩٩٧م.
- مصطفى صيري- مشكلاتنا الإجتماعية "المرأة بين الشرق والغرب"- مؤسسة دار الكتاب الحديث- ط٢- ١٩٨٤م.
- السيد محمد حسين فضل الله- تأملات إسلامية حول المرأة - دار الملاك للطباعة- ١٩٩٤م.
- مهدي المهريزي- المرأة في الإسلام وإيران - مكتبة الدراسات الإسلامية- طهران-

النظرة الإسلامية إلى احترام الذات

ومساهمة أفضل وأعمق

في معرفة المرأة حقوقها

محمد سعيد عمر اسماعيل

طبيب نفساني ممارس، السودان

إن الهدف من هذه المقالة المتواضعة هو إعطاء تعريف مختصر لاحترام الذات ومن ثم الانتقال إلى بعض النظومات الإعتقادية لكي نصل إلى نتيجة تحدد لنا أي هذه النظومات هي الأصلح لتطوير حسن سليم لقيمة الذات، وأبها يساهم في إيجاد وعي متكامل فيما يتعلق بحقوق المرأة. إن احترام الذات هو نتيجة مشتركة تليق عن الأفكار الجيدة السليمة أو المعتقدات والأفعال الصحيحة ... وهي ليست وحدة مستقلة. ولا توجد في الفراغ. ثم إن الشعور بالارتياح منضمنا إلى احترام الذات هو نتيجة هذه المعتقدات والأفعال. معظم الناس يسيء فهم احترام الذات وكشعور، ولا يقرنه بالأفكار والأفعال... يريدون أن يشعروا بالارتياح دون أن يعيروا أهمية للطريقة التي يمكن أن يحققوا بها هذا الشعور. عموما، هذا النوع من الشعور باحترام الذات لا يدوم مطولا، لأنه ليس مبنيا على أساس منظومة إيمانية ومرافقة لأفعال معينة، لذا ليس لهذه المسألة تأثير باق.

عبر التاريخ، كانت النساء مضطهدة كثيرا في أغلب الحضارات. حتى أن نفس لفظ المرأة في الإنكليزية مؤلف من قسمين، الأول، woe، والثاني، man، فالكلمة الأولى تعني (التعاسة، الحزن، الأسى، ..الخ) وهي مضافة إلى الكلمة الثانية التي تعني الرجل، مما يعني أنها سبب هذه الأشياء السيئة للرجل، إذ أنه طبقا لتعاليم الإنجيل،

اغوت حواء آدم لكي يأكل من الفاكهة، "الشجرة المحرمة" وبالتالي سبب هبوطه هو و معه البشرية. وكان الرومان يشعرون ان النساء ليست أفضل حالا من العبيد، بينما لم يكن المسيحيون الأوائل متأكدون من أن المرأة يمكن ان يطلق عليها كلمة "بشري". نفت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ان يكون للمرأة روح وفي مجلس ماكون، أكد الأسقف أن المرأة لا تنتمي إلى البشر (وسترمارك، صفحة ٦٦٣).

اما في آسيا فلم تكن المرأة أفضل حالا، الهندوسية، وهي أقدم الديانات في العالم؛ تعتبر المرأة، "في زمن الطفولة يجب ان تكون الفتاة خاضعة لأبيها، في الشباب لزوجها، وعندما يموت زوجها فلأبنائها، المرأة يجب ان لا تكون ابدا مستقلة" (مانو، الآية ١٤٠). للأسف، العديد من النساء يجبرن على تضحية انفسهن عبر القفز في محرقة الزوج الجنائزية، لأنهن تعلمن أن الحياة من دون أزواجهن هي حياة لا طائل منها ولا معنى لها. وحتى في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وصولا إلى العقود الأخيرة، لم يكن للنساء الحق في: تملك الأراضي، إنشاء العقود، ميراث الأملاك، أو التصويت. وقد عرضت بعض الكاتبات العظيمات البريطانيات أمثال "جاين أوستن" و "فاني بورني" في رواياتهن نماذج عن نساء وراثات غنيات حرمهن أزواجهن من كل ثروتهن، سواء بالمقامرة عليها أو صرفها بشكل عشوائي.

في كتاب "سيسيليا، مذكرات وارثة" من تأليف "بورني"، حيث تعرفنا كيف ان "سيسيليا" لا تستطيع ان تتزوج الرجل الذي تريد، لأن أملاكها ليست بالمقدار الكافي لتحصيل رضا عائلته الأرستقراطية، إذ أن أموال الزوجة تنتقل إلى الرجل بعد الزواج في كل من إنكلترا وفرنسا وبعض الدول الأخرى. وقد أيد القانون هذه المسألة لأن المرأة كانت تعتبر بمثابة الملوكة للزوج، ولنا كمن نجبرن على انتحال

اسم الزوج بعد الزواج، إضافة إلى التخلي عن كامل الثروة لصالحه. أما رواية جابن أوسان "العقل والعقلانية"، فتتحدث عن أرملة لها ثلاث بنات، يجبرن على ترك البيت بعد وفاة الزوج، وعلى تحمل حياة التفشيف لأن أملاك الأب انتقلت إلى ابنه الأكبر وعائلته. وعندما تعترض الفتاة الصغرى على إجحاف هذا الوضع، تجيبها أختها قائلة: "البيوت في إنكلترا يا عزيزتي تنتقل من الأب إلى الابن، لا إلى البنت. هكذا يقول القانون".

إن مبادئ الإسلام تدافع عن الاحترام الإيجابي للذات وتعززها إذ أنها تصحح أفكارنا، مشاعرنا وأفعالنا، تعلمنا كيف نرفع مستوى أنفسنا من أسفل السافلين إلى أشخاص أصحاب بصيرة، وتجعلنا متكاملين نحو درجة "الإحسان".

ويقلل الإسلام من التناقض بين المثل والنفس المركبة عبر رسم خطوط لثقل هادية معقولة، عملية، ومقدورة.

إن هدف التزكية هو أن يكون الشخص مستقيماً، وأن تكون أفعاله حسنة على أفضل ما يرام وأن يسعى نحو الكمال، على أن تكون النية هي التقرب إلى الله. كما وأنها تشجع الإنسان على معرفة أنه قادر على أن يكون خليفة الله على الأرض، وهو الهدف الذي خلق البشر لأجله، وهذا الاعتقاد لديه القوة الكافية ليكون لدى الإنسان الحس الإيجابي باحترام الذات، فمجرد معرفة أن البشر أوجدوا ليحققوا هدفاً أسمى يجعل الإنسان يختار حياة أقوم وأسمى.

يقول القرآن أن الإنسان خلق كريماً، شريفاً مختزناً القدرة على بلوغ درجة "أعلى عليين":

سورة الإسراء، الآية ٧٠، {ولقد كرمنا بني آدم}

سورة التين، الآية ٤: { لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم } ..

إنه لمن المثير حقا أن نجري مقارنة بين مفهوم احترام الذات في الإسلام وبينه في الغرب، ففي الغرب يحكم على المرأة من خلال مظهرها الخارجي لا قيمتها الواقعية، وهنا ما يجعلها عرضة لاستغلال شركات عرض الأزياء. أكثر من ٣٣ مليار دولار تصرف سنويا، فقط على مستحضرات التجميل وبرامج تخفيف الوزن. هنا فضلا عن المليار أخرى تنفق على العطور. إنه لشيء مثير للعجب، اليس كذلك؟! حسنا، إن هذه الإحصاءات هي للغرب فقط، ولا عجب أن النساء أصبحن إماء لهذه الأعمال - أي تجارة مستحضرات التجميل والأزياء الاستغلالية التي باتت تقدر بمليارات الدولارات. العديد من النساء ينفقن النصيب الأكبر من دخلهن على مستحضرات التجميل، المراهم، والمستحضرات السائلة لكي يصبحن أجمل. وبالطبع فهناك بعض النساء اللواتي يقرطن في مسألة التجميل هذه عبر القيام بعمليات جراحية. طبقا للجمعية الأمريكية للجراحة التجميلية، هناك أكثر من ٥,٧ مليون جراحة تجميلية أجريت في عام ٢٠٠٠، وقد زادت هذه العمليات بنسبة ٢٥% بين عامي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠. وقد كان ٢,٥% من الذين أجروا هذه العمليات من أناس لم يبلغوا الثامنة عشر من العمر. أما في عام ٢٠٠٢ فقد أنجزت ٦,٩ مليون عملية، وهي زيادة بنسبة ٢٢٨% عن سنة ١٩٩٧. إنها للأسف حقا، أن تشعر النساء أنها بحاجة إلى الجراحة، أن يخضن كل هذا الألم والعذاب فقط لكي يصبحن أجمل أو مقبولات أكثر.

أما الإسلام، فإنه يفرضه الحجاب يضمن إيجاد شعور احترام الذات مبنيا على الاحترام الواقعي للمرأة. سوف أتكلم عن مسألة الحجاب وأشرح كيف يمكن أن يوجد إحساسا أصح وأعمق بالجمال. الحجاب كلمة عربية تعني التغطية أو

الإخفاء، وهي الآن مستعملة لتسمية اللباس الإسلامي للمرأة. العديد من الناس يشعر أن الحجاب مظهر من التخلف واضطهاد للمرأة، ولكن هذا التصور ناتج عن سوء فهم له. إن الحجاب في الواقع هو هدية أعطيت للمرأة لكي تحمي نفسها من المرضى الذين يسكنون المجتمع اليوم. عندما تترك المرأة اللباس الضيق، والأزياء الحديثة وتلبس اللباس الأكثر تواضعاً وتضع على رأسها الحجاب، سوف تشعر بالشباب والحرية. لماذا لأنها لن تقلق من رأي الآخرين حول مظهرها الخارجي.

عندما تلتزم المرأة بالحجاب فلن ينظر إليها الناس على أنها رمزا للجنس، بل سوف يعتبرونها امرأة قررت أن لا تجعل من جسدها مادة عامة يطلع عليه الجميع. وعندما تخرج من المنزل لأداء عمل ما فلن تحتاج إلى نصف ساعة في خزانة ملابسها لكي تحدد ما تريد أن تلبس لكي تظهر بمظهرها الأكثر جاذبية. ولن تصرف ساعة أخرى في تصفيف شعرها ووضع مساحيق التجميل لكي تصبح أكثر جمالا، وذلك لأنها ببساطة لا تهتم كيف يراها الآخرون، والأهم من ذلك أنها لا تسعى وراء رأي الآخرين بمظهرها الخارجي. لن يقلقها أمر العنور على اللباس المناسب لصورتها، أو الظل المحدد لأحمر الشفاه، الذي سيكون أكثر مناسبة للون بشرتها، وبالتالي فإنها تحرر الكثير من وقتها.

في الإسلام يتحقق شعور المرأة باحترام الذات عبر رفض عبادة أي شيء سوى الله، إذ أنه عز وجل هو الوحيد الذي يستحق أن تكرس أنفسنا له، لا غيره. هذه هي العقيدة الأساسية التي يؤمن بها المسلمون. وعندما يفهم الإنسان معنى هذه العقيدة بشكل كامل، سوف يتحرر من كل أنواع العبودية. سوف يرفض أن يكون عبدا لأي شخص أو أي شيء، وهنا يشمل الإعجاب بالمثلين أو الغنيين بإفراط، عبادة المال،

أو العبودية لتجارة الأزياء، الخ.

باعتقادي أنه عندما نتكلم عن مسألة رفع مستوى وعي المرأة لحقوقها، فإن المرأة المسلحة بالإحساس الإيجابي لاحترام الذات المبني على أسس روحية غير المادية لإدراك القيمة الحقيقية، سوف تكون أقدر على فهم ووعي حقوقها، لأن هذا الوعي مستقى من نموها الروحي.

وبما أن النساء عنصر مهم جدا في كافة مجالات المجتمع، فإن احساسهن باحترام الذات بشكل صحيح سوف يكون له تأثير إيجابي على مسؤولياتها تجاه نفسها وتجاه المجتمع ككل. ولكي نحقق هذه المهمة، تحتاج النساء المسلمات أن يفهمن ماذا يعني أن تمتلك إحداهن الإحساس الصائب باحترام الذات، وهو أمر يزداد صعوبة يوما بعد يوم نظرا إلى متاهات ما يسمى بالعصر الحديث، أو ظروف العصر ما بعد الحديث التي تحقر وتشوه أكثر من المنصور.

لذا، على المرأة المسلمة أن تكون حذرة جدا من الوقوع ضحية المفهوم الغربي لاحترام الذات الذي يمكن أن يلعب دورا تخريبيا على المدى البعيد، بحيث يشكل لها صعوبة في فهم حقوقها في المجتمع الإسلامي. وأحد طرق الخلاص من هذه المشكلة هي أن تتطلع النساء على الدين الحق بشكل معقول بكل حيثياته، وخصوصا فيما يتعلق بنظرة الدين اليهن، لأن هذا الأمر يمكن أن يصقل قدراتها الداخلية، وبالتالي دفع المجتمع الإسلامي إلى الأمام.

ترجمة، علي تازان

حقوق المرأة ومسؤولياتها

د. عائشة الفيشاوي

رؤية قرآنية للمرأة

مقدمة :

يتصور المرء أن هذا التقدم الحضاري الهائل الذي حظي به العالم الغربي قد قضى على كل أنواع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان بل من المفترض أن تصاحب هذه المدنية اختفاء كل مظاهر التخلف العقلي والاجتماعي وان يتولد في هذا المناخ مجتمع معافى من العاهات والآفات المعنوية. لكن الواقع يسجل خلاف ذلك وأنا تصورنا المجتمع المتكامل عبارة عن رجل وامرأة فإن المرأة في المجتمع الغربي ما زالت تترزح تحت وطأة اغلال الظلم والاضطهاد والاحتقار والاستغلال، إذ وضعت باسم الحرية في هوة عميقة يصعب الخلاص منها ومع ذلك يحاول الغرب الهروب من مشاكله المستعصية ويتقاضى النظر عنها بينما يهول ويضخم قضية المرأة في الشرق الإسلامي.

لعل المستشرقين ومثقفي الغرب يدركون جيداً ومن خلال دراساتهم العميقة حقيقة وضع المرأة في الإسلام وهم يعلمون علم اليقين أن المجتمع المسلم إذا استطاع أن ينفذ تلك التعاليم والتشريعات يصبح مجتمعاً مثالياً ولكن الغيرة الدينية والتخيز للمسيحية مع كراهية الإسلام أعمت أبصارهم فحولوا مكتسبات المرأة في الإسلام

إلى شبهات فكثرت صياحهم وتعلت أصواتهم منادين بإنقاذ المرأة المسلمة من استعباد الدين وتصيبوا من أنفسهم فريق دفاع عن حقوق المرأة المسلمة وصوروا تعاليم الإسلام السمحة بأنها ظلم واضطهاد واتباع شهوات، وقد انحرف وراء تيارهم هذا أدباء ومفكرون من الشرق الإسلامي يرددون نفس العبارات التي ترنم بها الغرب ويدعون إلى تحرير المرأة المسلمة لاتطالقتها في كافة المجالات دون قيد أو شرط شرعي.

وإذا حاولنا تدبر الموروث التاريخي لهذه القضية فتجد أن المرأة قد عانت كثيراً في كل المجتمعات حتى تلك التي تبوات مركزاً حضارياً كالأمم اليونانية والرومانية فقد كانت آله صماء يشكلها الرجل كما يشاء فإن وافقت مزاجه أبا أو زوجاً أو أخاً أبقى عليها خادمة لبيته وإن خالفت طبعه باعها بأبخس الأثمان وتجرعت بين هذا أو ذلك أقذع جرعات الذل والهوان ولعل من الطريف حقاً أن القانون الإنجليزي كان يبيح بيع المرأة حتى عام ١٨٠٥م أي بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول الإسلام، ولم تتصف المرأة حتى بواسطة جهابذة المفكرين والفلاسفة كارسطو وأفلاطون وأبيبيقور الذين جادت قرائحهم فأهدت الفكر الإنساني تراثاً خالداً من العلوم والمعارف المختلفة ولكنها عجزت من أن تسطر شيئاً لصالح المرأة بل قذفتها بأبشع الألقاظ ووضعها في أدنى الدرجات.

تحررت الأمم في ماهية المرأة وتخبطت في معرفة أصلها هل هي إنسان أم شيطان وهل لها روح كالرجال أم لا؟ وأخيراً قرر المؤتمر الذي عقده الفرنسيون عام ١٩٠٦م أن المرأة إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل فقط.

وبالرغم من تعرض المرأة للنوادح أحياناً فإن وضعها في المجتمع العربي يعد من أفضل الأوضاع عالمياً وذلك لما تتميز به من احترام الرجل وحمايته لها ودفاعه عن

شرفها وتأثره لامتهان عرضها وكرامتها وإنما كان هذا هو وضع المرأة في المجتمع المتمدن وغير المتمدن في جميع أنحاء العالم فإن وضعها في الدين اليهودي والمسيحي لا يفضل ذلك كثيراً.

بين ضباب الحاضر الدامس وظلام أمس الداكن تطل علينا ومضات نور قوي تتنبأ بانبلاج فجر الحياة الحقيقية المتمثلة في وضع الإسلام للنقاط فوق حروف الكثير من التساؤلات التي أعيت العقل البشري فالمرأة إنسان مسئول كالرجل تماماً لها من الحقوق والواجبات ما يتناسب مع أداء وظيفتها الحقيقية في الحياة ألا وهي إنجاب وتربية وصياغة الإنسان الصالح لنفسه ودينه ووطنه ولا يتم ذلك بنفس مكسورة وجناح مهيب وحق مهضوم بل يتم من إنسان يثق من مواطن أقدامه في المجتمع ويؤمن بالدور الذي يؤديه. لذلك نجد الإسلام لم يضع وقتاً في مناقشة حقيقة المرأة كما فعلت الحضارات الغابرة بل أعلنها في القرآن الكريم فقال: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)^(١)

تنطلق مكانة المرأة في الإسلام من الشمول والكمال الذي يتسم به النهج الإسلامي فالإنسان في الإسلام هو المخلوق المميز الذي وقع عليه عبء الاستخلاف في الأرض والتكليف ومن هنا فإن المرأة تحدد باعتبارها شريكاً للرجل في مهمة الخلافة والتكليف فإن يد الحضارة والعمران لا تمتد إلا بترابطهما وتعاونهما معاً لذلك فقد أخرج القرآن الكريم الألسنة ووضع حداً بضرورة تقوى الله ومخافته ومعلوم أن

١. سورة النساء، الآية رقم (١).

القرآن لا يخاطب بكلمة (اتقوا) إلا عندما يريد لفت الأنظار الى موضوع هام يجب التوقف عنده ومن هنا فإن الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة تولد منها الرجال والنساء المكونين للجماعات والقبائل والشعوب والأمم وبما ان الوظيفة الإنسانية وظيفه تكاملية تقوم بالرجل والمرأة جميعاً اقتضت الحكمة الإلهية اشتراكهما في بعض الخصائص وتميزهما في خصائص أخرى تقتضيها قيمومة الحياة فاختلفت الوظيفة لا يقدر في القيمة الإنسانية او المسئولية الإلهية. ويكتمل المسار الواقعي للحياة بقول حامل الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم (إنما النساء شقائق الرجال).

حقوق المرأة في ظل الإسلام:

يلاحظ النارس المتمحص لأيات الذكر الحكيم ولما اتخفت به السنة النبوية ممثلة في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ومعلوم ان القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان لهذا الدين أنهما قد ذخرا بالكثير من الآيات والأحاديث والتي تؤكد تأكيداً جازماً تمتع المرأة المسلمة بالحقوق الإنسانية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كالرجال تماماً وزن الآيات التي قد توعد بان هنالك احكام وتوجيهات جاءت في شأن الرجل منفرداً او المرأة إنما هي لتوضيح خصوصية الجنس ذكراً كان او أنثى وما يترتب على هذه الخصوصية من واجبات ترتكز عليها قيمومة حياة الأسرة والمجتمع والأمة لأن الحق سبحانه وتعالى جعل وظائف هذا الكون المحكم الصنع ووظائف محددة تناط بكل المخلوقات صعوداً بالسموات والأرض ونزولاً بالإنسان المكرم المتوج بالعقل ووقوها عند أصغر الكائنات كالنمل والنحل والتي كونت ممالك في غاية التنظيم والترتيب مما جعل

الكائن البشري عاجزاً عن مجاراتها ومن اول أسس الحقوق التي أقرها الإسلام ما يلي

حق الإنسانية المطلقة :

لقد وضع الإسلام النقاط فوق الحروف لتلك الأسئلة الحائرة المترددة بين أجيال الأمم البدائية والمتحضرة عن ماهية المرأة والتي سبق الإشارة إليها في مطلع هذا البحث حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبت منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)^(١). والذي ترجم في السنة النبوية قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شقائق الرجال)^(٢).

حق الاستقبال الأسري المتفائل :

في ذلك شجب الإسلام في حزم تشاؤم واستياء رب الأسرة بمجرد التفهم بأن المولود المرتقب أنثى وذلك في قوله سبحانه (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)^(٣). واية أخرى تصور دفء الموقف وحقيقته (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أو يدسه في التراب إلا ساء ما يحكمون)^(٤).

١. سورة النساء ، الآية رقم (١).

٢. حديث صحيح.

٣. المزخرف ، الآية رقم (١٧).

٤. سورة النحل ، الآية رقم (٥٩).

المساواة في التكليف:

والمرأة مكلفة بكل الأعباء والواجبات الدينية التي انيطت بالرجل لا يفرق بينها إلا اجتهاد في توطيد العلاقة المنطلقة من العبد إلى ربه (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وانثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار)^(١). وتجلى هنا الحق في قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)^(٢)

حق حمل الأمانة:

والأمانة التي حملها الإنسان ممثلة في الجنس البشري يشقيه رجالاً ونساء إنما هي التكليف كما نصت على ذلك عدد من الآيات (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)^(٣).

حق حرية الاعتقاد:

امن الإسلام للمرأة حق حرية الاعتقاد وهو من أعظم الحقوق المتعلقة بحمل الأمانة وانداء حق العبادة والصلة الوثيقة بالله تعالى والتي من أجلها خلق الكائن البشري (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)^(٤)، إلا أنه سبحانه قد ترك حرية

١. سورة آل عمران ، الآية رقم (١٩٥)

٢. سورة البقرة ، الآية رقم (٢١).

٣. سورة الأحزاب ، الآية رقم (٧٢).

٤. سورة الزاريات ، الآية رقم (٥٦)

اختيار طريق الحق أو الباطل مكفول للجميع وليس للرجل وإن كان نبياً أو ملكاً أو وزيراً أو مديراً أو مفكراً عالماً أن يرغم زوجته أو أخته أو بنته على اعتناق دينه (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين + وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين + ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وولدت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)^(١).

حق الإصلاح في العمل الديني الفردي المستقل :

وهنا أفضل أعمال التزكية الروحية التي تؤهل المرأة لأداء وظائفها الأسرية الاجتماعية والتي أنجلت في قوله تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقاتنين والقاتنات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصانمين والصانمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً)^(٢) وفي هذه الآية الكريمة تأكيد لأهلية الفرد الذي يتحلى بهذه الصفات والقيم الأخلاقية العالية بريادة المجتمع المسلم.

١. سورة التحريم ، الآيات من (١٠-١٣).

٢. سورة الأحزاب ، الآية رقم (٢٥).

حق الإصلاح الاجتماعي:

تملك المرأة من الطاقة الجسمانية والعقلية ما يؤهلها إذا رغبت في ممارسة كل ما يفضي إلى ترشيد المجتمع وتقويمه يقول تعالى، (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)^(١).

حق العلم:

أتاح الإسلام للمرأة حق التعلم وطلبه وتلقيه حيث أقره الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء يوماً يتعلمن فيه وأثنى صلى الله عليه وسلم على نساء الأنصار اللاتي لم يمنعهن الحياء من الاستفسار عن أمور الدين لأنه شتان بين العلم والجهل (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)^(٢) بل إن الرسول الكريم جعل طلب العلم مساوي لطلب الفرائض حيث قال (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)^(٣).

حق اختيار الزوج:

وهذا حق مكفول للمرأة المسلمة فليس للأصول وإن بعدوا ولا الفروع وإن قربوا حق فرض زوج معين ترفض المرأة العيش معه وتاباه بل أن السنة العملية سجلت بأحرف من نور نقض الرسول صلى الله عليه وسلم لزيجة الفتاة التي زوجها أبوها دون رضاها وبقاء البنت للزيجة بعد تأكدها حق المرأة في الاختيار (إن أبي

١. سورة التوبة، الآية رقم (٧١).

٢. سورة الزمر، الآية رقم (٩).

٣. أخرجه ابن ماجه.

زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته) فإرد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: الأمر إليك. فترد الفتاة: قد أجزت ما أجاز أبي ولكنني أردت أن أوضح لسائر النساء أن ليس للأباء في هذا الأمر شيء. (لا تنكح الأيم حتى تستامر ولا تنكح البكر حتى تستادن)^(١) والزواج في حد ذاته آية من الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)^(٢).

حق العمل:

لقد شاركت المسلمة في العمل منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فمارست التجارة والعمل المهني والوظيفي والدعوي، كانت للمرأة مساهمات فعالة حتى في مجال الحرب حيث تشارك بمداواة الجرحى وسقاية العطشى وتحمل السلاح حين تدعو الحاجة وتدافع عن المال والنفوس والدين والعرض والولد وها هي السيدة نسبية التي وقفت بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم حين فر الرجال تسجل بسالة المرأة المسلمة ودورها الرائد في الثبات في ميدان الوغى.

حق الطلاق:

للمرأة الحق في طلب فك عري الحياة الزوجية إذا استحالته إلى حميم وان رفض الزوج فإن لها أن تلجأ إلى حكم الخلع حيث ترد إليه صداقه كما خاطب الرسول

١. حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم.

٢. سورة الروم، الآية رقم (٢١٩).

٣٩٦ حقوق المرأة ومعضلاتها في النظام الاسلامي

صلى الله عليه وسلم المرأة التي طالبت بالطلاق ان ترد عليه حديقته قالت بلى كما للمرأة الحق في اشتراط العصمة وذلك بان يكون الامر بيدها تطلق الرجل متى شاءت وكتب السنة تذخر بالكثير من الامثلة التي تؤكد هذا الحق.

الحق السياسي :

نفذ الرسول الكريم حق المرأة السياسي وذلك بمبايعة النساء التي سجلها التاريخ باحرف من نور وهي كمبايعة الرجال تماماً وقد سبق هذه البيعة مشاركة المرأة في بيعتي العقبة الاولى والثانية (يايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبابعنك على الا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبابعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم)^(١) واذا كانت هذه الآية قد اثبتت حق المبايعة فان سيدنا ابوبكر الصديق اثبت حق التصويت حيث اخذ بيعة النساء بعد مبايعة الرجال على الخلافة فدار في بيوت المدينة بيتاً بيتاً.

حق الشورى :

لقد ثبت هذا الحق للمرأة بعد قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورة السيدة ام سلمة في صلح الحديبية حين رفض اصحابه الانصياع لامره بالتحلل والحلق فاشارت عليه بان يبدا بنفسه ففعل فاتبعه الصحابة يقول الله تعالى (وامرهم

١. سورة الممتحنة ، الآية رقم (١٣).

شورى بينهم) ^(١) (وشاورهم في الأمر) ^(٢) ويرجع الضمير إلى أمة المسلمين بشقيها رجالاً ونساء.

حق الإجارة والأمان:

ولعل هذا الحق مكمل للحق السياسي بالنسبة للمرأة ولكنه يعد من أخطر الحقوق التي قد تهدد سلامة الأمة والوطن ومع خطورته فقد منح هذا الحق للمرأة كالرجل تماماً وقد سجل التاريخ إجارة السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها سعيد بن العاص الذي أحارته دون علم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ أرسلت فلاة السيدة خديجة رضي الله عنها فدية عنه فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الإجارة من خلال فلاة السيدة خديجة ولم يصدر منه صلى الله عليه وسلم استنكار أو تثريب على هذا الفعل بل استشار أصحابه بعد صلاة الصبح في قبول الإجارة أو رفضها، كذلك أجات السيدة أم هاني اثنين من أحمائها عند هنج مكة.

حق الأهلية المالية:

لقد كفل الإسلام للمرأة حق التعامل المالي والذي افتقدته كثيراً وما زالت بعض البلدان تمنع في منحه حيث تلحق المرأة بذمة الرجل المالية وليس لها الحق في حرية التصرف والإسلام يعطي من قيمة الاستغلال المادي وينادي بضرورة أن تمنح

١- سورة النورى، الآية رقم (٣).

٢- سورة آل عمران، الآية رقم (٥٩).

المرأة حق الامتلاك والبيع والشراء وحرية ممارسة التجارة وكل مجالات الاستثمار المتاحة للمجتمع وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً بقبوله العمل ضمن الفريق التجاري للسيدة خديجة مما كان سبباً في زواجه منها وقد أعطى الإسلام المرأة حق الميراث المتساوي في بعض الحالات كحالة الأمومة (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) ^(١) كذلك في حالة الكلاله (وإن كان رجلاً يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلِيم) ^(٢).

ولابد من التنويه بأن اختلاف تصيب المرأة عن الرجل في معظم الأحوال يعزى إلى تكليف الرجل بالنفقة على المرأة ابنة أو اختاً أو أماً أو زوجاً وذلك لتمكينه من أداء هذه المهمة.

حق الشهادة:

هنا الحق مكفول بالصورة التي تتحقق منها العدالة التلي في المجتمع فحيث يقل وجود النساء أو مشاهدتهن مسرح الجريمة أو حضور عقود البيع والشراء وغيرها من الأمور التي غالباً ما يعمل فيها الرجال تكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل أما في الأمور التي لا تحلقها إلا النساء (كأحوال النساء الخاصة) فهذه لا يؤخذ فيها إلا شهادة المرأة فقط ولا تقبل فيها شهادة الرجل البتة.

١- سورة النساء، الآية رقم (١٢).

٢- سورة النساء، الآية رقم (١١).

المساواة في العقوبة :

لإرساء قيم العدالة في المجتمع السلم مع تأمين حصانته وعفته ورد الحقوق إلى أهلها ورفع المظالم عن كل شرائح المجتمع جعل الإسلام العقوبة في الجرائم الدنيوية والمعاصي الأخروية متساوية بين الرجال والنساء (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)^(١) كذلك جزاء السرقة (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)^(٢)

حق الإشراف على الأسرة:

المرأة مسئولة كالرجل تماماً عن الأسرة من حيث التربية والتوجيه والاهتمام بمطالب أفراد الأسرة والتأديب والتعليم إلى غيره من المقومات الأساسية لتنشئة الأسرة السليمة المعافاة.

حق المرأة في الهجرة:

للمرأة الحق في ترك البلد الذي تعيش فيه إن لم يتوفر فيه المناخ المناسب للعيش الكريم وقد شهد الإسلام في أول عهده وعند اشتداد التعذيب والتنكيل الهجرة الأولى والثانية للحبشة والتي كان للمرأة المسلمة دور مقدر فيها كذلك الهجرة للمدينة حيث قامت السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق بمشاركة فعالة كما هاجر عند

١- سورة النور ، الآية رقم (٢) .

٢- سورة المائدة ، الآية رقم (٣٨) .

من النساء مخلقات من ورائهن الزوج والولد والبيت والبلد وسائر المتاع وتمائل الهجرة في مفهومنا المعاصر اللجوء السياسي.

وبعد فهذه مقتطفات من شذرات بحر خضم من الحقوق والواجبات التي تؤكد دور الإسلام في بناء شخصية المرأة التي كانت تعيش وضعاً متردياً في عدد من المجتمعات العالمية والمحلية والإسلام حريص كل الحرص على إحضار الحق وإنزال العدل إلى واقع الحياة الملموس دون مراعاة لمقارقات الحسب والنسب واللغة واللون فكلكم لأدم وادم من تراب وهيمة الإنسان في تقواه وأفراد البشرية سواسية كاسنان المشط.

فتنطلق الحقوق في الإسلام من رؤية ريانية دقيقة إلى كل من الجنسين فسعادة الرجل لا تكتمل إلا بجانب امرأة تمنحه الحب وتدثره بوابل السكن والمودة والرحمة في ميثاق لا توهن أو اصره ولا ينفك ميثاقه فأنتم لباس لهن وهن لباس لكم بل هن من أنفسكم وأنتم من أنفسهن مع التأكيد على ضرورة التمييز الخاص بإداء الوظيفة الطبيعية المنوطة بكل منهما فخصائص الأبوة والأمومة تقتضي التباين الفسيولوجي ومحاولة تغيير هذه الطبيعة يأتي بخسائر فادحة للبشرية جمعاء وإشاعة روح المساواة الإنسانية الناضجة التي تعلي من قيمة الحقوق وتقنص الواجبات وتمد المجتمع ممثلاً في المرأة العنيدة بشخصيتها المستقلة بقرارها الواعية بأهدافها بعدد مقلد من الرائدات لحركة المجتمع والحياة وقد سجل التاريخ أنماطاً من المجد التليد للأمة الإسلامية عندما انطلق رجالها ونساؤها قادة وموجهين ومصالحين للمجتمعات وتعل في إرساء الرسول صلى الله عليه وسلم لقيم المساواة هذه

دور بارز في الشخصيات الاعتبارية للمرأة المسلمة فهل عرف العالم أعلم وأقوى من السيدة عائشة أو أشجع من السيدة نسبية وأعقل من السيدة خديجة والأسماء تترى الأيام تتوالى ووقائع المرأة المسلمة المعاصرة ينسبُ بغير ذلك فقد اعترته الكثير من الآفات الناجمة عن سوء فهم المجتمع لتعاليم الإسلام وليكن شعارنا الرفوع أبداً إنما النساء شقائق الرجال فاستقرار الحياة وتنميتها في تمازج الرجال والنساء برباط شرعي ترتاح فيه النفوس وتحلق فيه الأرواح في عالم تسوده خصوصية الوظيفية وعمومية الحقوق والواجبات وبذلك تسلم وتستوي بنية الأمة المسلمة.

حقوق وواجبات المرأة في النظام الإسلامي

السيدة نازنين كريم

عضوة في شبكة أهل البيت (ع) للأخوات المسلمات

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا

إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله علىٰ خبير". (سورة الحجرات - آية ١٣)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى المرأة والرجل بصورة متساوية لكن مع اختلافات في الشكل، ولم يجعل أحدهما أدنى أو أرفع مقاماً من الآخر. وأود هنا أن أقتبس شيئاً من كتاب "المرأة وحقوقها في الإسلام" لمؤلفه الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري، "يمكن القول حقاً بأن التقدم العلمي المدهش في القرن العشرين أثبت بما لا يقبل الشك وجود اختلافات بين الرجل والمرأة فوجودهما لا يعد تحريفاً مقصوداً للحقائق لكنه يمثل حقيقة علمية، قائمة على أساس قوة الملاحظة والتجربة. وقد شاء لهما قانون الخليقة أن يقيما رباط العلاقات الزوجية بشكل أو لثق ووضع نواة الإتحاد بين الزوج والزوجة بشكل أعمق وأفضل. وأرادت الطبيعة توزيع حقوق وواجبات الأسرة بينهما بشكل مباشر. وقد جعل قانون الخليقة التفاوتات بين الرجل والمرأة شبيهة بالإختلافات بين أعضاء الجسم المختلفة".

كما يمكننا أن نرى بشكل جلي، فإن الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر، ولكل منهما مسؤولية معينة عليه القيام بها في هذه الحياة، لكن، وكما نلمس من الآية القرآنية المذكورة أعلاه، هناك واجب في عاتق كل من الذكر والأنثى وهو، السعي لبلوغ درجة التقوى لأنها معيار التفاضل والتكريم عند الله. ويمثل كسب المعرفة حول مخلوقات الله سبحانه وتعالى والسعي لمعرفة واجبنا علينا جميعاً. لذا، من المهم

جدا ان يجتهد كل من الرجل والمرأة لكسب المزيد من المعرفة والتعليم، ولايعد ذلك فريضة على الرجل لوحده. لكن السؤال المطروح اليوم هو ماذا نعني بالتعليم؟ هل هو مجرد التوجه الى الكلية او الجامعة للدراسة وتحصيل درجات عالية على الورق؟ وما هو هدف وحق الرجل والمرأة عندهما يدور الحديث عن التعليم والتعلم؟ ولو تمكنت من ارجاع عقارب الساعة للوراء، لأحببت ان اكون ذهبت إلى إحدى الكليات التي تدرس فيها العلوم الدينية بالإضافة إلى دراستي لنيل شهادة الدبلوم (الثانوية) ليتسنى لي تنمية معرفتي الروحية والأكاديمية.

وفي آية أخرى من آيات القرآن الكريم نقراء، **لئن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصابغين والصابغيات والخاشعين والخاشعات والمتصغين والمتصغيات والصابغين والصابغيات والحافظين حُرُوجَهُم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدت الله لهنم مغفرة وأجرأ عظيمأ**. (سورة الأحزاب: آية ٣٥)

ونلاحظ وجود إشارة للرجال والنساء متكررة في كل سطر من أسطر الآية المباركة، مما يدل بوضوح على وجود واجبات ومسؤوليات وجوائز متساوية للرجال المسلمين والنساء المسلمات. فالنساء بإمكانهن كما هي الحال بالنسبة للرجال، بلوغ عشر مراتب أو درجات ملائكية ومعنوية سامية ونيل غفران الخالق وكسب ثواب الآخرة، وهي: ١- الإسلام (الخضوع والتسليم لله)، ٢- الإيمان، ٣- الطاعة، ٤- الصديق، ٥- الصبر والثبات (المداومة)، ٦- التواضع لله والخوف من عظمته وعقابه، ٧- الإحسان وفعل الخير، ٨- الصيام، ٩- السيطرة على شهوات ونزوات النفس الحيوانية وكبح جماحها، ١٠- ذكر الله في كل حال.

والمرأة لها نفس الحق الذي يمتلكه الرجل أينما كان. وهناك عدة أمور محرمة على الرجل لأنها قد تسبب الأذى والضرر والفساد، وبصورة مماثلة هناك أمور وأعمال محرمة وممنوعة على المرأة بهدف حمايتها ضد بعض الأخطار وسلامتها. فالإسلام يبغى صيانة كرامة الرجل والمرأة على حد سواء، ويمنحهما هذا الدين الحرية للتعلم وكسب المعرفة، وكذلك حق الانتخاب والإدلاء بأصواتهما في صناديق الاقتراع إضافة إلى حق الترشح لإحراز المناصب والمسؤوليات في الدولة.

لكن بسبب الدعايات المغرضة المنارة ضدنا، فإن أعداءنا يستغلون وسائل الإعلام لحرف الحقائق وإظهار النساء المسلمات على أنهن مظلومات ومحرومات من الحقوق الأساسية. وأود التأكيد هنا على أن هذه المزاعم كلها زائفة ولا أساس لها من الصحة وإنما نتحمل المسؤولية للدفاع عن أنفسنا في السنين المقبلة. فالرجال والنساء يتمتعون بحقوقهم ولهم اختلافاتهم الخاصة بهم حسب طبيعة خلقتهم وتكوينهم.

وينبغي على الرجال والنساء السعي لتطوير أنفسهم لبلوغ درجات أعلى والوصول إلى مستوى معين من الكمال الذي يؤهلهم لطلب وكسب رضا خالقنا سبحانه وتعالى.

وتذكروا دائماً إن الله العليم بكم، شيء في غنى عن عبادتنا، وإنما المحتاجون إليه سبحانه.

والإسلام ينظر للمرأة باحترام خاص. وقد بزغ الإسلام في شبه الجزيرة العربية في زمن فقدت المرأة فيه كرامتها ومكانتها. وقد أعاد الإسلام للمرأة كرامتها واعتبارها وحفظ لها شرفها وهويتها كأمراة لها شأنها في المجتمع. في حين يعتبر

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان برنامجاً مليناً بالتناقضات عندما يحاول حماية النساء والأطفال في ظروف وأوضاع معينة والدفاع عن حقوقهم. ويحاول هذا القانون الدفاع عن المرأة عبر منحها حقوقاً متساوية مع الرجل. فبدلاً من النظر إلى الاختلافات بين الرجل والمرأة والتفكير في أفضل ما يمكن فعله لهما في ظروف معينة، فإنهم (واضعي لائحة حقوق الإنسان) يحاولون التأكيد من بروز الخلاف أو الشقاق بين الرجل والمرأة.

وهم يقولون عن ذلك "الأخذ في الاعتبار القرارات، والبيانات والمواثيق والتوصيات الصادرة من الأمم المتحدة وعدد من الوكالات الخاصة المؤسسة بهدف إزالة ورفع كل أشكال التمييز ودعم وتعويض إقرار حقوق متساوية للرجل والمرأة.

ولو وضعنا ذلك في اعتبارنا، نرى من الضروري أن نضمن الحصول على اعتراف عالمي بهذا القانون وفي الواقع بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. وسيتم اتخاذ جميع الإجراءات المناسبة لإلغاء القوانين، والأعراف، والضوابط والأنظمة المطبقة فعلاً، والتي توجد التمييز والتعامل العنصري ضد المرأة، والمبادرة لوضع قانون حماية ملائم وفاعل لضمان حقوق متساوية للرجال والنساء".

ومما يثير القلق البالغ أن نرى المسلمين المقيمين أو اللاجئين في دول غير إسلامية يضطرون إلى اتباع قوانين وأنظمة تلك الدول القاطنين فيها. فآباء وأمهات المسلمين المقيمين في الغرب يعانون الأمرين حالياً، حيث أنهم لا يحق لهم محاسبة أو معاقبة أولادهم على ما يرتكبونه من أخطاء؟

والسلوك الصحيح هو عادة مكتسبة. ويجب إرشاد الأطفال في مجالات المعرفة والسلوك الصحيح وتهذيب النفس كي يعيشوا حياة هانئة ومنمعة. والفكرة

القائلة بأن الأطفال يمكنهم تشخيص الأصلاح لأنفسهم وان البالغين لا يحق لهم فرض أي نوع من معايير السلوك هي في الحقيقة تعيقهم وتشل قدراتهم على التعلم في كل المجالات. ومن أجل حماية مايسمى حقوق الأطفال وتركهم يتصرفون كما يحلو لهم، فان نظام التعليم يدمر نفس هذا الحق، أي الدفاع عن حق الأطفال في التعلم!

وفي معظم الدول الأوروبية، لايسمح للمعلم أن يعانق أو يقبل الأطفال الصغار لأن ذلك قد يؤدي إلى تصرف عدواني من جانب الطفل حسب رأيهم! وعلى أخواتنا وأخواتنا في الدين أن يعلموا ماذا يحدث في هذه القوانين.

ونحن نعلم أن الإسلام وضع قوانين تخص الطريقة المثلى للعيش والحياة بحيث لايبقى هناك أي خطأ في إرشاد طفل ما باتخاذ موقف صارم عند الضرورة. إذن كيف يمكنك تهذيب أو تعليم الطفل السلوك المنضبط؟

ولسوء الحظ، حتى النساء اللطالبات بالطلاق يتوجهن مباشرة إلى حكوماتهن للمطالبة بالنفقة والإعانة المالية. وهناك عيوب عديدة في هذا القانون (في الغرب)، حيث إنه يريد أن يسيطر على حياتك بمجملها ويتدخل في أسلوب تعامل الزوجين مع أطفالهم. وهناك أناس من ثقافات وأديان معينة يتمكنون من تحديد وتسوية قضاياهم بأنفسهم، لكن يحدث أحيانا وبسبب الحرص والغرور، أن تحال بعض القضايا إلى حكومات نولهم، حيث تحصل البنت عادة على ماتريد دون الرجوع للشريعة الإسلامية. والبعض من هذه الحقوق مغلفة بعبارات متممة من قبيل حرية العيش والديمقراطية. وهناك عدة أمور يمكن للرجل أن يؤديها دون المرأة، لكن من إنطلاق مبدأ الحقوق المتساوية، ستعمل المرأة على الإطمئنان من حصولها

على ماتريد حتى لو كان ذلك في ضررها، فالعمل لساعات طويلة ومحاولة التنافس مع الرجل لا يعد بالتأكيد من أصول أو مبادئ الإسلام، وتركيب الأسرة في الإسلام معرض للخطر.

والنساء لهن الحق لكسب المعرفة والأصول الدينية وأداء هذا التكليف إلى جانب الواجبات والمسؤوليات الأخرى المناطة بهن مثل تربية أولاد صالحين أخلاقيا والعناية بازواجهن (إذا كن متزوجات). وكل امرأة تسعى إلى إيجاد الإنسجام والوئام داخل بيتها، وهي تمارس دور المرشدة والمربية والمرضة والمستشارة والمعلم في الأسرة! فهي تصنع الأسرة والبيت بيدها وتمارس دور السند والعماد لأطفالها وزوجها، ولا ينبغي بها نسيان واجباتها في البيت لمجرد كونها تخرجت من الجامعة وأصبحت طبيبة أو محامية أو غير ذلك. بل عليها أن تخصص وقتا للنشاطات الإجتماعية وتتعاون مع أفراد أسرتها في جو ودي سليم، فبالرغم من أعمالها ومشاعنها الكثيرة، إلا أنها تمتلك وقتا لرفع مستواها الروحي وأداء الصلاة.

وإذا أرادت أخواتنا في المستقبل الحفاظ على كرامتهن، فمن المهم جدا أن يخترن الكلية أو الجامعة الصحيحة والمناسبة، فالدراسات الإسلامية أمر مفروغ منه في البلدان المسلمة، لكن في الأونة الأخيرة أخذت الدول غير المسلمة تترك أن المدارس الدينية لايمكنها لوحدها مساعدة أي أحد لرفع مستواه روحيا ودينيا. وبسبب العولة، فإن أولادنا وبناتنا يجاهدون ويكافحون للحفاظ على هويتهم. وفي العديد من الدول، تفرض بعض المدارس حظرا على بناتنا المسلمات وتمنعهن من ارتداء الحجاب الإسلامي. وقد تمسكت هذه الطالبات بموقفهن ورفضن شكاوى ضد هذه المدارس. واني على يقين من أننا كمسلمين قادرين على تشكيل مجلس أو هيئة

للمساعدة في حل وتسوية قضايا كهذه، والأمثلة على هذه الحالات موجودة في إنجلترا وفرنسا.

وفي الوقت الحاضر أصبحت النساء مسؤولات عن تسويق وشراء كل السلع المنتجة في الدول الغربية. والحقيقة المرة أنه في الوقت الذي تكافح فيه النساء للحصول على حقوق وفرص متساوية مع الرجال، فإن مسألة قيام التنظيمات النسوية ببيع بعض المنتجات لا تؤثر عليهن إطلاقاً، وهذه النماذج من النساء تعود للجميع ولكن لأحد، فهن يشعرن بالفوق على غيرهن لأن الشباب والكبار يؤلهن.

والإعلانات والدعايات أصبحت إحدى أكبر الصناعات هنا في كينيا، فالمستهلك يشاهد كل اليوم صور النساء عاريات على جميع المنتجات تقريباً، مع ذلك لا تبدو الرأة هنا بأنها تدرك الصلة المباشرة بين الدعاية بصورها وسوء إستغلال النساء والأطفال. ومن المحزن حقاً أن تكون كل جهود منظمات الإغاثة والإعانة هنا في كينيا متمركزة على النساء الشابات المسلمات حيث تدعوهن إلى رفع حجابهن والمشاركة في مسابقات الجمال لجمع الأموال للنشاطات المختلفة. فهم يقولون أنه بإسم الإحسان والأعمال الخيرية يجوز للمرأة أن تسير على مهر ضيق واستعراض مفاتن جسدها أمام المتات من الرجال والنساء!

ولثلاث سنين خلت، توجت امرأة مسلمة مقعدة بعنوان السيدة العاجزة. وأثناء مراسم التتويج، طلب المصورون منها إزالة حجابها بما أنه كان لهم وحدهم. وفي اليوم التالي ظهرت صورها في جميع الصحف الصادرة هناك بدون حجاب. و إثر مشاهدتها لهذه الصور بدا عليها الإضطراب لنوهلة الأولى، لكنها تناست كل ذلك

بعدها لمست ان هذه الصور جعلت منها امرأة مشهورة وجذابة. لكن اسرتها كانت مستاءة من ذلك وأبدى عدد من المسلمين سخطهم الشديد من هنا التصرف. هل كان من احد هناك يدافع عنها؟ وقبل سنتين، شهدت كينيا قدوم أكبر عدد من الأخوات المسلمات من مختلف المجتمعات والشرائح للمشاركة في عروض ومسابقات الجمال.

وفي الوقت الذي تستحوذ وسائل الإعلام الغربية على عقول الجميع، نشاهد إزدياد معدلات الإغتصاب والتجاوز للنساء وبشكل مستمر. وتشير الأخبار إلى حدوث حالات إغتصاب لبنات صغيرات لم تتجاوز أعمارهن الثمانية عشر شهراً، لكن الحكومة لا تدرك أسباب وقوع كل هذه الجرائم والحوادث. فهم يفكرون فعلاً في إعداد لائحة لحماية المرأة والدفاع عن حقوقها، في حين وفر الدين الإسلامي هذه الحماية قبل ١٤٠٠ سنة! وهي إرتداء الحجاب الإسلامي، ورغم أن المرأة المحجبة ينظر إليها هنا في كينيا وفي العديد من البلدان على أنها مظلومة وغير متعلمة لأننا لانمارس أي نشاطات فاعلة في مراكز وأماكن خارج نطاق حياة الأسرة.

ولائحة الجنس التي ماتزال قيد البحث تنص على جواز معاقبة (تعزير) الزوج إذا ما اغتصب زوجته. وفي معظم الحالات يتم تسوية الخلافات والنزاعات الزوجية بين أعضاء المجلس المدني وأعضاء الجماعة (المشركة)، لذا فإن مثل هذا القانون غير معروف في أغلب الدول. ويمكن له ان يخلق المزيد من المشاكل بين الزوجين بدلاً من حل مشاكلهما! وأولئك الذين يعيشون حياة زوجية يجب عليهم ان يثبتوا ان الأزواج لا يتفقون على كل شيء على الدوام وأنهم تمكنوا من إنشاء وإيجاد سبل الإحتمال والمقاومة والتسامح والمصالحة. والقانون (او الفقه) لا يمكنه التحكم بهذه

المفاهيم. وفي العالم الغربي لم يعد الزواج مؤسسة إجتماعية محترمة وأصبح الطلاق شائعاً ومألوفاً وكنا المعاشرة الجنسية غير الشرعية واللواط والمساخنة.

هل نحن عازمون على الجلوس متفرجين وقسح المجال أمام هذه الأيديولوجيات للمستوردة للنمو والإنتشار بين صفوف أجيال الغد وشبابنا؟

وسلّمت الأضواء مؤخراً على دور الأم في الغرب، فالأم عنصر مهم يل أساسي لبناء الأسرة، وهي الحقيقة التي أكد عليها الإسلام قبل ١٤٠٠ عام! والسؤال الذي يطرحه الناس على الأم التي تكرر كل وقتها لممارسة دور الأمومة وهو: "هل تمارسين أي عمل؟"، سؤال يغيظني حقاً ويزعجني! فالأم أفضل معلم للأطفال حتى يكبروا ويذهبوا إلى المدرسة، وأنناء ذلك يجب عليها أن تنشط في برامج وفعاليات مختلفة تجعلها زوجة ووالدة أفضل وإنسانة أمثل. وفي العديد من البلدان، توجد حقيقة محزنة وهي، الوالدين يذهبان للعمل خارج المنزل ويتركان أطفالهما يتربون على أيدي خادمة أو مربية غير كفوءة. إنه أمر يدعو للأسف، لكن إذا كانت هناك ضرورة لإستخدام مربية أو ناية وإعطائها أجور خدماتها لتربية الأطفال، فإني متأكدة من أن هذه المربية ستكون أغنى فرد في المجتمع! ومع ذلك، فهي تفعل كل ذلك بحبها الخالص لله سبحانه وتعالى ولأسرتها. لانا إذن نرى في بلدان عديدة أنهم يعتبرون أخذ دور الوالد أو الوالدة على محمل الجد أمراً صعباً أو عسيراً.

وإني معجبة بإيران كقدوة في هذا المجال حيث يخصصون أياماً معينة لتخليد دور وذكر الأم، والاب، والبنت التي تبنا بإرتداء الحجاب والإسلامي عند بلوغها سن التكليف، وهم يحتفلون أيضاً بيوم الأسرة! ينبغي تسجيل هذه الأيام والمناسبات في

التقويم الإسلامي في كل أنحاء العالم!

فالأم التي كذبت في تربية وإعداد أطفالها، هي أعقل من غيرها ولنا فهي أكثر نضجا ووعيا لإعادة مواهبها ووقتها إلى مجتمعتها، لكن هذا المجتمع عليه أن يوفر لها كل الإمكانيات المناسبة بهدف إعانة نفسها وبقية أفراد الأسرة للتزود بالإرشادات والتعاليم الدينية وكذلك منحها الصلاحية التي تؤهلها للقيام بدورها المطلوب منها.

فالنساء يصنعن العديد من القرارات القوية، واني أعتبر المرأة التي حظيت بفرصة إتخاذ القرار إنسانة محظوظة جدا، وينبغي الإعتراف بدور المرأة تثمينا لخصائصها وصفاتها المميزة بدلا من مفاتها الظاهرية؛ وهناك قول مانور وهو "وراء كل رجل ناجح (عظيم) امرأة" وهناك عدد كبير من رؤساء الجمهورية في العالم بلغوا هذه المرتبة وحققوا هذه النجاحات على أثر تلقيهم الدعم العظيم والعون الكبير من زوجاتهم!

واني أرى أن دور المرأة في الأسرة أهم بكثير من مجرد احد أعضاء الأسرة أو أم تربي أطفالها منذ ولادتهم، كما إن دور الأب في غاية الأهمية، حيث عليه أن يكون مستعداً لإسناد الأم ودعمها، لكن إذا كانت الأم متعلمة في كل المجالات، فهي ستقوم بتنشئة أولاد أصلح.

وقد أوكل الله سبحانه لنا كوالدين، مهمة تربية وإعداد أولاد صالحين، وقد وردت كلمة الأم بشكل مكثف في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وذلك لتعني المنشا والأساس، وذلك لأن الطفل (أو الجنين) يبقى في رحم الأم لسته أو تسعة أشهر ويأخذ حاجاته البدنية والروحية من بدن الأم. فالأم في الواقع هي الأصل أو المصدر

لوجود الطفل، ولذا فالطفل يعد انعكاساً أو ممثلاً لوجود الأم بدنياً وروحياً، ففترة بقاء الطفل في صلب الأب قصيرة جداً، لكن مدة بقائه في رحم الأم طويلة حيث تصل إلى ٢٧٠ يوماً تقريباً. ولهذا السبب فالطفل يكون متأثراً بالأم وعاطفتها أكثر من الأب، ومن هنا يعطي الإسلام منزلة خاصة للأم.

والمرأة قد تتعلم أو تدرس وظائفها وواجباتها وحقوقها الإسلامية قبل الزواج، لذا يمكنها أن تصبح في وضع أفضل وأقدر على تفهم ما يمكن عمله عند بروز مشكلة أو خلاف في الأسرة. وفي عصرنا الحاضر نلاحظ وللأسف فتياتنا وشبابنا يدخلون عش الزوجية مع توقعات مختلفة تماماً. وقد شهدت الدول الغربية أعلى معدلات الطلاق (بين المسلمين) خلال السنوات الأربع الماضية. (وهذا هو مايريدونه).

ويحدث أحياناً أن تنعدم المشورة أو النصيحة من شخص بحرب أو رجل دين، لذا من الأفضل أن يسعى العازمان على الزواج للحصول على الإرشادات اللازمة خلال فترة الخطوبة. إننا مطالبون بتذكير شبابنا بمفهوم ومعزى الزواج ومنافعه.

فانتخاب الشريك المناسب (زوج أو زوجة) أصبح هذه الأيام أصعب من الذهاب أو السفر إلى القمر! وبسبب كون طلبات الشبان والفتيات كبيرة جداً ومتعددة نرى الوالدين يفضلون عدم تزويجهم مطلقاً!! وقد أوصى الإسلام كثيراً بالزواج واعتبره نصف الدين. لكن، وبسبب سياسة العولمة، أصبحنا نطالب بأن يكون شريكنا (أو النصف الآخر) أغنى وأوسم الجميع والأفضل في كل شيء! وهذه هي تأثيرات وسائل الإعلام. "وأصبحنا الآن نريد العيش مع شريك المستقبل لنرى هل بإمكاننا الإستمرار معه"، هنا مايقوله شبابنا في الوقت الحاضر. وهذه هي فكرة خاطئة نحملها في أذهاننا عن المتعة (الزواج المؤقت)!

والجملة المعروفة الأخرى في أذهان شبابنا هي، "أنا قادر على الإهتمام بنفسى وتسيير أموري، فلماذا يجب علي أن أتزوج وأتحمل أعباء الإعتماد بشخص آخر؟ كل هذه العبارات هي من وساوس الشيطان، وجميع المسلمين مسؤولون عن إزالتها من الأذهان إذا كنا نريد حقا حماية شبابنا وبنية الأسرة وضمان سلامتها. ورغم أن المرأة التي يزداد سنها تجد صعوبة أكبر في إيجاد الشريك المناسب لها، فإن كبار وسادة المجتمع يتحملون المسؤولية في إيجاد الزوج المناسب لها. والمرأة المسلمة التي طلقت من زوجها لا ينبغي بنا تحميلها المسؤولية كاملة عن الطلاق. فبعض الزيجات قد تفشل، لكن مجتمعاتنا ومع شديد الأسف تبدي الإسمناز والإحتقار للبيت بينما يترك الخيار للرجل لقضاء حياته وتسيير أموره! والمرأة المسلمة التي تطلق من زوجها لاتفقد حقها في التزوج ثانية. وبعد الزواج، تنزع العديد من النساء نحو فقدان استقلالها كليا. فلا يحق لأي أحد أن يستعبد الآخر، أو حبس ذلك الشخص ليخدمه أو يلبي مطالبه. فحرمان الآخرين من الحرية أو سلبهم إرادتهم يعتبر إثما مهلكا. وأن المرأة التي تعلمت وأصبحت قادرة على إعالة نفسها، ستضطر تلقائيا إلى ترك عملها حسب إقتضاء الحاجة كي تتفرغ لتسيير أمور زوجها وأسرتها. وفي الوقت الذي يترك الخيار للزوج لتابعة تحقيق طموحاته، تشعر المرأة بأنها لاقيمة لها وأنها تصبح متكلة تماما على زوجها. وإذا كانت امرأة محظوظة، فقد تتزوج رجلا يتفهم ويدرك حقوقها وسيقوم بمساندتها وإعانتها أداء مهامها الشاقة في البيت ولتربية الأطفال الصالحين؛ لكن الحالة، ولسوء الحظ، ليست كذلك في العديد من البلدان، حيث الطرفان (الزوج والزوجة) لايعرفان حقوق أحدهما الآخر. لذا، يمكن تشجيع النساء على

البحث عن فرص عمل تعينهن على تربية عائلة أصح، والبعض من هذه الأعمال والتي تكون نافعة في الدول النامية تشمل: التمريض، والمشورة القانونية، والبحث الاجتماعي، والتربية البدنية والتعليم. يجب علينا الطلب من الشركات استخدام الأمهات والسيدات المتزوجات القادرات على العمل جزئياً، لكي تتوفر لهن الفرصة لإيجاد التوازن بين وظائف وواجبات البيت والأسرة. كما ينبغي توفير الإمكانيات اللازمة للأمهات المرضعات، وأي دخل صغير تكسبه المرأة يمكنه أن يعزز ثققتها بنفسها ويجعلها سعيدة كذلك.

وكل امرأة لها الحق لكسب عيشها واستثمار أموالها، وإذا كانت متزوجة، فإن زوجها هو المسؤول عن إعالتها هي وأولادها. وللمرأة الحق بامتلاك الأشياء. وعلاوة على ذلك، يمكن للمرأة أن تضع شرطاً في عقد الزواج بأنه إذا تبين أن الزوج ذو أخلاق فاسدة، أو يسئ التعامل مع زوجته، فإنها سيكون من حقها تطبيق نفسها. بناءً على الحق الذي أعطاه الإسلام لها.

وإذا فرض الإسلام قيوداً معينة على الرجال والنساء، فإن ذلك لصالحهم. وكما منح الإسلام حق الطلاق للرجل، فالمرأة أعطيت أيضاً حق الطلاق عند إبرام عقد الزواج، حيث يمكنها وضع شرط في العقد على الزوج من أنه "إنما فعلت كذا فإني سأمتلك حق الطلاق بيدي". وإذا قبل الرجل هذا الشرط، فإن حق فسخه لن يكون بيده. وبما أن الإسلام لا يوصي بالطلاق، فمن الأجدر السعي لإجراء المشاورات والتفاهم لحل المشكلة بين الزوجين وجعل الطلاق الحل الأخير إذا وصلت الأمور إلى حد لا يطاق للطرفين.

ولا يمكن للمرأة أن تكون سعيدة إذا كانت مضطربة وقلقة على الدوام. وهي

بحاجة إلى نشاطات خارج البيت كي تخفف عنها ضغوط البيت وتساعدتها لتكون صالحة بدنيا وفكريا لتدير شؤون الأسرة، وللمرأة الحق بالحفاظ على جسمها والتجمل لزوجها. وبمشاركتها في بعض النشاطات خارج المنزل، التي تراعى فيها الشريعة الإسلامية، فإنها ستصبح أكثر نضجا وإستعدادا لمجابهة الصعوبات والمشاكل ومعالجتها أينما وجدت. كما أن هذه النساء ستجدن صديقات جدد لهن وتكسبن المعلومات عن أحوالهن الأخرى.

ويحق للمرأة كسب العلم والتعلم لتشارك فيما بعد الأخريات بعلمها ومعرفتها. ويمكن للمرأة أن تصبح عالمة، أو فنانة، أو مصممة، أو طبيبة، أو أي مهنة أجاز لها ربها أن تمارس. لكن عليها المحافظة على القيم الإسلامية ومراعاتها في كل عمل تزاوله، وإلا تتحرف أو تتحول إلى قيم غير إسلامية عندما تجد عملا أفضل أو تنتقل إلى بيئة غريبة. وإحدى الطرق لتنمية مواهب المرأة إقامة معارض للمرأة المسلمة في كافة أنحاء العالم، وكل بلد يمكنه أن يكون له دور في إستضافة أحداث أو مراسم مختلفة سنويا. علينا الإعتراف بأخواتنا المسلمات والتعلم من إحدانا الأخرى.

فالمرأة الأكبر سنا والمعروفة بالصلاح ولها مكانتها المحترمة يمكنها أن تكون قدوة للبنات والنساء الشابات والأصغر. وقدوتنا نحن المسلمات هي السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) التي كانت امرأة مثالية. فقد أدت هذه المرأة كل مهامها البيئية على أحسن وجه ودون أي تنمر بل قامت أيضا بتوزيع واجبات وأعمال منزلها وتقاسمها بشكل منصف بينها وبين خادماتها.

وإذا شاهدت أي فتاة امرأة مسلمة ناجحة وسعيدة فإنها بالتأكيد ستفتخر بها

وتجعلها قدوة لها! لذا، لحن النساء مسؤولات عن تنشئة جيل الشابات. فيمراعاة الحجاب الإسلامي والحفاظ على كرامتنا وهويتنا الإسلامية. فإننا نبين للعالم أجمع إحساسنا بالأمن والأمان بتطبيق التعاليم التي جاء بها ديننا الحنيف وإننا لانخشى شيئاً من أجل الحفاظ على هذه الهوية. وعلينا التأكيد على أهمية الحجاب لبناتنا الشابات.

ومن حقوق الوالدين أن يمنحا اولادهما الأسماء الصالحة وتربيتهم ليكونوا مسلمين صالحين، يمكن للمجتمع أن ينتفع منهم عندما يكبرون. وحول البنت قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "البنت بركة للعائلة".

وينبغي بالوالدين أن يحرصا على نمو ونشوء ابنتهما في بيئة سليمة واجواء روحية. وعليهما تشجيعهما على متابعة نمط صحيح من التعليم. وبالإضافة لذلك، عندما تختار البنت طريق لحياتها أو زوجاً لها ينبغي بالوالدين إرشادها برفق. وعليهما احترامها وإكرامها واحترام حقوقها.

فالأم مكلفة بإرضاع ابنتها لمدة ٢١ شهراً على الأقل، لأن ذلك من حقها. على الوالدين منح ابنتهما الحب الكافي وبشكل مطلق وعدم تكليفها بمهام صعبة. وبالنسبة للأطفال، أود أن أنقل آية من القرآن الكريم: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً. وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً." (سورة الإسراء: آية ٢٣ و٢٤).

ينبغي بالأولاد أن يمرنوا أنفسهم على طاعة والديهم، وإسنادهما والترع باموالهم لوجوه الخير بعد موت الوالدين. فكل فرد مسؤول عن صحته، وبما أن الله

سبحانه وتعالى منحنا هذه النعمة، فإننا مكلفون بالإعتناء بأنفسنا عبر كسب اللقمة الحلال والكف لتأمين الحياة الكريمة، وينبغي بالنساء مطالعة الكتب والدراسات حول المشاكل التي سيواجهها خلال المراحل المختلفة من حياتهن، فالعديد من التغييرات الهرمونية تحصل في حياة المرأة (وكذلك للرجل!)، لكن بسبب الجهل لاتعرف النساء والرجال كيف يتعاملون مع المشاكل التي يواجهونها في حياتهم.

والمرض المهم الآخر الذي يصيب كل فرد هو فيروس (إح.آي.في) أو نقص المناعة المكتسبة (الإيدز- AIDS). وكانت هناك إسطورة تقول أن المسلمين والسلمات لا يصابون أبداً بمرض الإيدز. ياله من تصور خاطئ! فبسبب الفقر والبطالة، نفقد عددا كبيرا من اخواتنا كل يوم لإصابتهم بهذا المرض بصمت، وينبغي بالنساء أيضا إجراء فحوصات طبية بشكل دوري، للتأكد من إصابتهم بأي مرض بشكل مبكر. وفي معظم القرى، لاتحصل على المعونات من الكنيسة سوى القلة من النساء المحظوظات، والمرأة المسلمة لها الحق بالتساؤل عما إذا كان ممكناً أن تعانها طيبة (امرأة) وليس طبيباً.

ولابد من أن نؤكد هنا على أنها تمتلك مثل هذا الحق عند مراجعتها للمستشفى، بل الأفضل من ذلك، نوصي نساءنا المسلمات إلى إحتراف مهنة الطب لعالجة النساء فقط! والنساء المريضات هنا يمتنعن عن مراجعة العيادات الطبية للحصول على العلاج الصحيح لأمراضهن بسبب ارتفاع إحجور الطيبة والعلاج. ومعظم الأزواج يرفضون إعطاء زوجاتهم المال الإضافي لمراجعة المراكز الطبية لأخذ الأشعة والأدوية أو العلاجات اللازمة بسبب النسخ الطبية الباهظة الثمن الناجمة

عن ذلك. ولا ينبغي حرمان المرأة من حقها الطبيعي لتلقي العلاج الطبي لجرد كونها لا تمتلك دخلاً أو مصدراً مالياً ثابتاً.

ونحن ندعو إلى تطبيق نظام التأمين الطبي وتعميمه في كل أرجاء العالم (وبالأخص للنساء المسلمات). والأكثر من ذلك، فإننا نتمكن عبر هذا البرنامج من تزويد المرأة بالمعلومات التي تحتاج إليها عندما تكون بعيدة عن منزلها. وتقتضي أكثر النساء ٤٠% من أعمارهن في مراجعة الأطباء والعيادات الطبية. مع ذلك فإن معظم هذه الأمراض لها ارتباط بالضغط العصبي. وفي الواقع، حتى المرأة المقعدة لها الحق في مراجعة عيادات طبية خاصة حيث يمكن للنساء فقط معاينتها ومعالجتها. والواقع السائد اليوم هو وجود أناس يعتنون ويهتمون بتربية حيواناتهم الأليفة وسياراتهم أكثر مما يهتمون بتربية أنفسهم! والحقيقة الثابتة للجميع هي أن ممارسة التمارين الرياضية، وأقلها مجرد المشي، يمكنها أن تخفف وتقلل من أمراض وعمل عديدة، لكن الرياضة والصحة وفي معظم الدول لاتعتبران وللأسف قضية مهمة. مع ذلك، إذا تسنى لأحدنا لس المنافع البعيدة الأمد للرياضة، فإنه سيصاب بالدهشة حتماً!

فإننا ننفق الكثير من المال على مساعدتنا لبناء جسم سليم وصحي وكذلك على إنقاص وزننا. مع ذلك إذا حافظنا وواظبنا على تناول الغذاء الصحي وممارسة التمارين البدنية، فإننا نكون في الحقيقة قد واصلنا واستثمرنا طاقاتنا لبناء جسم سليم وحر لباقي سنيّ عمرنا إن شاء الله!

وإن نقص أو إنعدام الألعاب والإمكانات الرياضية المخصصة للنساء أمر مخيب للآمال ومثبط للعزائم. فقد مارست أنواع الرياضات طوال حياتي في إنجلترا، لكني

عندما بدأت بارتداء الحجاب الإسلامي، انتهت حياتي الرياضية هنا في كينيا. وقد شاركت في مسابقات رياضية بعد ١٨ سنة أثناء المهرجان الرياضي للسيدات في مدينة مومباسا بكينيا. وللرياضة منافع كثيرة جدا إذا أردنا سردها بأجمعها فإن ذلك سيأخذ وقتا طويلاً. علينا تعلم قبول الهزيمة، مما يعلمنا أن الأمور لا تأتي دائما وفق ما نريد، وعلّمنا الانضباط واحترام مركز الآخر. وهذا غيظ من فيض! فالألعاب الرياضية النسوية تم تجاهلها في بلدان عديدة، لكن إيران تتمتع بالزيادة في توفير الإمكانيات اللازمة للنساء!

والمرأة المسلمة لم يتم إشراكها بشكل فعال في السياسة (باستثناء إيران وبعض البلدان الأخرى). فالنساء المسلمات، وبسبب المسؤوليات الثقيلة التي يتحملنها، فإنهن ينفرن من العمل أو النشاط السياسي. وعلينا تحديد الأماكن التي قدمت المرأة فيها إنجازاً كبيراً في المؤتمرات، ثم نتأكد بعد ذلك من إيصال صوتها إلى العالم بأسره. فالمرأة العصرية اليوم تعتبر المرأة العاربية والفاتنة قدوة ونموذجاً يحتذى لها، إذن دعونا نشرع ببيان ما حققته المرأة المحجبة من إنجازات.

وهناك مجلات جيدة مثل "محبوبة" وغيرها من المجلات والنشرات الدينية، تنشر تقارير جيدة ومفيدة، وينبغي فسخ المجال أمام غير المسلمات لطالعة مثل هذه المجلات الصالحة. ولابد لنا تشجيع وتدعيم المجلات التي يمكن للمسلمين وغير المسلمين مطالعتها، والتي تستقي القيم الإسلامية من القرآن، ونبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمتنا الأظهر (عليهم السلام). وبما أن التعامل باحترام مع المجلات الإسلامية أمر واجب على الجميع، ينبغي بنا أن نعد طريقة أو خطة مقادها أن لا تتم كتابة الآيات بصورة مباشرة في المنشورات والمجلات. ويمكن عرض

موضوعات مثل التوعية الصحية والإسعافات الأولية وتهريب المخدرات في هذه المجلات. وهناك عدد كبير من المجلات غير الإسلامية تصدر كل شهر، وهدفها الرئيسي تضليل أولادنا وبناتنا وحرف أفكارهم. فنحن نحصل على مجلات تأتينا من الخارج هنا في كينيا وهي كلها مجلات غير خاضعة لأي رقابة. وينبغي أن تكون المجلات والكتب المنتشرة هنا بلغة إنجليزية مبسطة حتى يمكن للجميع قراءتها. وكل مجلة خاصة بالمرأة يجب طبعها لجميع القراء من كافة أنحاء العالم. ويمكن توفير مركز معلوماتي للنساء لتسهيل وصولهن إلى مصادر البحث. ومن المؤسف أن النساء لا يخصصن وقتاً إضافياً أو يبذلن جهداً كافياً للإطلاع على ما يجري حولهن في أنحاء العالم.

يجب علينا أن نتابع الأخبار عن كثب بما أن كل شيء له تأثير على أخواتنا وأخوتنا. علينا تنوير تلك النساء اللاتي يعانين من ويلات الحروب غير القانونية التي تحدث هنا وهناك في أنحاء العالم! فهناك عدد كبير من الأرملة واليتامى الشابات. وبالإضافة لذلك، علينا ألا ننسى النساء المسلمات في الأسر. يمكننا زيارتهن والمطالبة بضمان حقوقهن الأساسية كمسلمات. فالعديد من اللاجئين واللاجئات بلا هوية حيث فقدوا كل شيء جراء الحروب الأهلية التي لا طائل وراءها فلا يمكن لهذه النساء الحصول على العمل المناسب، لكونهن لا يملكن بطاقات هوية شخصية. وهناك عدد من النساء يغيرن أسماءهن ويتحولن إلى عاهرات. وينبغي لأخواتنا التواصل والإرتباط ببيتهن عبر الرسائل الإلكترونية (إي ميل) وتبادل المعلومات حول الأوضاع في بلدانهن.

إذا أردنا أن نتطور عالمياً، علينا إيجاد نظام اتصالات جيد. وأكبر نقطة ضعف

فيما هذه الأيام هي عدم تعلمنا العديد من اللغات العالمية، لكنني أعتقد أن هذه الحالة ستتغير. فإذا جرى تشجيع أخواتنا المسلمات على المشاركة في ندوات مصغرة، فانهن سيكسبن ثقة أكبر بأنفسهن وتجربة أكثر تدفعهن إلى المضي قدماً لتحقيق الإنجازات. وينبغي إرسال آخر الأخبار إلى مراكز محلية كي يتسنى للنساء الإطلاع على ما يجري خارج مجتمعهن. وقبل عدة سنين ظهر مقال طويل في الصحف يبين أن الختان (بتر العضو التناسلي للإنثى) كان سنة للنبي الأكرم (ص). وبعد الكتابة لرئيس تحرير الصحيفة والطلب من كاتب المقال تصحيح وتغيير كلامه، لكونه يمثل إساءة للإسلام وللمرأة وللرسول(ص)، نشروا مقالا آخر ادعوا فيه أن هذه العادة سائدة بين القبائل في مناطق كثيرة في أفريقيا. رغم ذلك، عمدت وسائل الإعلام وعامة الناس على الفور على طرح التساؤلات عما إذا كان هذا الأمر حقيقة، حيث أجروا عدة مقابلات مع عدد كبير من النساء المسلمات من الصومال مع أخذ الصور لهن. وإذا حدثت هذه الأمور ثانية، يجب على الجميع كتابة طلب التماس!

فالنساء المسلمات أصبحن بشكل عام لا يعرفن هويتهن، بينما يسعىن جاهدات إلى محاكاة أخواتهن غير المسلمات في الغرب، اللاتي يبلو عليهن الذكاء والثراء. فالقياس الثقافي لقيمة المرأة في الغرب يكمن في مدى إغرائها الجنسي. فبينما تحاول جاهدة الحفاظ على رشاقتها وجمالها لإنارة عامة الناس، تفقد المرأة كرامتها وتعرض نفسها للدمار. يالها من مفارقة للمرأة المسلمة!

إننا بحاجة لعقد ندوات واجتماعات ملتزمة لإسترداد الهوية الحقيقية للمرأة المسلمة. يجب أن تكون فخورة بماضيها وتاريخها، وكلما تعلمت شيئاً من هذه

التجمعات، التي يمكنها أن تقدم الأجوبة الشافية على كل تساؤلاتها، كلما تمكنت من تشجيع الأخريات على الإلتحاق لهذه التجمعات. إننا كلنا نخشى الأمور التي نجهلها، لكننا مطالبات ومكلفات بطلب العلم من المهد إلى اللحد! فالإسلام نهج كامل للحياة لنا فإننا محظوظات جداً لكوننا ننعم بمصادر هداية وإرشاد للقيم الدينية والأخلاقية متضمنة في القرآن الكريم! علينا البدء بافتتاح صفوف للبالغات اللواتي لم يجدن الفرصة للتعلم لأسباب مختلفة.

وندعو النساء البالغات والكبيرات في السن إلى نبذ الحياء والتحجل من كسب العلم، بما أن الله تعالى يقدر كل خطوة نحو تعلم شيء جديد كل يوم. وإذا أردنا للمرأة أن تتقدم، يجب أن نضمن لها الثقة بالنفس وأن تمتلك الإيمان بكل ما تقوم به. فإني مازلت أحاول تعلم تلاوة القرآن بالصورة الصحيحة باللغة العربية، وأنا في هذا العمر! وهناك العديد من البنات تشجع كبار السن على التعلم وطلب العلم. ونحن كمسلمات علينا تشجيع أخواتنا على كسب العلم أيضاً.

وبينما تنشأ النساء مع أسرهن، عليهن السعي لتربية وتنشئة أفراد صالحين يمكنهم إرشاد مجتمعهم وحتى مجتمعات أخرى. فهذا الأمر سيوجد أرضية صلبة وناطقة ويعيد لنا القيم الإنسانية. فالطفل يحتاج لأم منذ بدء ولادته. وفي الوقت الذي يعمد فيه الغرب إلى إفساد عقول وأفكار الأمهات الشابات عبر مطالبتهن بإرسال أطفالهن إلى المدرسة عندما يكونوا صغار السن، كي يتربى وينشأ أطفالنا على تعلم القيم التي عندهم وليس القيم أو التعاليم الإسلامية. ويقوى هنا المنحى باستمرار، في وقت تزداد معه احتياجاتنا المادية، لذا يتبغى بالوالدين المحافظة على استمرار تحصيل المال وكسب المعاش للأسرة! والطفل الصغير يسمع من الأطفال الذين

يلعبون معه أشياء تختلف عما يسمعه من امه ومعلميه.

لنا، فمن الهم ان تكون الأم متعلمة وذات معرفة ذاتية، إننا بحاجة إلى المزيد من المدارس التي تدار من قبل مسلمين شيعه. فكلما يكبر الطفل، تحدث تغييرات فيزيولوجية داخل عقله (او عقلها) بشكل مثير للدهشة!

وإذا أرادت أي ام تربية ورعاية عدد كبير من الأطفال من مختلف الأعمار، يجب عليها الدخول في دورات تعليمية قصيرة الأمد، تكون معدة بشكل يلبي متطلباتها ويعزز مؤهلاتها. وقد أرشدنا نبينا الأكرم (ص) إلى كيفية تدريب و تربية هكذا أطفال من مختلف المستويات قبل ١٤٠٠ سنة! فهل نقوم فعلاً بتنفيذ تعليماته؟

إذا تم تشجيع الوالدين على المشاركة في هكذا دورات، فإن ذلك سيعين مجتمعنا بشكل كبير. ويمكننا تضمين دورات تساعد نساءنا على فتح مجال صغيرة أو إنجاز بعض الأعمال داخل البيت. ويمكن للنساء كذلك الاستفادة من قروض ومنح بسيطة تسهل لهن البدء بهذه الأعمال. وهذه الفكرة تؤدي دوراً مؤثراً للغاية في كافة المنظمات المسيحية. وتوجد لدينا نساء موهوبات بعدد كبير، يلزم من منازلهن دون عمل سوى مشاهدة الأفلام المتلفزة، وإنما مطالبات بتغيير هذه الحالة. فالنساء يمتلكن حق الإنتخاب في معظم دول العالم، لكن الأمر المؤسف، هو انهن لا يستخدمن هنا الحق بالشكل الأمثل. وقد اسعفنا الحظ هذه السنة حيث تمكنا وبعد حملة دعائية ضخمة ومناشدة النساء لمساعدتنا، تمكنا من إيجاد القرصة أمام النساء الكينيات وخاصة المسلمات للإدلاء بأصواتهن في الإنتخابات.

وكل واحدة منكن، باعتبارها مواطنة من أي بلد كانت، مسؤولة عن النهج الذي تسير عليه حكومة بلدها لإنارة أمور البلاد. والتغييرات التي نحتاجها قد

لا تكون آتية لكننا أفلحنا على الأقل في وضع برنامج عمل لأجيال المستقبل.
وعندما أراد النبي (ص) الجهر بالإسلام، وقفت إلى جانبه وسانده امرأة عظيمة
وهي خديجة الكبرى، فقد ساعدت مساهماتها المالية الكريمة الرسول الأكرم (ص)
على نشر دعوته ورسالته المباركة. ولا يمكن التغافل عن هذه الحقيقة أبداً. وما
نتعلمه من ذلك هو أن الإيمان والتسامح عليه له ثواب عند الله! فقد إنج لنا رجل
عظيم وامرأة عظيمة ذرية ظاهرة وعجيبة والإسلام يحتفظ ببيرقه خفاً!
ولدينا عدد كبير من النساء العظيمات اللاتي شكلن جبهة صامدة خلال فترات
الحروب والمحن، ونذكر هنا بالسيدة زينب وما قامت به في شهر محرم (عاشوراء)
وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) عندما غصبت منها أرض فدك.
فقد استخدمت هذه السيدات العظيمات حنكتهن السياسية والدينية للوصول إلى
مبتغاهن.

ومن أجل الحفاظ على حق كل إنسان، يجب أن يكون هناك جهاز مركزي،
يقدم العون لإقرار القانون وضمان الحقوق. ويجب أن تكون هناك دوائر أو مكاتب
إسلامية تضم منتسبين أكفاء يمكنهم مساعدة وإرشاد النساء المحتاجات للهداية.
فعندما تكون هناك مشاكل بين الزوجين أو نزاع على الأثر، أو حتى حالة طلاق،
ينبغي إرشاد المرأة عبر الشريعة الإسلامية لا غير. وعلينا البدء بتدريب هؤلاء
الأشخاص من الآن.

وفي كينيا أرادوا مؤخراً فصل محاكم فهديس (شريعة المسلمين السنة) عن
قانون المحاكم الرئيسي، لكنهم لم يفلحوا بذلك.

وتواجه النساء السلطات عدة تحديات في الدول المتقدمة، لأن المرأة هناك عندما

تكون محجبة فذلك يعني أنها مظلومة وغير مثقفة. وإذا أرادت المرأة المسلمة الحصول على عمل مناسب وموائم لشأنها فإنها سنجد صعوبة بالغة، فسيكون عليها أن تقلق إزاء المكان المناسب لأداء صلاتها وكذلك الوقت المناسب لذلك. كما عليها أن تقلق حول الطعام الذي تتناوله، وكذلك الأيام التي ستضططر لأخذها كإجازة من العمل للمشاركة في مراسم ذكريات ولادة وشهادة أنمتنا الأطهار (سلام الله عليهم) والرسول الأكرم (ص). وقائمة هذه الولادات والوفيات لا تنتهي. وإذا لم يكن هناك تمييز في التعامل ضد المرأة، إذن ما هو السبب لقيام عدد كثير من النساء العاملات في أمريكا وبريطانيا بإزالة حجابهن. إن ذلك سببه تعرضهن لضغوط شديدة تضطرهن لذلك. ووسائل الإعلام هي أكبر جانٍ في هذا المجال بسبب عرضها الجانب السلبي وغير البناء للإسلام. فهي لا تقدم أي أمر إيجابي عن الإسلام، لذا فمن واجبنا كمسلمات أن نغير النظرة السلبية للإسلام والمرأة. وإذا أرادت المرأة العمل خارج البيت، يجب أن تضع في إعتبارها نوع البيئة التي ستعمل فيها، ووضعية زملائها في العمل.

وهناك حقيقة بسيطة لكنها منسية وهي أن الرجال المسلمين والنساء المسلمات لا يجوز لهم مصافحة الأجانب من الجنس الآخر (غير المحارم)، لكن هذا الأمر يسبب إحراجاً كبيراً للمسلمين في البلدان غير المسلمة لكونهم لم يسمعوا به هناك. وفي الوقت الحاضر إذا أرادت المرأة زيارة بلد معين أو تجديد جواز سفرها، ستكون مضطرة إلى إزالة أي حجاب يغطي أذنيها وشعرها! وهذا هو شرط حصولها على تأشيرة سفر وجواز جديد. وهنا كله إنتهاك صارخ لحق الفرد! وعندما تعيش القلة من النساء المسلمات في أي بلد، فمن المهم أن يكنّ على اتصال دائم بمنظمة

إسلامية. وإذا كانت المرأة على إطلاع بحقوقها فيمكنها تعليم الأخريات بحقوقهن، لكنهن يجب أن يلتحقن بعضوية منظمة أو منظمتين أخريين. إننا نسلم جدلاً بأمور عديدة، لذا إذا أردنا التقدم بنفس سرعة حركة العولة، فعلياً أن نسرّد حقوقنا ونضعها في مكانها الصحيح على الفور.

فالإسلام يريد الحفاظ على شخصية المرأة كي لا يتعامل معها الآخرون ككدمية، لكن يجب النظر إليها كعضو فاعل في المجتمع. فالمرأة لم تخلق لمجرد أن تكون شيئاً بيد الرجل أو لإرضاء رغباته الجنسية. إذا أدرك الرجال والنساء من مختلف الشرائح بأن السمو الروحي والإفتتار بسيران جنباً إلى جنب أينما كنتم، وعندها فإن كل التأثيرات الخارجية لن تؤثر على أفكاركن وفيمكن، واحتياج المرأة لطلب العلم أهم الآن من أي وقت مضى لأن المرأة تفقد هويتها. والنساء يحاولن التنافس مع الرجال بدلاً من أن يصبحن مكملات لهم. فالتواحي المادية في الحياة أهم من جانبها الروحي والعنوي. فلم يعد بإمكان المرأة أو الرجل التعلم وكسب المعرفة عبر الجلوس في المسجد والإستماع للمحاضرات.

وهناك أسئلة كثيرة ومتعددة يطرحها أخوتنا وأخواتنا وينتظرون الأجوبة الوافية عليها، لذا فإن هذه الطريقة أصبحت بالية في زمننا الحاضر. كما أن معظم النساء، وبسبب كثافة وكثرة أعمالهن، يشعرن بالإرهاك والتعب الشديد في الدول المتقدمة، ولم يعد بمقدورهن تعلم أي شيء ليلاً! لذا ينبغي تنظيم دروس ودورات تعليمية في ساعات النهار أو في عطلة نهاية الإسبوع.

وكان الإمام الخميني (رض) قد أكد على ضرورة مواصلة المنارس الدينية والحوزات العلمية في مدينة قم لدروسها التعليمية وزيادة عدد طلبة العلم الذين

سيصبحون خبراء لإرشاد الناس وهدايتهم. وسيزداد الطلب على الفقهاء وعلماء الدين وينبغي بهم السفر إلى كافة أنحاء العالم وإنشاء مراكز تحفظ للإسلام كيانه وتعاليمه. وهناك تكليف إلهي وديني في عاتقنا جميعا وهو فهم واتباع (تقليد) رجل دين مسلم، وإنا أردنا الحفاظ على هويتنا الإسلامية علينا تحاشي الخلط بين القضايا الثقافية ومجالات عبادية عديدة. إننا بحاجة إلى علماء دين لإرشادنا إلى الطريق الصواب وتفهمنا حقوقنا. سيبقى الإسلام بحاجة لمثل هؤلاء العلماء إلى الأبد.

إنه لأمر مخجل حقاً أن نقول بأن الأفراد المقعدين، سواء كانوا رجالاً أو نساء، لا يعتبرون جزءاً من المجتمع في العديد من الدول. والكثير من الناس ينسون أو يتناسون بأن هؤلاء (العاجزين) كائنات بشرية ولهم مشاعر وإحساسات مثل كل الناس العاديين، وأن العجز لا يجب أن يجعلهم أدنى إنسانية. ونحن نؤكد على المجتمع أن يعترف بهم. ولا بد لنا أن نعلم عامة الناس كيف يعتنون بالعجزة والمقعدين. وهناك عدد كبير من الفتيات المقعدات في كينيا من مختلف شرائح المجتمع، يتعرضن لعمليات تجاوز وإستغلال جنسي. فهذه الفتيات المسكينات عاجزات عن الإهتمام بأنفسهن أو الدفاع عنها لنا يلتزم الصمت. لنا ينبغي بناء وإنشاء مدارس خاصة بأساتذة أكفاء يعرفون ما عليهم فعله.

وينبغي بمراكزنا الإسلامية توفير كل ماتحتاجه هذه المدارس، وإذا كانت العاجزات مصابات بالعمى أو الصمم يجب تعليمهن كيفية استخدام نظام بريل (BRAILLE) لقراءة القرآن والإستماع إلى تسجيلات الأشرطة إننا كن مصابات بالصمم وعلى أولئك الراغبين بالإستمرار في عملهم التليغي مع المقعدين

والمولدين، عليهم تعلم لغة الإشارات.

وينبغي أن توفر للنساء المصابات بعاهات بدنية أو عقلية مراكز علاج أفضل. ويحق للمرأة العاجزة أن تراث وتواصل دراستها حسب قابليتها. وإذا سمحت لها عاقتها، ينبغي أن نسهل لها المشاركة في نشاطات عديدة ومنها الرياضة بأنواعها المناسبة للمرأة. وإذا كانت يناها سالتين، يمكنها ممارسة بعض لعب الكرة بكرسيها المتحرك. وكذلك الرسم والكتابة. وعلينا تشجيعها على مزاولة الأعمال اليدوية وتعلم كيفية استخدام جهاز الحاسوب (الكامبيوتر). ورغم أن كل هذه الإمكانيات متوفرة للعديد من الدول النامية، لكن بلان العالم الثالث لم تتمكن من توفير هذه الإمكانيات للمقعدين بسبب نقص أو إنعدام المصادر والنروات والكوادر المدربة والكفوءة.

أما إذا كانت العاهة تشمل يديها، عند ذاك يجب تشجيعها على استخدام الأرجل. والأشخاص المقعدون لهم الحق للخروج، وعلينا التأكد من توفير الإمكانيات اللازمة لهم، فحتى إعداد نزهة تسوق لهم يمكن أن تشكل كابوساً إذا لم تكن الظروف على مايرام.

وإذا كانت المرأة المقعد قادرة على التكلم، يمكنها المشاركة في برامج إذاعية وتشجيع الأخريات على الحدو حدوها. وينبغي أن يتوفر للعاجزات الحق بالحصول على معالجة طبية صحيحة إلى جانب الداواة الطبيعية، والتعاليم بحسب مستوى عجزهن.

واستجابة لمؤتمر بكين ومؤتمرات شبيهة أخرى، كان الإعتقاد السائد لدى الرأي العام بأن هذه اللائحة كانت ضرورية لتحرير المرأة وحمايتها. وأود أن أشدد هنا

على أنه عند ظهور الإسلام، أعطيت للنساء المسلمات الكثير من الحقوق وتم تحرير المرأة من أغلال مستعبدتها الذين استغلواها للجنس وحرموها من حقوقها الأساسية. بينما جاء الإسلام لحماية المرأة وصيانتها ضد أنواع الإستغلال والإستعباد وسوء التعامل من قبل المجتمع.

وما كان يحدث في مؤتمر بكين هو أقصى أشكال مساواة المرأة بالرجل. فالمرأة تريد أن تبدأ نوعاً من التحرك لحماية نفسها من شيء تجهله، أي الأخطار الناتجة من نفس المجتمع الذي تعيش فيه. وإذا كانت المرأة تسعى وراء المساواة بين الجنسين، فربما سيكون عليها الناداة بمنع إستغلال أجساد النساء في الإعلانات والدعايات لمنتجات تريد الشركات المصنعة لها بيعها. والأكثر من ذلك، فالبغاء، الذي أصبح عادة شائعة ومالوفة (واللوم يقع دائماً على الفقر والبطالة كأسباب لشيوعه)، يجب أن يكون قضية جدية تستحق الدراسة والبحث، رغم إن البغاء في ازدياد مستمر في أنحاء العالم بل أن بعض الدول أصدرت قوانين لإباحتها! فهل هذه اللانحة قادرة على وقف أو منع البغاء لكونه يؤثر على النساء والأطفال؟ ألا تمتلك المرأة الحق في صيانة وحماية جسدها ضد الإستغلال والتجاوز؟ وممارسة التمييز ضد شخص ما ومن ثم منحه حقوقاً متساوية يعد تناقضاً بعينه!

يمكننا ان نستلهم الدروس من إيران حيث تعتبر المرأة اهم عضو في المجتمع منذ إنتصار الثورة الإسلامية. فالعديد من النساء عضوات في البرلمان وبإمكانهن التواصل مع عامة الشعب لحل مشاكلهم. فالمرأة داخل الحجاب محصنة وقادرة على حماية نفسها والحصول على تعليم جيد في الوقت ذاته. والمرأة بحاجة إلى إعطاء القيمة لنفسها أمام الله أولاً، ليتسنى لها بعد ذلك كسب إحترام وتقدير كل من حولها

باعتبارها عضوة في المجتمع.

وان كل الصحف وقنوات التلفزيون تسلط الأضواء هذه الأيام على الدول التي أصبح زواج النمل فيها أمراً قانونياً وأخر هذه الدول هي إنجلترا مع الأسف، والدولة التي تليها ستكون جنوب افريقيا.

فوسائل الإعلام لاكتظي بالإعلان عن هذا العمل المنافي للإسلام وبكل فخر بل انها عمدت الى عرض الأماكن التي يمكن لزوجي النمل ممارسة الجنس على أفضل وجه! ووجد منظمو مثل هذه الزيجات بذلك وسيلة تمكنهم من جمع أموال طائلة للمرة الثانية!

ومن المحزن حقاً ان يكون أطفالنا شهونا على مثل هذه الأفكار المنحرفة والمحرفة. لذا يجب على المسلمين وغير المسلمين تشكيل جهاز يتولى فضح وإدانة الدعايات الرامية لنشر وترويج زواج النمل، ومناشدة العالم بعدم الاعتراف بهذا النوع من الزواج ورفضه. وينبغي بنا العمل على منع إنتشار هذه الظاهرة أو تحولها إلى إجراء قانوني في المزيد من الدول لأن الغرب يريد تدمير بنية الأسرة واغراق أجيال المستقبل في التاهات والمجاهيل. فممنح الشافين جنسيا وطلاب المتعة الجنسية بعض الحقوق والحريات يعد أمراً مناهيا للعقل والمنطق.

وأشد ما يؤلنا الآن ان حتى هوليبود لم تعد تجد أي حياء أو خجل من صناعة أفلام اباحية تعرض الممثلين وهم يمارسون علاقات وإتصالات جنسية دون حياء. فما عسانا ان نفعل مع عدونا الأول (التلفزيون)؟

وكما حذرنا القران الكريم إزاء اخطار مثل هذه الزيجات غير القانونية، فلا يمكننا ولا ينبغي بنا السكوت عن ذلك أو الجلوس كمتفرجين. فإننا نملك الحق

للتعبير عن رأينا. هل يمكن لأحد أن يتصور الأطفال الذين يعيشون مع هكنا أزواج؟ فالأطفال الذين يتربون مع رجلين أو امرأتين سيعانون من مشاكل نفسية حادة عندما يكبرون ويبلغون سن الرشد في المجتمع.

ينبغي بنا إجراء الأبحاث الطبية والعلمية والدينية واستخدامها لإثبات كون هذه العلاقات والزيجات أعمالاً غير طبيعية وتشكل خطراً يهدد أجيال المستقبل. علينا أن نعد النشرات ونوظف وسائل الإعلام لإيصال هذه الرسالة إلى أسمع العالم. فالقرآن الكريم يقدم لنا الإرشادات اللازمة في قضايا من قبيل الزواج، والبراث، والدفن بالنسبة للمسلمين والمسلمات. لذا فالتمييز يختلف عن منح شخص ما حقه أو حقها.

فعندما تنكر على أي شخص حقه في التعامل معه بعدل وانصاف في كافة القضايا والحالات، سواء كنت ذكر أو أنثى، أسوداً أو أبيض، مسلماً أو غير مسلم، فإنك تكون قد سلبت منه ومنها حقه أو حقها. فكلنا نستحق حق المعاملة المدنية والمنصفة مهما كانت إنتماءاتنا أو جنسياتنا. فإن مانحتاجه فعلاً هو المساواة والعدالة.

ومع الدعوة للمساواة بين الجنسين، فإن رجالنا سيبادرون للمطالبة بامتلاك حق التمكن من الحمل بالأطفال وإرضاعهم مثلما تطالب النساء بحق الإجهاض. وهناك نقطة أخرى تستحق الذكر، وهي أن الإسلام يعارض عمليات الإجهاض، لكن إذا كانت المرأة المسلمة مقيمة في دولة غربية، فيمكنها الإدعاء بأن ذلك من حقها! فيمكن للمرأة أن تختار إسقاط جنينها بما أنها تدعي أنه جزء من جسمها. لكن عندما يستغلها الرجال نراها تسمى ذلك حرية الخيار، وبسبب إرتباكها،

تختار المرأة تلك الحقوق التي تناسبها وتنفعها في الظروف المحرجة هل يمكن لأي أحد أن يتصور الفاجعة الناجمة عن ذلك؟

وفيما يخص الرياضة، لن تكون هناك حاجة للمسابقات الرجالية والنسوية، وإنما لندع الجميع يتنافسون فيما بينهم. وفي المستشفيات سيتم التعامل مع الرجال والنساء على قدم المساواة، والمرأة قد تفقد حقها في أن تعاينها امرأة من جنسها. ويعني ذلك أيضا بأنه لن يكون هناك أي فرق أو تفاوت بين الرجل والمرأة. فكما نشرع النساء بالتصرف والعمل كالرجال والعكس بالعكس، فسيكون هناك زيادة محسوسة في عدد الشريكين من الجنس المائل (زواج للثل). وهذه الحالة سائدة فعلا في الوقت الراهن.

وقد خلق الله الرجال والنساء بصورة متساوية لكن بهيئة وأعضاء مختلفة كي يكون هناك انسجام في العالم، فعقل المرأة يفكر بشكل مختلف عن الرجل، ولا يحتاج إنبات هذه الحقيقة لبحث علمي، لنا فعندما تبدأ المرأة بالتصرف كالرجل (المساواة بين الجنسين)، ستولد فوضى واضطراب في المجتمع. فجسم المرأة يختلف أيضا عن جسم الرجل؛ والآية (٣٤) من سورة النساء في القرآن الكريم تذكرنا بحقيقة ثابتة وهي:

”الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنفُسِهِمْ مِنَ

أَمْوَالِهِمْ..”

فاول ما يتعلمه الطفل هو من أمه، لذا فإذا أرادت المرأة المتزوجة صاحبة الأطفال أن تخرج للعمل وكسب العيش، فإين سيذهب أطفالها؟ إنهم سيتركون للمجتمع لتربيتهم وصياغة أفكارهم حسب الطريقة التي تحلو له وبعد ذلك سيعاد أطفالنا

إلينا كخبراء. فالطفل يحتاج لأم ترعاه وتربيته، وهذا هو حق من حقوقه، إلا إذا برزت حالة تكون عندها الأم غير قادرة على عريبة طفلها أو تركه في البيت، عندها سيكون عليها البحث عن نار حضانة جيدة ومعتمدة أو مربية (داية) تحل محلها.

فكيف سيتسنى للطفلة التمييز بين أمها وأبيها إذا كان تصرف الإثنان متشابهاً؟ وهناك من يجادل ويقول بأن عددا كبيرا من النساء لا يعرفن ماهي حقوقهن، وأنا أتساءل ماهي الحقوق التي يكافحن من أجل نيلها أثناء انعقاد كل هذه المؤتمرات المختلفة. فإذا أمكن تعليم المرأة في المجالات التي يمكن لها أن تعينها على التخفيف من فقرها، عندها لن يكون هناك أي عقبة أمام المرأة تمنعها من تحقيق أهدافها في حدود أعراف مجتمعتها وتعاليم دينها، وإذا كانت ماتسمى "الدول المتطورة" تريد حقاً مساعدة بلدان العالم الثالث، فلماذا إذن تقف موقف المتفرج عندما يدور الحديث حول تربية مجتمعات أخلاقية (ذات أخلاق حسنة)؟ بل نراها تقوم بدلا من ذلك بغزونا بثقافتهم وعاداتهم!

وفي إنجلترا، تصر الحكومة على ضرورة أن تبقى الإمهات في البيت لفترات طويلة كي يتسنى لهن رعاية وتربية أطفالهن ويعدن إلى العمل عند الضرورة فقط. ومما يثير الإستغراب إننا نحاول فعل العكس من ذلك تماما في بلدان العالم الثالث. وهذا هو السبب وراء كون الرجال عموما هم المعيلون لأسرهم بما أنهم يمكنهم تحمل اعباء وضغط العمل أفضل من النساء. والمرأة ستبدد غضبها وتصبه على رؤساء افراد اسرتها وأطفالها.

وإذا كانت المرأة مضطرة للعمل خارج البيت، سيكون عليها ترك أطفالها في

البيت تحت رعاية ربة بيت مسلمة مدربة جيداً ولها إلمام بتعاليم الإسلام واحكامه. وفي الأيام الغابرة، كان والدانا يعينوننا على تربيتهم (الأسر الموسعة)، لذا فإن القيم الثقافية كانت باقية. وفي وقتنا الحاضر نشاهد وجود نزعة لدى الشابين المتزوجين حديثاً للخروج من بيت العائلة للعيش بمفردها.

وهناك عدد كبير من الأزواج والزوجات يعملان كلاهما خارج البيت، ونجحا في تدير معيشتهم وإدارة أمورهما بشكل كامل، وهؤلاء يمثلون الغلة من المحظوظين. وهذه الحالة تشبه وضع الحصان والعربة. فالعربة تحتاج للحصان ليسحبها كما تحتاج الطائرة لقيطان يقودها، فكلاهما على إنسجام مع أحدهما الآخر ويكمل أحدهما الآخر. فإذا كان عندنا طائرتان لكن دون طيار، فمن سيقود هاتين الطائرتين؟

وإن الغرابة لا تكمن في حقيقة أنه بدلا من خلق الوعي والإدراك، بأن الرجل والمرأة يمكنهما العيش في ونام إنا كانا متعلمين ويعرفان كيف يربيان عائلة صالحة خلقيا، فإن هذا المؤتمر التابع للأمم المتحدة يسعى لإتخاذ موقف مختلف إزاء تدمير حياة الشعوب. فالعديد من الصراعات والحروب أهلكت الناس ودمرت ممتلكاتهم، لكن هذه المؤتمرات تتجاهلهم ولا تشير إليهم. فمن يتكلم نيابة عنهم؟ وهناك إجماع في الرأي بين المتحدثات والمشاركات في هذا المؤتمر من أن إيجاد مجتمع ديمقراطي دون مساواة بين الجنسين أمر مستحيل. هل يوجد أحد يعيش في مجتمع ديمقراطي في الوقت الراهن؟ وأتساءل هنا أي بلد غير إسلامي يوجد فيه ذلك؟ ألسنا نحن جميعا أسرى وسجناء لدى حكومة تملي علينا كيف نفكر وكيف نعيش؟

والنقطة الأخرى التي أود الإشارة إليها هي ان المرأة المسلمة يمكنها ان تطالب بإزالة حجابها، بما ان الرجل لا يرتدي أي حجاب. (المساواة بين الجنسين). إننا بحاجة لعقد تجمعات وندوات نشجع فيها على العيش بإنسجام بين أحدنا الآخر وعلى مساعدة أحدنا للآخر عند وقوعه في مشكلة ما. ومن واجب حكوماتنا توفير الإحتياجات الأساسية للشعب من أجل وضع حد لعمليات التخريب والتدمير. فالجهل هو السقوط الرئيسي لكل أمة. واني أرى أنه إننا استطعت ان اوضح لكم، لقلت ان هذه اللانحة وسيلة لإزالة الأسرة والقيم الروحية الضرورية لكل بلد يريد ان يتطور خلقيا وإنتاج شباب صالحين للمستقبل. فهذه اللانحة تشبه شخصا يرتدي قناعا، فلا يمكن لأي أحد ان يرى او يبصر ما وراء القناع بالفعل. يجب على النساء الكف عن الصراع من أجل بلوغ المساواة مع الرجال لأننا كلنا متساوون بالفعل امام خالقنا. لكننا مختلفون فيما بيننا.

فالمساواة تعني ان تكون مثل الآخر، والعدالة تعني ان يعاملنا الآخرون بالعدل والإنصاف. فايهما نريد تحقيقه للبشرية جمعاء؟ (او للنساء عموما)!

وفي الختام، علينا توحيد صفوفنا والسعي لحل مشاكل أحدنا الآخر، ومعرفة إحتياجاتنا من خلال شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني ووسائل الإعلام علينا الترويج والتشجيع على إنتاج أفلام سينمائية ومتحركة إسلامية للنساء وللأطفال، والقيام بزيارات منتظمة لختلف المراكز في العالم. فكل بلد له حاجاته الخاصة به. لذا علينا زيارة كل بلد للتعرف على إحتياجاته والعمل وفقاً لذلك. ويجب تشجيع الشباب على الإقتران والزواج في أعمار صغيرة، ومن واجبنا أيضا البحث والتحري للعثور على الشريك (زوج أو زوجة) الصالح والمناسب. فإذا تزوج الشاب والفتاة،

يمكنهما عند ذاك متابعة ومواصلة دراستهما معاً. وكوالدين، يجب علينا أعانتتهما وإستنادهما أثناء الأيام الأولى من زواجهما. كما علينا التشجيع على فكرة إرتداء الحجاب الإسلامي والتعرف على النساء المسلمات وأعمالهن من إيران وبقية أنحاء العالم.

ينبغي بالمؤمنين أن يزرعوا الإحترام المهذب في الحياة الإجتماعية والعنوية. وعلى إمهات المؤمنين الحفاظ على كرامتهن وعزتهن، كما يجب على جميع النساء الدفاع عن شرفهن وصيانة كرامتهن. وستأتي الساعة التي يعاقب فيها الشر كله. إتقوا لله، وقولوا دوما الكلام الذي يعود للحق والصواب. ليسعى الإنسان ويجاهد في الإيمان، ويؤدي أمانة الله - بعنايته ورحمته.

أدعوه تعالى أن يوفقنا لتوحيد كلمة المسلمين وإعانة أئمتنا الأخرى للتغلب على مشاكلنا ومعالجتها. كما أدعوا الإمام المهدي (عجل الله فرجه) للتعجيل بظهوره.

مصادر البحث

- القرآن الكريم، عبد الله يوسف علي،
- اصول الثورة الإسلامية، الإمام الخميني (رض)
- بنية الأسرة الإسلامية ، حسين انصاريان.
- المرأة المثالية: العلامة المرحوم حاجي غلام علي.

ترجمة، حسن نجفي

المرأة في مرحلة إعادة بناء الدولة

في آسيا الوسطى

(من الرخاء إلى البأساء)

بقلم، دكتورة سكارين باربارا

مقدمة :

لعشر سنين خلت، لم تكن قضايا الجنس (التذكير والتانيث) موجودة في معظم، إن لم نقل جميع، كتب العلوم السياسية. واليوم أصبح من الصعب جدا تجنب مثل هذه التحاليل والمقارنات فيما بين المجتمعات. وفوق ذلك، فإلنساء يشكلن قسماً من كل المجتمعات والشعوب والدول. وهناك نظريات عديدة حول مكانة المرأة في المجتمع، ودورها في مختلف المجموعات، وهذه المكانة والأدوار كانت موضوعات للعديد من المقارنات.

واحد الأسئلة التي تستحق الطرح هو: لماذا أصبحت قضايا جنس الإنسان مؤخراً للموضوعات في الدراسات المتعددة؟ ويمكن لأحدنا أن يرى التطابق الزمني بين التعريف، أو إعادة التعريف، لمختلف أشكال الدول وإعادة تعريف دور المرأة. وإن تجدد ولادة دول ديمقراطية في أعقاب انهيار الإتحاد السوفيتي، وبروز مركز سياسي أوروبي، وتوسع نطاق الإتحاد الأوروبي، وتطور قضايا العولمة مثل حركة الديمقراطية والمجتمع المدني، وانقراض تحويل الحدود، وأزمة الدول المرفهة، وزعزعة استقرار الدول المعبر عنها في عملية التطهير العرقي، كل ذلك زاد في الرغبة لأجراء تحليل لدور كافة اللاعبين في المجتمع. وإن هذه التحاليل تقسم وتعيد

تصنيف اللاعبين الإجتماعيين وفقا لطبقات محددة سابقا: الجنس، والدين، والعمر، والعرق، والحالة الزوجية، الخ.

وتعد اسيا الوسطى إحدى الحالات الحديثة التي اخذت الاسئلة المتعلقة بعناصر بناء الدولة تطرح حولها، الإنتقال باتجاه الديمقراطية، واقتصاد السوق ودولة القانون، كما يشار اليها في اطرها القانونية. وفي الحقيقة كانت فكرتهم المهيمنة المتكررة منذ العام ١٩٩١، سنة الاستقلال لكافة دول آسيا الوسطى. وكما هو معتاد في بناء الدول، والى جانب مسألة ازمة نظرية او فكر الدولة، ادرك البعض بان كل لاعب في المجتمع له دور معين يؤديه في ذلك المجتمع. والاحتجاجات الرئيسية حول رفض الدور الذي يمكن للمرأة ان تلعبه في اعادة بناء الدولة، مستندة على اختناقات اجتماعية واقتصادية وسياسية.

ومن اجل فهم دور المرأة في مجتمعات اسيا الوسطى بشكل افضل، فقد جاءت مقارنة بنية المجتمع خلال فترات الحكم السوفيتي لتسلط الاضواء على بعض العواقب.

ومن المهم اولا فهم الاجواء او البيئة السياسية في اسيا الوسطى. فعند انهيار الاتحاد السوفيتي، اخذ بعض المحللين بالتركيز على فكرة اعادة بناء او بناء الدولة لدول اسيا الوسطى الخمس الجديدة. وكان لهذه الاطروحات المختلفة تأثير على دور المرأة، ويشمل هنا التأثير دمج المرأة او زجها في العمل في المجتمع. وتركز النقطة على محيط العمل الجديد بالمقارنة مع ماكانت تعيشه المرأة قبل و اثناء الحكم السوفيتي.

١. اعادة بناء دول آسيا الوسطى : عدد من العناصر :

في العام ١٩٩١، وعند الاستقلال، لم يكن بناء دولة مثالية كما وصفت في جمهورية افلاطون، الهم الرئيسي. وهذا هو السبب وراء كون النقاش حول فكرة الدولة في هذا السياق بناته محدودا بالعناصر الكلاسيكية للدولة (الاراضي، والحكومة والسكان). وحقبة ان عناصر اخرى (مثل العنصر النفسي، واعتراف منظمة الامم المتحدة بالدولة... الخ) يجب اخذها بعين الاعتبار ليست محل نقاشنا هنا. وان تحليلنا يركز على ناحية واحدة، وهي دور اللاعبين (السكان) في بناء الدولة، وبالاخص دور المرأة في ذلك.

١. بناء الدولة او اعادة بنائها،

لقد حدد ستاين روكان - من اهم الساهمين في علم الاجتماع التاريخي المقارن - حدد اربع مراحل نحو بناء الدولة وهي:

١. تشكيل مركز سياسي من خلال تغلغل عسكري وقانوني في ارض محددة، ٢-
- التوحيد القياسي الثقافي للسكان، ٣- توسيع نطاق المواطنة والمشاركة السياسية. ٤-
- تطوير سياسات رخاء مصنفة.

اما كارتل بيلدت - رئيس الوزراء السويدي السابق الذي عمل كاول مدير للمجتمع الدولي في البوسنة والهرسك - فهو يخمن الصعوبات التي تواجه قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة في اعمال اعادة بناء او اعمار العراق واقترح اعتبار سبعة عناصر عند تجديد بناء الدولة ويركز هذا التجديد بصورة رئيسة على الفكرة القائلة ان بناء الدولة هي عملية معالجة وضع ما بعد الصراع. وهذه العناصر

هي:

٤٤٦ حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام السياسي

١. بناء بيئة آمنة، ٢- التحدي المركزي ليس إعادة البناء، لكنه يتمثل في بناء الدولة لإعادة البناء تعني آثار الجروح البدنية)، ٣- ان عملية بناء الدولة تتطلب منك ان تعرف الدولة التي تريد بناءها، مما يستلزم نوعا من اتفاقية سلام او دستورا؛ ٤- ينبغي ان يكون هناك تركيز مبكر على الشروط المسبقة لنمو اقتصادي بعيد الأمد، إعادة بناء او ترميم الجروح البدنية للحرب امر مهم.. لكن بناء بنية تحتية سياسية توحد القوى المتنافسة وتضمن نوعا من النظام يجب ان يكون دائما مركز الاهتمام. ولا بد من وجود تركيز على قضايا مثل، العملة الوطنية، نظام الجمارك، ونظام الضرائب، والقانون التجاري، والنظام البنكي، وإعادة حذولة الديون وازالة اي عقبة قانونية في طريق الوصول الى اسواق المال والبورصة الدولية. وان ايجاد فرص عمل وإعادة الطبقة المتوسطة الى النشاط، يعتبران السبب الاساسي لبلوغ استقرار طويل الأمد. وبدونهما، فان الاحباط والإستياء سيحبطان كل الجهود والمسااعي الطموحة والمبذولة لبناء الدولة؛ ٥- يجب ان يكون هناك تعاون خير مع الجيران للحفاظ على البيئة الاقليمية، ٦- كلما كان الدعم الدولي كبيرا، كلما كانت العملية اسهل، ٧- بناء الشعب يأخذ وقتا طويلا . ويستلزم موارد ومصادر اكثر مما يعتقد به معظم المحللين.

ان تعريف بيلدنت يسلط الضوء على الاختلاف بين نظريات بناء الدولة ونظريات إعادة اعمار الدولة. فإعادة اعمار الدولة يمكن تعريف بأنه العملية التي يمكن للدولة التي اعلنت استقلالها، من خلالها الحصول على الاعتراف التام باعتبارها عضوا في المجتمع الدولي. فعلى سبيل المثال، دخلت دول الاتحاد السوفيتي السابق في عملية إعادة بناء الدولة عند وبعد نيلها الاستقلال وقبولها كاعضاء في

منظمة الأمم المتحدة، وإقامة أبحاث جديد من العلاقات فيما بينها - علاقات دولية - وصارت تسمى مجموعة كومنولث الدول المستقلة. بينما يشير مصطلح بناء الدولة الى عملية تحلت بعد الصراع والتزاع. لذا فان فكرة إعادة بناء الدولة لا تعد عتصرا في بناء الدولة.

وبعد انهيار الإتحاد السوفيتي استغلت دول آسيا الوسطى الخمس الجديدة الفرصة لتأسيس طريقها الخاص بها، وانتهجت سياسة خاصة بها. ومن بين هذه الدول، تبدو - أوزبكستان وكأنها واحدة من اكثر الدول ترددا في توحيد كل العناصر القادمة من الماضي. وبدلا من مواجهة كل التغييرات الراديكالية والاندماج في دستور الدولة، اعترت كل هذه الاجزاء كاقسام سلبية للماضي ولهذا السبب فقد محيت من خارطة التراث. ويسمل ذلك فصول تاريخها وثقافتها كافة.

وقد اعترت الدول المجاورة لأوزبكستان بأن الماضي لا يمكن محوه وان دول آسيا الوسطى يجب أن تكون نماذج لدمج الماضي بالحاضر. لكن أوزبكستان تبدو مزودة جدا في هذه الخطوة وكانت تميل مثلا الى حرق وتبذ وبيع غالبية الكتب السوفيتية (التي كانت موجودة في المكتبات القليلة وبلا ثمن) كما اختارت أوزبكستان المحافظة على الأوزبكية باعتبارها اللغة الرسمية الوحيدة. وكانت النتيجة المباشرة لهذه الخطوة تهميش الغالبية العظمى من السكان الذين تعلموا اللغة الروسية حصريا. والنساء بالطبع يخضعن لهذا التغير الراديكالي والسريع. وهذه التعديلات، كما كانت الحالة اثناء الحكم السوفيتي، تخلق تحديلات وقبونا ثقيلة على اقسام من ثقافات الأوزبكيين وتقاليدهم وأديانهم.

ب - الزمن واعادة البناء.

يعد الزمن عنصرا اساسيا في عملية اعادة بناء الدولة فافتطاع وانتقال و بروز دول جديدة تتطلب كلها تحليلا لدور، او غياب دور، هذه الفكرة بالنات. وهناك اجواء عديدة تواجه فيها الدول بعض التعقيدات: في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وهنا هو السبب وراء وجود ازمة عديدة. وهذه الازمة تمثل تعبيرا عن قوى محركة وتناقضات مختلفة، وخاصة عندما تكون مصحوبة بفكرة المسافة او المدة، وفي حالة دول ما بعد الحقبة الشيوعية، حددت خطوات مختلفة نحو ايجاد التكيف للدول الجديدة.

وأول خطوة في إعادة بناء الدولة بالنسبة للدول الاتحاد السوفيتي يمكن ان تكون تاسيس اتحاد ككونفدرالي فيما بينها — ورغم ان هذه الفكرة بنت منطقية، إلا أنها سرعان ما نبئت، وكان يمكن لهذه الخطوة أن تشكل أول الطريق نحو الاستقلال وان تكون بعد ذلك طريقا لبلوغ الديمقراطية والزمن محدد بتواترات متوازنة للأحداث التي تدير العمليات الانتقالية. ويمكن للإتحاد الكونفدرالي أن يكون احد هذه التواترات. والخطوات الأخرى نحو الاستقلال يمكن ان تكون تشكيل اتحاد فدرالي بين هذه الدول، واتحاد اقتصادي واتحاد تجاري وغيرها.

والبعد الزمني امر مطلوب من اجل توضيح كيفية الاخذ في الاعتبار حدود اللاعبين في عملية اعادة بناء الدولة.

والفترة الزمنية القصيرة بين نيل الإستقلال وإضفاء النظام الدستوري على الدول الجديدة تعني أن المشاركين في عملية اعادة بناء الدولة في آسيا الوسطى لم يتركوا للزمن الفرصة ليكون محدد بتواترات متوازنة من الأحداث والوقائع. وأحد شروط

المرحلة الانتقالية الناجحة أخذ البعد الزمني في الاعتبار، ويمكن تعريفه خارج أو وراء أو حتى بجانب الدول.

وفي الاتحاد السوفيتي السابق، فإن المرحلة الانتقالية تقرر وتدير على يد نفس اللاعبين القداماء. وهنا ربما يوضح سبب حصول الانتقال بهذه السرعة دون مراعاة الحاجة لتبني سلسلة متوازنة من الأحداث.

وإذا كان هناك فراغ في السلطة خلال الفترة الانتقالية، فيمكن لأي أحد أن يتساءل فيما إذا كان ذلك الفراغ أجاز وقوع توترات متوازنة من الأحداث.

إن كل التغييرات الرئيسية يمكن إيجادها في الدولة ومن قبل الدولة ويمكنها أن تحدد نهج وإداء كل الأبعاد الأخرى مثل تأسيس حكم القانون. وكان ذلك يؤسس لفكرة الدولة، كقاعدة حقيقية للمجتمع الجديد الذي يعد القيمة المستديمة للحالة الانتقالية، وبغياب الزمن وتسلسل أحداثه الضرورية، فإن الدول في هذا السياق أعيد بناؤها وتركيبها بدلاً من تحويلها إلى الديمقراطية. عملية الديمقراطية في آسيا الوسطى محدودة. وقد بدأت مع تحفظ وتردد اليمين، ومظاهر المعارضة وعدم التجاوب وتحفظ وتردد اليمين، ومظاهر المعارضة وعدم التجاوب الواضح من قبل النظام السوفيتي مع حركة التحرر الحقيقية.

وقد تم إعادة توحيد جميع العناصر اللازمة لإيجاد النظام الديمقراطي وسيادة حكم القانون لكن لم تسنح الفرصة لتنظيمها، كما ذكرت دساتيرها، على هيئة أنظمة ديمقراطية.

فكل الدساتير تبقى مجرد وثائق مدونة لكن دون تطبيق عملي. وهذا هو السبب وراء دعوتنا لأن يكون القانون الدستوري العنصر المركزي لأي حركة انتقالية،

وهي الحالة التي كانت مفقودة في آسيا الوسطى.

وان دول ما بعد الحقبة الشيوعية تجتاز حالياً مختلف ابعاد الانتقال، ومنها الانتقال باتجاه تركيبة دولة جديدة . فالانتقال حركة تكون كل الاعمال فيها مرتبطة . ايجابيا وسلبيا . بالماضي والمستقبل، والانتقال من حالة لاخرى. والانتقال في دول الاتحاد السوفيتي السابق ذو ابعاد ثلاثة،

١. المبادئ الاشتراكية للتحدي - ويبدأ ذلك في وقت تكون فيه السلطة الجديدة مؤيدة ومواتية لإجراء اصلاحات ولإجراء انتخابات تعددية.
٢. الانتقال بحد ذاته - يتبنى المجمع الجديد دستورا واحكاما جديدة. إن تفعيل الدساتير، واحترام الاعراف القانونية وضمانات الحريات العامة تقدم تكريسا لتعبير مضبوط للصراعات والعداوات الاجتماعية. وهي تمثل مؤشرات لدرجة التعاضد لحركة الديمقراطية.

والعنصر الاساسي الآخر الى جانب الزمن هو النشاط الاجتماعي الفاعل المدرج في الدستور. فالانتقال يولد نظاما جديدا لقانون موضح من خلال حقيقة اجتماعية - سياسية. ويقوم شهود ولاعبو الحركة الانتقالية بتفعيل الاحكام القضائية الدستورية التي تمثل علامات مثيلة للطريق نحو سيادة حكم القانون. وجميع هذه الدول الحديثة النشوء تمتلك ماضيا مشتركا لكن تاريخا مختلفا. فالطاجيكيون والاوزبكيون من المقيمين والمواطنين الاصليين بينما تتسم المجموعات العرقية الاخرى من آسيا الوسطى بانها من البدو الرحل. وقد تم دمج وتوحيد كافة هذه القوميات في الدول الحديثة التأسيس بموجب سياسة القومية (الجنسية) السوفيتية. مع ذلك، يمكن لأي احد ان يبين كيف كان دور وتاريخ المرأة قبل

الاتحاد السوفيتي مختلفا تماما من بلد لآخر. ففي قرغيزستان، كانت النساء مقاتلات وحاكمات، كانت لهن الصلاحية لتوقيع الاتفاقيات والمعاهدات وحتى قيادة العمليات العسكرية، اما في كازاخستان، فيمكن لهن ترأس الجمعيات، وفي اوزبكستان وطلاجيكستان، كانت للمرأة فقهية وواعظة والشائع ان النساء في جميع هذه الجمهوريات كن يمارسن دورا مهما كععالجات للأمراض.

٢- مواصفات المرأة: من الزوجة الى الالفة

١- مواصفات المرأة قبل الهيمنة السوفيتية، بين الاسطورة والحقيقة.

تعد المرأة في كازاخستان وقرغيزستان الجزء المركزي للعائلة ومجورها. ويمكن توضيح ذلك بطريقة الحياة البدوية. فالاسرة تحتاج للمرأة للبقاء وادامة الحياة، والمرأة مطالبة بان تكون شجاعة وتصارع من أجل الحفاظ على اسرتها. وفي قرغيزستان، ينظر للمرأة كعنصر اساسي لوجود الشعب، بناء على الاسطورة القائلة با، معنى كلمة قرغيز، هو اربعون فتاة.

وتدعي الاسطورة انه منذ زمن بعيد عاش ملك يسمى بادوشا، كانت له ابنة واحدة. وكانت ابنته تشعر بالوحدة، لذلك قرر وضع أربعين خادمة شخصية تحت تصرفها وبنى قصرا خاصا بهن. وفي احد الايام وبينما كانت الفتيات يسرن قرب احدى البحيرات، شاهدن رعوة تغلو الماء فقررن السباحة في الماء. بعد ذلك اكتشف احدهم بان الفتيات باجمعهن اصبحن حاملات.

فامر بادوشا بارسالهن الى الجبال البعيدة وتركهن هناك.

ثم ولد الشعب القرغيزي من بطون هذه البنات.

والى جانب اهمية النساء في نشوء البلد، فانهن يشكلن جزءاً من الطائفة الدينية (اللة). وهكذا، في تركمنستان، فان اديان الالهات اناهيت، واوماي، وماميك، الهات الخصوبة، والماء، والماوى، والارض والبيت على التوالي، معروفة على نطاق واسع. وخصوصية الالهة اوماي ينبغي اعتبارها مساوية للإله (تنغرى) الذي هو الإله الأعلى في النظرية التركية في نشأة الكون.

وتتملك بعض الشخصيات النسوية ممثلات حقيقية قادمة من التاريخ. وتراس بعض النساء عشائر وقبائل من قبيل عشيرة كانيكاي (Kanyke) المعروفة، الزوجة الثالثة لماناس (Manas) وطن الاسلاف، فهي ينظر اليها كزوجة ذكية، وخياطة ماهرة، وزوجة مثالية وكريمة ونبيلة (وحتى اعلاؤها امتدحوها). ويروي ابوس (Epos) تاريخ الشعب القرغيزي، والجزء المتعلق بكانيكاي يعتبر الزاميا في مناهج المدارس الابتدائية.

وفي القرن السادس عشر، جسد الخان جوغل مورسار ايضا صورة نساء قويات كمؤلف لانتصارات عديدة ضد خانات محليين (الخان؛ لقب لخلفاء جنكيز خان) لكن اشهرهم. وبسبب قرب من تاريخ الشعب القرغيزي، هو الخان كورمانجان ناتكا التي تمثل جزءا من بناء الهوية الوطنية والنسوية لقرغيز الحاضرة. وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت هذه الخان معروفة بحساسيتها القوية. وأصبحت بعد ذلك نموذجا لنساء قرغيز. وولدت امراطورة (الاي) في العام ١٨١١ في احدى قبائل البدو من المنطقة الواقعة شرقي وادي فرغانا (Fergana) وعند بلوغها الثانية عشر رفضت التقيد بالتقاليد والآداب الاسلامية. وكما هو التقيد في العديد من البلدان كما في اسيا الوسطى، نرى هذه تكتشف حقيقة

زوجها في اليوم الاول من زواجهما وترفض العيش معه. وتم توضيح ذلك عبر رفضها لاتباع شخص لم تعرف ولم تحب. فقد تزوجت منه لمدة سنتين لكنهما عاشا منفصلين عن بعضهما البعض. وظهر في النطقة رجل معروف بنا عليه بأنه سيصبح شخصية بارزة باسم عليم بيغ (Alymbek) وتمكن بنفوذه وسلطانه من اطلاق سراح المرأة الشابة من اسر زوجها واصطحابها معه وفي العام ١٨٣٢، تزوجها سيد الاي، عليم بيغ داتكا، بعد نبذه من قبل زوجها الاول الموافق. وعند موت زوجها، احتفظت كورمانجان بسلطتها على الاي بكل ما اوتيت من قوة. وبالرغم من انحيازهم الموروث (من الشرق) فيما يتعلق بالنساء، احس حكام كوكاند بضرورة الموافقة على تسمية كورمانجان بعنوان الحاكم الرئيسي لاي تحت لقب داتكا. وعندها اضطر الحاكم المطلق لكوكاند خيدايار - خان، والمعروف بخطرسته، الى الاجتماع مع كورمانجان داتكا، بما انها كانت ابرز شخصية آنذاك. وخلال سبعينات القرن التاسع عشر قدمت روسيا بقواتها الى اراضي كوكاند خانيته. وفي الوهلة الاولى قاومت كورمانجان داتكا جيوش الامبراطور الابيض، في المنطقة. وقبل وفاتها، كافاها الامبراطور ترمينا لعملها ومقاومتها.

ب - الفترة السوفيتية: الاساطير الضائعة:

لقد تمكن النظام السوفيتي من تعديل دور ومكانة المرأة في اسيا الوسطى وبقوة. وكانت النماذج الرئيسية التي تمثل النساء هي صور الامهات، والطباخات، والمنظفات والزوجات. والى جانب هذه النماذج المعروفة على نطاق واسع، طورت مجموعات معينة سلسلة اعرض من ممثلات النساء لكنها كانت محدودة في النظام السوفيتي. وادى هذا السقوط مرة ثانية الى وقف بعض التطورات.

وأحد الأبعاد التي غيرها السوفييت تتعلق بأشكل المرثي، للنساء؛ اذا أصبحن سوفييتيات كان عليهن ان يتخلين عن ملابسهن التقليدية وعاداتهن الموروثة. واثناء فترة حكم ستالين، كانت حركة النساء، هيلجيم، (Huljum) إحدى مخلفات الحملة السوفييتية ضد تقاليد آسيا الوسطى القديمة. وكانت هذه الحركة معنفة خصيصا لنزع اللباس الشعائري للنساء - بارانجا - وكشف وجوه النساء في آسيا الوسطى من اجل ارسالهن الى اماكن للعمل الجماعي. ولأول مرة في العام ١٩٢٥ شاركت النساء في حدث عام، استعراض لرجال ونساء يرتدون اللباس والحجاب التقليدي، ويسرون سوية. وبتاريخ ٢٦ مارس ١٩٢٧، وخلال احتفالات رأس السنة الجديدة (الشمسية) «نوروز»، ظهرت أولى النساء المترجات امام الملأ العام.

وقد برزت هذه الظاهرة لستين قلانس قبل نشوء الاتحاد السوفيتي. وهكذا قررت النساء الأوائل في العام ١٩١٦ في اوزبكستان، خلع ملابسهن التقليدية الملونة، قبل وجود الاتحاد السوفيتي، وتبقى اسماؤهن وثوار يخهن مجهولة تماما حتى لو كن النساء اللواتي بنان تحطيم حاجز الماضي وعلان الانفصال عنه. ومن اجل ان نفهم حقا معنى هذا العمل، الجري، والتطور الذي يمثله، علينا ان نضع في اعتبارنا انه قبل اربع سنوات من ذلك، وفي العام ١٩٢١ في بخارا، جرى اعتقال مجموعة من النساء بقيادة الناشطة المعروفة اوتمار - شتاين (Otmars-Shtane)، وذلك لخروجهن الى الشارع في يوم عطلة دينية للمسلمين وبهذا التصرف، فانهن قد خرقت القانون القديم والنافذ، الذي كان يحرم على النساء المسلمات المشاركة في مثل هذه الاحداث، وكان بإمكانهن مشاهدة النشاطات العلنية والعامه من سطوح منازلهن فقط.

ومنذ سنة ١٩٣٢، حيث أعلن رسمياً عن تأسيس جمهوريات الاتحاد الاشتراكي السوفيتي، كانت النساء مضطرات الى مكافحة الهويات الثقافية والمتعددة اللغات. ولم يعد كافياً لامرأة كاراكالباك (Karakalpak) ان تعلم اطفالها بهذه اللغة والثقافة، بل كان عليها ان تضيف اللغة والثقافة الروسية اليهما، واصبحت هويتها تلك وبشكل مفاجئ جنسية، كان المفروض عليها اضافة المواطنة السوفيتية اليها. وقد ادى وصول الثقافة والتقاليد السوفيتية الى ايجاد التجانس والانسجام فيما بين الهويات المختلفة للشعوب السوفيتية .

وبالاضافة لذلك، فرض السوفيت على كل المواطنين مساواة صارمة بين الرجال والنساء. وهكذا اضطرت النساء الى العمل، واستلام نفس رواتب الرجال ونفس المزايا الاجتماعية، وكانت لهن نفس الحقوق المدنية واعتبرت متساويات مع الرجال امام القانون. هكذا كانت الحال لجميع سكان جمهوريات الاتحاد السوفيتي ويأتي هذا التوحيد في التعامل لجميع الناس من فكرة الوطن السوفيتي (homo-sovietus) التي ولدت في العشرينات.

وان تطبيق هذه الفكرة اجاز السيطرة والرقابة ضد انواع التمييز الذي كان احد شعارات الدعاية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي وكما ذكر في العام ١٩٢٧ في تقرير للحزب الشيوعي في اوزبكستان، نشاط المرأة الواسع النطاق مع اقحام مكثف للنساء في الحياة الاجتماعية بكون منتشر في كافة ارجاء منطقة آسيا الوسطى، والبنية بحلول نفس السنة (١٩٢٧)، حيث يتسلم دورا تخطيطيا بشكل مستمر. وفي الواقع، ان الاشكال الجديدة التي فرضها السوفيت لم تكن جديدة اذا قورنت باوصاف وصور النساء التي كانت موجودة قبل العهد السوفيتي.

وقد جعل السوفيت في الواقع هذه الصور جزءاً من النظام القانوني الالزامي وساهموا في نشرها في كل مكان. والتفكر الماركسي اللينيني ينظر لنساء آسيا الوسطى كعبيد لتقاليد قديمة وبربرية - اسلامية وعرفية - او جاريات للرجال وللأسرة وللقبائل التي لها السلطة المطلقة على المرأة. ولهذا السبب فرض على الجميع قراءة وتعلم اللغة الروسية كامر الزامي من اجل استبدال وتغيير هذه التقاليد التي كانت سائدة في دول آسيا الوسطى. وخلال حكم الاتحاد السوفيتي، تعلمت ٩٧% من النساء القراءة والكتابة. وتم تثبيت مشاركة المرأة في الاسلوب السوفيتي الجديد بخصص كانت الزامية لكل حرفة ومهنة. لذا، كان التزام البيت هو الوسيلة الوحيدة للتهرب من فرض الفكر السوفيتي. لكن عند انهيار الاتحاد السوفيتي بدأت مرحلة اعادة اعمار جديدة مرة ثانية لكل واحدة من دول آسيا الوسطى المستقلة حديثاً.

٢- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي: أثار الكارثة :

١- الدور في المجتمع، اثناء التقاليد،

في الوقت الذي لم نختلف فيه التقاليد والثقافة في الاتحاد السوفيتي بشكل كامل. شاهدنا اختفاء جميع النساء السوفييات مع انهيار الاتحاد السوفيتي. وفي الحقيقة، تحولت النساء السوفييات الى المنظمات الدينية والاجتماعية التي اسست الى جانب اجهزة الدولة. وتشترك جميع هذه النساء في نفس الدين، وهو الاسلام حيث يعترف الجميع بأن الاسلام هو الدين الاساسي للمجتمع. وفي هذا المجال فهو قريب من الشيوعية، وهو النظام السياسي الاساسي للمجتمع. وقد شجع الحزب الشيوعي على

كافة اشكال وصور التجمعات النسوية مثل نوادي وجمعيات المرأة التي يمكن للمرأة ان تستمد العون والدعم منها. والاسلام اليوم يوفر للنساء الفرصة للالتقاء وتشكيل جماعات وجمعيات وتجمعات والاشترك في هموم ومشاكل الحياة الخاصة واليومية. ويمكن للنساء الالتقاء في ندوات او كافة الاحتفالات والاعياد الدينية (عيد، نوروز، حفلات الزواج.. الخ) والنساء هذه الايام يشاركن في جميع الاحتفالات : ايام الولادة، وحفلات الزواج، والختان، ومراسم التشييع وغيرها، التي تنضم غالبا على الطريقة الاسلامية الشعبية. وهذا يعني ان النساء مسؤولات عن نقل جزء من التقاليد والثقافة من جيل الى جيل.

ورغم اعتراف دول آسيا الوسطى بالاسلام بعنوان دين الدولة الرسمي، إلا أنها فرضت قيودا على ممارسة التقاليد والشعائر الاسلامية فزمن اجراء الاحتفالات او المراسم حدد بايام قللت بعدما كانت تستمر لاسبوع كامل في السابق، كما تم ضبط وتنظيم مقدار المال الواجب انفاقه في مراسم الزواج، وغير ذلك. وتبدي النساء سخطن ازاء ذلك ويرغبن في الانفصال والابتعاد عن دين الدولة الرسمي. وهذه الاحتفالات مهمة لهن بما انها تشكل ايقاعات متوازنة في حياتهن. كما تؤدي هذه الاحداث الى تطوير الفرص لتقوية ارتباطات النساء بالعالم الاسلامي التركي - الايراني وكذلك دورهن في نقل الثقافة والقيم. ورغم حقيقة ان الدول المستقل حديثا انشئت دون دمج مواطناتها. الا ان نساء آسيا الوسطى يمتلكن نفوذا قويا على مجتمعاتهن من خلال نشاطاتهن الدينية. وتعد المظاهر الثقافية والدينية بابا صلبا للاندماج والتلاحم الاجتماعي - والعلاقات التي تبنيها النساء في هذا السياق تنم عن روابط اجتماعية تماما مثلما تنتجها سائر الاحتفالات مثل الندوات والنقاشات

العائلية (giaps).

وقد شهدت الروابط العائلية عدة تغييرات منذ انطلاق حركة البرستوريكا (اعادة البناء). فقد تدنت معدلات الزواج بينما شهدت حالات الطلاق تزايدا ملحوظا. وبالنسبة لآسيا الوسطى، بلغ متوسط سن الزواج ٢٠ عاما للنساء. و ٢٤ عاما بالنسبة للرجال، وهي اعمار أقل مما كانت عليه خلال سني الحكم السوفيتي. وكان تعدد الزوجات محرما ايام الحكم السوفيتي ويبقى مجرد عرف تقليدي. ويفسر غالبا كوسيلة لزيادة مدخولات وعائدات العائلة او عادة تقليدية للثراء - وفي آسيا الوسطى تضاعف دور النساء عند انهيار الاتحاد السوفيتي وغالبا ما حد دور المرأة في وظائف وواجبات البيت او العمل في المزارع مثل جمع القطن. وان ادوار النساء. ومشاركهن في عمليات اعادة البناء تختلف في جميع دول آسيا الوسطى الخمس. ففي كازاخستان تصنف النساء على اساس الجمعيات الدينية، وهو البلد الوحيد الذي يتبع هذا التصنيف. ومن الصعب مقارنة القيادة النسوية فيما بين جمهوريات آسيا الوسطى. فهي تمتلك تاريخا مشتركا لكنها تختلف في الموقف ازاء حركة الاسلامة والمشاركة في بناء المجتمع. وفي طاجيكستان واوزبكستان يتم ذلك بشكل غير رسمي في المقاطعات (المحلات) والاجتماع العام للمواطنين داخل المحلة هو المجلس الاعلى للحكومة الناتية للمواطنين، الذي له صلاحية لاتخاذ القرارات وفض النزاعات بين اهالي المحلة. وبالنسبة للنساء، تبقى الاهداف نفسها، خلق اجواء مستقلة من اجل ايجاد وحدات مترابطة في المجتمع الاسلامي، واذا كانت تقاليد الاسلام وثقافته باقية رغم فترات الحكم السوفيتي، فان ذلك يعود ايضا لحقيقة ان النساء لعبن دور الراعي والحارس على الحياة الدينية حتى لو كان ممارسة ذلك

الدور امرا صعبا (ومايزال صعبا في اوزبكستان وتركمنستان).

إن الحياة الأسرية للمرأة مندمجة مع بنى وهياكل المجتمع. فحفلات زواج أعضاء الأسرة تنظم داخل العائلة ومن قبلها. والحياة الشخصية مازال شيئا مشتركا بين اهالي المحلة، فهم يشتركون سوية في المحطات التي تعطي المجتمع ايقاعا متوازنا. وفي كل محلة توجد امرأتان مهمتان، واحدة تسمى عالة الدين الجهولة (Otin) والثانية المعالجة. والمرشدة الدينية (otin-oyi) تستهل التعليم الديني للأسرة، التي تشمل النساء والاطفال والجوار كما تعمل كمستشارة في الشؤون الخاصة بالمرأة. وتتمتع هذه المرشدات بالسلطة للتدخل في الحياة الخاصة بهدف حل وفض المشاكل الشخصية والعائلية. وفي حالة وقوع نزاعات جديدة تمتلك هذه المرشدة الدينية (الروحية) الصلاحية لتصلح الزوج بل وحتى التوصية بضرورة ان يترك الأسرة.

وخلال فترات الحكم السوفيتي، كانت لجان محلية تدير كل امور المحلة. اما اليوم، فقد تم استبدال هذه اللجان بملتقيات عامة للمحلة. والحياة الجماعية في هذه المحلات تكون خاضعة بنحو وآخر للسيطرة والتحكم. ويمكن تشكيل لجان فرعية تكون مهمتها تنظيم حفلات الزواج او مراسم تشييع الموتى. وإن منصب نائب رئيس هذه اللجنة يعطى دوما لامرأة تترأس لجنة فرعية مخصصة لامور النساء والاسر. وفي المقابل تتمتع هذه النساء بالحماية. والمرأة تستغل هذه المؤسسة الاجتماعية لحماية تقاليدها، رغم ان ذلك يمكن القيام به احيانا بشكل سري ومخفي. فمثلا في اوزبكستان استفادت النساء من مهمتهن هذه لبناء هوية اجتماعية جديدة لهن من اجل المشاركة في إعادة بناء مجتمعها.

اما في كازاخستان وقرغيزستان فقد نجحت النساء في الحفاظ على الحرية الموروثة من التقاليد السيرية، فالاسلام والحركة التنظيمية الجماعية لم يتمكنوا من القضاء على هذه التقاليد، بل على العكس من ذلك حيث تم تعزيز وتقوية هذه التشكيلات القبلية والاسرية من قبل هذه الانظمة التي بنيت على اساس المجتمع.

والاكثر من ذلك، تبقى التقاليد القديمة محتفظه بوجودها في المجتمعات الراهنة. فمثلا، السيدة رافعة المشاكل، والسيدة الثلاثاء هما كائنات غير منظورين ويعتبران وصيات على الاسرة. وهذا الاعتقاد مرتبط بالشخصية الصوفية لبهاء الدين نقشبند (١٢٢١-١٢٨٩)، مؤسس الطريقة النقشبندية الصوفية. وقبره موجود قرب بخارا باوزبكستان، وهو معروف في اوساط مسلمي اسيا الوسطى والنساء اللاتي يتبعن هذه الطريقة يعتبرن غالباً كقدسات ويمتكن القدرة لصنع المعاجز لكن كل هذه التقاليد تسهم في وضع اساس لآليات لازمة لاعادة بناء المجتمع بدلا من استراتيجيات لاعادة الاسلمة. وان لانعدام التزامات الدولة او نقاط ضعفها آثار وتبعات شبيهة بتلك الناجمة عن استبدالها بعؤسسات دينية وتقليدية ويقترن ذلك بحظر على التعبير عن مصيرهن، الذي يجب اخفاؤه (وهذه الحالة تختص بها اوزبكستان وتركمنستان).

ب- الدور الحاضر، الأزواج مقابل العاملين،

بعد سنة ١٩٩١ الغيت عدة امور مثل العمل الجماعي، والاقتصاد الرفه والسياسة المركزية المتشددة، تماما كما انهار الاتحاد السوفيتي. وتبقى بعض وصمات العار موجودة، عمل الصلحة العامة بالمجان (في حقول القطن) Subbotnik، التي تشارك

المرأة في مرحلة اعادة بناء الدولة في آسيا الوسطى ٤٦١

فيها النساء بشكل مكثف. وفي الوقت نفسه، تغير وضع المرأة في كافة دول الاتحاد السوفيتي، وكانت هي المسببة لأكثر تبعات وعواقب الانهيار وافريها. فالنساء كن اولى المستهدفات بالآزمات الاقتصادية الحادة. وفي العام ١٩٩٧ كانت معدلات البطالة في آسيا الوسطى بين ٧٠% و٨٠% وهكذا قيل ان على المرأة ان تنذر نفسها لخدمة زوجها والاسرة لنلا تشغل مواقع العمل الرجال.

وهناك حركة لتأسيس جمعيات رسمية للنساء طوال سنوات الحكم السوفيتي. وباعتبارها قسما من اضرابات النساء لتحقق العدالة الاجتماعية، اقلحت هذه اللجان والتنظيمات الادارية في صراعها المستديم ضد تعدد الزوجات واخضاع العروس. وساهمت في نوعية المجتمع حول حقوق النساء المطلقات والارامل وكذلك توسيع حملة مكافحة الامية. ويقدم رؤساء الجمعيات الاسلامية هذه الايام بعض الدعم في هذه المجالات. وهدفهم تقليل آثار التغييرات الاجتماعية والاقتصادية، التي تدفع الى حدوث انواع الانتهاكات لحقوق النساء، مثل التمييز، وانعدام الاعلام حول حقوق المرأة، والبطالة، والعنف البدني (الضرب).

ودور المرأة في الميدان السياسي في تطور مستمر. فقد ترشحت بعض النساء لمناصب حساسة في العمل السياسي في قرغيزستان، مثل روزا ايزاكوفا اوتونبايف وزيرة الشؤون الخارجية السابقة، وجولبون تورسونوفا رئيسة المحكمة العليا، وكذلك توكون ازانوفا جيلبوا التي تمثل الحزب الديمقراطي للنساء لقرغيزستان في البرلمان، وقد تأسس هذا الحزب السياسي للنساء بهدف اعلان الاستنكار لتحقير طريقة عيش المرأة والمخاطر المحدقة بمكانتها في المجتمع منذ الاستقلال.

فهذه الدول المستقلة حديثاً تمتلك مراكز أقل للنساء منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، وذلك يعتبر الأثر المباشر للتخلي عن نظام الحصص. وتبقى الشخصيات النسوية التي مارست الحكم موضعاً لمصالح شخصية. وفي أوزبكستان درست ابنتا الرئيس كريموف في موسكو الاستعداد لتولي الحكم محل والدهن. والسيدة الأولى لقرغيزستان، مريم أكاييف، تعمل ممثلة لعدد كبير من الجمعيات الخيرية، رئيسة مجلس إدارة (Meerim) صندوق الإحسان الدولي لدعم الطفولة والأمومة، الذي أسسته هي في العام ١٩٩٣، ورئيسة الصندوق الدولي لنجدة قرى الأطفال بقرغيزستان، ورئيسة جمعية مدارس ونوادي منظمة اليونسكو في جمهورية قرغيزيا. ومما يثير الغرابة، أن غياب النساء في ميدان العمل العام تم تعويضه بشكل وآخر بحقيقة أن بعض النصب التذكارية للينين وأستالين وماركس أخذت تستبدل بصور للنساء. وفي الوقت نفسه، أخذ القادة السياسيون يذكرون بأهمية المرأة بعدد كبير من الاهتمامات القليلة وعرفت سنة ١٩٩٩ بعام النساء وفي مخطط الصورة الضعيفة للمرأة، يبقى الاحتفال بيوم المرأة حدثاً كبيراً للجميع في كافة دول الاتحاد السوفيتي السابق وفي الثامن من مارس يمكننا أن نشاهد الرجال وهم يحملون باقات الورد في الشوارع (لاهدائها لزوجاتهم) - هذه الباقات تقدم لنساء الأسرة لكن من المهم أيضاً أن تقدم للزميلات في العمل.

وكانت موسكو تشجع على سياسة المساواة بين المرأة والرجل في كافة أرجاء جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. كما كانت تشجع النساء على متابعة الدراسة والعمل خارج المنزل - ومنذ الانهيار، حتى لو تستمر جميع دول آسيا الوسطى في دعم نفس هذه السياسة عبر البرامج والاحتفالات، فإن النظام الاقتصادي قد تغير

بالكامل. وفي العام ٢٠٠١. كانت نسبة النساء العاطلات عن العمل في اوزبكستان ٦٢٪ من مجموع السكان (في حين كانت النسبة بين الرجال ٣٧٪). وللفرار من الاقصاء المتنامي كان على النساء تنظيم نوع مختلف من الاعمال. ومن اجل البقاء، تحاول المرأة تجنب القوانين المطبقة على العمل، التي تفرض العديد من القيود والاختناقات عبر التعامل مع اقرب الجيران، وبالاخص روسيا والصين والهند وتركيا. وتقوم النساء بشراء سلع ومنتجات مثل مستحضرات التجميل والملابس من اجل بيعها في بلدانهم ايام الاحتفالات والاعياد. وفي اوزبكستان غالبا ما تبادر السلطان الى غلق كل حدودها مع جيرانها لمنع هذا العمل المنافي للقانون. ومع اشراك الزبونات، وازواجهن، يعبر هؤلاء مع السلع الضرورية للماعة من الجمهوريات القريبة في مقابل مبلغ ضئيل من المال او للمنتجات. ويبدو للمرة الثانية ان استخدام النساء يمكن ان يشكل منفعة حقيقية لتسهيل العمل اللاقانوني وغير مدفوع الاجر. فقلما ما يتم تفتيش المرأة او التحقيق معها. وقرب الحدود، يمكن سماع كل القصص حول افضل الطرق الخفية لعبور بضائع مثل اجهزة التلفاز او الدجاج. وبسبب البطالة المتزايدة، فالنساء يجدن الطرق للمساهمة في اعالة الاسرة، لكن المستقبل يبدو كئيبا بسبب محدودية الادوية والوسائل اللازمة لدمجهن بشكل اكثر فاعلية.

وخلال الحكم السوفيتي، كان التعليم ادارة للداعية. لذا فالحصول على التعليم كان امرا سهلا وكانت المدارس باجمعها مزودة باساتذة اكفاء وبالكتب. وكانت كل الوسائل المستعملة فيها تأتي من موسكو. واحدى نتائج الانهيار وقشل الحكومات الجديدة في الحفاظة على هذه السياسة تكمن في التمييز والتفرقة في التعامل مع البنات. واستنادا لتقرير اعدته الامم المتحدة كان التمييز ضد البنات

بالنسبة لحصولهن على التعليم ظاهرة متنامية في اجزاء من آسيا الوسطى منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. وفي كلام لاحد الطلبة في دوشنبه، ان العديد من الآباء والامهات قلقون حول كيفية تحصيل كميات كبيرة من الاموال لانفاقها على دراسة بناتهم واولادهم. والبعض منهم يعتقدون انه من الافضل، وبدلاً من الانفاق على البنات اللاتي سيصبحن زوجات، ينبغي التمويل أكثر على الاولاد الذين سيكون عليهم العمل والكسب لاعالة أسرهم ووالديهم. لذا والى جانب العدلات المتزايدة للنساء الاميات منذ بداية التسعينات، تضاعفت نسبة النساء على مختلف المستويات ومنها شهادة الدكتوراه. ويبين بحث اعد في العام ١٩٧٧ بان عدد النساء المسجلات في مراحل التعليم العالي يتضاعف. فمثلاً تضاعف عدد المسجلات في المعهد المالي والبنكي من ٦٥ ٪ في العام ١٩٩١ الى حوالي ٢٥ ٪ في العام ١٩٩٧. وان الاستقطاعات في التمويل الحكومي للجامعات والتي حدثت بالعوائل الى تمويل نسبة مئوية اعلى من اجور التعليم، جعلت عوائل كثيرة في وضع لا يمكنها معه تأمين نفقات الدراسة لأكثر من طفل واحد، اما الابن او البنت. ويبين التقرير ان الدراسة الجامعية تسوق للنساء نحو اعمال تؤديها النساء بشكل تقليدي وتقتصر على مديري الادارات انتهاج سياسة تحظر على النساء دخول ساحات عمل معينة. واطول الفواصل في التعليم بين الذكور والاناث تظهر اكثر في اوزبكستان وطاجيكستان وتبلغ نسبة الاناث في جامعات اوزبكستان ٣٠ ٪ في حين تشكل نسبتهن في جامعات طاجيكستان الربع. وفي اوزبكستان تزداد الاسر في ارسال بناتها الى المدارس، وذلك لانهن يمكنهن كسب المال بشكل مباشر واسرع في البلدان المجاورة، كما ان الاسر تخشى من فقدان السيطرة على افراد الاسرة. ومن جهة اخرى فالوضع يشجع الاسرة على هذه

الطريقة. وبشكل خاص في اوزبكستان، تغلق الجامعات العامة ابوابها. الواحدة بعد الأخرى بينما تفتح الجامعات الأجنبية الخاصة ابوابها للطلبة. وحسبما قال المدير العام لمنظمة يونسكو، ان التكافؤ الجنسي في التعليم يحظى بالاولوية ليس فقط لان عدم المساواة يعتبر انتهاكا صارخا لحقوق الانسان الاساسية، بل لأنه يمثل عقبة مهمة في طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية. ويمكننا ان نشرح الآن سبب تزايد عدد حالات زواج الفتيات الصغيرات في البعض من جمهوريات آسيا الوسطى. وحسب قانون اوزبكستان، لا يمكن للشباب الزواج رسميا الا عند بلوغهم سن السابعة عشرة، لكن الوالدين يقبلان بتزويج بناتهم في اعمار صغيرة، وذلك كله او لتفادي مشكلتين على الاقل، دفع اجور تعليمهن في الجامعات، وثانيتها ايجاد عمل بعد انتهاء الدراسة. لكن يحدث احيانا ان يقوم الوالدان بتزويج البنات بسبب الفقر والبطالة. وبعد ذلك يمكن لاحدنا ان يشرح سبب عودة ممارسة طريقة كاليم (Koly)، المعروفة باسم المال مقابل الحليب وربما يكون هنا هو السبب وراء بقاء التقاليد وتقوية اسسها كرد فعل لهذه المشاكل المتزايدة.

الخاتمة:

ان حرية تشكيل الجمعيات، وعدد المنظمات غير الحكومية ونشاطاتها يمكن ان تقرا كمؤشر لمستوى الديمقراطية. كما تعتم رمزاً لرض الدولة المرهفة. وفي دول آسيا الوسطى، تعد المنظمات غير الحكومية وحرية تشكيل الجمعيات نشاطات محدودة جداً. والمكان الذي يكون فيه من الاسهل ايجاد جمعية هو في كازاخستان، وبهذه الطريقة يمكنهم فقط كشف الدور المتضائل للنساء.

ومازال من غير العلوم ان الدور المعضد والمتزايد للنساء في اعادة بناء المجتمع كان يمكن ان يكون له تبعات لرفع مستوى حركة التصنيع والتنمية في دول اسيا الوسطى .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي، شهدت مشاركة النساء في الحكم وادارة امور الدولة تناقصا حادا. والمعيار الذي تطور اثناء الحكم السوفيتي، والتمثل بمساواة دقيقة بين المرأة والرجل في الصورة والدور، لا يمكن تطبيقه في مرحلة اعادة البناء لدول اسيا الوسطى . وهذا المعيار لم يكن دائما على تطابق مع المعتقدات. لكن لا يمكن لاحد ان ينكر ان النساء عرضت عليهن سلسلة عريضة من الفرص المرتبطة بواجباتهن الاجتماعية (التعليم والمشاركة في الحياة السياسية وغير ذلك). وبالمقارنة مع العقد الماضي، فان مستوى التعليم والمشاركة في بناء الحياة العامة تصبح يوما بعد آخر اكثر محدودة.

وتختلف ادوار النساء وصورهن من بلد لآخر. وان تقديم النظام السوفيتي، ومعيار المساواة بين الرجل والمرأة، وجدا احساسا مختلفا في قرغيزستان واوزبكستان. لكن انهيار الاتحاد السوفيتي مع ذلك كان له الآثار نفسها للنساء في ارجاء اسيا الوسطى كافة، اقل الفرص للحصول على التعليم، والعمل للعدالة.. ان انهيار الاتحاد السوفيتي له تأثير مستمر على جميع شرائح السكان لكنه ولد اضطرابا للنساء اكثر من الرجال. وفي هذا الخصوص لم يتمكن المعيار السوفيتي وطوال ٦٧ عاما من التغلب على التقاليد القديمة التي تعطي الافضلية للرجال على النساء. وتعهد للرجال ادوار محددة حرمت منها النساء، وخاصة وفي تلك الظروف - اي مرحلة اعادة بناء اخرى.

ترجمة، حسن نجفي

مسؤولية المرأة عن دعم كيان الأسرة في النظام الإسلامي

أ.د/ محمد النسوي

عضو الجمعية العمومية للمجمع العلمي للتحريب

بزن المناهب الإسلامية

الأسرة والمجتمع:

إن علماء الاجتماع على تباين مشاربيهم ومذاهبهم يجمعون على إن الأسرة عماد المجتمع، وقاعدة الحياة البشرية، وإنها إذا قامت على أسس قويمه سليمة استقرت أحوال المجتمع، وتوطدت أركانها. فإذا وهنت قواعد الأسرة، والأسس التي تقوم عليها ولم يتحقق لها أسباب القوة على اختلافها اضطربت أحوال المجتمع واختل توازنه.

إن الأسرة هي النموذج الأساس لتكوين الشخصية، بل هي المهندس الأول الذي يضع تصميم هذا التكوين^(١) وأهمية الأسرة وأدورها في المجتمع وجهت الرسائل الإلهية نحوها قسطاً كبيراً من العناية والرعاية.

وجاءت الرسالة الخاتمة التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم بالتشريعات التي تحفظ على الأسرة قوتها والقيام برسالتها كما ينبغي أن تكون، لتظل دائماً خلية صالحة في جسم المجتمع، ولينية نقيه من شوائب الضعف، تدرأ عنه عوامل التخلف والإنحلال.

١ - انظر دور الأسرة كإداة للضبط الاجتماعي في المجتمع للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور، ص ١١، ط الرياض.

أساس بناء الأسرة:

الزواج الشرعي هو أساس بناء الأسرة، وبدون هذا الزواج لا يمكن أن تقوم أسرة، فهو الوسيلة الإجتماعية التي تكسب الأسرة طابعها الشرعي وطابعها الإنساني، وقد عني الإسلام بالزواج عناية خاصة تفوق عنايته بابة علاقة إنسانية أخرى، ومن شواهد هذه العناية أن لعقد الزواج منزلة خاصة من حيث موضوعه ووجوب إشهاره والاحتفاء به، وإن الأصل فيه التنجيز والتأييد.

إن موضوع عقد الزواج هو الإنسان، والإنسان أكرم المخلوقات فكان عقد الزواج أكرم العقود، لأنه يمثل ارتباطاً مشروعاً بين الرجل والمرأة، ارتباطاً سماه القرآن ميثاقاً غليظاً، ولأن الإسلام جعل له مقدمات، يأتي على رأسها حسن الإختيار والرغبة المشتركة، حتى يظل هذا الميثاق حياً قوياً يعبر عن علاقة الإمتزاج الكامل بين الزوجين فهما به أصبحا كفرد واحد.

منزلة المرأة في الأسرة:

إن المرأة هي العمود الفقري للأسرة أو هي في الأسرة كريان السفينة في البحر اللحي لا يعقل عن حمايتها من جميع الأخطار، ومن ثم لا يغمض لها جفن ولا يهنا لها بال إذا الت بمملكته نازلة من النوازل وتبذل كل جهودها لوقاية أسرتها ما قد يهدد أمنها وسعادتها، فلا غرو وأن كان حظها من الإحسان إليها وحسن صحبتها ثلاثة أمثال حظ الرجل.

إن مقولة إن كل عظيم وراءه امرأة، مقولة صحيحة، لأن المرأة هي التي تهين لحياة الأسرة كل أسباب النجاح والفلاح والتفوق والتجديد وتدرا عنها كل عوامل

الإخفاق والتخلف والتقليد.

ولذلك كانت بتنص الحديث الشريف في بيتها راعية ومسؤولة عن رعيته، وهذه الرعاية لها جانبان، مادي ومعنوي، ويتمثل الجانب المادي في إعداد ما تقوم به الحياة لكل أفراد الأسرة من نظافة ملابس وماكل ومشرب ومسكن، وأما الجانب للمعنوي فإنه يتمثل في حسن تبعل المرأة لزوجها فإنه يعدل الجهاد^(١) تم رعاية الأبناء رعاية حب وتوجيه، والإحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام بالموودة وتفقد الأحوال. وهذه المسؤولية بشطريها المادي والمعنوي متكاملة، وبها يكون الترابط الأسري متيناً، كما أنها تقوم بدور مهم في الضبط الاجتماعي، وتؤكد روابط التعاون والتكامل في محيط الأسرة.

ولسؤولية المرأة في الأسرة كرمها الإسلام اعظم تكريم، وجعل لها شخصيتها ومكانتها، وانتشلها من الهوان الذي تحدر إليها من أعماق التاريخ، لقد منحها كل خير، وصانها عن كل شر، منحها حق اختيار الزوج، وحق التملك، وحق إبداء الرأي والمشورة وجعل لها نصيباً من الميراث بعد أن كانت العرب لا تورث إلا من يحمل السلاح من الرجال دون النساء والأطفال وصانها عن التبرج والخضوع بالقول، والبعد عن مواطن الشبهات وكل ما يسئ إلى عفتها واحسانها.

إن المرأة شقيقة الرجل أو نصف المجتمع، ورعاية النصف الآخر، ولهذا كان دورها في الأسرة يفوق دور الأب. يحكم صلتها القوية، واتصالها الطويل بالأبناء وبحكم تأثيرها القوي على شخصياتهم، وقدرتها على توجيههم الوجهة التي تريد،

١- انظر حديث وافدة النساء في صحيح مسلم

وتلقينهم المبادئ التي تؤمن بها، وبخاصة في مرحلة الطفولة، وقديما قيل، المرأة التي تحرك سرير الرضيع بيمينها، تستطيع أن تحرك العالم بيسراها.

إعداد المرأة لحماية الأسرة،

ومادام للمرأة في الأسرة تلك المنزلة والأهمية، وإن هذا يؤكد مسؤوليتها عن حماية الأسرة من كل ما يتهدها، فإن إعدادها للقيام بهذه المسؤولية ضرورة إسلامية، وهذا الإعداد يتطلب أولاً أن يعاد للمرأة المسلمة ثققتها في عظم مسؤوليتها، وتحرر من الوهم الذي جعلها تؤمن بانها إن لم تعمل خارج البيت عاملة فهي أدنى مرتبة بالنسبة لغيرها من النساء العاملات، ينبغي أن تدرك عن يقين بانها في داخل البيت تؤدي عملاً جليلاً لا يمكن لغيرها أن تقوم به، وإن تقصيرها في هذا العمل وتحمل مسؤوليتها لا يضر بأسرتها فحسب، وإنما يلحق الضرر المجتمع بأسره.

وإنما كانت المرأة هي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل الدروس الابتدائية في تعامله مع الحياة، وإذا كان ما تغرسه في نفوس الأبناء من قيم في السنوات الأولى يلازمهم طوال حياتهم مهما تراكم عليها عوامل الإفساد، كان لابد أن تتسلح بثقافة دينية أساسية تكون لها هادياً لتلقين الأبناء القيم الإسلامية السليمة.

ولايراد بهذه الثقافة الدينية أن تكون المرأة متبحرة في علوم الشريعة وإنما يكفي أن تكون على إلمام بأهم خصائص التصور الإسلامي، وأن تحصل على قدر معقول من القرآن حفظاً وتفسيراً، وأن تطلع على سيرة السلف الصالح من الرجال والنساء. وما قدموه للإسلام من توضيحات تكون مادة لقصص تحكيها لأطفالها، ومثالا تقتدي به في سلوكها أمامهم، وأن تكون على علم بالحلال والحرام في كل ما

يختص شؤون حياة أبنائها اليومية في البيت والشارع، لتردعهم إذا انحرفوا وتبين لهم الخطأ إذا أخطأوا، وتكافئهم إن أحسنوا.

والمرأة إلى جانب ثقافتها الدينية في حاجتها ملحة إلى حد أدنى من العلوم التربوية تساعد على أن تتجاوز بأبنائها مرحلة طفولتهم في أمان.

إن الأمر يقتضي أن تكون المرأة على وعي مقبول بوسائل معالجة مشكلات كل مرحلة من مراحل طفولة أبنائها حتى تنمو مداركهم العقلية والنفسية نموها الطبيعي، وبذلك تجنبهم خطر ما قد يتعرضون له من عقدة نفسية، وانحرافات سلوكية قد تلازم الطفل حتى آخر مرحلة من عمره.

وإذا كانت التربية الصحية أصبحت علماً قائماً بذاته له أصول وقواعده، فإنه يتعين على المرأة المسلمة أن تلم بقسط من التربية الغذائية، فتعرف مكونات الغذاء الكامل، وأثر غياب بعضها على النمو السليم، كما تعرف كيف تعد لبيتها غذاء متكاملًا متوازنًا بأقل التكاليف، وتساهم بذلك في البناء الإقتصادي للأسرة، بالإضافة إلى ما يوفره الغذاء الكامل من سلامة البدن، وبالتالي سلامة العقل، فالعقل السليم في الجسم السليم.

إن المرأة مع مراعاتها لقواعد الصحة الضرورية عليها أن تربي أولادها على الإلتزام بقواعد النظافة في كل شيء، فالإسلام دين الطهارة والنظافة. طهارة الظاهر والباطن معاً. وطوعاً لهذا يكون المسلم دائماً شامة بين الناس يرى فيه الجميع صورة مشرفة للنظافة المادية والعنوية على السواء.

وعلى المرأة بالإضافة إلى ما سبق أن تنشئ أولادها على النظام، وأن تحرص على أن يكون البيت جميلاً منسقاً والجمال ليس علماً يلقن، ولكنه إحساس وثقافة

توصل في الإنسان منذ نعومة أظفاره، حتى تصير جزء من شخصيته والمرأة المسلمة أولى الناس أن تكتسب هذه الثقافة وتربي عليها أطفالها ليسبوا على حب الجمال وتقديره، فانه جميل يحب الجمال.

ان المرأة بلا مرء مدرسة لا ثقل اهمية وأثراً عن المدارس النظامية التي تلقي كل اهتمام من حيث التطوير، على حين ان الأولى الإهتمام بإعداد المرأة، فهي خير ضمان لنجاح المسيرة الحضارية، وما أومات إليه حول هذا الإعداد يعتبر الحد الأدنى مما يجب أن تعدله المرأة المسلمة حتى تقوم بمهمتها على خير وجه، مما يستوجب صياغة جديدة للبرامج التعليمية تفصل بين ما يقدم للإناث وما يقدم للذكور، وتراعي تخصصات كل من الجنسين^(١) وأن تكون هذه البرامج مطعمة بما يؤدي إلى تفجير طاقات الفكر الإسلامي الصامد أمام التيارات الهنامة، والأفكار السمومة.

ولا يعني الإهتمام بإعداد المرأة وتسليحها وبما يهيئها لحماية الأسرة، وإعداد جيل طيب الأعراق، طاهر الأركان. أن دور الرجل هامشي في الأسرة، وأن هذا الدور لا يتجاوز توفير الضرورات المادية لأهله وأولاده، فالرجل مكمل للمرأة في مرحلتي المراهقة والشباب فهما شريكان في رعاية الأسرة وقد يكون دور الرجل أهم من دور المرأة، فهو أقدر منها على الرعاية والتوجيه في هاتين المرحلتين، ولأمر ما كانت حضانة المرأة للأبناء منذ الولادة حتى مشارف مرحلة المراهقة، ثم تنتقل الحضانة للرجل، ومن ثم كان في حاجة إلى أن يتسلح بوعي ديني وتربوي معقول حتى يكون لأبنائه راعياً واعياً، ومربياً حكيماً، ويكمل بهذا ما قامت به المرأة في مرحلة الطفولة.

إن رحلة الأسرة في بحر الحياة أشبه ما تكون بزورق يعبر المحيط وفي يد كل من المرأة والرجل مجذاف لقيادة الزورق حتى يصل إلى شط الأمان، فإذا تخلى أحدهما عن استعمال مجذافه فإن الزورق يضل طريقه وقد يبتلعه الماء ويغرق كل من فيه، وهكذا تقع على المرأة والرجل المسؤولية المشتركة لحياة الأسرة وحمايتها من الأعاصير المدمرة.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إن صرح الإسلام قام على توضحيات نعال قامت بها أسر شجاعة، توأصي رجالها ونساؤها بالحق والصبر وما أحوج الأمة اليوم إلى أسر مؤمنة شجاعة تفقه رسالتها وتضحي في سبيلها، ويتوأصي الجميع على حمايتها لتظل قوة تدود عن الأمة، وتصنع لها حاضراً مشرقاً ومستقبلاً مجيداً.»^{١١}

التحديات التي تهدد الأسرة المعاصرة:

تواجه الأسرة المسلمة في المجتمع المعاصر تحديات خطيرة تقف من ورائها بطريقة منظمة - قوى التغريب والصليبية والصهيونية من أجل تقويضها، لأن هذه القوى تدرك أن خلخلة بناء الأسرة المسلمة هو المنطلق لإنهيار البناء الناتج للمجتمع، والقضاء على مصدر مقاومته لسياسة البغي والعدوان التي خططت منذ أمد بعيد لزعزعة الأمة الإسلامية شيئاً فشيئاً عن دينها واصلتها هويتها، فلا عرو أن عانت الأسرة المسلمة في حاضرها من تحديات، وما زالت تعاني - خطيرة تهدد استقرارها واستمرارها.

يقول المستشرق برنارد لويس: إن الغرب يراهن على ثلاثة عوامل من أجل

١ - أنظر فضايا المرأة بين التقاليد الراسخة والواقف، ص ١٢٠

إحداث التغيير الكامل تجاه الأمركة والتحديث في الشرق الأوسط وهي إسرائيل وتركيا والمرأة^(١).

إن الغرب مازال يصر على أن يستخدم المرأة كسلاح رئيس في إفساد المجتمع، وذلك بنشر الإباحية والدعوى إلى الإختلاط، وفرض حقّ تعليم الفتاة في المؤسسات التعليمية المختلطة وترويج الأزياء وأساليب الزينة الغربية، وتشجيع تيارات الأنث المبسووف وفنون الإثارة وإخراج المرأة من بيتها إلى العمل الذي لا يتفق مع طبيعتها وقطرتها الأمر الذي نشأت عنه ظاهرة الحيرة والتمزق التي تواجه الأسرة المسلمة بصفة عامة والفتاة الملتزمة بصفة خاصة^(٢).

المؤتمرات الدولية:

إذا كان العالم الإسلامي يعد أن تخلص من الإستعمار العسكري بدأ حياة مستقلة إلى حد ما، وظهرت في هذا العالم إرهابات الصحوة الإسلامية وانحياز جماهير الأمة إلى قادة هذه الصحوة وأثرتهم لتكون أزيمة الأمور بأيديهم، فإن الغرب شعر بصدمة عنيفة، لأنه يدرك أن الخطر العالمي الوحيد الذي يهدد مصالحه هو الإسلام، فما سواه من المعتقدات ليس بخطر يخشى منه أو يؤبه له.

وكانت المؤتمرات الدولية من أهم وسائل الجولة الجديدة في الصراع بين الإسلام والقوى المضادة، لأنها اتسمت بطابع العالمية، وكانها تعكس اتفاقاً دولياً لإنقاذ البشرية مما تتعرض له من مشكلات، وليست من ثم موجهة إلى عقيدة من العقائد أو دين من الأديان، وفي هذا إشارة إلى أن الذين يعارضون هذه المؤتمرات هو

١ - انظر مجلة المجتمع العدد، ١٣٥٩ ص ٩، K/V أن

٢ - انظر مجلد الأمة القطرية، عدد رجب، سنة، ١٤٠٥ هـ ص ٧٦.

مسؤولية المرأة من دعم مكان الأسرة في النظام الأسري ٤٧٧

الخارجون على النظام العالمي الجديد، ويريدون الحياة في دائرة الإقليمية الضيقة، ولا يفقهون التطور المعاصر لتعاون الدول على درء المخاطر.

لقد بدأت المؤتمرات الدولية منذ عام ١٩٧٥م بمؤتمر مكسيكو، ثم مؤتمر كلورادو سنة ١٩٧٨م، لتنصير المسلمين عن طريق اختراقهم من الداخل، ومؤتمر كوينهاجن سنة ١٩٨٠م، ومؤتمر نيروبي ١٩٨٥م، وما عرف بقمة الأرض في ريودي جانيرو في البرازيل ١٩٩٢م ومؤتمر حقوق الإنسان في فيينا عام ١٩٩٣م، والمؤتمر العالمي للحد من الكوارث الطبيعية في بوكوهاما في اليابان عام ١٩٩٤م، ومؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر القمة العالمية للتنمية الإجتماعية في كوينهاجن عام ١٩٩٥م والمؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين عام ١٩٩٥م ومؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية الذي عقد في اسطنبول عام ١٩٩٥م^(١).

وأحدث هذه المؤتمرات، المؤتمر الدولي حول تحديات الدراسات النسوية في القرن الحادي والعشرين، وقد عقد في صنعاء سنة ١٩٩٩م بمشاركة ٢٤ دولة، وكان أغلب المشاركين فيها من المعروفين باتجاهاتهم الفكرية العلمانية المعادية للإسلام^(٢).

وهذه المؤتمرات على تنوع طروحاتها وتعدد أساليبها ترمي إلى ابتلاع أنماط وأشكال جديدة من الحياة الإجتماعية تحطم الحواجز الأخلاقية وتعارض القيم الدينية، وتنتشر الإباحية باسم الحرية، وتشجع على التحلل باسم التحرر، حيث لم يكن واضعوا البرامج لهذه المؤتمرات عند حد التشكيك في اعتبار الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن

١ - انظر مجلة الوعي الإسلامي العدد، ١٠٥ ص ٥٥، وتقديم كتاب وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، العدد ٥٢ من كتاب الأمة ص ١٢.

٢ - انظر تقديم وثيقة مؤتمر السكان والتنمية ص ١٣، ١٤، ١٧.

غير طريق الزواج، واعتبار ذلك من الشؤون الشخصية، أو من الحرية الشخصية التي لا يحق لأحد التدخل فيها، ولكنهم قفزوا فوق الكثير من الضوابط والقيم الدينية الأخرى أيضاً ليقرروا بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يشرعه الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً، وقيداً على الحرية الشخصية، لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ويشترط أن تكون بين الذكر والأنثى فقط وضمن الإطار الشرعي، ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر بينهم ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والعلاقات الزوجية ضمن الأسرة، مغيرين أن ذلك مجرد أدوار وأشكال لا تخرج عن كونها معاً اعتاد الناس ودرجوا عليه وأقوه حتى دخل في طور التقاليد المتوارثة، لذلك حاولوا الترويج والإقرار لأنماط بشرية بديلة دون اعتبار للنواحي الشرعية والقانونية والأخلاقية، مثل زواج الجنس الواحد، والمعاشرة بدون زواج، وإعطاء الجميع حقوقاً متساوية، ووضع سياسات وقوانين تقدم دعماً تأخذ في الإعتبار تعددية أشكال الأسر.

إضافة إلى الدعوة إلى تحديد النسل باسم تنظيم النسل، وتشجيع موانع الحمل، وتيسير سبل الإجهاض.

ويلاحظ أن هذه المؤتمرات قد تحول انعقادها إلى عواصم بلاد المسلمين في القاهرة واسطنبول وصنعااء، وطرحها الكثير من المفاهيم التي كانت تبدو مستغربة ومنكرة، ولكن هذه المؤتمرات تمارس شيئاً فشيئاً عملية التطبيع والقبول لمفاهيمها وطروحاتها فمجرد الطرح في المرحلة الأولى يعتبر مكسباً ثقافياً على الرغم من الإدعاء بأنه غير ملزم للدول المشاركة بهدف تمريره، ورصد ردود الفعل ومن ثم دراسة ردود الفعل بدقة، ورسم طريقة للتعامل معها للإنتقال إلى

المرحلة التالية.

وهكذا يتقدم الشر تدريجياً، ويحتل كل يوم موقعا في الذهنية الإسلامية المستهدفة، ويروج لها من قبل المسكونين بالحضارة والثقافة العربية في العالم الإسلامي.

إن هذه المؤتمرات تعد تحدياً خطيراً للأسرة المسلمة، فهذه الأسرة من أواخر الحصون الإسلامية التي لما تسقط بعد سواء على المستوى الثقافي أو الاجتماعي أو القانوني، لذلك لابد من إسقاطها وإغراقها في الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة في الحضارة الغربية، وعند ذلك يتم السيطرة على الحصن الأخير.^(١)

ومادامت الأسرة هي المحضن الأساس الذي ينتقل الدين من خلاله من جيل إلى جيل، ولدور المرأة المتميز في حماية هذا المحضن اهتمت تلك المؤتمرات بالمرأة، وسعت لإخراجها من دورها الأسرى أولاً، ثم من دورها كعربية ثانياً ودفعها دفعا إلى سوق العمل من أجل صرف نظرها عن الإنجاب ثالثاً، وأخيراً تعريضها من كل ما يمكن أن تحمله من قيم غير إشاعة الحرية الفردية، وإخراجها بعد ذلك من دائرة الدين عبر حلال قيم ما بعد الحداثة الأنثوية وهي: موت الرجل، موت التاريخ، موت الغيبات، وكل هذا يعني أن للراه كانت هي الهدف الذي حاولت تلك المؤتمرات أن تخترقه، لأن في ذلك اختراقاً للأسرة المسلمة وقضاء على قيمها الشرعية.

وهناك إلى جانب التحديات الواضحة التي أومات إليها تحديات داخلية تتمثل في الأمية الدينية، والثناوية الثقافية وتخلف المناهج التعليمية، والتفكك الأسري بالإضافة إلى صحافة الأسرة التي لا تختلف جوهرياً عن صحافة الأسرة في الغرب.

وكذلك البث الإعلامي وبخاصة المرئي منه فهو يوجه عام يرسم خطوات البث الإعلامي الأجنبي.

وجملة القول أن كل التحديات التي تهدد الأمة هي في جوهرها موجهة إلى المرأة بنتاً أو اختاً أو أمّاً، لأن في غزوها غزواً للأسرة وتدميراً لها.

كيف تقاوم المرأة التحديات التي تهدد الأسرة؛

إن تلك التحديات إذا كانت قد حققت بعض ما خطط له في غياب المناعة الناتجة للمجتمع الإسلامي فإنها لم تحقق كل ما ربها، فلا زالت جذور الخير وبذور الفطرة السليمة تهب أبناء العالم الإسلامي من أسلحة المقاومة ما يحول دون انتشار أوبئة الحضارة المادية في جسد الأمة الإسلامية، حيث لازال عالمنا الإسلامي عصياً متمسكاً لم يفتك به الإيدز، ولم تحل عرى تماسكه الإجتماعي مخاطر الإباحية، ولم تنسف قيمه الخيرة رياح التحلل التي اجتاحت العالم كله.

ومع هذا فالخطر قائم ويزداد في كل يوم تفاقماً وتهديداً للهوية الإسلامية. ويجمع كل المهتمين بهذه المشكلة على أن سبيل التصدي لها ومقاومتها هو التحصين العقدي لأن ضعف العقيدة بين المسلمين هو علة العلل في تخلفهم، ونجاح غيرهم فيما يمكرون به ضدهم.

وعلاج ضعف العقيدة عمادة نشر الوعي الإسلامي الصحيح وتحصين الأمة ضد فيروسات تلك التحديات، فهو يحمي من الأمية الدينية وآثارها، ويعالج كل المشكلات الداخلية التي تحول دون التريبة الإسلامية والنهوض الحضاري الإنساني ويقف سوراً منيعاً أمام كل القوى المضادة فلا تستطيع اقتحامه لأنه ليس مادياً

يمكن لمحاول الهدم أن ترززل قواعده، وتأتي على بنيانه، ولكنه سور معنوي أوت إليه القلوب والعقول وانعقدت عليه المشاعر والأمال، ومهما تتكالب عليه قوى الشر والعدوان فلن تبوء إلا بالفشل والخسران.

وإذا كانت التحديات الخارجية التي تهدد الأسرة تركز على المرأة، لأن في إفسادها إفساداً لكل أفراد الأسرة ولذلك كانت هذه التحديات تصب نحو غاية واحدة. وهي دفع المرأة المسلمة نحو التحلل من الإلتزام بقيمتها ومفاهيمها وعاداتها، لتبني المفاهيم والأعراف الأجنبية حتى يتضعض السور - سور الأسرة المسلمة - الذي يحمي المجتمع الإسلامي من ذوبان هويته وضياع أصالته، وانهيار كيانه، ومن ثم ينبغي أن يبدأ بث الوعي الإسلامي للأسرة من المرأة، وذلك عن طريق إعادة تأهيلها كما سبق أن ذكرت في فقرة إعداد المرأة لحماية الأسرة، وايضاً إعداد قيادات نسائية فقهية مستوعبة للإسلام يتحقق فيهن الإلتزام والإلتزام قادرات على الحضور الإسلامي في كل المواقع الفكرية والإجتماعية، ومحاولة الخروج من النمق والخارطة الفكرية التي فرضت علينا لأكثر من قرن، وما نزال نتحرك ضمن حدودها، قضية الحجاب وتعدد الزوجات، والطلاق... الخ مع أن هذه القضايا أصبحت محسومة لإبراز دور المرأة في الحياة الإسلامية^(١)

إن المرأة بنقاقتها الإسلامية ووعيتها الصحيح بمشكلات مجتمعتها والتمتع بإيمان صادق بمسؤوليتها نحو أسرتها وأمتها والإخلاص في القيام بهذه المسؤولية تستطيع أن تنتصر على تلك التحديات وبخاصة ما يتعلق منها بالجوانب التي تهدد القيم

١- انظر تقديم ونية السكان ص ٢٨.

الأخلاقية وتفسح المجال للحرية الفردية دون قيد ما، وتدعو إلى انتكاس القطرة والغاء الأسرة، وإطلاق العنان للشهوة الجنسية، وابتاحتها مؤتمرات طبية غربية تدعو إليها، كما أقرتها بعض القوانين في أكثر من دولة أوروبية، وأعلنتها كظاهرة طبيعية وحالة اجتماعية عادية لا يجب مقاومتها أو التعرض لها.^(١)

على أن مسؤولية المرأة في دعم كيان الأسرة لا ينحصر في مواجهة التحديات الخارجية ومقاومتها، وإنما تشمل أيضاً هذه المسؤولية التحديات الداخلية ويمكن للمرأة المسلمة بوعيتها وثقافتها وإيمانها برسالتها أن تتصدى لهذه التحديات، فتحمي أبناءها من مهازل ومساخر ما تقدمه الأجهزة الإعلامية المرئية بأسلوب علمي هادئ كان تخاطب الأم أولادها بقولها لهم: هل ترضون لأكم أو اختكم أن تبدو مترجحة أمام الرجال، أو أنت تقول مثلاً: إذا أكلتهم طعاماً طيباً انتفع به جسدكم، وإذا أكلتهم طعاماً فاسداً جر عليكم المرض، ونحو ذلك من العبارات التي تشعر الأطفال بأن كل ما تعرضه الأجهزة المرئية ليس نافعاً، ويجب التمييز بين الصالح والاطالح منه، وبالموالة والمتابعة نتكون لدى الأطفال ملكة التفريق بين النافع والضار فيما يشاهدون.

والمرأة أيضاً تستطيع أن تعالج ظاهرة طغيان النظرة المادية وما تمخض عنها من تحد للآسرة تمثل في القضاء على مفهوم التيسير في الزواج، فأخذ الناس يتفاخرون بما يقدمون من صدقات وما ينفقون في ولائم الأعراس وما يستو ردون من أثاث، وما إلى ذلك، وتجم عن هنا عزوف كثير من الشباب عن الزواج، لأنهم لا يملكون ما

١- انظر مجلة منار الإسلام عدد ذو الحجة، ١٤٠٢هـ ص ٦٨.

يطلب منهم، ولجا بعض هؤلاء إلى الاقتراض بامرأة كتابية أو أجنبية فكان هذا الزواج تحدياً آخر للأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي، وكان من عوامل انتشار العادات والقيم غير الإسلامية بين المسلمين، كما كان من عوامل ظاهرة العنوسة التي تعد تحدياً للأسرة المعاصرة^(١).

ومعالجة هذه الظاهرة المادية من قبل المرأة يكون بغيرس قيمة التضحية والمحبة والتعاون والإيثار في نفوس الأبناء منذ الصغر، ويأتي دور الرجل في هذا مكملاً لدور المرأة، وهما معاً قلوباً لأبنائهم بالتضحية من أجلهم، وبالمساواة في المعاملة بينهم فالتفريق في المعاملة يورث في النفوس الكراهية والأناحية والسلبية، وما ينشأ عن هذا مما يسمى بالجزر المتعزلة داخل الأسرة، فكل فرد فيها يعيش في حفاء عاطفي، ولا يعرف الإخلاص والوفاء، والحب، والعطاء.

وإذا كانت ظاهرة التفكك الأسري من الظواهر المعاصرة التي تهدد حياة الأسرة، لأنها تورث الإضطراب والقلق والتعرق والنشأة غير السوية للأبناء فإن المرأة بتجربتها في معالجة كل التحديات يمكنها أن تكون حامية سلام في داخل الأسرة، وأن تتجاوز عن بعض الهفوات التي لا يسلم منها إنسان حتى تظل علاقتها بزوجها وأبنائها حميمة ومحقة لعاني المودة والرحمة والسكن، فهذه العلاقة بمعانيها الإنسانية تكفل لحياة الأسرة جواً نقياً من الصراع والخلاف أو التمرد، ويسود هذه الحياة السلام والمحبة والتعاطف والترابط الوثيق، والأسرة بهذا تقدم للمجتمع الأجيال الصالحة للقيادة والعطاء الطيب في مختلف مجالات الحياة.

١- انظر منار الإسلام عند ربيع الأول والآخر سنة ١٤٠٨هـ والحكم الشرعي في زواج المسلم بغير المسلمة للدكتور محمد عبد الحكيم، ص ٣٧

وحتى تنجح المرأة في القيام بمسؤوليتها في دعم كيان الأسرة فإن هذا النجاح يحتاج إلى مناخ عام يساعد على أن يؤدي جهاد المرأة ثمراته النافعة وأثاره الحميدة، فإذا كان هذا المناخ لا يدعم جهاد المرأة في تصديها لكل ألوان التحديات التي تهدد الأسرة، فإن هذا الجهاد لن يحقق رسالته كاملة، لأن ما تنفقه المرأة من عمل صالح في جو فاسد، وبينة ملوثة بشئ الأمراض لن يبلغ غايته في الإصلاح والشاعر يقول، متى يبلغ البنيان يوماً تماماً..... إذا كنت تبنيه وغرك يهدم.

وجملة القول أن التحديات التي تواجه الأسرة عديدة ومقاومتها ليس أمراً هيناً، ويحتاج إلى جهاد متواصل، وعمل دؤوب، والراة تستطيع بوعيتها وثقافتها الإسلامية أن تنهض بدورها في دعم قيام الأسرة على الرغم من العقبات التي تعرقل المسيرة، لأنها بمشاعرها الفياضة نحو الأسرة ستواصل السعي لحمايتها مملكتها، والدفاع عنها ضد كل الأخطار والإضرار.

مفهوم العبادة:

إن المرأة إذا كانت مكلفة شرعاً بعبادة الله وحده فإن مفهوم العبادة في الإسلام ليس مقصوراً على ما كتبه الله على عباده من صلاة وصيام وزكاة وحج لمن استطاع إليه سبيلاً، لأن للعبادة في الإسلام مفهوماً شاملاً ينسحب على كل تصرفات الإنسان ما حل منها أو هان مادامت نية التقريب إلى الله مهيمنة عليها.

إن الإنسان خليفة الله في الأرض مهمته أن ينفذ أمره، ويقسم حدوده ويعلي كلمته، ويقوم بواجب العبودية له تعالى، ومن ثم تصطبغ كل أعماله بصيغة

ربانية، ويكون ما يصدر عنه من أقوال، وأفعال وحركات وسكنات عبادة الله رب العالمين^(١).

ومادامت المرأة مكلفة شرعاً فإن دعمها لكيان الأسرة ليس مجرد مسؤولية ينبغي أن تحملها، ولكنها عبادة وتكليف شرعي بالمفهوم العام للعبادة في الإسلام، فضلاً عن أن بين المؤمنين والمؤمنات في التشريع موالاته، يقول الله تعالى، "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم"^(٢).

فهذه الآية تبين أن الولاية وتعني النصرة، والمودة والتكافل والتضامن في تحقيق الخير ودفع الشر وهي أخص خصائص الأمة المؤمنة برجالها ونسائها، والآية قد أكدت على أربع صفات في الأمة المؤمنة وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذه الصفات هي التي وعد الله المؤمنين عليها بالنصر والتعكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية^(٣).

فالمرأة في قيامها بدعم كيان الأسرة تعبد الله، وإيمانها بهذا بضاعف من إخلاصها وحرصها على هذا الدعم، وتعني أن التفريط في مسؤوليتها تجاه الأسرة إثم ومعصية لأنه تفريط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم تقديم النصيحة والتوجيه، والإهتمام بأمر المسلمين.

وما سبق القول فيه عن مسؤولية المرأة يهيئ لها أسباب القيام بهذه المسؤولية

١ - انظر العبادات في الإسلام للشيخ يوسف القرضاوي، ص ١٥٢، القاهرة.

٢ - الآية، ٧١ في سورة التوبة.

٣ - انظر في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، المجلد الرابع، ص ٢٥٢، ط بيروت.

على خير وجه، فضلاً عما تتمتع به المرأة من عاطفة جياشة بحب الأسرة وحنان غامر لكل أفرادها، وتضحية اضحت مضرب الأمثال في التفاني والإيثار، فهي من ثم تدعم كيان الأسرة وهو دعم مستمر، وليس مجرد توجيه ورعاية ولكنه قد يكون أحياناً دعماً مادياً إذا كانت المرأة عاملة أو لها ثروة خاصة، وكانت ظروف الأسرة الإقتصادية لا تكفل لها حياة كريمة أو مستوى من العيش لائقاً، وقد يموت رب الأسرة، وتجد المرأة نفسها مسؤولة عن كفالة أولادها فلا تجد غضاضة من أن تمارس عملاً شريعياً يدر عليها دخلاً يغطي نفقات الأسرة، إنها تضحي براحتها، وقد تضحي بأنوثتها من أجل أبنائها، فترفض الزواج لتتفرغ لأولادها وتحميمهم بهذا من التشرد والضياع.

على أن مسؤولية المرأة عن دعم الأسرة لا يعني أن هذه المسؤولية محصورة في نطاق الأسرة الخاصة، ولكنها تتجاوز هذه الأسرة بحكم الوالدة بين المؤمنين والمؤمنات إلى غيرها من الأسر التي تحتاج إلى المساعدة والعاونمة مادامت المرأة قادرة على القيام بهذه المسؤولية.

والخلاصة أن المرأة مسؤولة شرعاً عن دعم كيان الأسرة، ولكن تنهض بهذه المسؤولية يجب إعدادها إعداداً دينياً شاملاً، وأن يكون المناخ العام في الأمة مساعداً لها على القيام بما فرض عليها، كما يكون الرجل رداً لها وليس نداً يقاوم نشاطها المشروع، وبذلك كله تظل الأسرة المسلمة - مهما تكن التحديات - عماد المجتمع وقاعدة الحياة البشرية، وتظل النبع الفيض بالحنان وإعداد الأجيال الناشئة إعداداً يؤهلهم لتحمل الأمانة في شجاعة وإتقان.

**دور النساء ومنزلتهن
في عالم الخلق والتكوين**

أعداد :

السيدة ك م دوسا

نقاط الاشتراك والاختلاف الخلقية بين الرجل والمرأة وأدوارهم التكميلية

الاختلافات البيولوجية والنفسية

يحتفظ البشر بسلسلة من الحقوق والحريات الطبيعية والفطرية التي تتميز بانها غير قابلة للتحويل على الاطلاق (لا توهب ولا تنتزع)، وغير قابلة للانتقال، ولا يمكن انكارها. ان اساس جميع الحقوق الطبيعية هو الطبيعة نفسها. وانا كان للانسان حقوق مخصوصة، والتي لا يملكها اي من الجياد او الخراف او الطيور او الأسماك، فان ذلك يرجع الى طبيعته والى كيفية خلقته. وانا كان البشر جميعا متساوين في الحقوق الطبيعية وعليهم بالتالي ان يحيوا حياة حرة، فان ذلك يرجع بدوره الى ان ناك النظام هو جزء من طبيعة خلقتهم. وفي ضوء الأبحاث العلمية والاكتشافات البيولوجية والنفسية، فقد ثبت وجود اختلافات مهمة بين الجنسين. ان كلا من النساء والرجال، كونهم بشرا، قد ولدوا احرازا، ولكل منهم

خصوصيات وشخصيات وذهنيات معينة. وهذا الاختلاف ليس نتيجة لعوامل جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية، ولكنه راجع الى طبيعة خلقتهم. لقد صنعتهم الطبيعة مختلفين عن عمد، وان أي اجراء يتم اتخاذه ضد قصد الطبيعة سيؤدي الى نتيجة كارثية. وكما الهمتنا الطبيعة فيما يتعلق بالحريّة والمساواة في الانسانية، ينبغي علينا وبنفس الطريقة ان نلتمس الهداية من الطبيعة نفسها لتحديد ما انا كانت حقوق الرجل والمرأة نوع واحد أم انها نوعان مختلفان. وما انا كان المجتمع الأسري يبدو على الأقل مجتمعا طبيعيا أم لا. وهناك مسألة تستحق ان توضع في الاعتبار. وهي، هل أن النثائية الجنسية في الحيوانات، وأيضا في الانسان، امر اتفاقي، أم انه جزء من تركيبتهم الخلفية، أي هل أن الاختلافات الجنسية امر ظاهري عضوي، أم كما أوضح اليكس كارل ان كل خلية في جسم الانسان مختومة بختم الجنس، وهل أن الذكور والاناث لهم وظائف منفصلة يؤدونها أم لا، وهل أن الحقوق أحادية الجنس أم ثنائية الجنس. ويطرح نفس السؤال فيما يتعلق بالتعليم والعقوبات والمسؤوليات والمهمات.

ان النساء، وبحكم الطبيعة، لهن قدرة انتاجية اقل، فيما استهلاكهم للثروة أكثر من الرجال. ان هناك مجموعة من العوامل (الدورة الشهرية، الحمل، الام الولادة، ارضاع الأطفال وحضانتهم) تجعل النساء في موضع يحتجن فيه الى حماية الرجال. ولا يقتصر هذه الوضع على البشر فقط بل ينطبق أيضا على جميع

الحيوانات التي تعيش كأزواج، وفي جميع هذه الحالات يقوم الذكر وبشكل غريزي بحماية أنثاه.

ان الاهتمام المناسب بالوضع الطبيعي للرجل والمرأة ولتساويهم وحقوقهم المشتركة كبشر، يجعل المرأة في وضعية مريحة لا تتأثر فيه شخصيتها ولا تصاب بأي أذى.

ان الرجال أقوى بدنيا من النساء، وبشكل كل من الرجل والمرأة انطلقتين بما لهما من مدارين غرائزيين ينبغي لهما ان يتحركا معه. وتتوقف سعادتهما، بالإضافة الى سعادة المجتمع الانساني ككل، على الظرف الذي يتحركان فيه داخل مدارهما الخاص. وبامكان الحرية والمساواة ان يكونا ذا فائدة فقط اذا اتبع الجنسان مساريهما الطبيعيين.

حينما نقول ان مسألة المجتمع الانساني ينبغي اعادة تقييمها وان لا تبقى محدودة بتقييمات سابقة، فانتا نعني انه ينبغي لنا ان نهتدي بالطبيعة وان نضع في الاعتبار كل التجارب المرة والحلوة للماضي.

لقد اتخذ القرآن الكريم، أثناء فترة وحيه، خطوة كبيرة باتجاه تصحيح اوضاع النساء واستعادتهن لحقوقهن الانسانية. لقد احيا القرآن حقوق المرأة كإنسانة وكشريكة للرجل في الانسانية وفي حقوق البشر، وكنه لم يغفل عن حقيقة انوثتها ورجولته. ومن هنا نجد انسجاما تاما بين أوامر الطبيعة وأوامر القرآن،

فالمرأة في القرآن هي نفسها المرأة كما أودعتها الطبيعة.

ان أول اختلاف يتعلق بنفسية الرجال والنساء. ولقد لفت الإسلام انتباه النساء الى حقوقهن، ومنحهن شخصية وحرية واستقلالاً، ولم يحرضهن على التمرد واضمار الحقد ضد الرجال.

الاختلافات بين الرجل والمرأة

[المرأة]	[الرجل]
بشكل عام أكثر بخلًا مقارنة بالرجال	١. بشكل عام أجود من النساء
صوتهن رقيق ومحجب	٢. أكبر حجمًا وبالتالي أقوى. كما أنهم أخشن
ينمو بدنهن بشكل أسرع وتنمو جنين الأنثى أسرع	٣. صوتهم خشن وعال
نمو جنين الذكر أبطأ	٤. ينمو بدنهم بشكل أبطأ
حجم دماغهن أصغر وكذلك سعة رثتهن	٥. حجم دماغهم أكبر وكذلك سعة رثتهن
يتحدثون بشكل أسرع	٦. يتحدثون بشكل أبطأ
بلوغهن أسرع	٧. بلوغهم أبطأ
يفقدون القدرة على التناسل في وقت مبكر	٨. لا يفقدون القدرة على التناسل

٩. دقات قلوبهم أقل سرعة	دقات قلوبهن أسرع
١٠. أقل جمالا من النساء	أجمل شكلا
١١. أكثر عقلانية	أكثر عاطفة
١٢. لهم قدرة أقل على حضانة الأطفال	قدرتهن على حضانة الأطفال أفضل
١٣. أقل صبرا مع الأطفال	أكثر صبرا مع الأطفال
١٤. قدرتهم على تحمل الألام أقل	أقدر على تحمل الألام، كمنال، الام الولادة
١٥. أقل اجتماعية	أكثر اجتماعية
١٦. أقل تأثيرا داخل الأسرة والمجتمع	تأثيرها داخل الأسرة والمجتمع أكبر
١٧. يعطون أولوية للجنس	يعطون أولوية للحب
١٨. لديهم طبيعة الاغواء	يميلون الى التصديق بسرعة
١٨. تغلبهم رغباتهم	لديهن قدرة أكبر على التحكم في رغباتهن واخفائها
١٩. يمثلون الحكمة	يمتلن الحب والعواطف
٢٠. مشاعرهم تميل الى التحدي والقتال	لهن طابع سلمي
٢١. أهنا أعصابا	أكثر عاطفة ويستترن بسهولة
٢٢. أقل اهتماما بالزينة وأدوات التجميل والموضة	أكثر اهتماما بذلك
٢٢. مستقرون بشكل عام	مشاعرهن أقل استقرارا، متقلبات المزاج

٢٤. أقل كلاماً، وأقل ولعاً بالرسميات	أكثر كلاماً، أكثر تخوفاً وأكثر ولعاً بالرسميات
٢٥. تتطور عنده مشاعر الأبوة	غريزة الأمومة تولد معهن
٢٦- أكثر انفتاحاً في التعبير عن مشاعرهن، وبالتالي أقل عرضة للانطواء	بالأحداث غير السارة، وهم بالتالي أكثر عرضة للانطواء
٢٧. أقل حساسية ورهافة قلب	أكثر حساسية ورهافة قلب
٢٨. نادراً ما يبكون	يلجان بسهولة إلى البكاء وأحياناً يتعرضن للأغماء
٢٩- أفضل في العلوم المنطقية والمواد الذهنية الجافة	أفضل في الفنون والآداب، كالرسم
٣٠. الرجال يحبون النساء اللاتي يرقن لهم	النساء يحببن الرجال الذين يقدرهن قيمتهن ويصرحون بحبهم لهن
٣١. يحب الرجال أن يمتلكوا نساءهم	تحب النساء السيطرة على قلب الرجل
٣٢. يرغب الرجال في التغلب على النساء	ترغب النساء في النفوذ إلى قلب الرجل
٣٣. يرغب الرجال في الفوز بالنساء	تحب النساء أن يفوز بهن الرجال
٣٤. يحب الرجال النساء الجميلات الفائنات	تحب النساء الرجال الشجعان الأنيقين
٣٥. الرجال عبيد لرغباتهم	تستطيع النساء التحكم في رغباتهن

٣٦. الدافع الجنسي لهم نشيط وعدواني	الدافع الجنسي لهن انفعالي واستثنائي
٣٧. الرجال يحبون أن يقبوا كما هم	تحب النساء الاستيقاظ كل صباح بشكل أكثر نضارة
٣٨. أفضل جملة للرجال " عزيزتي، أنا احبك "	أفضل جملة للنساء " أنا فخورة بك "
٣٩. الحظ السعيد للرجل يعني تأمين مكانة محترمة في المجتمع	الحظ السعيد للمرأة يعني الاستحواذ على قلب الرجل والاحتفاظ به سائلا طوال حياتها
٤٠. يبرع الرجال كمنظمين وقضاة ومديرين	تفضل النساء العمل تحت اشراف ويفضلن العمل كمروؤوسين عن العمل كرؤساء
٤١. يتدرب الرجال على التفكير العملي	يخشين المخاطرة
٤٢. يتحدث الرجال لمصالح شخصية	تتحدث النساء للمصالح الجماعية
٤٣. مهمتهم خدمة الزوجة والأبناء	مهمتهن الحفاظ على بقاء الجنس البشري
٤٣. أكثر جراءة في مواجهة وظائف الحياة الخطرة والحرجة	يخشين المخاطرة

<p>النساء أطول أناةً وبإمكانهن التعامل مع الدقائق الصغيرة للحياة بشكل أفضل</p>	<p>٤٤. الرجال لا صبر لهم على التعامل مع المسائل الصغيرة للحياة اليومية</p>
<p>تحتاج النساء أموالاً أكثر للجمال والأناقة، ويرتدين الثوب الذي يضيء عليهن مظهراً جديداً</p>	<p>٤٥. ملابس الرجال قابلة للاستعمال طالما أنها لم تبلى</p>
<p>اعتمادهن على الرجال لتلبية الاحتياجات المادية والمالية</p>	<p>٤٦. اعتمادهم على النساء لتلبية الاحتياجات الأخلاقية والمعنوية</p>

ترجمة: محمد موسى